

الفصول المختارة

مِنْ كُتُبِ أَبِي عُمَانَ
عَمْرٍو بْنِ مَحْرٍ الْجَاحِظِ
لِحَمْزَةَ بْنِ الْحَسَنِ الْأَصْفَهَانِيِّ

وَيَتَضَمَّنُ نَصُوصًا لِلجَاحِظِ تُنَشَرُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ

دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيقٌ
دِيَانَا مُوسَى رُحَيْلٍ

أزوق
للدراسات والنشر

الفصول المختارة

من كتب أبي عثمان

عمرو بن محمد الجاحظ

لحمزة بن الحسن الأصفهاني

ويتضمن نصوصاً للجاحظ تُنشر لأول مرة

دراسة وتحقيق
ديانا موسى رجيل

أزوق

للدراستات والنشر

□ الفصول المختارة

من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

لحمزة بن الحسن الأصفهاني

دراسة وتحقيق: ديانا موسى رحيل

الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

جميع الحقوق محفوظة باتفاق وعقد ©

قياس القطع: ٢٤ × ١٧

الرقم المعياري الدولي: ISBN : ٩٧٨٩٩٥٧٥٦٦٠٦٧

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٢٠١٣/٥/١٧٥٦)

أرْوِيقَا لِلدِّرَاسَاتِ وَالنَّشْرِ

هاتف وفاكس: ٤٦٤٦١٦٣ (٠٠٩٦٢٦)

ص.ب: ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن

البريد الإلكتروني: info@arwika.net

الموقع الإلكتروني: www.arwika.net

الدِّراسَاتُ المنشورة لا تعبّر بالضرورية عن وجهة نظر الناشر

جميع الحقوق محفوظة. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال أو رفعه على شبكة الإنترنت دون إذن خطي سابق من الناشر. حقوق الملكية الفكرية هي حقوق خاصة شرعاً وقانوناً، وطبقاً لقرار مجمع الفقه الإسلامي في دورته الخامسة فإنّ حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مضمّنة شرعاً، ولأصحابها حقّ التصرف فيها، فلا يجوز الاعتداء عليها.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted in any form or by any means without written permission from the publisher.

إهداء

إلى مَنْ أسبغ عليَّ نعمة الرِّضا...

ولَمْ يُقَصِّرْ في التَّضحيةِ والدُّعاءِ..

إلى والديّ..

أهدي هذه الشَّجرة..

عِرفانًا..

وامتنانًا..

ابنتكم ديانا

كلمة

«رحم الله امرأً أهدي إيلنا مساوئنا»

عمر بن الخطاب

«هذه الكتب عقول قوم وراءها... فلا ينبغي أن يقضى

على كتاب حتى يبين عما فيه»

الخليفة المأمون

القِسْمُ الأوَّلُ مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.
وبعد،

فمما هو غنيٌّ عن التعريف أن رسائل الجاحظ إحدى أصول الأدب التي يتوارثها الخلف عن السلف.

وعندما اخترتُ أن أحقق مخطوطة «فصول مختارة من كتب أبي عشان عمرو بن بحر الجاحظ» سعدتُ بذلك؛ لأن موضوع رسائل الجاحظ من الموضوعات المهمة في اللغة العربية، وشرعت في تنفيذها، مع شعوري بالرهبة من الخوض في مجال تحقيق رسائل للجاحظ، ولا سيّما عندما أذكر رسائل الجاحظ أجد أمامي أسماء محققين كبار، مما جعلني أشعر بالرهبة في بادئ الأمر.

وثمة الكثير من كتب رسائل الجاحظ المحققة، لعددٍ من كبار المحققين، مثل: عبد السلام هارون في تحقيقه لرسائل الجاحظ، وعبيد الله بن حسان في اختياره لفصول مختارة من كتب الجاحظ، وحسن السندوي في تحقيقه لرسائل الجاحظ. وقد عدتُ إلى هذه الكتب وقرأتها بدقة غير مرّة، حتى استطعتُ أن أحصي فصول المخطوطة التي ذكرت في هذه الكتب.

وفي هذه الكتب انصرفت جهود بعض المحققين إلى إثبات النصّ دون ضبط الألفاظ والمتون، ودون شرح الغامض منها، وأن أكثر هذه الرسائل لم تصرف جُلّ عنايتها لتخريج الآيات القرآنيّة، والأحاديث النبويّة، والشواهد الشعريّة، والأمثال، والأعلام.

أما محمّد الدروبيّ فحقّق مخطوطة للجاحظ اسمها «المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ» كما يظهر من صفحة العنوان، لكنّه غير اسمها إلى «فصول مختارة» وقد أسقط منها الفصول التي نشرت في أيّ من آثار الجاحظ، إذ اعتمد مبدأ الجدّة، فما كان جديداً لم يُنشر أثبتته، وما كان منشوراً أسقطه، وقد فات الدروبيّ أنّ الفصول التي أسقطها قد تختلف في بعض عباراتها وألفاظها وترتيبها عن الفصول المنشورة، ممّا قد يُفوّت على القارئ هذا الأمر. وقد حقّقها الدروبيّ عن نسخة يتيمة، ولم يترك صاحب هذه الاختيارات ما يدلّ على اسمه.

قد جرت العادة أن يترجم المحقّق لمؤلف الكتاب الذي يحقّقه ترجمة وافية من كتب التّراجم، لكنّ صاحب هذه الفصول وهو الجاحظ غنيّ عن التعريف، إذ كلّ من حقّق له سواء أكان كتاباً أم رسائل، أورد له ترجمة وافية. إضافة إلى صدور عشرات الكتب التي تناولت حياة الجاحظ، مفضّلين كلّ جوانب حياته، ولم يتركوا شيئاً، وكما يُقال «لم يترك الأوّل للأخر شيئاً».

لذا لم أرغب في الحديث عن حياة الجاحظ؛ لأنني لن آتي بجديد، بل سيكون تكراراً لما سبق، ممّا سيسهر قارئ هذه الدّراسة بالملل، ولا مسوغ لها، لأنّها تُعرّف عالماً معروفاً ذا شهرة كبيرة.

لكنني سأقف عند مسألة مهمّة في هذه الفصول التي اختارها حمزة بن الحسن

الأصفهاني، وهي قدح الجاحظ في رجالات الدولة الأموية، وبعض الصحابة والتابعين، وأتهمهم بالكفر، بإثبات روايات مزورة كما فعل عندما تحدّث عن الحجّاج وكيف وصف نفسه، والرّسالة المزورة على لسان عبد الملك إلى الحجّاج في أمر الصحابي أنس ابن مالك، رضي الله عنه، إلى غير ذلك من روايات لا تثبت أمام النّقد العلمي.

فقد حاول الجاحظ تشويه صورة قيس بن عاصم المنقري، الذي وصفه بالغدر والكذب، والاعتداء على ابنته وهو سكران، وآته وزع الصدقات على بني منقر^(١)، وأورد كلامًا في ثنايا المخطوط يطعن فيه، مع أنّ الرسول ﷺ قال فيه: «هذا سيّد أهل الوبر»^(٢)، وكتب الصحابة تورّد أخبارًا تؤكّد حسن سيرته وإسلامه، ولا نعرف كيف أنّ الجاحظ يطعن فيه.

في المقابل نرى الجاحظ يمدح شخصًا لدرجة كبيرة، ويبالغ في مدحه وتكريمه، وكتب التّراجم والأخبار تؤكّد خيانتة وغدره وهو ابن الأشعث الذي غدر بالحجّاج، قال عنه: «غلب على النّصر، فغلب على الصّبر، خرج كريبًا، وقتل كريبًا»^(٣)، وجاء في الكتب: «أنّه تمّن شهر بالكذب محمّد بن الأشعث»^(٤).

ولا نعرف مغزى الجاحظ أو هدفه من هذا العمل، يطعن في صحابي، ويتعصّب لخائن، ولا نعرف الذي يدور في ذهن الجاحظ حينها، كيف يستطيع كاتب محنك كالجاحظ من القيام بهذا العمل؟ وهل للجانب الاعتزالي دورٌ في هذا العمل؟ أم أنّ الجاحظ يتبع سنّة القوم الذي يجالسهم؟ يمدح من يمدحون ويطعن فيمن يطعنون؟

(١) انظر هذا الكتاب ص ٢٣٤ - ٢٣٧.

(٢) انظر هذا الكتاب ص ٢٣٨.

(٣) انظر هذا الكتاب ص ٢٣٠.

(٤) انظر: الأعلام التّيسية: ص ٢٢٩، ولطائف المعارف: ص ٦٩ - ٧٠.

ماذا لو بحثنا في كتابات الجاحظ في الإمامة والرّد على النصارى، وخلق القرآن وغيرها؟ نلاحظ أنه كتب في الرافضة رسالته (في وجوب الإمامة)، و(الزيدية والرافضة)، و(حقيقة الإمامة)، وأعلى من شأنهم. وكتب في الرّد على النصارى، وتحذّر عن السنّة. وفي الفرس كتب (رسالة المعلمين)، وفي الشعوية كتب (مفاخرة الجوارى والغلمان).

إنّ كتابة الجاحظ في الفارسية والشعوية والرافضة وخلق القرآن والرّد على النصارى، تحتاج منا وقفة لفهم عقل الرّجل، هل يعتقد الشعوية أم الفارسية أم الرافضية؟ أم هل هو سنيّ أم شيعيّ أم معتزليّ؟ من هو؟

كتب الجاحظ في كلّ هذه القضايا وأبدع، فعندما نقرأ رسالته في (الزيدية والرافضة) نخرج بقولنا: الجاحظ رافضي العقيدة والهوى، وحين نقرأ رسالته (في خلق القرآن) نقول: هو معتزليّ ورئيس فرقة معتزليّة^(١).

هل هذا الرّجل لديه أكثر من وجه؟ أم أنه يحاول إرضاء جميع الأطراف؟ أم أنه يجسّد موقف الخليفة من هذه القضايا، ويعمل على موافقته في رأيه وموقفه لسبب في نفسه.

(١) الجاحظ رئيس فرقة معتزليّة تسمّى الفرقة الجاحظيّة، إلا أنه لم يعمل على خدمة مذهبه وجماعته كما عمل باقي رؤوس المعتزلة كالنظام والعلاف وغيرهم، هؤلاء الذين أصلوا المذاهب فرقتهم، وعملوا على إرساء قواعدها، ونشر أفكارها، وقد أفنوا أعمارهم من أجل الوصول إلى غاياتهم، وكسروا إنتاجهم لخدمة جماعتهم، أنا الجاحظ فقد اقتصر على كتاب يقيم هو (خلق القرآن) ورغم أنه كاتب مبدع ومحنك إلا أنه لم يعب إبداعه لخدمة فرقة، فلو كان معتزلياً حقاً ووهب أدبه لخدمة فكره المعتزلي، لكان في مقدوره أن ينهض بفرقة إلى أعالي السماء، ويجتذب أكبر قدر من الأتباع، بل لاستطاع أن يقنع الناس بصدق ما يدعوا إليه.

لعل هذا الأمر يجعلنا نشك في اعتزاليّة الجاحظ، هل كان معتزلياً حقاً؟ أم أنه طابع قصر الخلافة في وقت ما؟ فإذا كان الخليفة يدعم الاعتزال ويتصر له، يرضيه الجاحظ في كتاباته في الاعتزال والإعلاء من شأنه، ودعم أفكاره، كما كان في خلافة المأمون والمعتمد والواثق بالله. وإذا كان الخليفة يناهض الاعتزال ويحجى مذهب أهل السنّة والجماعة، تحوّل في كتاباته إلى إحياء المذهب السنّي والحجّ عليه، كما حدث في خلافة المتوكل.

وعلى الجملة من يقرأ رسائل الجاحظ يجد تلوّناً في موقفه؛ فمرة نُحِسّه شيعياً، وأخرى معتزلياً، وثالثة عثمانيّاً، ورابعة شعوبيّاً، وخامسة مدافعاً عن العرب؛ مما يلقي ظلالاً من الشك على مذهبه الاعتزالي، وأنه كان يتخله ستاراً ليقدم آراءه التي يريد بثّها.

اسم المخطوطة: «الفصول المختارة من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ» لحمزة بن الحسن الأصفهاني، ولم يرد اسم المخطوطة في أيّ من مؤلّفات حمزة بن الحسن الأصفهاني، ولم يُشر أيّ من المؤرّخين إلى نسبة هذه المخطوطة لحمزة بن الحسن الأصفهاني.

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور: جاسر أبو صفيّة على جهوده المميّزة بالإشراف على هذه الرسالة، حيث إنّه لم يبخل عليّ بجهدته ووقته ونصحه وإرشاده المتواصل، وأشكره على رفع همّتي ومعنوياتي في تحقيق المخطوطة، فجزاه الله كلّ خير وجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن.

الأستاذ الدكتور أنور عليان أبو سويلم.

الأستاذ الدكتور ياسين عايش.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من وقف بجاني وساعدني.

* * *

ترجمة المؤلف^(١)

اسمه وكنيته:

حمزة بن الحسن الأصفهاني^(٢)، المؤدّب^(٣)، الفقيه^(٤)، أبو عبد الله^(٥)، وقيل أبو الحسن^(٦)، وأبو عبد الرحمن^(٧)، وأبو الفرج^(٨).

(١) حمزة بن الحسن الأصفهاني ليس المؤلف لهذه المخطوطة بالمعنى الحقيقي، بل مجازاً، هو من اختارها من كتب الجاحظ ورسائله وكلامه.

(٢) انظر ترجمته في: السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (٥٦٢هـ)، الأنساب، ط ٢، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى البياضي، نشر محمد أمين دميح، بيروت، ١٩٨٠م: ١ / ٢٨٩، والأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، تاريخ أصبهان، (تحقيق سفن ديلريخ)، ليدن، ١٩٣١م: ص ٣٠٠، والتديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف الوزّاق، الفهرست، (تحقيق رضا تهمذ)، ص ١٥٤، وحاجي خليفة، كشف الظنون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢م: ٥ / ٣٣٦، والبستاني، فؤاد أفرام، دائرة المعارف الإسلامية، بيروت، ١٩٨٣م: ١٤ / ٣١٣، والزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ١٠، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م: ٢ / ٢٧٧.

(٣) انظر: السمعاني، الأنساب: ١ / ٢٨٩، والتديم، الفهرست: ص ١٥٤.

(٤) انظر: الخزرجي، علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية: ١ / ٢٠.

(٥) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣ / ٦٠، والأصفهاني، حمزة بن الحسن (٢٨٠هـ)، التتبيه على حدوث التصحيف، تحقيق محمد أسعد طلس، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م: ص ٧.

(٦) انظر: المرجع نفسه: ١ / ٢٠.

(٧) انظر: الصفدي، الغيث المسجم في شرح لامية المعجم: ٢ / ١٤٦.

(٨) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون: ٥ / ٣٣٦.

سيرته: ولد حمزة بمدينة أصفهان، قبل (٢٧٠هـ)، وقيل سنة (٢٨٠هـ)^(١)، وهو من أهل أصفهان^(٢). كان أبوه مؤدبًا، وقد تلقى في مسقط رأسه الأوّل دروسًا في الحديث الشريف^(٣).

كان أديبًا^(٤)، مؤرخًا^(٥)، مصنفًا^(٦)، واطلع على الفلسفة، وتعرّف أنواع العلوم والفنون^(٧)، وطلب العلم في العراق وفارس، حتّى لُقّب بالمؤدّب^(٨).

زار بغداد سنة (٣٢٦هـ) من أجل تدوين شعر أبي نواس^(٩)، ومكث هناك مدة تعمق في دراسة مخطوطات شعر أبي نواس لكي يعدّ له ديوانًا^(١٠)، وتعرّف كلّ من كان على اتصال وثيق بالشاعر في زمنه، والذين أهداهم أبو نواس الكثير من قصائده الشعرية^(١١)، واتصل بمهلهل بن يموت بن المززع ابن ابن أخت الجاحظ وروى عنه،

(١) انظر: الزركلي، الأعلام: ٢ / ٢٧٧، ورودلف زهايم، الأمثال العربية القديمة، ط١، (ترجمة رمضان عبد التّواب)، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١م: ١٨٤، وعمر رضا كخالة، معجم المؤلفين، المكتبة العربية، دمشق: ٣ / ٧٨.

(٢) انظر: الزركلي، الأعلام: ٢ / ٢٧٧.

(٣) انظر: ورودلف زهايم، الأمثال العربية القديمة: ١٨٤.

(٤) انظر: النديم، الفهرست: ص ١٥٤.

(٥) انظر: البستاني، دائرة المعارف الإسلامية: ١٤ / ٣١٣.

(٦) انظر: النديم، الفهرست: ص ١٥٤، والفنطى، إنباه الزّواة: ١ / ٣٣٥.

(٧) انظر: عمر رضا كخالة، معجم المؤلفين: ٣ / ٧٨.

(٨) انظر: التّسماني، الأنساب: ١ / ٢٨٩، والنديم، الفهرست: ص ١٥٤، والزركلي، الأعلام: ٢ / ٢٧٧.

(٩) انظر: حسين علي محفوظ، حمزة بن الحسن، مجلّة سومر، ع ١٩، بغداد، ١٩٦٣م: ص ٦٨.

(١٠) انظر: ورودلف زهايم، الأمثال العربية القديمة: ١٨٤.

(١١) انظر: المرجع السابق: ١٨٥.

وقد ألف مهلهل بن يَموت كتابًا بعنوان «سراقات أبي نواس» ويَبين فيه الأبيات التي استعارها أبو نواس من الشعراء السابقين^(١).

اهتمّ حمزة بتتبع الأخبار والتصنيف، فقد التقى العديد من الأئمة والعلماء، وترحل في البلدان، وحرص في كتابه «تاريخ سني ملوك الأرض» أن يأخذ تواريخ الأحداث من أهل البلاد، فأخذ تواريخ الإسرائيليين من رجل يهودي يدعى صدقيا اليهودي^(٢)، وأخذ تواريخ الروم عن رجل رومي^(٣).

لقّب «بائع الهذيان» لكثرة تصانيفه وخوضه في كل نوع من أنواع العلم^(٤).

فكره ومذهبه:

كان حمزة بن الحسن الأصفهاني شعوبيًا، فخورًا بنسبه، وقد ذكر العلماء والمؤرخون اعترازه بالفارسية وتعصبه لها، فقد وصفه القفطي «أنه كان يُنسب للشعوبية، وأنه يتعصب على الأمة العربية^(٥)»، وقال زيدان: «كان يتعصب لغير العرب، وعوّل فيما كتبه على المصادر الفارسية^(٦)».

وقال محقق كتاب التّنبية على حدوث التصحيف: «كان حمزة شديد الحبِّ

(١) انظر: مهلهل بن يَموت بن المَزَع، سراقات أبي نواس، (تحقيق محمد مصطفى الهدّارة)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٧م: ص ٣١.

(٢) انظر: الأصفهاني، حمزة بن الحسن (٣٦٠هـ/٩٨٢م)، تاريخ سني ملوك الأرض، ط ٣، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م: ص ٧٦.

(٣) انظر: حنين علي محفوظ، حمزة بن الحسن، مجلّة سومر، ع ١٩، بغداد، ١٩٦٣م: ص ٦٩.

(٤) القفطي، إنباه الزّواة: ١ / ٣٣٦.

(٥) المرجع نفسه: ١ / ٣٣٦.

(٦) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة: ٢ / ٣٦٥.

لأرضه، شغوفاً ببلدته، يذكر أصبهان معترًا بها، مشفقًا عليها بقوله مديتي^(١)، فهو وإن عاش بين العرب وتعلّم العربية إلا أنه لم يترك خياله الفارسي، ولم ينس فكره ما لقومه من شعر ومثل وحكمة، لذلك صنّف كتابه «الموازنة بين العربيّ والعجميّ»، وقال عنه أيضًا: «كما كان محبًا أرضه كان محبًا قومه، مغرمًا بلغته^(٢) متبحرًا فيها، متعصبًا لها، دائم المقارنة لها مع سواها مفردات وكتابة»^(٣).

أما بروكلمان فقال عنه: «كان فارسياً يفخر بنسبه العجمي، ولكنه برغم ذلك لم يعاد العرب بل أنصفهم وأعلى ذكرهم، فلا يجوز أن يُعد من الشعوبية»^(٤)، ربّما لم يُظهر عداة للعرب، بل أضمره، لأنّ فخره بنسبه العجمي تجعله يرى أنّ الفرس يتميرون عن غيرهم من سائر الأمم.

شيوخه:

روى حمزة الأصفهاني الأدب واللغة والشعر والأخبار والتاريخ عن فئة من أفاضل الأشياخ منهم:

١- الطّبري المؤرّخ^(٥).

٢- ابن دُرَيْد^(٦).

(١) انظر: حمزة بن الحسن الأصفهاني، التّبيه على حدوث التّصحيف: ص ٧.

(٢) لغته هي اللّغة الفارسيّة.

(٣) انظر: حمزة بن الحسن الأصفهاني، التّبيه على حدوث التّصحيف: ص ٨.

(٤) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٦٠ / ٣.

(٥) انظر: رودلف زلهاميم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٤.

(٦) انظر: المرجع السّابق: ١٨٤.

٣- ابن الأباري^(١).

٤- أبو السري، سهل بن الحكم^(٢).

٥- الصولي^(٣).

٦- عبد الله بن قحطبه^(٤).

٧- علي بن سليمان الأخفش^(٥).

٨- محمد بن صالح بن ذراع^(٦).

٩- محمود بن محمد الواسطي^(٧).

١٠- عبدان بن أحمد الجواليقي^(٨).

١١- محمد بن نصير^(٩).

١٢- مهلهل بن يموت^(١٠)، وقد أهدى مهلهل كتابه «سركات أبي نواس»

لحمزة^(١١) وقال له فيها: «أما بعد؛ أدام الله في أرغد العيش، وأتمّ السرور، وأجلّ القدر

(١) انظر: المرجع السابق: ١٨٤.

(٢) حسين علي محفوظ، حمزة بن الحسن، مجلّة سومر، ع ١٩، بغداد، ١٩٦٣م: ص ٧٠.

(٣) انظر: رودلف زهايم، الأمثال العربية القديمة: ١٨٤.

(٤) انظر: السمعاني، الأنساب: ١ / ٢٩٠.

(٥) انظر: رودلف زهايم، الأمثال العربية القديمة: ١٨٤.

(٦) انظر: الأصبهاني، تاريخ أصبهان: ص ٣٠٠.

(٧) انظر: المرجع السابق: ص ٣٠٠.

(٨) انظر: المرجع السابق: ص ٣٠٠، والسمعاني، الأنساب: ١ / ٢٩٠.

(٩) انظر: الأصبهاني، تاريخ أصبهان: ص ٣٠٠.

(١٠) انظر: حسين علي محفوظ، حمزة بن الحسن، مجلّة سومر، ع ١٩، بغداد، ١٩٦٣م: ص ٧٠.

(١١) انظر: رودلف زهايم، الأمثال العربية القديمة: ١٨٥.

عزك، وجدّ الزّمان ببقائك، ووهب للآداب دوام سلامتك، وتناول أمرك، فإنّي لما رأيتك حريصاً على شعر أبي نواس، حتّى أريت على أكثر النّاس في تعظيمه وتقديمه، وإن كنت خارجاً عن طبقة من يغلو في أمره بلا تحديد، ويميل عن الحجة فيه إلى التّقليد...»^(١).

تلامذته:

ذكر السّمعاني في الأنساب أنّ من تلامذته أبو بكر بن مردويه الحافظ^(٢).

وفاته:

توفي حمزة بن الحسن الأصفهاني قبل (٣٦٠هـ)^(٣)، وقيل سنة (٣٥٠هـ)^(٤)، وأيضاً سنة (٤٢٨هـ)^(٥)، وهذا التاريخ مستبعد لأن ولادته كانت سنة (٢٧٠هـ) أو (٢٨٠هـ)، ودفن في موطنه الأصلي أصبهان^(٦).

آراء بعض العلماء فيه:

قال عنه النّدِيم: «كان أدبياً مصنفًا»^(٧). ووصفه أبو نعيم الأصبهاني بـ «المؤدّب الأديب، صاحب كتاب أصبهان»^(٨).

(١) انظر: مهلهل بن يموت بن المزروع، سركات أبي نواس: ٣١.

(٢) انظر: السّمعاني، الأنساب: ١ / ٢٩٠.

(٣) انظر: السّمعاني، الأنساب: ١ / ٢٩٠، وفواد أفرام البستاني، دائرة المعارف: ١٤ / ٣١٣، وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين: ٣ / ٧٨.

(٤) انظر: رودلف زهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٥.

(٥) انظر: حاجي خليفة، كشف الظّنون: ٥ / ٣٣٦.

(٦) انظر: رودلف زهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٥.

(٧) انظر: النّدِيم، الفهرست: ص ١٥٤.

(٨) انظر: الأصبهاني، تاريخ أصبهان: ص ٣٠٠.

وعده الثعالبي «من ظُرفاءِ الأدياء الذين جمعوا فصاحة العرب البُلغاء إلى إتقان العلماء، ووعورة اللّغة إلى سهولة البلاغة»^(١).

وقال عنه السمعاني: «كان من فضلاء الأدياء، وكان صاحب التاريخ الكبير لأصبهان، وله مصنفات في اللّغة والأخبار»^(٢). ووصفه ياقوت الحموي أنه «صاحب لغة ومعنيُّ بها»^(٣).

أما القفطيُّ فقد أطال في وصفه ومدحه وقال عنه: «المؤدّب الفاضل، الكامل، المصنّف المطلّع، الكثير الروايات، كان عالماً في كلّ فن، وتصانيفه في الأدب جميلة، وفوائده الغامضة جمّة، وله كتاب الموازنة، وهو كتاب جليل، دلّ على إطلاعه على اللّغة وأصولها، لم يأت أحدٌ بمثله، وله كتاب تاريخ أصبهان، وهو من الكتب المفيدة العجيبة الوضع، الكثيرة الغرائب،... سمّاه جهلة أصبهان» يائع الهذيان «والأمر كما قالوا؛ من جهل شيئاً عاداه»^(٤).

مصنّفاته:

كان حمزة بن الحسن الأصفهانيُّ من المصنّفين الكثيرين، ومصنّفاته بلغت أربعة وعشرين مصنّفًا، منها المنشور والمخطوط والمفقود:

(١) انظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن عمّاد (٤٣٠هـ / ١٠٥٢م)، فقه اللّغة، ١ط، (تحقيق عمر الطيّاب)، دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٩م: ص ٢٦٦.

(٢) انظر: السمعاني، الأنساب: ١ / ٢٨٩.

(٣) انظر: ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرّومي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م: مادة الإقليم.

(٤) انظر: القفطي، إنباه الرواة: ١ / ٣٣٥ - ٣٣٦.

- ١- كتاب أصفهان وأخبارها ← قال عنه القفطي «إتته من الكتب المفيدة العجيبة
الوضع الكثيرة الغرائب»^(١).
- ٢- كتاب أعياد الفرس^(٢).
- ٣- كتاب الأمثال على أفعال ← يُدخل فيه الأمثال الشعريّة والأمثال الثرية،
وقد أفاد منه الميداني في مجمع الأمثال^(٣).
- ٤- كتاب الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر ← وهو كتاب مرتّب على
الحروف^(٤).

(١) انظر: التّديم، الفهرست: ص ١٥٤، والقفطي، إنباه الرّواة: ١ / ٣٣٦ وسّمّاه التاريخ الكبير
لأصبهان، والسّمعاني، الأنساب: ١ / ٢٩٠، ومهلل بن يَموت بن المزرع، سركات أبي نواس:
٣١، ويطرس البستاني، دائرة المعارف الإسلاميّة: ١٤ / ٣١٣، وحاجّي خليفة، كشف الظّنون:
٥ / ٣٣٦، وسّمّاه «كتاب تاريخ أصفهان»، ورودلف زهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٥،
والزّركلي، الأعلام: ٢ / ٢٧٧، وسّمّاه «تاريخ أصفهان»، وعمر رضا كخّالة، معجم المؤلّفين:
٧٨ / ٣.

(٢) انظر: حسين علي محفوظ، حزة بن الحسن، مجلّة سومر، ع ١٩، بغداد، ١٩٦٣ م: ص ٧٦،
ويروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣ / ٦٢.

(٣) انظر: الثّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل (ت ٤٣٠هـ / ١٠٥٢ م)، خاصّ
الخاص، (تحقيق حسن الأمين)، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت: ص ٣٨، وسّمّاه «كتاب
أفعل من كذا»، والتّديم، الفهرست: ص ١٥٤، وسّمّاه «كتاب الأمثال على أفعال ويدخل فيه
الشّعريّة والثّرية»، والميداني، مجمع الأمثال: ١ / ٨، ٨٥، ورودلف زهايم، الأمثال العربيّة
القديمة: ١٨٥، ويروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣ / ٦١، وسّمّاه «الذّرة الفاخرة»، وحاجّي
خليفة، كشف الظّنون: ٥ / ٣٣٦، والزّركلي، الأعلام: ٢ / ٢٧٧، وسّمّاه «الأمثال على
أفعل من كذا».

(٤) انظر: التّديم، الفهرست: ص ١٥٤، وسّمّاه «كتاب الأمثال الصادرة عن ثبوت الشعر»، =

٥- كتاب أنواع الدعاء^(١).

٦- كتاب الأوصاف^(٢).

٧- كتاب التشبيهات^(٣).

٨- كتاب التماثيل في تباشير السرور^(٤).

٩- التنبيه على حروف التصحيف^(٥).

١٠- تواريخ سني ملوك الأرض والأنبياء أولي الأمر ← رتبه على عشرة أبواب

وصل فيه إلى سنة ٣٥٠هـ^(٦).

= ورودلف زهايم، الأمثال العربية القديمة: ١٨٦، وحاجي خليفة، كشف الظنون: ٥ / ٣٣٦،

والزركلي، الأعلام: ٢ / ٢٧٧، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣ / ٦١، وعمر رضا كخالة،

معجم المؤلفين: ٣ / ٧٨، وسمّاه «الأمثال الصادرة عن ثبوت الشعر».

(١) انظر: النديم، الفهرست: ص ١٥٤، وعمر رضا كخالة، معجم المؤلفين: ٣ / ٧٨.

(٢) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون: ٥ / ٣٣٦، ومجلة سومر: ص ٨٢.

(٣) انظر: النديم، الفهرست: ص ١٥٤، وحاجي خليفة، كشف الظنون: ٥ / ٣٣٦، وعمر رضا

كخالة، معجم المؤلفين: ٣ / ٧٨.

(٤) انظر: النديم، الفهرست: ص ١٥٤، ومهلل بن يعقوب بن المزرع، سرقات أبي نواس: ص ٣١،

وسمّاه «كتاب في تباشير السرور»، وحاجي خليفة، كشف الظنون: ٥ / ٣٣٦، وسمّاه «كتاب

التماثيل».

(٥) انظر: النديم، الفهرست: ص ١٥٤، وسمّاه «كتاب التنبيه على حروف المصحف»، والصفدي،

الغيث المسجم: ٢ / ١٤٦، ومهلل بن يعقوب بن المزرع، سرقات أبي نواس: ص ٣١،

ورودلف زهايم، الأمثال العربية القديمة: ١٨٥، وحاجي خليفة، كشف الظنون: ٥ / ٣٣٦،

وسمّاه «كتاب التنبيه على حروف المصحف»، والزركلي، الأعلام: ٢ / ٢٧٧، وبروكلمان، تاريخ

الأدب العربي: ٣ / ٦١، وعمر رضا كخالة، معجم المؤلفين: ٣ / ٧٨.

(٦) انظر: بطرس البستاني، دائرة المعارف الإسلامية: ١٤ / ٣١٣، والزركلي، الأعلام: ٢ / ٢٧٧،

وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣ / ٦٠.

١١- كتاب الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية^(١).

١٢- كتاب رسائل^(٢).

١٣- كتاب مضاحك الأشعار^(٣).

١٤- شعر أبي نواس أو مختارات من شعر أبي نواس^(٤).

١٥- شعر أبي تمام^(٥).

١٦- شعر ابن المعتز^(٦).

١٧- كتاب شعراء أصبهان^(٧).

(١) انظر: القفطي، إنباه الرّواة: ١/ ٣٣٥، والثعالبي، فقه اللّغة: ص ٢٦٦، ورودلف زهايم، الأمثال العربية القديمة: ١٨٥، وحاجي خليفة، كشف الظّنون: ٥/ ٣٣٦، وسمّاه «كتاب الموازنة»، والزّركلي، الأعلام: ٢/ ٢٧٧، وقال أنّه صنّفه لعضد الدّولة بن بويه وفيه تعصب للفارسيّة، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٦١.

(٢) انظر: التّديم، الفهرست: ص ١٥٤.

(٣) انظر: الثّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل (٤٣٠هـ/ ١٠٥٢م)، نهار القلوب، (تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م: ص ٣٦٧، وأسماه «كتاب مضاحك الأشعار على حروف الهجاء».

(٤) انظر: رودلف زهايم، الأمثال العربية القديمة: ١٨٥،، والزّركلي، الأعلام: ٢/ ٢٧٧، وقال أنّه مخطوط في المتحف الآسيوي بالمدينة الرّوسيّة، لينغراد أوها «كتب حمزة بن الحسن الأصفهاني إلى بعض رؤساء بلده: سألت أطال الله عمرك، أن أصرف لك عنيتي إلى عمل مجموع من شعر أبي نواس...»، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٦١.

(٥) انظر: حسين علي محفوظ، مجلّة سومر: ص ٩١.

(٦) انظر: المرجع نفسه: ص ٩١.

(٧) انظر: المرجع نفسه: ص ٩٢.

١٨- رسالة في التّيروز^(١).

١٩- رسالة في الأشعار السّائرة في التّيروز والمهرجان^(٢).

٢٠- كتاب ردود لغدة على علماء اللّغة وعلى رواة الشّعر والشّعراء^(٣).

٢١- كتاب في الشّعويّة^(٤).

٢٢- كتاب الأفعال^(٥).

٢٣- كتاب تاريخ كبار البشر أو كتاب تواريخ كبار الأمم من مضى منهم ومن

غير^(٦).

٢٤- تاريخ العرب قبل الإسلام ← حُقق ونشر مع ترجمة لاتينية سنة ١٨١٧^(٧).

نرى أنّ آثار حمزة بن الحسن الأصفهاني تمتاز بأتمتها تعبّر عن آرائه الشّخصيّة، وأنّ ملاحظاته وحججه تفسّر تعصبه لأصله الفارسي، واهتمامه بكل ما هو فارسي.

وعلى كلّ حال فقد قدّم حمزة بن الحسن جهودًا عظيمة في ميادين الثقافة والعلم، فقد كان نتاجه غزيرًا، خصبًا، لذلك كثر الوشاة والحساد حوله.

(١) انظر: المرجع نفسه: ص ٩٠، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٦٢ / ٣.

(٢) انظر: حسين علي محفوظ، مجلّة سومر: ص ٩٠. وقد أفاض حمزة بن الأصفهاني في الحديث عن

أعياد التّيروز في كتابه تاريخ سني ملوك الأرض، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٦٢ / ٣.

(٣) انظر: المرجع نفسه: ص ٩٠.

(٤) انظر: التّديم، الفهرست: ص ١٥٤. وهذا الكتاب لم يذكره حسين علي محفوظ في مجلّة سومر.

(٥) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٦١ / ٣.

(٦) انظر: حاجي خليفة، كشف الظّنون: ٥ / ٣٣٦، وهذا الكتاب لم يذكره حسين علي محفوظ في

مجلّة سومر.

(٧) انظر: مقدّمة التّبيه على حدوث التّصحيف: ص ١٤.

الكتاب

الفصول المختارة

تنوعت المواضيع التي تضمنتها فصول المخطوطة ما بين المدح والذم والحكمة والأمثال والدعاء والوصف وغيرها ومضمون الفصول كالتالي:

١- الفصلان الأول والثاني: يمدح فيه شخصاً ويبالغ في مدحه، ويقابل بينه وبين ممدوحه، ويبيّن صفات الممدوح مثل قوله: «إنّا نسيء وتعفو، ونذنب وتستر، ونتعوج وتقوم».

٢- الفصل الثالث: يتابع وصف الممدوح، ثمّ يتقل للحديث عن المعتصم؛ صفاته وفتوحه، وقتله لبابك ومازيتار والأفشين.

٣- الفصل الرابع: وهو من الفصول الطويلة، ومادتها وافرة، تحدّث فيه عن صفات مجموعة من الوزراء والقضاة وأعلام الدولة العباسية، وهم يحيى بن خالد بن برمك، وأحمد بن أبي دؤاد، ومحمد بن عبد الملك، وإبراهيم بن السندي وإبراهيم بن سيار، والحجاج، والحسن بن أبي الحسن، والمهلب بن أبي صفرة، وقيس بن عاصم المنقري، والأحنف بن قيس.

٤- الفصلان الخامس والسادس: يتابع فيهما وصف ممدوحه، وأورد قول عيينة ابن حصن لعثمان بن عفان.

٥- الفصول السابع والثامن والتاسع: تتحدث الفصول عن ذم لشخص لم يذكره، مثل قوله: «نسيج وحده في اللؤم، وواحد عصره في البغض»، ويصف رفيقه وصديقه وجاره وجليسه وما يلحقهم من ذل وإهانة.

٦- الفصل العاشر: يصف في هذا الفصل شخصاً ويذكر غلامه، ويبيّن وضع هذا الشخص عند أهله وجيرانه.

٧- الفصل الحادي عشر: تحدّث فيه عن المربع، وعن الطول والعرض، ويورد أدلة على فضل العرض على الطول.

٨- الفصول الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر: يجبر عن رجل يتصف باللؤم والسخف والدناءة والغدر، ويورد آراء بعض الناس فيه، ثم يصفه بالنقص والعيب والخمول، ويقول فيه: «لو أحببته لاستوحشت من الوحدة، ولجئت في الإسلام بيذعة».

٩- الفصل الخامس عشر: تحدّث فيه عن دولة بني العباس ودولة بني مروان.

١٠- من الفصل السادس عشر والتاسع عشر: انتقل فيه للحديث عن المدح، والمبالغة فيه، ثم يضرب الأمثال في وصفه ومدحه.

١١- الفصل العشرون: يستخدم فيه أسلوب الذم.

١٢- الفصل الحادي والعشرون: يورد بعض النصائح حتى يبلغ الشخص درجة الكمال.

١٣- الفصل الثاني والعشرون: انتقل فيه إلى وصف المدوح وهو أحمد بن أبي دؤاد ووصفه بالكمال مثل قوله «انفرد بالكرم في دهر اللؤم، وتوحد بالجوّد في زمان

الإمساك» وسهب في المدح، وبيّن صفاته، ويقول إنَّ النَّاسَ تَتَطَلَّمُ إِلَيْهِ مِنْ إِنْصَافِهِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ لَوْصَفِ مَجْلِسِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَوَادٍ، وَيُقَارَنُ بَيْنَهُ وَيُبَيَّنُ رِجَالَ مَنْ مَرَّتَبَتَهُ، وَأَنَّهُ يَسِيرُ عَلَى نَهْجِ شَيْخِهِ.

١٤- الفصل الثالث والعشرون: تحدّث في هذا الفصل عن كتاب ممدوحه إليه، ثمّ ينتقل ليصف طريقة موت رجل، وحال ابنته وابنه والديه وزوجاته وأصدقائه، ثمّ تحدّث عن الصّلاة عليه في مسجد الوصيّ ودفنه.

١٥- من الفصل الرابع والعشرين إلى الثامن والعشرين: يعود إلى المدح مرّة أخرى، ويقول: إنَّ اسم الممدوح يجلب الفأل الحسن وينفي طيرة السوء. يقول أن خير المدح ما وافق حال الممدوح، ومتى خالف هذه الصّفة ضرّ الممدوح. ويثبت أنّ للممدوح شأنًا في الكتابة.

١٦- الفصل التاسع والعشرون: يورد عبارات تقال لمن يحدث له حادث مثل: «الباغي يا واجد، والمريض يا سالم».

١٧- الفصل الثلاثون: يعود للمدح في هذا الفصل، ويعمل على الإعلاء من شأن الممدوح مثل قوله: «لا يطمع فاضل أن يفوقك».

١٨- الفصل الحادي والثلاثون: يجري هنا مقارنة بين الممدوح ونظرائه، حيث إنَّ نظرائه انغمسوا في اللّهو والمهالك، إلّا أنّ ممدوحه خرج نسيج وحده ولم ينقد للّهوى، وهذا دلالة على رجاحة عقله، وتغليب قوى الفعل على قوى الهوى.

١٩- الفصل الثاني والثلاثون: في هذا الفصل يصف شخصًا بأجل الصّفات، لدرجة كأنه وصل إلى مراتب الكمال في الجمال والعلم.

٢٠- الفصلان الثالث والثلاثون والرابع والثلاثون: يصف ممدوحه بصفاتٍ في حكمٍ وأمثال، وأنه لا يندم على ما يقول.

٢١- الفصل الخامس والثلاثون: يمدح والد الممدوح ويبالغ في وصفه بالتقوى والوقار والجود والكرم، وأنه أحاط بكلّ جوانب العلم والمروءة.

٢٢- الفصل السادس والثلاثون: يبدأ بالحديث عن المدح، ويجب أن يكون صادقاً حتى يكون نافعاً، وبالتالي يكون مقبولاً، إضافة إلى أنه يجب أن يوافق الممدوح حتى يليق به، وتحدث عن البيوتات في الإسلام، ثم تحدث عن قيس بن عاصم المنقري، وحادثة سكره ووصفه بالعدو والكذب ووأده لابته وارتداده عن الإسلام، ثم تحدث عن الأحنف بن قيس.

٢٣- الفصل السابع والثلاثون: في هذا الفصل يتقل للحديث عمّن يتهمه بسرقة الألفاظ وانتحال الكلام ويدافع عن نفسه ويقول: «أنا ابن البلاغة، وأنا جهيد الكلام». ثم يتقل ويسخر من خصمه ويقارن بينه وبين خصمه بقول: «أنا التّم الساري، والأسد الضّاري، والموت الغادي،... وأنا عالم وأنت جاهل، وأنا أقول بالسّنة وأنت تقول بالشّبهة». وهنا ذمّ واضح للشخص الذي يتهمه، وهو يوغل في ذمه ويتوعده، ويقسم بأنه سيقصّ منه، ويلحق به أشدّ العقاب، ويقول «لأخذنك أخذ اللّيث للثعلب، ولأدمغن رأسك كما تدفع رأس الحية»، ويخبره أنه لا شيء ينجيه من عقابه، لا سهل ولا جبل ولا بحر ولا مغار.

٢٤- الفصل الثامن والثلاثون: يصف كتاب أحدهم الذي قرأه وقال عنه أنه «حانوت بزاز، وتابوت لآل، وأنه الأصل وسائر العلوم الفرع». ووصف صاحب الكتاب هنا بسعة العلم بقوله: «كأنك تغرف من بحر، أو وقعت على مطمورة»،

ويصف علمه أنه لم يأتِ أحدٌ بمثله؛ لا صخر صاحب سليمان، ولا سحرة بابل، ولا مسيلمة الكذاب. نلاحظ أن الجاحظ في هذا الفصل أخذ يكرر أفكاره وألفاظه السابقة ورسائله.

٢٥- الفصل التاسع والثلاثون: هذا الفصل فيه عتاب لمحمد بن عبد الملك، حيث قال: «رأيتك أبقاك الله قد كرهت قربي وهونت بعدي، واستقلت روحي ونفسي واستطلت عمري وآيام مقامي»، وتحدث عن الحزن أنه داءٌ قاتل، وداء الغيظ سفيهُ طائش، وعباراته جاءت على شكل حكم، ثم يتقل لتوجيه النصح بتجنب عداوة العقلاء وحفاظ المثالب. وبعدها يتحدث بأسلوب المدح المبطن بالذم مثل قوله: «أنت شاعر وأنا راوية، وأنت ركين وأنا عجول».

٢٦- الفصل الأربعون: ورد فيه صورة ساخرة لأحد أدعياء العلم الذين يتحلون مذهب المتكلمين، ويصف فيه شخصاً بالضخامة والقدم وغلظ اللسان، وأنه لا يحكم عقله بل يعتمد على ظنه، ثم يتحدث عن مضمون كتاب وقع بين يديه بعنوان «هذه مسائل من فقر الحكمة ومكنون علم الفلسفة»، وهي أسئلة شائكة يستعمل فيها المصطلحات الكلامية والفلسفية، وعمل الجاحظ على ردّ هذه الرسالة إلى السائل حتى يثبت جهله.

٢٧- الفصل الحادي والأربعون: وهي رسالة عتاب بين الجاحظ وأحد أصدقائه، بدأ بالدعاء بالتوفيق في طلب المنافع والفوائد والنجاح، ودعاه إلى طرح كل ما لا فائدة منه، ثم انتقل للمدح.

٢٨- الفصل الثاني والأربعون: دعاء للممدوح بالعلم الذي يُبقي أثرًا في الدين والدنيا، ويرشد الضال، ويكون مثل باب الخير الذي يفتحه، ويدعو له أيضًا أن

يعصمه الله من التلّون والاستبداد والفضول، ثمّ يتحدّث عن علمه وسعة اطلاعه، وآنه ينطلق من الأصل إلى القاعدة؛ دلالة على رجاحة عقله وصدقه، وفي نهاية الفصل حدّره من التهافت إلى الشّر، ويدعو له بالسّلامة من البلوى.

٢٩- الفصل الثالث والأربعون: يتضّرّع فيه إلى الله بالاستعاذة من الشّيطان

الرّجيم والهداية إلى الصّراط المستقيم، ويعوذ بالله من إدخال الباطل في الحقّ وستر القبيحة بالتأليف الموثق.

٣٠- الفصل الرابع والأربعون: يتعوّذ بالله من فتنة العلم والإسهاب، ويورد

حقيقة وهي ورود بعض الأمور الخاطئة في الكتب تكون من خطأ النّاسخ أو من سوء الحفظ، أو من سقطات الرّهم ولكن لو نظرنا إليها بعقلٍ وروية نكشف هذا الخطأ بسهولة ويسر.

٣١- الفصل الخامس والأربعون: في هذا الفصل يورد مقابلة بين اثنين من كلّ

مذهبٍ أو شعيرٍ أو نحو، وغيره، ويقول في بداية الفصل إنّه ليس في تفضيل أحدهما على الآخر، وفي نهاية الفصل يؤكّد أنّ لكلّ من هؤلاء الرّجال أنصارًا وجندًا.

٣٢- الفصل السادس والأربعون: يعود إلى أسلوب الدّعاء ثمّ يتقل ليبيدي

إعجابه بالمدوح لشغفه بالعلم والإنصاف، ثمّ يبيّن أنّ ممدوحه كان له كالمعلم الرفيق والمعالج الشّفيق، وأنّ الممدوح كان يسدي إليه النّصائح مثل: «قلت: ابدأ بالأخفّ فالأخفّ، وبكلّ ما أتق في السّمع، وأحلّ في الصّدر».

٣٣- الفصل السابع والأربعون: بدأه بالدّعاء بالتوفيق لطاعة الله، والعصمة من

الشّبهة، ثمّ يحذّر من اعتزام الغضبان وتهوّر الأغمار، ويؤكّد أنّ جميع الخير يرجع إلى سعة الصّدر، والإنعام لا بدّ له من الشّكر، والشّكر لا ينال إلّا بالصّبر، والصّبر لا يتم إلّا مع سعة الصّبر.

٣٤- الفصل الثامن والأربعون: يؤكّد فيه أنّ العلم طوع يدك، ومستملّى من بديتِكَ، ومحصّل من رؤيتِكَ، لكن يحتاج إلى عمق في النّظر، وتدبّر للأمر، وفي نهاية الفصل يقول إنّ الله لا يوفّق التّارك لدينه وربّه وما وصّى به نبيّه.

٣٥- الفصل التاسع والأربعون: يتحدّث عن أراذل النّاس، وعن نصيحة الممدوح بقمع هؤلاء الحشوة منذ البداية، ويفغل الأشفاق، ويتعد عن اللّثام والسّفلة، ويتكلّم الجاحظ عن تحوّل كل الأمور من صالح المعتزلة إلى صالح أهل السنة.

٣٦- الفصل الخمسون: جاء هذا الفصل في صورة حكم، مثل «إنّ العيب إذا وافق قلة الاكترات بطلت المزاجر وماتت الخواطر، ومتى تفاقم الدّاء، تفاوت العلاج»، وفي نهاية الفصل قال: «إنّ للكبير باب لا يُعدّ احتماله حليماً، ولا الصّبر على أهله حزمًا».

٣٧- الفصل الحادي والخمسون: موضوع هذا الفصل هو مدح قريش وعدّ صفاتها، تحدّث فيه عن كرم قريش، وسياستها وتدبيرها، وسياحة أخلاقها، وأنهم وصلوا فعلهم بقولهم، ويبن مكانة قريش وهاشم، حيث قال «إنّ العرب كالبدن وقريش روحها، وهاشم سرّها» وعمل موازنة بين قريش وهاشم مبرزًا صفات كلّ منهما.

٣٨- من الفصل الثاني والخمسين إلى الفصل الحادي والسبعين: تميّز هذه الفصول بالقصر والإيجاز، موضوع هذه الفصول جميعها هو الدّعاء، وقد اعتمد الجاحظ هذا التّمط في استهلال رسائله، وفيها يدعو الجاحظ للممدوح بالعرّ والفخر، وسموّ الذّكر وعلوّ القدر، وأن يجنّب الله الشّبهة ويعصمه من الحيرة، ويزين في عينه الأنصاف والتّقوى والحقّ، وأيضا يدعو له بالسّلامة والسّعادة والعلم والتّوفيق، وأن يكون من جهابذة المعاني وأشياخ العلوم، ويدعو الله أن يشرح صدره ويجنّب البذاء، ويبعد عنه الفتن والبدع، وأن يعينه الله من الغشّ والحسد والطّمع والبطر، ويعينه أيضا من

التكلف والسلاطة والهذر والعمي والحصر، ويتوكل على الله ويوفقه لما يجبه ويرضاه، ويعينه على جهاد الأعداء والردة على السفهاء.

٣٩- الفصل الثاني والسبعون: يودع في هذا الفصل شكوى مريرة من الزمان، ويسأل الله النجاة من المهالك والعون والتوفيق، يشكو فيه إلى الله أنه قد عظمت البلوى وكثرت الدعوى، وقل الأنصار، وذلك كله بسبب حسد الأعداء وابتعادهم عن التسليم لأمر الله والرضا بقضائه.

٤٠- الفصل الثالث والسبعون: يتحدث في هذا الفصل عن الرّاح (الخمير) ومحاسنه ويصفه بأنه «كريم الجوهر وشريف النفس»، وتحدث عما يحدثه في شاربه، ويصفه حين يمشي في العظام أنه يسد أبواب الهمم، ويوجب طوارق الغم، ويورد آراء لبعض الفتيان في خصائص الأشربة ومدحها وذمها، وانتهى بوصف الماء.

٤١- الفصل الرابع والسبعون: أكد فيه أن الاختلاف سبب للإتلاف، وأن الله خلق الناس مختلفين في الطول والقصر، والجمال والقبح، والغنى والفقر، والذكاء والغباء، ويذكر أن الناس تختلف طبائعهم وأذواقهم، وأن الإنسان مسخر في أمر ومخير في أمر آخر.

٤٢- الفصل الخامس والسبعون: هو أطول الفصول، وجاء في أغلبه أمثالاً وحكمًا وأقوالاً قصيرة، ولا يتسم بالترابط؛ لأن كل جملة أو فقرة جاءت لتحدث في موضوع يختلف عما يليها. ولكن السمة الغالبة على هذا الفصل الذي أسماه فصولاً قصار هي الأمثال.

* منهج الأصفهاني في الاختيار: يبدو أن حمزة بن الحسن الأصفهاني قد وقف على طائفة واسعة من كتب الجاحظ ورسائله، ويلاحظ أن جامع هذه الفصول لم يذكر

الطريقة أو المنهج الذي اعتمده في جمع فصول المخطوطة، فقد كان اختياره للفصول عشوائياً لا يخضع لقاعدة، فقد انتقى من كتب الجاحظ ما يُرضي ذوقه، يأخذ من هذه الرسالة فقرة، ومن تلك الرسالة فقرتين، ويورد فصلاً جديدة لم ترد في رسائل الجاحظ المطبوعة، ولا يلتزم ترتيباً معيناً في اختيار الفقر من فصول الرسالة الواحدة.

ولم يعتنِ صاحب هذه الاختيارات بتسمية ما اختاره، واكتفى بكلمة «فصل». ومما يدل على هذه العشوائية في الاختيار التفاوت في طول الفصول، فبعض الفصول تجاوز الثلاثين صفحة في المخطوطة، وبعضها لم يتجاوز السطرين؟ وكان يعتمد الأصفهاني على عزو الأشعار والأقوال إلى قائلها في كثير من الأحيان.

عمل جامع هذه الفصول على تكرار بعض الفقر غير مرّة، وفي غير موضع في المخطوطة، مثل: «لَوْ كُنْتُ قُلْتُ كَذَا وَكَذَا، لَكَانَ أَرْبَحَ، وَلَوْ لَمْ أَكُنْ قُلْتُ: كَذَا وَكَذَا، لَكَانَ أَسْلَمَ»، وأيضاً قوله: «كَيْفَ يَقَعُ الِاسْتِثْقَالُ مِمَّنْ هُوَ أَرْقُ مِنَ النَّسِيمِ، وَأَخْفُ مِنَ الْهَوَاءِ، وَأَذَقُ مَسْلَكًا مِنَ النَّارِ». وثمة فصل تكرر في الأصل.

* مصادره التي اعتمد عليها في المخطوطة: بعد دراسة المخطوطة وجدت أن حمزة بن الحسن الأصفهاني اعتمد على كثير من رسائل الجاحظ وكان من الأفضل أن يسمي الكتاب الفصول المختارة من رسائل الجاحظ، وليس الفصول المختارة من كتب الجاحظ، وفيما يلي رسائل الجاحظ والفصول التي انتقاها منها:

١- رسالة التبريع والتدوير ← ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ١١، ١٣، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٣٢.

٢- رسالة في استنجاز الوعد ← ٧، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩.

٣- رسالة في الرثاء والتأبين ← ١٢، ٢٣.

- ٤- رسالة في مدح التَّيْبِذ ← ٢١^(١)، ٧٣.
- ٥- رسالة في نفي التشبيه ← ٢٢.
- ٦- رسالة في كتمان السرّ وحفظ اللسان ← ٣٠.
- ٧- رسالة في المعاش والمعاد ← ٣١.
- ٨- رسالة البرصان والعرجان ← ٣٦، ٤٢.
- ٩- رسالة في الجدّ والهزل ← ٣٩.
- ١٠- رسالة في خلق القرآن ← ٤٦.
- ١١- رسالة في الوكلاء ← ٤٧، ٤٨.
- ١٢- رسالة في النبل والتَّنبُّل ← ٥٠.
- ١٣- رسالة المعلمين ← ٦١.
- ١٤- رسالة الأوطان والبلدان ← ٦١.
- ١٥- رسالة في حجج النّبوة ← ٧٤.

وهذه الرسائل وردت في كتب الجاحظ ورسائله المطبوعة مثل:

١- رسائل الجاحظ، جمع وتحقيق عبد السلام هارون، ونشر مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة (١٩٦٤م) في مجلدين بأربعة أجزاء، وقدم له بمقدمة وافية، مفصلاً فيها النسخ التي اعتمدها في التحقيق.

٢- الفصول المختارة من كتب الجاحظ: اختيار عبيد الله بن حسان، وتحقيق محمد باسل العيون السود، نشر دار الكتب العلميّة، بيروت سنة (٢٠٠٠م).

(١) سوف تتكرر بعض الفصول في أكثر من رسالة، وهذا لأن حمزة بن الحسن انتقى الفصل من رسالتين أو أكثر.

٣- مجموع رسائل الجاحظ: جمع وتحقيق محمد طه الحاجري، ونشر دار النهضة العربية، بيروت سنة (١٩٨٢م) وقد بدأه بمقدمة عن سبب اختياره لتحقيق رسائل الجاحظ، وكان يقدم لكل رسالة بمقدمة وافية لها يبين فيها النسخ التي اعتمدها في التحقيق وصفاتها، وكان يثبت صحة نسبة الرسالة للجاحظ.

٤- رسائل الجاحظ، جمع وتحقيق حسن السندوي، ونشر المطبعة الرحمانية، بالقاهرة سنة (١٩٣٣م).

٥- رسالة الترييع والتدوير، تحقيق شارل بيلا، نشر المعهد الفرنسي، بدمشق سنة (١٩٥٥م).

٦- كتاب المعلمين وكتاب الرد على المشبهة: تحقيق إبراهيم خليل جريس، نشر مكتبة السروجي بعكا، سنة (١٩٨٠م) وقد قدم لكل رسالة بمقدمة خاصة لها.

٧- فصول مختارة^(١)، تحقيق محمد الدروبي، نشر دار البشير، بعُمان سنة (٢٠٠٢م).

* مكان وجود المخطوطة: المخطوطة نسخة يتيمة موجودة في المكتبة الأصفية حيدر آباد، تحت رقم (٣١٦٢)، وأولها «اعلم أيّ وإياك متى تحاكمنا إلى كرمك قضي لي عليك...»، وآخرها «... الأمور المشكلات تجاربه ليست الصناعة والخطابة، إن قصر حُصم، وإن أغرق أثم».

* نوع الخط: كتبت المخطوطة بخط نسخي.

* عدد الصفحات: مئتان وست صفحات، في مئة وثلاث ورقات.

(١) اسم المخطوط الذي حققه د. محمد الدروبي هو «المختار من ألفاظ أبي عثمان الجاحظ» كما يظهر من الصفحة الأولى من المخطوط، وليس كما أسماه «فصول مختارة».

* عدد الأسطر: عدد الأسطر في صفحة سبعة عشر سطراً.

* عدد الكلمات: يتراوح عدد الكلمات في صفحة بين ثماني كلمات واثنى عشرة كلمة.

* طول الصفحة: ٢٠ سم.

* عرض الصفحة: ١٥ سم.

* صفحة العنوان و صفحة النهاية: جاء في بداية صفحة الأولى «كتاب الفصول

المختارة من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ» اختيار الشيخ حمزة بن الحسن الأصفهاني رضي الله عنه وأرضاه. وفي آخر الصفحة «صار هذا الكتاب ملكاً للعبد الفقير إلى الله الغنيّ به غفر الله له ولوالديه ولمن استغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم».

وفي صفحة النهاية «تم الكتاب والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه».

* زمن النسخ: لم يرد أي في بداية المخطوطة أو في آخرها إشارة إلى التاريخ

الذي بدأ فيه حمزة بن الحسن الأصفهاني جمع هذا المخطوطة، ولا حتى التاريخ الذي انتهى فيه من جمعها، ولكن زمن نسخ هذه المخطوطة هو سنة (٦١٦هـ) أي في القرن السابع الهجري، كما يظهر من صفحة العنوان.

* التاسخ: لم ترد إشارة في المخطوطة إلى اسم التاسخ، أو ما يدل عليه.

وصف المخطوطة

١- أسقطت نقطتا التاء المربوطة في كل المواضع في المخطوطة، وقد أثبتتها دون الإشارة إلى ذلك في الحاشية.

٢- وضع نقطتين لحرف الجر (على).

٣- إسقاط جميع همزات، وأبدلت همزات التوسط ياءً، وحذفت همزة المنفردة، وهذا ما يعرف في لغة العرب بالتسهيل؛ ليسهل لفظها حيث تنقلب همزة إلى ياء مثل: قائد = قايد، سأل = سال، الهواء = هوا، ولم أشر إلى ذلك في الحاشية.

٤- حذف الألف من وسط الكلمة، كما في (معاوية) و(سليمان)، إذ كُتبت (معويه) و(سليمن)، ولم أذكر ذلك في الحاشية.

٥- أكثر النسخ من إبدال السين بالشين، والغين بالعين، والتاء بالثاء.

٦- بعض الكلمات كان الخط فيها غير واضح.

رموز المخطوطة:

المخطوطة التي اعتمدت في التحقيق نسخة يتيمة.

رمز نسخة المخطوط:

الأصل.

رمز النسخ المطبوعة:

- ١- الحيوان؛ الجاحظ ← الحيوان.
- ٢- البرصان والعرجان والحولان والعميان؛ الجاحظ ← البرصان والعرجان.
- ٣- الفصول المختارة من أدب الجاحظ؛ جمع وتحقيق عبيد الله بن حسان ← عبيد الله.
- ٤- رسائل الجاحظ؛ جمع وتحقيق عبد السلام هارون ← هارون.
- ٥- رسائل الجاحظ؛ جمع وتحقيق حسن السندوي ← السندوي.
- ٦- مجموع رسائل الجاحظ؛ محمد طه الحاجري ← الحاجري.
- ٧- رسالة الترييع والتدوير؛ تحقيق شارل بيلا ← بيلا.
- ٨ - الكامل في اللغة والأدب وبهامشه الفصول المختارة من كتب الجاحظ؛ المبرد ← المبرد.
- ٩- ثمار القلوب؛ الثعالبي ← الثعالبي.
- ١٠- زهر الآداب؛ الحصري ← الحصري.
- ١١- فصول مختارة؛ تحقيق محمد الدروبي ← الدروبي.
- ١٢- الرسائل الكلامية؛ علي أبو ملحم ← أبو ملحم.
- ١٣- آثار الجاحظ؛ عمر أبي النصر ← أبو النصر.
- ١٤- مجلّة المورد؛ العدد الخاص بالجاحظ ← المورد.

منهج التحقيق

سار تحقيق هذه الفصول على هدي خطواتٍ علمية، هدفها تقديم النصوص تقديمًا منهجيًا بقدر ما تأذن به الروح العلمية في التعامل مع النص التراثي، وإليك أهم هذه الخطوات:

١- تحقيق النصوص عن أصلٍ وحيد هو «فصول مختارة من كتب أبي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ» ولم أجد نسخة أخرى للمقابلة عليها.

٢- مقابلة ما في المخطوطة من فصول بكتب الجاحظ ورسائله، ومقابلة ما فيها من أقوال على كتب اللغة والأدب والمعجمات.

٣- ضبط النص:

ضبط النص بالشكل ضبطًا سليمًا صحيحًا خاليًا من الأخطاء النحوية والإملائية.

ضبط الحديث النبوي والشواهد الشعرية، مما يزيل اللبس فيها.

٥- تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

٦- تخريج الشعر من الدواوين وكتب اللغة والأدب والمصادر اللغوية والأدبية والتاريخية المختلفة.

إذا كان الشاهد شطر بيت، يُشار إلى الشطر الآخر بنقط، ويُكتب في الحاشية:

وتمامه كذا...

يُعدُّ شطر الرّجز بيتاً مستقلاً، ويُكتب وسط الصّفحة في سطر مفرد.

إذا لم يذكر اسم الشّاعر، يكتبُ بكلمة «قال الشّاعر».

٦- يُعنى بتخريج الأمثال الواردة في المخطوطة من كتب الأمثال.

٧- التّرجمة للأعلام الذين ورد ذكرهم في المخطوط، ومع ذلك بقي عدد قليل

منهم لم تجد الباحثة تراجم لهم، فيما بين يديها من كتب الرّجال.

٨- تعريف المواضع والبلدان.

٩- استعمال الأقواس:

توضع الآيات القرآنيّة بين قوسين مشجّرين ﴿﴾.

تُكتب الأحاديث النبويّة الشريفة وأقوال العلماء الواردة في المخطوطة بين

إشارتي تنصيص «».

تُكتب الزّیادات التي يقتضيها السّياق من سائر الكتب المطبوعة بين قوسين

معقّفين [].

١٠- الشّروح اللّغويّة:

شرح المصطلحات اللّغويّة والمذهبيّة وتوثيقها في الحاشية، حسب ما يقتضيه

السّياق.

شرح بعض المفردات الصّعبة شرحاً مختصراً.

١١- إثبات ما هو صحيح في المتن والإشارة إلى الخطأ أو الطمس أو البياض في

الحاشية، ولا سيّما الأخطاء الإملائيّة والنحويّة.

١٢- وضع علامات التّرقيم المناسبة.

١٣- وضع فهرس شاملة: إتمامًا للفائدة، وتسهيلاً على قارئ هذه الدّراسة، فقد ألحقت بجملّة فهرس:

فهرس الآيات القرآنيّة.

فهرس الأحاديث النّبويّة الشّريفة.

فهرس القوافي.

فهرس أنصاف الآيات.

فهرس الرّجز.

فهرس الأمثال.

فهرس الأعلام.

مصادر التّحقيق ومراجعته.

لعلّ أمثل ما نقوله في ختام هذا التّصدير؛ تسويغ عدم تردّدنا عن إحياء قديم التراث الذي يظّل قادراً على مواكبة الحداثة، بما فيه من الإبداع والأصالة، على ما في هذه الدّراسة من صعاب كلمة العباد الأصفهاني إذ يقول: «رأيت أنّه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النّقص على جملة البشر».

إنّ الكمال لله وحده، وحسب المرء أن يكون صادقاً فيما يعمل، وفي هذا كلّ الرّضى والعزاء، لأنّ العطاء الحقيقي مشفوعاً بالطّموح إلى الأفضل، أجدى من النّكوص مع التّرمّت، وهذا هو معيار الارتقاء الحقيقي. والله الحمد.

كتاب الفصول المختارة

من كتاب عثمان بن عفان بن محمد بن يحيى الملقب
بأبي الفوارس الأشعري الأشعري
ويعني الله عنه وأشياء



كتاب
عبد الله بن
عبد الله بن
عبد الله بن

صار هذا الكتاب ملكاً للعبد الفقير
إلى الله الغني به محمد بن
له ولو ألدب ولمن استغفر له
وجميع المسبب أنه هو الغفور الرحيم

لِيَسْتَنْهَدَ وَالْفَقَاتِ يَجْزُوا وَيَلْبَسُوا وَيَدْعُوا قَائِلًا
 عَنْ حِمِّهِ قَدْ اغْوَاهُ وَأَنْحَمُوهُ وَمَنْ مَنَعُوا النَّاسَ مِنْهُ فَجَحِشَ
 يَوْمًا مَقَامًا إِلَيْهِ فَنَاشَدَهُ وَأَذَكَ وَالْجَرْمَةَ وَقَرَطُونَ فَجَبَّهْمُ
 مَسَّ وَجَاهَهُمْ مَسَّ الْإِنِّ ذَلِكَ بِقَلْبِ حَامِرٍ وَلِيَبَانَ عَضِبَ
 فَلَا رَأْفَةَ لِكَانِصْرِ فِي إِحْكَ عَدَالَتِهِ وَالسَّبِيلَةَ ٥

فصل

وَكَيْفَ الْأَمِّ فَابْتَضِ وَهِيَ إِنْ غَامِيَةً وَمَقْبِيَةً وَأَنَا لَوْ أَحْبَبْتَهُ
 وَلَا سَتَوْجِشْتُ مِنَ الْوَجْدِ وَتَجِبْتُ فِي الْإِسْلَامِ يَدْعِيَةً
 وَكَيْفَ اجْنِبْ وَأَنْوَلَاهُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ تَوَلَّاهُمْ
 فَأَبَى مِنْهُمْ ٥ وَعَلِمَ أَنَّ مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ ابْتَضَ فِيهِ وَمَنْ أَحَبَّ
 الْكِرَامَ أَحَبَّ الْكِرَامَ وَمَنْ ابْتَضَ الْمَوْمَ ابْتَضَ الْيَامَ وَمَنْ أَحَبَّ
 ابْتَضَ مِنْ لَيْبِنِهِ اللَّهُ وَيَعْدُ هَذَا كُلَّهُ فَيَكْفِ اجْنِبْ وَأَبْضِ
 فِي بَعْضِهِ ٥ وَأَبْضِعْنَهُ وَهُوَ يُرِيدُ حُرَّانَ اسْمِ الْكِرَامِ كَلِمَةً وَبَعْضُهَا
 الْمَشَاكِلُ كُلُّ مَنْ مِنَ الْعَرَبِ وَلَقَبُهَا جَهْمُ الْمَوْلُودُونَ وَأَنَّهُ لَا
 يَعْرِفُ لِلدِّمَامِ مَعْنَى وَلَا لِلنَّهْمِ جَيِّفَةٌ وَأَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ
 مَوْضُوعَةٌ وَالْأَوْصَافُ الْمُنَوَّعَةُ أَنْهَا فِي خَدِّجَةٍ وَجِيلٍ
 وَخِلَافِهِ وَرَحْمَتُهُ وَمَخَارِقُ نَبَطُهَا فَانَّ الْبَحْرُ وَذَمُّهُ خَدِّجَةُ ٥

تلك
الله

١١٣

المدح واستماله جنيب الذكركه وهش للشطير به وفرج بالتزيظ
 قد عمّر ان الشاعرض والمال جوهه والمال جنم باق وان الشا
 مهض فان ه وقال الاثري ان ذالمال يعظم وان كان عين
 ذي جود والجواد لا يعظم وان كان غير ذي مال ه

وزعم ان انك اشبه شيء بالسراب المباح وعلم القيم والانس
 القاهب وبأضاليل المنى وندم ان مدانا الأرض في الإحصاء عن
 النافع والمضار فان الصدق في الحسن الالانه يقع والادب
 لا يقع الا لانه يضمر فادانفع الكذب فقد تحولت حكمته
 ولا اصتر الصدق فقد تبدل اسمه وليس بين نفس الصدق
 والعقول ولاية ولا بينها وبين الادب عداوة ولكن لما كان
 اتفاق النفع في الصدق واكثر صار عند العوام اخمد ولما
 كان ما يتفق المضرة في الكذب اكثر صار عند العوام
 اذم فماله لعنة الله ثم ماله لعنة الله كيف نصب الكرم
 ونهى عنه وكيف تكلم باللوم ودعا اليه وكيف اعترض على
 جميع القليل وبلغ كيد جميع المؤمنين ه

فض
 لا تعلم احدا بعد الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين من الخلق

الفصول المختارة

مِنْ كُتُبِ أَبِي عُثْمَانَ

عَمْرُو بْنُ مَخْرَجٍ الْجَاهِلِيَّ

لِحَمْزَةَ بْنِ الْحَسَنِ الْأَصْفَهَانِيِّ

وَيَتَضَمَّنُ نُصُوصًا لِلجَاهِلِيَّ تُنَشَرُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ

دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيقٌ
دِيَانَا مُوسَى رُحَيْلٌ

الفُصُولُ الْمُخْتَارَةُ

مِنْ كُتُبِ أَبِي عُثْمَانَ

عَمْرٍو بْنِ مَحْرُوبٍ الْبَلْخِزِّيِّ

[١] فصل (١)

اعلم (٢) أي وإياك متى تحاكمنا إلى كرمك؛ قضى لي ربي بشيءٍ من رحمته عليك (٣)، ومتى ارتفعنا إلى عقلك (٤)؛ حسنَ العقوُ عني عندك، وفصل ما بيننا وبينك، وفرق ما بين أقدارنا وقدرك، أنا نسيءُ وتغفو (٥)، وتذنبُ وتسترُ، وتتعوَّج (٦) وتقومُ،

(١) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ٥٦ / ٣ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير، والسندوبي:

ص ٢١٢-٢١٣ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير، وهارون: ٣ / ٧٦-٧٨ بعنوان: رسالة الترييع

والتدوير، ويلا: ص ٥٠-٥١، والمبرد: ص ٦٢-٦٤ بعنوان: الترييع والتدوير.

(٢) في السندوبي ص ٢١٢، وهارون ٣ / ٧٦، ويلا ص ٥٠، والمبرد ص ٦٢. واعلم.

(٣) في عبيد الله ٣ / ٥٦، والسندوبي ص ٢١٢، وهارون ٣ / ٧٦، ويلا ص ٥٠، والمبرد ص ٦٢:

قضى لي عليك.

(٤) في عبيد الله ٣ / ٥٦، وهارون ٣ / ٧٦، والمبرد ص ٦٢. عدلك.

(٥) في عبيد الله ٣ / ٥٦، وهارون ٣ / ٧٧، ويلا ص ٥٠. تغفر.

(٦) في هارون ٣ / ٧٧، ويلا ص ٥٠، والمبرد ص ٦٢. نعوج.

وَنَجْهَلٌ وَتَحْلُمٌ^(١)، وَإِنَّ^(٢) عَلَيْكَ الْإِنْعَامَ أَبَدًا^(٣)، وَعَلَيْنَا الشُّكْرُ، وَمِنْ صِفَاتِكَ أَنْ تَفْعَلَ، وَمِنْ صِفَاتِنَا أَنْ نَصِفَ.

وإذا^(٤) فعلت ما تقدّر عليه من العقاب؛ كُنْتَ كَمَنْ فَعَلَ ما يَقْدُرُ عَلَيْهِ من التَّعَرُّضِ، وَصِرْتَ تَرَعَّبُ عن الشُّكْرِ، كما رَغَبْنَا^(٥) عن التَّسْلِيمِ^(٦)، وَصَارَ التَّعَرُّضُ لِعَقُوبِكَ بِالْأَمْنِ بَاطِلًا، وَالتَّعَرُّضُ لِعِقَابِكَ بِالْخَوْفِ حَقًّا^(٧)، وَرَغِبْتَ عن النَّبْلِ^(٨) وَالسَّنَاءِ^(٩)، وَعَنِ السُّؤُودِ^(١٠) وَالبِهَاءِ^(١١) [وَصِرْتَ كَمَنْ يَشْفِي غَيْظًا، أَوْ يُدَاوِي حِقْدًا، أَوْ يُظْهِرُ^(١٢) الْقُدْرَةَ، أَوْ يُحِبُّ أَنْ يُذَكَّرَ بِالصَّوْلَةِ^(١٣)].

(١) في عبيد الله ٣ / ٥٦، وهارون ٣ / ٧٧، وبيلا ص ٥٠، والمبرد ص ٦٢: تعلم.

(٢) في السندويّ ص ٢١٢: أن.

(٣) ساقطة من السندويّ وعبيد الله والمبرد.

(٤) في بيلا ص ٥٠: فإذا.

(٥) في الأصل (وغشنا)، وهو تصحيف.

(٦) في عبيد الله ٣ / ٥٦، والسندويّ ص ٢١٢، وهارون ٣ / ٧٧، والمبرد ص ٦٢: السلم.

(٧) في بيلا ص ٥٠: والتعرض لعقابك بالخوف حقاً.

(٨) النبل: الذكاء والتجاية والفضل. (ابن منظور، لسان العرب: نبل).

(٩) في عبيد الله ٣ / ٥٦، والسندويّ ص ٢١٢، وهارون ٣ / ٧٧، وبيلا ص ٥٠، والمبرد ص ٦٢:

البهاء.

السناء: المجد والشرف والرفعة. (اللسان: سنا).

(١٠) السؤود: الشرف. (اللسان: سود).

(١١) في عبيد الله ٣ / ٥٦، والسندويّ ص ٢١٢، وهارون ٣ / ٧٧، وبيلا ص ٥٠: السناء.

البهاء: المنظر الحسن الرائع المألوف للعين، الحسن. (اللسان: بها).

(١٢) في المبرد ص ٦٢: ويظهر.

(١٣) الصّولة: الوتية. (اللسان: صول).

ولم تَجِدْهُمْ ^(١) أَبَقَاكَ اللهُ يَحْمَدُونَ الْقُدْرَةَ إِلَّا عِنْدَ اسْتِعْمَالِهَا فِي الْحَيْذِرِ، وَلَا ^(٢) يَذْمُونَ الْعَجْزَ إِلَّا لَمَّا يَقْرُوتْ بِهِ مِنْ إِيَابِنِ الْجَحِيلِ ^(٣).

وَأَتَى لَكَ بِالْعِقَابِ وَأَنْتَ خَيْرٌ كُلُّكَ، وَمِنْ أَيْنَ يَعْزَبُكَ ^(٤) الْمَنْعُ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ
تَهْجَتَ ^(٥) الْجُودَ لِأَهْلِهِ ^(٦)، وَهَلْ عِنْدَكَ ^(٧) إِلَّا مَا فِي طَبْعِكَ؟ وَكَيْفَ لَكَ بِخِلَافِ عَادَتِكَ،
وَلَمْ ^(٨) تَسْتَكْرِهْ نَفْسَكَ عَلَى الْمُكَافَأَةِ وَطِبَاعِكَ ^(٩) الصَّفْحِ، وَلَمْ تُكْرِهْهَا ^(١٠) بِالْمُنَاقَشَةِ ^(١١)،
وَمَذْهَبُهَا الْمُسَاحَاحَةَ ^(١٢)؟

(١) في يبلا ص ٥٠: تجدهم.

(٢) ساقطة من عبيد الله والمبرد.

(٣) ما بين المعوفين من عبيد الله ص ٥٧ / ٣، والسندويي ص ٢١٢، وهارون ٣ / ٧٧، ويلا ص ٥٠، والمبرد ص ٦٣.

(٤) في عبيد الله ٣ / ٥٧، وهارون ٣ / ٧٧، ويلا ص ٥٠، والمبرد ص ٦٣: اعتراك.
يعتربك: يغشاك طالباً معروفه. (اللسان: عرا).

(٥) في هارون ٣ / ٧٧: أنهجت.

والمبرد ص ٦٣: وأنت أنهجت.

(٦) في السندويي ص ٢١٣: وأنت أبهجت.

وعبيد الله ٣ / ٥٧: وأنت أنهجت الجود لأهله.

(٧) في المبرد ص ٦٣: عنك.

(٨) في المبرد ص ٦٣: فلم.

(٩) في عبيد الله ٣ / ٥٧، وهارون ٣ / ٧٧، والمبرد ص ٦٣: وطباعها.

(١٠) في عبيد الله ٣ / ٥٧، والسندويي ص ٢١٣، والمبرد ص ٦٣: تكذها.

(١١) في السندويي ص ٢١٣، ويلا ص ٥١، والمبرد ص ٦٣: بالناقشة.

(١٢) في المبرد ص ٦٣: السباحة.

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ أَخْلَاقَكَ وَفَقَّ أَعْرَاقَكَ، وَفَعَلَكَ وَفَقَّ قَوْلِكَ^(١). وَمَنْ جَعَلَ
ظَنِّكَ أَقْوَى^(٢) مِنْ يَقِينِنَا، وَفِرَاسَتَكَ^(٣) أَثْبَتَ^(٤) مِنْ عَيَانِنَا^(٥)، وَعَفْوِكَ أَرْجَحَ مِنْ
جُهِدِنَا^(٦)، وَبَدِيهِتِكَ^(٧) أَحْجَدَ مِنْ فِكْرِنَا^(٨)، وَفَعَلَكَ أَرْفَعَ مِنْ وَصْفِنَا، وَعَيْبِكَ^(٩) أَهْيَبَ
مِنْ حُضُورِ السَّادَةِ^(١٠)، وَعَتَبِكَ^(١١) أَشَدَّ مِنْ عِقَابِ^(١٢) الظَّلْمَةِ.

وَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَكَ تَعْفُوَ عَنِ الْمُتَعَمِّدِ، وَتَتَجَافَى عَنِ [عِقَابِ]^(١٣) الْمُصِيرِ،

(١) في عيد الله ٥٧ / ٣، والسندويّ ص ٢١٣، وهارون ٧٨ / ٣، والمبرد ص ٦٣: وقولك وفق
عملك.

(٢) في السندويّ ص ٢١٣، وهارون ٧٨ / ٣: أكر.

(٣) الفراسة: النظر والتثبت والتأمل للشيء. (اللسان: فرس).

(٤) في عيد الله ٥٧ / ٣، وهارون ٧٨ / ٣: أثقب.

والمبرد ص ٦٣: أقوى.

(٥) العيان: النظر، ورآه عياناً أي لم يشك في رؤيته إياه. (اللسان: عين).

(٦) في الأصل (جهنا)، وهو تصحيف.

في عيد الله ٥٧ / ٣: وبداهتك.

(٧) السندويّ ص ٢١٣، وهارون ٧٨ / ٣، ويلا ص ٥١، والمبرد ص ٦٣: وبداهتك.

والبدية: أول كل شيء وما يفاجأ به، وأيضاً إصابة الرأي في أول ما يفاجأ به. (اللسان: بده).

(٨) في عيد الله ٥٧ / ٣، والسندويّ ص ٢١٣، وهارون ٧٨ / ٣، ويلا ص ٥١، والمبرد ص ٦٣:

تفكرنا.

(٩) في عيد الله ٥٧ / ٣، والسندويّ ص ٢١٣، وهارون ٧٨ / ٣، ويلا ص ٥١، والمبرد ص ٦٣:

غيبتك.

(١٠) في المبرد ص ٦٣: الشاكة، ولا وجه لها.

(١١) في المبرد ص ٦٣: وعينك.

(١٢) في عيد الله ٥٧ / ٣: عقابك.

(١٣) ما بين المعقوفين من السندويّ ص ٢١٣، وعيد الله ص ٥٧ / ٣، ويلا ص ٥١، وهارون ٧٨ / ٣:

وفي المبرد ص ٦٣: عذاب.

وتغافل^(١) عن المبادي^(٢)، وَصَفَحُ عَنْ الْمُتَهَاوِنِ، حَتَّى إِذَا صِرْتَ إِلَى مَنْ دَبَّه نَسِيَانٌ^(٣)، وَتَوَيْتَهُ إِخْلَاصًا، وَهَفْوَتُهُ^(٤) سَهْوٌ^(٥)، وَشَفِيعُهُ^(٦) حُرْمَةٌ^(٧)، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشُّكْرَ إِلَّا لَكَ، [وَلَا]^(٨) الْإِنْعَامَ إِلَّا مِنْكَ، وَلَا الْعِلْمَ إِلَّا مِنْ تَأْدِيكِ، [وَلَا]^(٩) الْأَخْلَاقَ الْمَحْمُودَةَ^(١٠) إِلَّا مِنْ تَقْوِيْمِكَ، وَمَنْ^(١١) لَمْ^(١٢) يُقْصِرْ فِي بَعْضِ طَاعَتِكَ^(١٣)، إِلَّا لَمَّا رَأَى مِنْ احْتِمَالِكَ،

(١) في الأصل (تناقل)، وهو تصحيف.

(٢) في عبيد الله ٣/ ٥٧، وهارون ٣/ ٧٨: الناوي.

والمبرد ص ٦٤: المنادي.

والمبادي: الذي فعل الشيء أولاً. (اللسان: بدأ).

(٣) في المبرد ص ٦٤: شيات.

(٤) الهفوة: السقطة والزلة. (اللسان: هفا).

(٥) في السندويّ ص ٢١٣: وسهوته بكر.

وفي عبيد الله ٣/ ٥٧، وهارون ٣/ ٧٨، ويلا ص ٥١، والمبرد ص ٦٤: هفوته بكر.

والتسهو: نسيان الشيء والغفلة عنه. (اللسان: سهو).

(٦) وفي عبيد الله ٣/ ٥٧، وهارون ٣/ ٧٨: شفاعته الحرمة.

والمبرد ص ٦٤: وشفيعته.

(٧) في السندويّ ص ٢١٣: الحرمة.

(٨) ما بين المعقوفين من السندويّ ص ٢١٣، وهارون ٣/ ٧٨، والمبرد: ص ٦٤، ساقطة من يلا.

(٩) ما بين المعقوفين من السندويّ ص ٢١٣، وهارون ٣/ ٧٨، والمبرد: ص ٦٤، وساقطة من يلا.

(١٠) ساقطة من عبيد الله والسندويّ وهارون والمبرد.

(١١) ساقطة من عبيد الله والمبرد.

(١٢) في عبيد الله ٣/ ٥٧، والمبرد ص ٦٤: لا.

(١٣) في الأصل (طباعك) وهو تصحيف.

وما أثبت من عبيد الله ٣/ ٥٧، والسندويّ ص ٢١٣.

ولا نسي بعض ما يجبلك، إلا لما داخله^(١) من تعظيمك، صرت تتوعده^(٢) بالصرم^(٣)، وهو دليل على^(٤) كل بلية^(٥)، وتستعمل معه^(٦) الإعراض، وهو قائد كل هلكة^(٧)، ومن ترك كل التفضل؛ أحسن حالاً ممن ترك بعض الواجب، وكثير الحمد لا يقوم بقليل الذم.

[٢] فصل^(٨)

وقد علمت أن عتابك أشد من الصريمة^(٩)، و^(١٠) تأنيبك أغلظ من العقوبة، وأن منعتك إذا منعت في وزن إعطائك إذا أعطيت، وأن عقابك على حسب ثوابك، وأن جزعي من جرمانك في وزن سُروري بقوائدك.

(١) في الأصل (دخله)، وهو تصحيف.

(٢) في السندويّ ص ٢١٣، والمبرد ص ٦٤: توعده.

(٣) في المبرد ص ٦٤: بالصد.

الصرم: القطع البائن. (اللسان: صرم).

(٤) ساقطة من السندويّ وهارون.

(٥) البلية: الامتحان والاختبار، ويكون في الخير والشر. (اللسان: بلا).

(٦) ساقطة من السندويّ وعبيد الله وهارون والمبرد.

(٧) انتهى ما جاء عبيد الله والسندويّ وهارون وبيلا والمبرد والباقي غير موجود.

(٨) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ٥٨ / ٣ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير، والسندويّ: ص ٢١٣

بعنوان: رسالة الترييع والتدوير، وهارون: ٧٨ / ٣ - ٧٩ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير،

وبيلا: ص ٥٢، والمبرد: ص ٦٤ - ٦٥ بعنوان: من كتاب الترييع والتدوير.

(٩) الصريمة: العزيمة على الشيء وقطع الأمر. (اللسان: صرم).

(١٠) في عبيد الله ٥٨ / ٣، والسندويّ ص ٢١٣، وهارون ٧٨ / ٣، والمبرد ص ٦٤: وأن.

وَأَنَّ شَيْنَ^(١) غَضَبِكَ كَزَيْنِ^(٢) رِضَاكَ، وَأَنَّ مَوْتَ ذِكْرِي بِانْقِطَاعِ سَبَبِي^(٣) مِنْكَ، كَحَيَاةِ ذِكْرِي بِاتِّصَالِ^(٤) سَبَبِي^(٥) بِكَ.

وَمَالِي [الْيَوْمَ]^(٦) عَمَلٌ أَنَا إِلَيْهِ^(٧) أَسْكُنُ، وَلَا سَفِيعٌ أَنَا بِهِ أَوْثَقُ مِنْ شِدَّةِ جَزَعِي مِنْ عَتَبِكَ، وَإِفْرَاطِ^(٨) هَلْعِي مِنْ خَوْفِكَ. وَلَسْتُ مِمَّنْ إِذَا جَادَ بِالصَّفْحِ، وَمَنْ^(٩) بِالْعَفْوِ، لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهِ مِنْهُ إِلَّا السَّلَامَةَ، وَإِلَّا^(١٠) النَّجَاةَ مِنَ الْهَلَكَةِ. بَلْ يُشْفَعُ^(١١) ذَلِكَ بِالْمَرَاتِبِ الرَّفِيعَةِ، وَبِالْعَطَايَا^(١٢) الْجَزِيلَةِ، وَبِالْعِزِّ^(١٣) فِي الْعَشِيرَةِ،

(١) الشين: العيب. (اللسان: شين).

(٢) في المبرّد ص ٦٤: كذم.

(٣) في الأصل (سي)، وهو تصحيف.

وسببي: كلّ شيء يتوصّل به إلى غيره، أو يتوسّل به إلى غيره، وأيضاً المودة والتواصل في الدنيا. (اللسان: سبب).

(٤) في عبيد الله ٥٨/٣، والسندوبّي ص ٢١٣: مع اتصال.

(٥) في الأصل (سي)، وهو تصحيف.

(٦) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص ٥٨/٣، والسندوبّي ص ٢١٣، وهارون ٧٩/٣، ويلا ص ٥٢، والمبرّد ص ٦٥.

(٧) في الأصل (ليه)، وهو تصحيف.

(٨) في الأصل (فراط)، وهو تصحيف.

(٩) في الأصل (من).

(١٠) ساقطة من عبيد الله وهارون والمبرّد.

(١١) في عبيد الله ٥٨/٣، وهارون ٧٩/٣، ويلا ص ٥٢، والمبرّد ص ٦٥: تشفع.

(١٢) في عبيد الله ٥٨/٣، والسندوبّي ص ٢١٣، وهارون ٧٩/٣، والمبرّد ص ٦٥: والعطايا. وفي يلا ص ٥٢: القضايا.

(١٣) في عبيد الله ٥٨/٣، والسندوبّي ص ٢١٣، وهارون ٧٩/٣، والمبرّد ص ٦٥: والعز.

والهَيْبَةِ فِي الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، مَعَ طَيْبِ الذِّكْرِ، وَشَرَفِ التَّعَقُّبِ^(١)، وَحَبَّةِ النَّاسِ.

[٣] فصل^(٢)

وَلَيْسَ مَعَ الْعِيَانِ^(٣) وَحِشَّةً^(٤)، وَلَا مَعَ الضَّرُورَةِ^(٥) وَجَمَّةً^(٦)، وَلَا دُونَ الْيَقِينِ وَقَفَّةً.

وَهَلْ فِي تَمَامِكَ رَبِّ^(٧) حَتَّى تُعَالِجَ^(٨) بِالسُّحْبَةِ؟ وَهَلْ رَدُّ^(٩) فَضْلِكَ

جَاحِدٌ^(١٠) حَتَّى يَثْبُتَ بِالْبَيْتَةِ^(١١)؟ وَهَلْ لَكَ خَصْمٌ فِي الْعِلْمِ، وَنَدُّ^(١٢) فِي الْفَهْمِ، أَوْ

(١) فِي عِيدِ اللَّهِ ٥٨/٣، وَالسَّنْدُوبِيِّ ص ٢١٣، وَهَارُونَ ٧٩/٣، وَيِيلا ص ٥٢، وَالْمَبْرَدُ ص ٦٥: الْعَقَب.

(٢) وَرَدَتْ أَجْزَاءٌ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ فِي عِيدِ اللَّهِ: ٥٩/٣ بِعَنْوَانِ: رِسَالَةُ التَّرْيِيعِ وَالتَّدْوِيرِ، وَالسَّنْدُوبِيِّ: ص ٢١٣ بِعَنْوَانِ: رِسَالَةُ التَّرْيِيعِ وَالتَّدْوِيرِ، وَهَارُونَ: ٨٠/٣ - ٨١ بِعَنْوَانِ: رِسَالَةُ التَّرْيِيعِ وَالتَّدْوِيرِ، وَيِيلا: ص ٥٤، وَالْمَبْرَدُ: ص ٦٧-٦٨ بِعَنْوَانِ: رِسَالَةُ التَّرْيِيعِ وَالتَّدْوِيرِ.

(٣) الْعِيَانُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ. (اللِّسَانُ: عَيْنُ).

(٤) وَحِشَّةٌ: الْخُلُوعُ وَالْهَمُّ. (اللِّسَانُ: وَحْشٌ).

(٥) الضَّرُورَةُ: صَاحِبُ الْحَاجَةِ. (اللِّسَانُ: ضَرَرٌ).

(٦) الْوَجْمَةُ: الْإِمْسَاكَةُ وَالْوَقْفَةُ مَعَ الْإِسْتِكْرَاهِ. (اللِّسَانُ: وَجْمٌ).

(٧) فِي الْمَبْرَدِ ص ٦٧: وَهَلْ فِيكَ رَبِّ.

(٨) فِي عِيدِ اللَّهِ ٥٩/٣، وَهَارُونَ ٨١/٣: يِعَالِجُ.

(٩) فِي عِيدِ اللَّهِ ٥٩/٣، وَهَارُونَ ٨١/٣، وَالْمَبْرَدُ ص ٦٧: يَرُدُّ.

(١٠) فِي الْمَبْرَدِ ص ٦٧: حَادٌ.

(١١) فِي الْأَصْلِ (تَثَبَتَ الْبَيْتَةُ).

وَالْمَبْرَدُ ص ٦٧: بِالصِّيغَةِ.

وَمَا أُثْبِتُ مِنْ عِيدِ اللَّهِ ٥٩/٣، وَالسَّنْدُوبِيِّ ص ٢١٣.

(١٢) فِي عِيدِ اللَّهِ ٥٩/٣، وَالسَّنْدُوبِيِّ ص ٢١٣، وَهَارُونَ ٨١/٣، وَيِيلا ص ٥٤: أَوْ نَدُّ.

وَالْمَبْرَدُ ص ٦٧: وَيَدٌ.

مُجَارٍ^(١) فِي الْحِمِّ^(٢)، وَضِدُّ^(٣) فِي الْعَرَمِ؟

وَهَلْ يَبْلُغُكَ^(٤) الْحَسَدَ، أَوْ يَضُرُّكَ^(٥) الْعَيْنَ^(٦)؟ وَهَلْ تَسْمُو^(٧) إِيَّاكَ الْمُنَى،

وَيَطْمَعُ^(٩) فِيكَ طَامِعٌ، أَوْ يَتَعَاطَى شَاؤُكَ بَاغٌ^(١٠)؟

وَهَلْ يَطْمَعُ فَاضِلٌ أَنْ يَفُوقَكَ، أَوْ يَأْتِفُ شَرِيفٌ أَنْ يَقْضَرَ دُونَكَ، أَوْ يَخْشَعُ عَالِمٌ

أَنْ يَأْخُذَ عَنكَ^(١١)؟ وَهَلْ غَايَةُ الْجَمِيلِ إِلَّا وَصْفُكَ؟ وَهَلْ زَيْنُ الْبَلِيغِ إِلَّا مَدْحُكَ^(١٢)؟

وَهَلِ الَّذِي وَاكَدَ الصَّوَابَ^(١٣) وَالْحَاجَّ الْخَطَا؛ مِثْلَ الَّذِي صَادَفَ مِنْهُ كُلُّ ذَلِكَ يَرْجِعُ

(١) فِي الْأَصْلِ (مُجَارٍ)، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

وَالْمَبْرَدُ ص ٦٧: وَمِجَازٌ.

وَمَا أُثْبِتُ مِنْ عِيْدِ اللَّهِ ٥٩/٣، وَالتَّنْدُوْبِيّ ص ٢١٣، وَهَارُونَ ٨١/٣.

(٢) فِي التَّنْدُوْبِيّ ص ٢١٣: الْحَكْمُ.

(٣) فِي عِيْدِ اللَّهِ ٥٩/٣، وَالتَّنْدُوْبِيّ ص ٢١٣، هَارُونَ ٨١/٣، وَيِيْلَا ص ٥٤، وَالمَبْرَدُ ص ٦٧: أَوْ ضِدٌّ.

(٤) فِي الْأَصْلِ (يَبْلُغُكَ)، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

وَفِي وَيِيْلَا ص ٥٤: يَتَبَلَّغُكَ.

(٥) فِي عِيْدِ اللَّهِ ٥٩/٣، هَارُونَ ٨١/٣، وَيِيْلَا ص ٥٤، وَالمَبْرَدُ ص ٦٧: تَضُرُّكَ.

(٦) فِي الْأَصْلِ (الْعَيْنَ)، وَمَا أُثْبِتُ مِنْ عِيْدِ اللَّهِ ٥٩/٣، وَالتَّنْدُوْبِيّ ص ٢١٣.

(٧) فِي عِيْدِ اللَّهِ ٥٩/٣، وَالتَّنْدُوْبِيّ ص ٢١٣، وَهَارُونَ ٨١/٣، وَالمَبْرَدُ ص ٦٧: أَوْ.

(٨) فِي الْأَصْلِ (يَسْمُو)، وَهُوَ خَطَأٌ لِأَنَّ الْمُنَى مُؤَنَّثٌ، وَمَا أُثْبِتُ مِنْ عِيْدِ اللَّهِ ٥٩/٣.

(٩) فِي عِيْدِ اللَّهِ ٥٩/٣، وَالتَّنْدُوْبِيّ ص ٢١٣، وَهَارُونَ ٨١/٣، وَالمَبْرَدُ ص ٦٧: أَوْ يَطْمَعُ.

(١٠) انْتِهَاءُ مَا وَرَدَ فِي عِيْدِ اللَّهِ وَالتَّنْدُوْبِيّ وَهَارُونَ وَيِيْلَا وَالبَاقِي لَمْ يَرِدْ.

(١١) مِنْ قَوْلِهِ «وَهَلْ يَطْمَعُ فَاضِلٌ...» إِلَى قَوْلِهِ «... أَنْ يَأْخُذَ عَنكَ» سَاقِطَةٌ مِنَ الْمَبْرَدِ.

(١٢) مِنْ قَوْلِهِ «وَهَلِ الَّذِي وَاكَدَ الصَّوَابَ...» إِلَى نِهَآيَةِ الْفَصْلِ سَاقِطَةٌ مِنَ الْمَبْرَدِ.

(١٣) وَاكَدَ الصَّوَابَ: قَصَدَهُ وَأَصَابَهُ. (اللِّسَانُ: وَكَدَ).

منصورًا مُظفَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَتَعَقَّبْ^(١) لَهُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ رَأْيٍ إِلَّا إِزْدَادَ عَلَى التَّكْشِيفِ حُسْنًا، وَعَلَى الْإِيَّامِ جِدَّةً وَظُهُورًا.

فَلَمَّا كَانَ الزَّمَانُ الَّذِي وَافَقَ سُلْطَانُهُ تَخْصُوصًا مِنَ الْفَسَادِ بِغَايَتِهِ، وَمِنْ خَطَا الرَّأْيِ بِأَشْيَعِهِ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ يُرِيدُ الْإِسْتِفَادَةَ لَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ، وَكَشَفَ حَيْرَتَهُمْ بِإِرْشَادِهِ، وَتَعَمَّدَ جَرْهَهُمْ بِصَفْحِهِ، قَدَّرَ لَطِبَائِعِهِمُ الْمَخْصُوصُ بِغَايَةِ الْإِسْتِصْلَاحِ لَهُمْ، كَانُوا تَخْصُوصِينَ بِغَايَةِ الْإِسْتِفَادَةِ بِأَنْفُسِهِمْ فَوَهَّبَ لَهُمُ الْمُفْصَلَ بِالْكَهَالِ فِي الْحِلْمِ، وَالسَّعَةَ فِي الْعِلْمِ الْمَعْرُوفِ بِإِيضَاحِ الْمَشْكِكِ وَتَسْهِيلِ الْمُتَوَعَّرِ، قَصَدَ إِلَى الدَّاءِ وَقَدْ أَعْضَلَ^(٢) بِأَهْلِهِ، وَصَبَرَ عَلَى مُعَاجَلَةِ الْعَسِيرِ، بِفَضْلِ عَزْمِهِ، فَكَلَّمَا إِزْدَادُوا عَلَى الْعِلَاجِ نَبْوَةً^(٣)، إِزْدَادًا عِنْدَ نَبْوَتِهِمْ رَأْفَةً.

فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَ مِنْ تَأْتِيهِ وَرَفْقِهِ وَعِلْمِهِ، وَحُسْنِ تَخْلُصِهِ، أَنَّ الْآلِفَ^(٤) بَيْنَ التَّلَاجِ وَالنَّارِ، وَجَمَعَ بَيْنَ الضَّبِّ^(٥) وَالتُّونِ^(٦)؛ لِأَنَّ الَّذِي الْآلِفَ بَيْنَ الْمُعْتَرِي وَالنَّابِتِي^(٧)، وَجَمَعَ

(١) في الأصل (يتعقب)، وهو تصحيف.

(٢) أعضل: ضاقت الحيل فيه. (اللسان: عضل).

(٣) نبوة: جفوة. (اللسان: نبا).

(٤) آلف: وصل بعضه ببعض، وآلف بينهم أي جمع بينهم بعد تفرق. (اللسان: آلف).

(٥) الضب: حيوان برّي يشبه الورل. (انظر: الذميري، حياة الحيوان الكبرى: ١ / ٤٢٥).

(٦) التون: الحوت. (اللسان: تون). «جمع بين الضب والتون» مثل يضرب في الجمع بين أمرين متنافيين،

والتأليف بين شيتين متخالفين، لأن الضب حيوان برّي لا ير الماء ويلتزم الصحراء، والتون حيوان

بحري لا يفارق الماء أبدًا، لذلك لا يجتمعان. (انظر: اليوسي، زهر الأكم: ٢ / ٤١ - ٤٢).

(٧) في الأصل (والنابي)، وهو تصحيف.

النابتي: هو الذي ينسب إلى النابتة، تقول أن الله يُرى جسيماً، وجعلت له صورة، وأكفرت من

قال بالرؤية من غير التجسيم والتصوير، وللجاحظ رسالة باسم النابتة.

(انظر: حسن السنديوي، رسائل الجاحظ، ص ٢٩٧).

بَيْنَ الْأُرَزَقِيِّ^(١) وَالرَّافِضِيِّ^(٢)، قَدْ أَلْفَ بَيْنَ الثَّلَجِ وَالنَّارِ وَالصَّبِّ وَالنُّونِ.

وقد رأينا حُذَاقَ الْأَطْيَاءِ يُدَاوُونَ الْأَبْدَانَ^(٣)، وَلَمْ تَرَ طَبِيبًا يُدَاوِي الْقَلْبَ، وَيُعَالِجُ الْأَهْوَاءَ، وَيُرِيئُ مِنْ سَقَمِ سُوءِ الْاِخْتِيَارِ. وَلَوْلَا أَنَّ الْعِيَانَ اضْطَرَّ الْعُقُولَ إِلَى بَدِيعِ رَأْيِهِ، وَعَظِيمِ حِلْمِهِ، وَعَجِيبِ عَفْوِهِ، لَمْ تَرَ أَنَّ طَبِيعَ الْبَشَرِ يَحْتَمِلُ مِثْلَ صَفْحِهِ، وَلَا يَتَّسِعُ مِثْلَ تَحَاوُرِهِ، وَلَا يَبْلُغُ كُنْهَ رَأْيِهِ، فَتَدَّ^(٤) الْحُلَمَاءُ حِلْمَهُ، وَغَضَّ عَنْ الْأَجْوَادِ جُودَهُ.

وقد كان السَّمْلُ حَرِيًّا بَغِيرِهِ فِي غَيْرِ عَصْرِهِ، فَطَلَبْتَهُ^(٥) الْأَمْثَالَ، وَتَنَازَعْتَ إِلَيْهِ الْأَقْوَالَ، وَحَنَّ إِلَيْهِ قَلْبُ الزَّاهِدِ، وَتَأَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُ الرَّاغِبِ، فَهُوَ جِمَاعُ الْحَرِّ وَمِفْتَاحُهُ،

(١) الأزرقى: نسبة إلى الأزارقة وهم أتباع نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى، من آرائهم: أنهم يسقطون حد الرجم عن الزانى المحسن، وكفروا جميع المسلمين ما عداهم، وقالوا: إنه لا يحل لأصحابهم أن يلبوا دعوة غيرهم، ولا أن يأكلوا من ذبائحهم، ولا أن يتزوجوا منهم، ومن مبادئهم أيضاً تكفير علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنه يجوز للأبياء أن يرتكبوا الكبائر والصغائر، ويرون ضرورة امتحان من يريد الانتهاء إليهم قبل قبوله وذلك أن يجسر على قتل أسير من مخالفيهم يقدمونه إليه، وأيضاً يستبيحون قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم.

(انظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ١ / ٥٢، وفخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين

والمشركين: ص ٢١، ونشوان الحميري، الحور العين: ص ١٧٧ - ١٧٨).

(٢) الرافضى: نسبة إلى الرافضة وهم الرافضون للدين، واشتهروا بحب علي رضي الله عنه اسم يطلق على كل من تبرأ من أبي بكر وعمر. (انظر: أبو نعيم الأصفهاني، الإمامية والزّد على الرافضة: ص ٢٢). وهم ملحدون، وكانوا يقولون لعلي «أنت الخالق الباري»، ومن مبادئها: تشبيه الله بالخلق، وتجويزه في حكمه، ومخالفتهم سنن محمد ﷺ، وطعنهم في القرآن، وإكفارهم المهاجرين والأنصار. (انظر: فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص ٣٥).

(٣) في الأصل (الابدن)، وهو تصحيف.

(٤) تدّ: أعرض. (اللسان: ندد).

(٥) في الأصل (فطله)، وهو تصحيف.

وِدْفَاعِ الشَّرِّ وَمِغْلَاقِهِ. فَهَلْ رَأَيْتُمْ كَعَقْدِ أَمَانِهِ، وَثَبَاتِ عَهْدِهِ، وَدَوَامِ وِفَائِهِ، عَلَى بُعْدِ مَدَاهِ، وَتَقَادُومِ عَصْرِهِ، وَثِقَلِ مَزْوَنَتَيْهِ، وَالصَّبْرِ عَلَى مَكْرُوهِهِ؟

وَهَلْ رَأَيْتُمْ أفعالاً أَشْبَهَ بِأَخْلَاقِ^(١)، وَأَخْلَاقاً أَشْبَهَ بِأَعْرَاقٍ مِنْ أَعْرَاقِهِ بِأَخْلَاقِهِ، وَأَخْلَاقِهِ بِأَعْرَاقِهِ، وَهَلْ سَمِعْتُمْ بِأَعْدَلٍ مِنْهُ فِي صُنْعِهِ، وَلَا أَقْصَدَ فِي فِعْلِهِ، وَلَا أَشَدَّ فِي قَوْلِهِ، عَلَى غِنَاءِ طَرَفِهِ، وَذِكَايَةِ عَيْنِهِ^(٢)، وَدَوَامِ طَرِيقَتِهِ، وَحِكَايَةِ آخِرِ أَمْرِهِ لِأَوَّلِهِ؟ وَهَلْ وَضَعَ أَصْلاً لَمْ يُقَرِّعْهُ، وَرُكْنًا لَمْ يُشَيِّدْهُ، وَأَمْرًا فَلَمْ يُسَمِّهِ؟

وَأَمَّا الْمُعْتَصِمُ^(٣) فَلَوْ شِئْنَا أَنْ نُطِيلَ الذِّكْرَ، وَنُطِيبَ فِي الرَّصْفِ، لَوَجَدْنَا إِلَى ذَلِكَ أَنْهَجَ السُّبُلِ، وَأَسَهَلَ الطَّرِيقِ، وَأَتَمَّ الْأَسْبَابِ، وَأَكْبَرَ الْأَعْوَانِ، وَأَظْهَرَ الْحُجُجِ، وَلَذَكَرْنَا الْمَعْرُوفَ غَيْرَ الْمَجْهُولِ، وَالظَّاهِرَ دُونَ الْبَاطِنِ. أَمَا جَمَالُهُ وَبِهَآؤُهُ، وَقَوَامُهُ وَتَمَامُهُ، وَمَرْكَبُهُ وَنِصَابُهُ^(٤)، فَقَدْ كَشَفَهُ لَكُمْ الْعَيَانُ، وَاعْتَكَمُ الْمَشَاهِدَةُ عَنِ الْإِمْتِحَانِ.

وَأَمَّا عِشْرَتُهُ وَإِنصَافُهُ، وَقُرْبُهُ وَجِلْمُهُ، وَصَبْرُهُ وَقِلَّةُ تَلَوُّنِهِ، وَتَكْفِي الْحَالَاتِ بِهِ، وَثَبَاتُ عَقْدِهِ^(٥)، وَاسْتِقَامَةُ طَرِيقَتِهِ، وَتَشَابُهُ أَعْيَالِهِ، وَتَنَاسُبُ أَخْلَاقِهِ، وَكَثْرَةُ اعْتِقَادِهِ،

(١) فِي الْأَصْلِ (بِخِلَاقٍ)، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٢) فِي الْأَصْلِ (عِنْتُهُ)، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٣) الْمُعْتَصِمُ: أَبُو إِسْحَاقَ، مُحَمَّدُ بْنُ الرَّشِيدِ هَارُونَ بْنُ مُحَمَّدِ الْمُهَدِيِّ بْنِ الْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيِّ، وَلِدَ سَنَةَ (١٨٠)، وَأُمُّهُ مَارِدَةُ أُمُّ وَلَدٍ، بِبُيُوتِ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ (٢١٨). تَوَفَّى الْمُعْتَصِمُ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِأَحَدِيْ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ (٢٢٧)، وَهُوَ سَبْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ.

(انظُر: الذَّهَبِيُّ، سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ، ٩ / ٥٥، وَالذَّهَبِيُّ، الْعَبْرُ، ١ / ٣١٥، وَابْنُ عَسَاكِرَ، تَهْذِيبُ ابْنِ عَسَاكِرَ: ٢٣ / ٣٠٤).

(٤) نِصَابُهُ: الْأَصْلُ وَالْمَرْجِعُ. (اللسان: نصب).

(٥) ثَبَاتُ عَقْدِهِ: ثَبَاتُ عَهْدِهِ. (اللسان: عقد).

وَكثْرَةُ تَغَافُلِهِ، وَالعِنايةُ بِأمرِ العَشيرة^(١)، وَالتَّفَقُّدُ لِحالِ الصَّغيرِ وَالكَبيرِ، فَقَدِ بِأشْرَئِمْوَهُ بِأَبْصارِكم، وَحاكَمَ بِهِ مِنْ تَتَابُعِ الأَخْبارِ^(٢)، وَقُرْبِ الأَسانيدِ^(٣) ما يُثْلِجُ بِهِ صُدُورَكم، وَيَنفِي الشُّبُهَةَ عَن قُلُوبِكم.

وَأما أَيامُهُ الفُرُجُ^(٤) المَشْهُورَةُ، وَفُتُوحُهُ العِظامُ المَذْكُورَةُ، الَّتِي لو أَنَّ أَحَدًا مَنَّا [يَتَهَيَّأ]^(٥) لَمَلِكٍ مُسْتَضْعَفٍ؛ لَصارَ بِهِ مَهيبًا، وَلِوَاهِي^(٦) الرُّكنِ^(٧) لَصيرَهُ قَويًا، وَلِمْشَو^(٨) السُّلطانِ لَجَعَلَهُ مُحَبَّبًا، وَلِمَحْدُودٍ يَجْعَلُهُ مُظَفَّرًا^(٩)، فَلَيْسَ الشَّمْسُ بِأَنْوَرَ مِنْ بُرْهانِهِ، وَلا القَمَرُ بِأَضْوَى مِنْ دلائِلِهِ، وَهِيَ الفُتُوحُ الَّتِي تُسَكِّتُ^(١٠) الأَزْرقِي، وَتُخْرِسُ الرَّاغِضِي، وَتُخَذِّلُ السُّنِّيَ الجَماعِي، وَتَعْمُ الأُمَّةَ بِالسُّرُورِ، وَالرَّعيَةَ بِالمَحَبَّةِ وَالْحُبُورِ^(١١).

وَهي الفُتُوحُ الَّتِي خَصَّتْ وَعَمَّتْ، وَاسْتَفَاضَتْ وَتَشَعَّبَتْ، وَهي الَّتِي تَصَغُرُ مَعَهَا كِيارُ الفُتُوحِ، وَتَدِيقُ مَعَ بَهائِها جِسامُ النِّعمِ. وَما لَها عَيْبٌ إِلا أَنَّها تَضَعُ مِنْ كُلِّ رَفيعٍ، وَتُصَغِّرُ مِنْ كُلِّ جَسيمٍ. وَما ظَنُّكَ بِأَيامِ أَطَلَقْتَ السِّنَةَ

(١) في الأصل (العشرة)، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل (الاجبان)، وهو تصحيف.

(٣) الأسانيد: جمع سند وهو رفع الحديث إلى فاعله. (اللسان: سند).

(٤) الفُرُجُ: البيض التي لا تنكر. (اللسان: غور).

(٥) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٦) واهي: ضعيف. (اللسان: وهي).

(٧) الرُّكن: القوة والشدة. (اللسان: ركن).

(٨) مشنو: مبغض. (اللسان: شنا).

(٩) في الأصل (ولمحدود يجعله مظفرا) والضراب ما أثبت.

لمحدود: المحروم. (اللسان: حدد).

(١٠) في الأصل (يسكت).

(١١) الحبور: السرور. (اللسان: حبر).

المُفَحِّمِينَ^(١)، وَحَوَّلَتِ الْمُسْتَعْجِمِينَ^(٢) فِي طِبَاعِ النَّاطِقِينَ، وَاسْتَوَى فِي مَعْرِفَتِهَا الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ، وَالْأَقْصَى وَالْأَدْنَى، وَأَمَّا جِرْمُهُ^(٣) وَعِزْمُهُ، فَقَدْ عَرَفْتُمُوهَا بِأَثَارِ التَّدْبِيرِ، وَخَارِجِ الْأُمُورِ، وَأَمَّا الْأَيْدُ^(٤) وَالْبَطْشُ، وَسَجَاعَةُ الْقَلْبِ، وَالْبَصْرُ بِالْحُرُوبِ، فَقَدْ أَرَبِي فِيهِ عَلَى كُلِّ بَطْلٍ، وَعَمَرَ كُلَّ مُدْبِرٍ، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَقْبِسْهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَلَمْ يُخْتَلَفْ فِيهِ الزَّوَاةُ، فَقَدْ شَاهَدْتُمُوهُ كَمَا شَهِدْنَا^(٥)، وَعَلَّمْتُمُوهُ كَمَا عَلِمْنَا.

وَأَمَّا الْعِلْمُ بِالْحَرَاكِجِ، وَعِمَارَةُ الْبِلَادِ، وَمَا يُجْمَلُ مِنَ الْوِظَائِفِ^(٦)، وَأَبْوَابِ الْمَالِ، وَمَصْلَحَةِ الثُّغُورِ، فَقَدْ عَلِمَ ذَلِكَ وَزَرَاؤُهُ وَكُتَابُهُ وَالْمُطِيفُونَ^(٧) بِهِ، وَكُلُّ مَنْ اتَّصَلَ بِالسُّلْطَانِ، وَعَرَفَ أُمُورَ الْخُلَفَاءِ. وَأَمَّا بَرَكَتُهُ وَبُيُوتُهُ؛ فَقَدْ عَرَفْتُمُوهُ لِمَا رَأَيْتُمْ مِنَ النَّجْحِ^(٨)، وَأَبْصَرْتُمْ مِنْ غَرَائِبِ الظَّفَرِ.

وَأَمَّا اجْتِهَادُهُ فِي أَمْرِ بِيضَتِكُمْ^(٩)، وَضَبِطِ اطْرَافِكُمْ، وَتَقْوِيَةِ سُلْطَانِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ كَيْفَ يَبْذُلُ مَا لَا يُبْذَلُ مِثْلُهُ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَسَمَحَتْ نَفْسُهُ بِهَا لَا تَجُودُ بِهِ نَفْسُ الْأَجْرَادِ، وَإِنَّهَا لِهَائِلَةٌ فِي السَّمْعِ، فَكَيْفَ فِي الْعَمَلِ؟

وَلَوْلَا أَنَّنَا عَايِنًا لَاحْتِجَانَا مِنْ تَتَابُعِ الْأَخْبَارِ، وَتَرَادُفِ الدَّلَائِلِ إِلَى مَا لَمْ نَحْتَجِ إِلَيْهِ

(١) المُفَحِّمِينَ: الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ شِعْرًا. (اللِّسَانُ: فَحْم).

(٢) الْمُسْتَعْجِمِينَ: الَّذِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْكَلَامِ. (اللِّسَانُ: عَجْم).

(٣) جِرْمُهُ: جَسَدُهُ، وَقِيلَ أَلْوَابِ الْجَسَدِ. (اللِّسَانُ: جِرم).

(٤) الْأَيْدِ: الْقُوَّةُ. (اللِّسَانُ: أَيْدِ).

(٥) فِي الْأَصْلِ (شَاهَدُوهُ كَمَا شَاهَدُونَا).

(٦) الْوِظَائِفُ: جَمْعُ وَظِيفَةٍ وَهُوَ مَا يَقْدَرُ فِي الْيَوْمِ لِلشَّخْصِ مِنْ طَعَامٍ أَوْ رِزْقٍ. (اللِّسَانُ: وَظِف).

(٧) الْمُطِيفُونَ: الْمُحِيطُونَ، وَأَيْضًا الْخُدَمُ. (اللِّسَانُ: طَوْف).

(٨) فِي الْأَصْلِ (النَّحْجُ)، وَهُوَ تَصْحِيفُ.

وَالنَّجْحُ: الظَّفَرُ بِالشَّيْءِ. (اللِّسَانُ: نَجْح).

(٩) بِيضَتِكُمْ: سَاحَتِكُمْ وَمَجْتَمَعِكُمْ. (اللِّسَانُ: بِيض).

في جليل الاسم ولا في صغيره، ولا في العتاد^(١) والعدّة^(٢)، وما أعدّ لعدوّكم من رباطٍ الحليل ونخب الرجال؛ فقد رأيتم خيوله وسلاحه، على أنه إن كان قد أعدّ ذلك؛ فإن أحبّ الأمور إليه أن تكون عدته زاخرة^(٣)، وقوته ناصية^(٤)، وقاطعة لأسباب الطمع، ومانيعة من خواطر الشيطان. يرى ذلك ادعى إلى السلامة، وأهنا للنعمة، وأجمع لشمّل الأمة، ألا تراه كيف يتوقى الدماء، وكيف يستصلح بالرغبة دون الرهبة، ألا تراه لا يعاقب حتى يكون ترك العقاب فساداً، ويعود التعافل عجزاً.

وهل علمتم أحداً نصّب له في خاصّة نفسه حرباً، وواجه نحوه جنداً، وهل نصّب له إلا من نصّب للإسلام؟ وهل عاداه إلا من عادى القرآن؟ وهل رأيتم القول بالحق في زمان قط أقوى، ولا أهل الاختلاف في دهر قط أسكن، ولا أهل السنة والجماعة فيه أكثر ولا أرفع، ولا العامة فيه أهدى، ولا الثغور فيه أحصن منه في زمانه وفي دولته وفي أيامه.

ومن شأن العوام أن تملّ^(٥) طول الولاية مع العدل، وأن تسام^(٦) السلطان مع حسن النظر، وإن كان ذلك شائهم، وعليه طباغهم، فلكلّ حول من الشلالة^(٧) نصيب، ولكلّ شهر من السلامة حظّ، وعلى حساب ذلك يكون اليوم والساعة واللحظة والطرفة^(٨).

(١) العتاد: العدّة، وهو الشيء الذي تعده لأمر ما وتبيته له. (اللسان: عدد).

(٢) العدّة: ما أعدته لحوادث الدهر من المال والسلاح. (اللسان: عدد).

(٣) زاخرة: كثيرة لحرب أو نفي. (اللسان: زخر).

(٤) قوته ناصية: مرتفعة. (اللسان: نصي).

(٥) في الأصل (يمل) وهو خطأ لأن العوام مؤنث.

(٦) في الأصل (يسام)، وهو خطأ لأن العوام مؤنث.

(٧) الشلالة: الثفرة. (اللسان: شلل).

(٨) الطرفة: إطباق الجفن على الجفن، وهو طرف العين. (اللسان: طرف).

ووجدنا المعتصم بالله على خلاف ذلك وضده، ووجدناهم في كل حال فيه أرغب، وعليه أحدب، وإليه أميل، وبه أكلف، وحسباني لك ذليلاً، وكفناك به شاهداً، وقد كانوا وغاية مناهم أن يُنْفَقَ في مصالحهم من بيت مالِ عَامَّتِهِمْ، وأن يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ، فَلَمْ يَرْضَ الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ مَبْلَغَ مُنَاهُمْ، وَمُتَّهَى أَمْوَالِهِمْ، حَتَّى وَقَى بَيْتَ مَا لَهُمْ بِإِيَالِهِ، وَأَنْفَقَ عَلَى عَوَامِّهِمْ مِنْ خَاصَّةِ مُلْكِ يَدِهِ، وَلَمْ يَمْتَحِنْ إِلَّا صَاحِبَ ظَنَّةٍ^(١)، وَلَمْ يُوقِعْ إِلَّا بَعْدَ زَوَالِ الشُّبْهَةِ.

يُوفَى الْأَشْرَافَ حُقُوقَ أَقْدَارِهِمْ^(٢)، وَيَزِيدُهُمْ فَوْقَ اسْتِحْقَاقِهِمْ، وَيُؤَلَّفُ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُخْتَلِفِينَ، وَيَزِيدُ فِي بَصِيرَةِ السَّمْتَفِقِينَ. وَهَذَا كُلُّهُ عَيَانٌ يُغْنِي عَنِ الْإِسْنَادِ، وَظَاهِرٌ يُغْنِيكَ عَنِ السُّؤَالِ. وَقَدْ كَانَتْ لِلخُلَفَاءِ فُتُوحٌ، وَلِكِنَّهُ لَمْ يُنْفَقْ لِأَحَدٍ مِثْلَ مَا أَنْفَقَ لِلْمَأْمُونِ^(٣) وَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ^(٤) وَمَحَارِبَتَيْهِمَا^(٥)، إِنَّهَا كَانَتْ لِيَنْ قَصَدَ إِلَى مُلْكَيْهِمَا، فَقَدْ بَلَغَا لَعْمَرِي فِي ذَلِكَ مَبْلَغًا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ.

(١) صاحب ظنّة: صاحب تممة وفجور. (اللسان: ظنن).

(٢) في الأصل (أقداهم)، وهو تصحيف.

(٣) المأمون: أبو العباس، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي، ولد سنة (١٧)، وبايع الناس المأمون في أول سنة (١٩٨) ومات في رجب في الثاني عشرة سنة (٢١٨) وله ثمان وأربعون سنة.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٩ / ٤٤، وابن عساكر، تهذيب ابن عساكر: ١٤ / ٩٢).

(٤) عبد الملك بن مروان: أبو الوليد الأموي، ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة الفقيه، ولد سنة (٢٦)، توفي في شوال سنة (٨٦) عن نيف وستين سنة. (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥ / ٢٣٤، والذهبي، العبر ١ / ٧٥).

(٥) في الأصل (ومحاربيها)، وهو تصحيف.

وللمعتصم بالله سنة فتوح^(١) عظام جليلة، لم تجارب في واحدةٍ منهنَّ إلا من قصد الإسلام والمسلمين، دون ملكه خاصةً، فمن ذلك ما زيار^(٢) ملك طبرستان^(٣) بعد أن تغلب وقتل وسبى، وتمكّن من تلك القلاع والجبال^(٤) والمضائق المنيعه، والسبل الوعرة، حتى ظفر به وقتله وصلبه^(٥).

(١) فتح المعتصم ثمانى فتوح: عمورية، ومدينة بابل، ومدينة الرط، وقلعة الأجراف، ومصر، وأذربيجان، وديار ربيعة، وأرمينية. (انظر: ابن العماد، شذرات الذهب: ١٧١ / ٢، والعبر: ٣١٥ / ١).

(٢) في الأصل (مازمار)، وهو تصحيف.

مازيار: هو مازيار بن قارن بن شهریار، آخر الأمراء القارنيين، أسلم إسلامًا، سمّاه المأمون بعد أن أسلم محمدًا، ولقبه بمولى أمير المؤمنين، وكان مازيار يجبر الناس أن يدينوا له بالولاء بدل الخليفة، وحرّض رقيق الأرض على الثورة على ملك الأراضى، وقد جلد (٤٥٠) جلدة، وشرب على أثرها ماء قفضى نجه، وقيل صلبه المعتصم سنة (٢٢٥هـ) وقتله، ذكره أبو تمام في قصيدة في مدح المعتصم، ومنها قوله:

ولقد شفى الأحشاء من برحائها إذ صار بابك جبار ما زيار

(انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥٣/٥، والمسعودي، التتبه والإشراف: ص ٣٠٧، والنويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٢ / ٢٥٤ - ٢٥٦، وابن العبري، تاريخ مختصر الدول: ص ٢٤٢).

(٣) طبرستان: من بلاد الرّي والذيلم، وهو بلد عظيم كثير الحصون والأعمال، منبع بالأودية، وأهلها أشرف العجم، وأبناء ملوكهم.

(الجاحظ، البيان والتبيين، ٣ / ٣٠٣، وابن قتيبة، المعارف: ص ٥٦٨، والحميمري، الرّوض المطار في خبر الأقطار: ص ٣٨٣).

(٤) الجبال هي جبال طبرستان.

(انظر: البلاذري، فتوح البلدان: ص ٣٣٤، والدينوري، الأخبار الطوال: ص ٥٨٧).

(٥) لما قبض المعتصم على المازيار، رغب مازيار المعتصم في أموال كثيرة يحملها إليه أن هو من عليه =

ومن ذلك بابك^(١)؛ فإننا لا نعلمُ خارجياً^(٢) في الأرضِ كانَ أشدَّ عداوةً للإسلامِ وأهله، وللقُرآنِ ومن قرأه منه، بعد أن اتسَقَ له العساكِرُ، وقَتَلَ القوَاد، وأخرَبَ البلادَ، وبعد ما أودَعَ القلوبَ من الهيبةِ والمخافةِ، ومجَرَّدَ له حتَّى أخذَهُ أسيراً؛ فقتله وصلبَه جَنَبَ ما زيار^(٣).

= بالبقاء، ولم يقتله، فأبى المعتصم قبول ذلك وقال:

إنَّ الأسودَ أسود الغابِ همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

فالمعتصم لم يتخدع بهذا الإغراء، وتمثل بيت شعر يبين فيها أن الأسود هدفها المسلوب وهو القتل وليس السلب وهو الغنائم، ولم يعفُ عنه بل قتله.

(انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/ ٢٠٢، والحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٢١٧، والتتوخي، نشوار المحاضرة: ١/ ١٤٧).

(١) في الأصل (بابل)، وهو تصحيف.

بابك: بابك الحرّمي، بضم الخاء وفتح الزاء المشددة والميم، يقال إنه كان ولد زناء، وأمه عوراء تعرف برومية العلجة، وكانت فقيرة من قرى أذربيجان، كانت تكتسب له إلى أن بلغ، فاستأجره أهل قريته بطعامه وكسوته على رعي أغنامهم. وهو ثنوي على دين ماني ومزدك، يقول بتناسخ الأرواح ويستحل البنت وأمها. وقد قطعت يده ورجلاه، ثم ذبح وشق بطنه، وبُعث برأسه إلى خراسان، وصلب بدنه بسر من رأى. وكان ظهور بابك سنة (٢٠١) بناحية أذربيجان وتبعه خلق عظيم على رأيه، فأقام عشرين سنة يهزم جيوش المأمون والمعتصم، ويقال إنه قتل (١٥٠) ألف إنسان، وجعل المعتصم لمن أتى به حياً ألفي ألف درهم، ولمن جاء برأسه ألف ألف درهم. (انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٨، والنويري، نهاية الأرب: ٢٢/ ٢٤٧، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٧، وابن العبري، تاريخ مختصر الدول: ص ٢٤٢، وابن ظافر، أخبار الدولة المنقطعة: ٢/ ٣٥٠-٣٥١).

(٢) الخارجيّ: هو الذي يخرج على الدولة. (اللسان: خرج).

(٣) انظر خبر قتل بابك في التتية والاشراف ص ٣٠٥-٣٠٦، ونشوار المحاضرة ١/ ١٤٧، والأخبار الطوال: ص ٥٨٧-٥٩٣.

ومن ذلك فَتْحُ عَمُورِيَّة^(١)؛ وهي الثانيةُ بعدَ قُسْطَنْطِينِيَّة^(٢)، ثُمَّ هَزِيمَةُ الطَّاعِيَةِ^(٣)، ثُمَّ أَسْرُ بَاطِسَ^(٤) صَاحِبِ الصَّوَّاحِي، بعدَ أَنْ كَانَ لَا يَعُدُّ

(١) عَمُورِيَّة: مدينة كبيرة مشهورة في بلاد الرّوم، لها سور عظيم، وهو على نهر كبير يصب في الفرات. (الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٤١٣) غزاها المعتصم سنة (٢٢٣هـ) وفتحها. (انظر: ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية: ص ٢٢٢).

كان الرّوم قد انتهزوا فرصة اشتغال المسلمين بحروب بابل، فجعلوا يغيرون على البلاد الإسلامية، وقبيل أسر بابل أغار توفيل على زبطرة، وأخربها ثم مثل بأهلها، وفي هذه الأثناء اتصل بالمعتصم أن امرأة هاشمية صرخت وقد هاجمها توفيل «وامعتصماه»، فصرخ «لييك»، فقاتله المعتصم في عمورية، ومدحه أبو تمام وقال:

السيفُ أصلقُ أبناءَ من الكتب في حدّه الحدّ بين الجدِّ واللَّعبِ

(انظر: المسعودي، التنبيه والاشراف ص ٣٠٦، والدينوري، الأخبار الطوال: ص ٥٨٨، والنويري، نهاية الأرب: ٢٢ / ٢٥١، ولويس شيخو، المجاني الحديثة: ٤ / ١٨٠).

(٢) قُسْطَنْطِينِيَّة: فتحها المسلمون سنة (٩٨هـ) بقيادة مسلمة بن عبد الملك.

(انظر: الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٥٨٨، والياضي، مرآة الجنان: ١ / ٢٣٠).

(٣) الطَّاعِيَةِ الذي حاربه المعتصم هو توفيل بن ميخائيل بن جرجس الذي نزل على زبطرة.

(انظر: ابن العماد، شذرات الذهب: ٢ / ١٥١).

(٤) في الأصل (باطين)، وهو تصحيف.

باطس: وهو بطريق عمورية، وقد صلبه المعتصم في المكان الذي صلب فيه بابل ومازيار، وقد أنحنى ياطس نحوهما ليل خشبته، وقال أبو تمام:

ولقد شفى الأحشاء من برحائها أن صار بابل جارا مازيار

ثانيه في كبد السماء ولم يكن لاثنين ثانٍ إذ هما بالغار

فكأنا انحنيا لكيبا يطويا عن ياطس خيرا من الأخبار

(انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥ / ٥٢، والمسعودي، التنبيه والاشراف: ص ٣٠٨، والحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٢١٧، ص ٢٨٥، ولويس شيخو، المجاني

الحديثة: ٤ / ١٨٥).

العُراة^(١) والمَطَّوعِيَّة^(٢) شَيْعًا، فَاسْرَهُ وَصَلَبَهُ إِلَى جَنْبِ بَابِكَ وَمَازِيَارَ، وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِيَاخَتَهُ^(٣) الزَّرْطُ^(٤) حَتَّى اجْتَنَّتْ أَصْلَهُمْ، وَأَبَادَ خَضِرَاءَهُمْ، بَعْدَ أَنْ مَنَعُوا بَغْدَادَ الْمَسِيرَةَ، وَقَتَلُوا الْقَوَادِ، وَأَسْرُوا وَعَلَبُوا عَلَى الْبِلَادِ، وَأَتَسَقَ لَهُمْ مِنْ قَتْلِ الْأَجْنَادِ، وَقَوَادِ الْأَجْيَادِ^(٥)، وَأَسْرِهِمْ^(٦) مَا لَمْ يَتَسَيَّقَ لِأَحَدٍ بَعْدَ أَنْ رَأَتْهُمْ خَلِيفَةٌ بَعْدَ خَلِيفَةٍ.

ثُمَّ كَانَ مِنْ شَأْنِ جَعْفَرَ الْكُرْدِيِّ^(٧) وَتَغَلُّبِهِ وَإِخَافَتِهِ السُّبُلِ، وَقَطْعِ سُبُلِ الْمُسْلِمِينَ، وَجُرْأَتِهِ^(٨) عَلَى السُّلْطَانِ، وَتُحَارِيَّتِهِ الْأَجْنَادَ، حَتَّى قَتَلَهُ اللَّهُ عَلَى يَدِهِ. ثُمَّ الَّذِي كَانَ مِنْهُ فِي ضَائِقَةِ الْبَصْرَةِ، وَسَوْقِ^(٩) الْهَنْدِ كُلَّهُ، حَتَّى عَدَّهُ الْحَوَارِجُ مِنَ الرَّؤُسَاءِ، وَمِنْ أَبْطَالِ

(١) العُراة: لعَلَّهم الذين كانوا يحاربون مع الأمين.

(٢) المَطَّوعِيَّة: الذين يطعون للقتال. (اللسان: طوع).

(٣) في الأصل (استباحه).

(٤) الزَّرْطُ: جبل من الهند، وقيل جنس من السودان والهنود، والواحد زَرْطِيٌّ، يتميزون بالطول مع النحافة، حاربهم المأمون بعد خروجهم عن طاعته وإحراقهم مدينة البصرة، أحضرهم الحجاج ابن يوسف لتعويض النقص في الأيدي العاملة، وكان عددهم (٢٧.٠٠٠) نسمة، وقد بدأت ثورة الزَّرْطُ سنة (٢٠١هـ) في عهد المأمون، وكان سببها الفقر، وأخذت ثورتهم سنة (٢٢٠هـ). (انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥ / ٦، والبلاذري، فتوح البلدان: ص ٣٦٦-٣٦٩).

(٥) في الأصل (الاحاد)، وهو تصحيف.

(٦) في الأصل (اسهم)، وهو تصحيف.

(٧) جعفر بن حميد الكردي: أحد عمال الخليفة المهدي، أرسله المهدي بقتال الذين عاثوا فساداً في ناحية حمص، وصفه المسعودي في التتبية والاشراف «أنه أخاف السيل، وبسط يده في القتل».

(انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥ / ٦٤٨، ٤١٠، والمسعودي، التتبية والاشراف: ص ٣٠٨، والدينوري، الأخبار الطوال: ٥٨٨، والأصفهاني، البستان الجامع: ص ١٧٨).

(٨) في الأصل (جراه)، وهو تصحيف.

(٩) في الأصل (سق)، وهو تصحيف.

المُقاتِلَة، وَمَنْ قَتَلَ الغُرَاة، واخْرَبَ السَّوَاجِلَ عَلَى يَدَيِ عَمْرٍو بْنِ الفَضْلِ الشَّيرَازِيّ^(١)،
أَحَدِ بَنِي رَيْبَعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ^(٢)، وَهَذِهِ كُلُّهَا إِسْلَامِيَّةٌ جَامِعِيَّةٌ لَا تَنَازَعُ فِيهَا وَلَا اخْتِلَافَ.

وَأَمَّا الرَّايُّ بِاللَّهِ^(٣) فَهُوَ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ المَهَابَةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَإِثَارِ الحَقِّ، وَحُسْنِ النِّيَّةِ،
وَالشَّغْفِ بِالْعَدْلِ وَالْقَوْلِ بِهِ، وَقَمْعِ الظَّالِمِ، وَقِلَّةِ الرُّحْصَةِ، وَأَعْمَالِ اليَقَظَةِ، وَالْمَسْأَلَةِ فِي
كُلِّ حَالٍ، مَعَ إعْطَاءِ كُلِّ خِصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الحَيْرِ نَصِييَهَا مِنَ العَمَلِ، وَكُلِّ خِصْلَةٍ مِنْ
خِصَالِ الشَّرِّ حَقَّهَا مِنَ الاجْتِنَابِ، حَتَّى تَكَامَلَتْ فِيهِ خِلَالَ الفَضْلِ، وَتَنَاءَتْ عِنْدَهُ
خِصَالُ المَجْدِ، حَتَّى لَا تَمُجَّدَ خِصْلَةٌ تَرْجِعُ عَلَى أُخْتِهَا، وَلَا سَاعَةٌ تَقْصُرُ عَن مِثْلِهَا.

وَمِنْ صِفَاتِهِ: أَصَالَةُ الرَّايِ، وَصِحَّةُ العَقْلِ، وَالْحُسْنُ اللَّطِيفُ، وَالْفَهْمُ العَجِيبُ،
ثُمَّ الجُودُ بِكُلِّ عِلْقٍ^(٤)، وَلُزُومُ ذَلِكَ فِي كُلِّ حَالٍ، ثُمَّ طِيبُ العِشْرَةِ، وَحُسْنُ المَلَكَةِ،
وَتَعَهُدُ المَوْلَى، وَتَقْفُدُ حَالِ العَشِيرَةِ، ثُمَّ إِثَارُ^(٥) العِلْمِ عَلَى كُلِّ لَدَّةٍ، وَالْيَبَانُ عَلَى كُلِّ
صِنَاعَةٍ، مَعَ المَعْرِفَةِ بِهَا جَمْعَ شَمْلِ العَوَامِ، وَكَيْفِ قِسْمَةِ النِّعَمِ بَيْنَ الحِوَاصِصِ، وَمَا يَلِيْقُ

(١) عمرو بن الفضل الشيرازي: أبو بكر، مطبوع متأدب، طيب المحاضرة، له شعر مليح، وله عدة كتب، منها: كتاب الشجون والغنون، وكتاب إنشاء الرسائل والكتب.
(انظر: التديم، الفهرست، ص ١٥٣).

(٢) بني ربيعة بن حنظلة: بطن من حنظلة، من تميم، من العدنانية، وهم بنو ربيعة بن حنظلة بن مالك، ويعرفون بريبعة الصغرى.
(انظر: عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ص ٤٢١).

(٣) الواثق بالله: أبو جعفر، هارون بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي، أنه رومية اسمها قراطيس، ولد في شعبان سنة (١٩٦هـ)، كان مليح الشعر، أمر بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، وافتك من أسر الروم (٤٦٠٠) شخصاً، كانت خلافته خمس سنين ونصفاً، مات بسر من رأى لست بقين من ذي الحجة سنة (٢٣٢) ويايعوا بعده أخاه المتوكل.
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/ ٦٣).

(٤) الجود بكل علق: أي المال الكريم، وأيضاً التقيس من كل شيء. (اللسان: مادة علق).

(٥) في الأصل (انار)، وهو تصحيف.

بِكُلِّ مَرْتَبَةٍ، وَيَصْلُحُ لِكُلِّ زَمَانٍ، مَعَ سِدَّةِ التَّعَقُّبِ، وَجَوْدَةِ التَّصَفُّحِ، وَمَعَ ذَلِكَ حُسْنُ
الِاخْتِيَارِ، وَصَوَابُ الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ^(١).

إِذَا اعْتَرَمَ لَمْ يَعْجَزْ عَنِ الرَّجُوعِ، وَلَمْ يَحْمَلْكَ عَلَيْهِ اللَّجَاجُ^(٢)، وَلَمْ يَرِ النَّدَّ أَعْجَزًا إِلَّا
عَنِ صَوَابٍ، وَلَا انْقَادَ الْعَزْمُ لَجَاجًا إِلَّا فِي الْحَطَأِ^(٣)، وَلَا يَرَى الصَّوَابَ إِلَّا مَا وَافَقَ
الْحَقَّ، وَأَحَبُّ الْحَقُوقِ إِلَيْهَا جَانِبَ الْهُوَى، وَأَزْيُنُهَا فِي عَيْنِهِ مَا زَادَ فِي الْمُرُوءَةِ^(٤) وَأَثَرُهَا
عِنْدَهُ، أَمْرُهَا عَاجِلَةٌ، وَأَحْلَاهَا آجِلَةٌ.

وَأَبْغَضُ الْبَاطِلِ إِلَيْهِ مَا أَشْبَهَ السُّخْفَ، وَنَاسَبَ الْفَوَاحِشَ. يَحُوطُ الصَّوَابَ
حَيَاطَةً مَن قَدْ عَرَفَ [فَضْلَهُ، وَيَنْصَبُ لِلْحَطَأِ نَصَبَ مَن قَدْ عَرَفَ]^(٥) ضَرَرَهُ، وَقَدْ
ذَلَّلَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ حَتَّى سَهَّلَتْ، وَزَادَ فِي أَسْبَابِهِ حَتَّى اتَّصَلَتْ، وَتَعَرَّفَ مَا فِيهِ حَتَّى
اسْتَقْصَاهُ، وَعَجَّمَهُ حَتَّى أَمْضَاهُ، وَكَانَ فِي طَلَبِهِ، وَحَزَمَ فِي التَّقَدُّمِ فِيهِ، فَبَدَأَ بِهِ قَبْلَ
حُدُوثِ الْأَشْغَالِ، وَقَبْلَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ الْأَيَّامُ، فَنَظَرَ بِعَقْلِ سَلِيمٍ مِنَ الْأَسْقَامِ، وَبِمَعْرِزٍ
مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَبِيْذِهِنِ حَدِيدِ^(٦)، وَقُوَّةٍ وَافِرَةٍ، وَهَيْئَةٍ جَامِعَةٍ، وَكَفَرِبِ^(٧) غَيْرِ
مَفْلُولِ^(٨)، وَعَزَمَ غَيْرَ مَهْزُولِ^(٩) أَيَّامِ اجْتِمَاعِ قُوَّتِهِ، وَشَبَابِ آلَاتِهِ^(١٠)، وَجِدَّةٍ

(١) الإيراد: الحضور. (اللسان: وود).

الإصدار: الرجوع. (اللسان: صدر).

(٢) واللجاج: الخصومة. (اللسان: لجج).

(٣) الخطأ: هنا هو ارتكاب الخطأ.

(٤) المرءة: هي كمال الرجولة، وأن لا تفعل في السر شيئاً تستحي أن تفعله جهراً. (اللسان: مرا).

(٥) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٦) حديد: الحدة هي الغضب والفهم والسرعة في الأمور. (اللسان: حدد).

(٧) الغرب: هو حد السيف القاطع. (اللسان: غرب).

(٨) مفلول: مثلث. (اللسان: فلل).

(٩) عزم غير مهزول: أي بعزم جاد لا هزل فيه. (اللسان: هزل).

(١٠) شباب آلاته: شدتها. (اللسان: شبيب).

طَرَفِهِ، وَتُتَوَبُّ (١) حِسَّهُ، وَدِقَّةَ مَدْخَلِهِ، وَانْفِتَاحَ الْأَبْوَابِ لِقَرَعِهِ، فَطَلَّبَهُ طَلَبٌ مَن يَشْتَهِيهِ، وَيُبْصِرُ جَوْهَرَهُ، وَيَعْرِفُ عَاقِبَتَهُ وَفَضِيلَتَهُ، وَالتَّمَسُّهُ بِطَبِيعَةِ مُنَاسِبَةٍ، وَغَرِيزَةَ مُشَاكَلَةٍ، وَالْأُمُورَ لِاحِقَةً بِعِنَاصِرِهَا، تَابِعَةً لِجَوَاهِرِهَا، وَصَادَفَ زَمَانًا جَمَّ الْعَجَائِبِ، كَثِيرَ الْغَرَائِبِ، فَعَرَفَ فِي أَيَّامِ يَسِيرَةٍ مَا لَمْ نَعْرِفْهُ الْمُلُوكُ فِي السِّنِينَ الْكَثِيرَةِ، إِلَّا مَا حَخَّصَ اللَّهُ بِهِ آبَاءَهُ الْمُتَّجِبِينَ، وَمَنَحَهُ أَجْدَادَهُ الْمُكْرَمِينَ؛ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

[٤] فصل (٢)

كَانَ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ (٣) وَأَبُوهُ (٤) وَحَاشِيَتُهُ وَبَنُوهُ (٥) مِنْ أَشْرَافِ

(١) في الأصل (تقور)، وهو تصحيف.

(٢) وردت بعض فقر هذا الفصل عند هارون: ٣ / ٩١ - ٩٣ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير، والسندوبي: ص ٢١٨-٢٢٠ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير، وبيلا: ص ٦٢ - ٦٥، والمبرد: ص ٥٤، ٧٥-٧٨ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير، والذروي: ص ٥٧-٧٠.

(٣) يحيى بن خالد بن برمك: أحد الذين جمعوا جمعاً رائعاً بين ثقافة العرب وثقافة الفرس، كان المهدي قد قلده الكتابة لابنه منذ جعله ولي عهده، والقيام على نفقاته وتدبير أمر الجيوش التي يقودها الرشيد على الروم، وعندما تولى الرشيد الخلافة قلده أمور الرعية، وسلمه خاتم الخلافة يأمر وينهى كما يشاء، فولى ابنه جعفر على المغرب كله من الأنبار إلى إفريقية، وولى ابنه الفضل على المشرق كله من النهروان إلى أقصى بلاد الترك، توفي في سجن الرشيد سنة (١٩٠ هـ).
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨ / ٥١، والجهمشيري، الوزراء والكتاب: ص ١٥٠، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٥ / ٥٨).

(٤) كبير البرامكة، أبوه من مجوس بلخ، اتصل بالعباسيين، وتولى الوزارة لأبي العباس السفاح بعد أبي سلمة حفص الخلال، لم يبلغ أولاده جعفر والفضل مبلغه في جوده ورأيه وبأسه وعلمه وجميع خلاله، توفي سنة (١٦٥ هـ).

(انظر: المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٧٧، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣ / ٥٣٥).

(٥) أولاده: جعفر، والفضل، ومحمد، وموسى. وابنه جعفر كان وزيراً من رجال العلم، توصل إلى =

العَجَم / ، وَهُنَاكَ حَلَّ الْعِلْمِ وَالْحَزْمُ وَمَدَّ رِوَاغَهُ (١).

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ (٢) ذَا الْجِلْمِ الْفَاضِلِ، وَاللِّسَانِ الْبَيِّنِ، وَالْفِقْهِ الْعَجِيبِ،
وَالرَّأْيِ السَّيِّدِ، وَالصَّدْرِ الرَّحِيبِ، وَالْقَوْلِ الْفَصْلِ، وَالْجُودِ الْغَمْرِ، وَالرَّأْيِ الْجَزِيلِ،
وَالْعِشْرَةِ الْكَرِيمَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ، وَالْعَطَايَا السَّنِيَّةِ، وَالْقِسْمَةِ بِالسُّوْبَةِ،
وَشَيْخِ الْعَرَبِ، وَسَيِّدِ الْحَضَرِ، وَعَيْثُ (٣) الْبَدْوِ، وَقَاضِي الْقَضَاةِ (٤)، وَمُقَوِّمِ الْوَلَاةِ.

وَمَنْ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ (٥) عُرْفًا، وَمَلَأَ صُدُورَ الْأَوْلِيَاءِ عِزًّا، وَمِنْ قَدْ جَرَّدَ الْقَوْلَ
بِالْعَدْلِ، وَكَشَفَ الْقِنَاعَ فِي التَّوْحِيدِ، وَأَقَامَ لِكُلِّ حَالَةٍ سَوْقُهَا، حَتَّى عَرَفَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ

= أَعْلَى الْمَرَاتِبِ، كَانَ فَصِيحًا مَفُوهًا أَدِيبًا، كَانَ لِعَابًا غَارِقًا فِي لَذَاتِ دُنْيَاهُ، مَاتَ مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ
صَفْرِ سَنَةِ (١٨٧ هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٨ / ٣٠، والمسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٧٧، والذهبي،
العبر: ١ / ١٨٩، والصفدي، الوافي بالوفيات: ١١ / ١٢٠).

(١) رِوَاغُهُ: يُقَالُ مَدَّ الرَّجُلُ رِوَاغَهُ إِذَا نَزَلَ بِهِ وَضُرِبَ خِيَمَتُهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ. (اللِّسَانُ: رُوق).

(٢) أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، أَحْمَدُ بْنُ فَرْجِ بْنِ حَرِيْزِ الْإِيَادِيِّ الْبَصْرِيِّ، الْقَاضِي الْكَبِيرُ، قَاضِي
الْمَعْتَزَلَةِ وَزَعِيمُهُمْ، عَلُو أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، كَانَ دَاعِيَةً إِلَى خُلُقِ الْقُرْآنِ، وَلِدَ سَنَةَ (١٦٠ هـ) بِالْبَصْرَةِ،
كَانَ شَاعِرًا جَمِيدًا فَصِيحًا بَلِيغًا، صَادَرَهُ الْمُتَوَكُّلُ وَأَخَذَ مِنْهُ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَانْفَتَرَ،
مَاتَ هُوَ وَوَلَدُهُ مَنكُورِيْنَ، الْوَالِدُ أَوْلَا ثُمَّ الْأَبُ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ (٢٤٠) وَدُفِنَ بِدَارِهِ فِي بَغْدَادِ.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٩ / ٤٢٨، والذهبي، العبر: ١ / ٣٣٩، والذهبي، ميزان
الاعتدال: ١٠ / ٩٧).

(٣) فِي الْأَصْلِ (غَبٌّ)، وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَمَا أُثْبِتَ مِنَ الدَّرْوِيِّ ص ٥٨.

(٤) قَاضِي الْقَضَاةِ: هُوَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ. (انظر: ابن ظافر، أخبار الدولة المنقطعة: ٢ / ٣٥٧).

(٥) طَبَّقَ الْأَرْضَ: غَطَّهَا وَعَمَّهَا. (اللِّسَانُ: طَبَّقَ).

يَجْهَلُهُ، وَأَقْرَبَهُ مَنْ كَانَ يُنْكِرُهُ، وَأَحَبَّهُ مَنْ كَانَ يُبْغِضُهُ، وَأَيْسَرَهُ مَنْ كَانَ يَسْتَوْجِشُّ مِنْهُ،
وَدَعَا إِلَيْهِ مَنْ كَانَ نَهَى^(١) عَنْهُ.

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٢) مِنَ الْكُفَّاءِ وَالرُّوَالَةِ وَالْحِمْيَاءِ، وَمِنْ أَهْلِ النَّزَاهَةِ عَنِ
الْأُمُورِ الْوَضِيعَةِ^(٣)، وَالطَّهَارَةِ عَنِ الْأَدْناسِ، وَصَدِيقِ اللَّهْجَةِ، وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَبَدَلِ
البُّشْرِ، مَعَ رَفْعِ الْحِجَابِ، وَحُضُورِ الرَّأْيِ^(٤)، الَّذِي لَمْ يَقُلْ قَطُّ بَعْدَ طَوْلِ الْمُنَارَعَةِ، وَبَعْدَ
كَثْرَةِ الْمُنَاقَلَةِ^(٥)، وَاسْتِفْرَاقِ الْأَلْفَاظِ^(٦)، وَاسْتِنْفَادِ الْمَعَانِي^(٧): لَوْ كُنْتُ قُلْتُ كَذَا وَكَذَا،
لَكَانَ أَرْبِيعَ، وَلَوْ لَمْ أَكُنْ قُلْتُ: كَذَا وَكَذَا، لَكَانَ أَسْلَمَ.

الَّذِي فَضَّلَ لِسَانَهُ عَلَى لِسَانِ الْبَلِيغِ، كَفَضَّلَ قَلْبَهُ عَلَى لِسَانِهِ، وَفَضَّلَ عِلْمَهُ عَلَى
عَقْلِهِ، كَفَضَّلَ عَقْلَهُ عَلَى عِلْمِهِ، وَتَرَكِيهَهُ أَجْوَدُ تَرَكِيبِ، وَصَيْغَتُهُ أَعْدَلُ صَيْغَةٍ، وَبُنْيَانُهُ

(١) فِي التَّدْرِيبِيِّ ص ٥٨: يَنْهَى.

(٢) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: ابْنُ أَبَانَ، ابْنُ الزُّبَيْرَاتِ، الْوَزِيرُ الْأَدِيبُ الْعَلَامَةُ، كَانَ وَالِدُهُ زَيْنَاتًا سَوَاقِيًّا، بَرَعَ فِي
الْأَدَبِ وَفَنُونِهِ، وَالنِّظْمِ وَالشَّرِّ، وَزُرَ لِلْمَعْتَصِمِ وَاللُّوَاتِقِ، كَانَ مَعَادِيًّا لِابْنِ أَبِي دُوَادٍ، فَأَغْرَى ابْنَ أَبِي
دُوَادٍ الْمُتَوَكَّلَ حَتَّى صَادَرَ ابْنَ الزُّبَيْرَاتِ وَعَدَّبَهُ، وَكَانَ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَكَانَ يَقُولُ: مَا رَحِمْتُ
أَحَدًا قَطُّ، الرَّحْمَةُ خَوْرٌ فِي الطَّبْعِ، فَسُجِنَ فِي قَهْصِ جِهَاتِهِ مَسَامِيرَ كَالْمَسَالِ، وَكَانَ يَصِيحُ: اِرْحَمُونِي،
فَيَقُولُونَ: الرَّحْمَةُ خَوْرٌ فِي الطَّبْعِ. مَاتَ سَنَةَ (٢٣٣هـ) وَلَهُ تَرْسُلٌ بَدِيعٌ، وَبِلَاغَةٌ مَشْهُورَةٌ.
(انظُر: الذَّهَبِيُّ، سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، ٩ / ٤٣٠، وَابْنُ خَلِّكَانَ، وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ، ٥ / ١٠١،
وَالذَّهَبِيُّ، الْعَبْرُ، ١ / ٣٢٦).

(٣) فِي الْأَصْلِ (الْوَضِيعَةُ)، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٤) فِي التَّدْرِيبِيِّ ص ٥٨: حُضُورٌ، دُونَ أَنْ يَذْكَرَ الرَّأْيِ، وَانْكَشَفَ بِالْقَوْلِ كَذَا فِي الْأَصْلِ.

(٥) الْمُنَاقَلَةُ: الْمَجَادَلَةُ فِي الْمُنْطَقِ. (اللسان: نقل).

(٦) اسْتِفْرَاقِ الْأَلْفَاظِ: اسْتِيعَابُهَا. (اللسان: غرق).

(٧) اسْتِنْفَادِ الْمَعَانِي: يُقَالُ اسْتَنْفَدَ الْمَعْنَى أَي اسْتَوْفَاهُ. (اللسان: نفذ).

أوثق بنيان، وأكثر ما يُرى البُنيان من قواعده، والمؤمن^(١) من أعرافه، فإذا كرم العرقُ
فَهَرَّ^(٢) لَوَمَ الْمَشَا، وإذا حَكَمَ^(٣) الرُّكْنَ بُبَّتَ الْقَرَعُ، فَمَا ظَنَّكَ بِعِرْقٍ لَمْ تَحْنُ الْعَادَةُ، وَلَمْ
تَحْكُمهُ^(٤) الْقَرِيحَةُ^(٥)، وبقرحة لم يعقدها العرق؟

وكان إبراهيم بن السندي^(٦) خطيباً فقيهاً^(٧)، راوية للشعر نحوياً، وكان فخم
الألفاظ، نبيل المعاني، شريف الأحاديث، كريم المجالسة.

وكان كاتب القلم، كاتب اللسان^(٨)، كاتب العمل^(٩)، وكان إذا تكلم حسيته

(١) في الأصل غير واضح وما أثبت من الدروري ص ٥٨.

(٢) في الأصل (فهر)، وهو تصحيف.

(٣) في الدروري ص ٥٩: أحكم.

(٤) في الأصل غير منقوطة.

(٥) القرحة: طبيعة الإنسان التي جبل عليها. (اللسان: قرح).

(٦) إبراهيم بن شاهك: من رجال الجاحظ الذين يكثر من ذكرهم والرواية عنهم في كثير من كتبه
وعده من المتكلمين، وهو من أسرة سنديّة خدمت الدولة منذ أول عهدهما، وأبوه السندي بن
شاهك بن السندي كان من المقرّبين للرّشيد، تولّى القضاء، وكان والياً على الشام، نعته الجاحظ
بأنه مولى أمير المؤمنين.

(انظر: الجاحظ، البخلاء: ص ٢٨٩، والجهشياري، الوزراء والكتاب: ص ٢٣٦، والجاحظ،

البيان والتبيين: ٢ / ٢١٥، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥ / ٣، ٢٧، ٣٢، والسيد محسن

الأمين، أعيان الشيعة: ١٥ / ١٦٣).

(٧) فقيهاً: العالم بالشيء، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلوم.
(اللسان: فقه).

(٨) كاتب اللسان: كاتب الرسالة. (اللسان: لسن).

(٩) كاتب العمل: الساعي الذي يأخذ الصدقات من أربابها. (اللسان: عمل).

رُؤْيَةَ بِنِ الْعَجَّاجِ^(١)، أَوْ مُطَرَّفَا الْغَنَوِيِّ^(٢)، وَإِذَا عَمِلَ الْحِرَاجَ^(٣) قُلْتُ: هَذَا نَبْطِي^(٤) سَوَادِي.

وَكَانَ مَرَّةً أَشْغَانًا^(٥)، وَمَرَّةً مُرِيدًا^(٦)، وَمَرَّةً عَامِلَ رُسْتَاقٍ^(٧)، وَمَرَّةً عَامِلَ

(١) رؤية بن العجاج: التميمي، الراجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان رأساً في اللغة، ورؤية بالهمزة قطعة من الخشب يشعب بها الإناء، وسمع أباه والنسابة البكري، مات سنة (١٤٥ هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ٣٧٤، والذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/ ٨٤، والأصفهاني، الأغاني: ٢٠/ ٤٤٥، وابن قتيبة، المعارف: ص ٥٣٤).

(٢) مطرف الغنوي: أبو بكر، مُطَرَّفُ بن طريف، الإمام المحدث، القدوة، حدث عن الشعبي وعطاء بن نافع، وحدث عنه سفيان الثوري وسفيان بن عيينة، توفي سنة (١٤٣ هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ٣٤٨، والنديم، الفهرست، ص ٢٠٢، وابن حجر، تهذيب التهذيب: ١٠/ ١٥٧).

(٣) كاتب الحراج: هو كاتب يرسم استخراج المال وقبضه، وعليه عمل الختمات.

(انظر: ابن عمات، قوانين الدواوين: ص ٣٠٤).

(٤) نبطي: النبط جيل ينزلون أرض العراق، واشتهروا بجباية الحراج، وتميزوا بالحدق والمهارة، وسُمِّروا بذلك لاستنباطهم ما يخرج من الأرض، ويقال رجل نَبَاطِي ونَبَاطِي ولا يقال نبطي، وفي الصحاح رجل نبطي ونباطي. (اللسان: نبط).

(٥) في الأصل (اسقانا)، وهو تصحيف.

الأشغان: صاحب الكار، والحال التي يسميها الناس كاره. (اللسان: شغن).

(٦) المرید: من انقطع إلى الله، وحرّم نفسه من ملذات الحياة، وهو من أراد كشف العلوم الباطنية والأسرار الإلهية.

(انظر: الحنفي، معجم المصطلحات الصوفية: ص ٢٤٢).

(٧) رستاق: الرزقاق ورزداق ورسداق، وأيضاً الرستاق قرى تشتمل عليها أرض السواد.

(اللسان: رستق، والجواليقي، المغرب، ص ١٥٧ - ص ١٥٨).

الطَّسُوج^(١)، ومَرَّةً كَاتِبَ دِيوَانَ^(٢)، ومَرَّةً صَاحِبَ الدِّيَوَانِ الأعْظَمِ^(٣)، ومَرَّةً وِزِيرًا.
 وَكَانَ عَالِمًا بِالنُّجُومِ^(٤)، وَبِالطَّبِّ، وَبِالْمَنْطِقِ^(٥)، وَكُتِبَ الْحُكْمَاءُ، وَكَانَ قَرَضِيًّا^(٦)
 عَرُوضِيًّا^(٧)، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَمِنْ كِبَارِ الْمُقَاسِمِينَ^(٨) فِي الْفِتْوَى^(٩)، وَلَهُ
 كُتُبٌ جَيَادٌ.

(١) فِي الْأَصْلِ (السُّطُوح)، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

وَالطَّسُوجُ: نَوَاحِي السَّوَادِ. (اللِّسَانُ: طسج).

(٢) كَاتِبَ الدِّيَوَانَ: هُوَ النَّائِبُ عَنِ الدِّيَوَانَ وَلَيْسَ يُلْزَمُهُ رَفْعُ حِسَابَاتٍ وَلَا كِتَابَةٌ عَلَيْهِ، وَقِيلَ هُوَ
 كَاتِبُ الدَّفْتَرِ الَّذِي يَكْتُبُ فِيهِ أَسْمَاءُ الْجُنْدِ وَأَهْلِ الْعِطَاءِ.

(انظر: ابن ممتي، قَوَائِمُ الدَّوَابِّ: ص ٤٣٠، وَاللِّسَانُ: دُونَ).

(٣) الدِّيَوَانَ الأعْظَمُ: مَجْتَمَعُ الصَّحَفِ، وَأَيْضًا الدَّفْتَرُ الَّذِي يَكْتُبُ فِيهِ أَسْمَاءُ الْجَيْشِ وَأَهْلِ الْعِطَاءِ،
 وَأَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ الدِّيَوَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (اللِّسَانُ: دُونَ).

(٤) عِلْمُ النُّجُومِ: هُوَ عِلْمٌ تَعْرِفُ بِهِ أَحْوَالُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَغَيْرَهُمَا مِنَ النُّجُومِ.

(انظر: التَّهَانُوي، كَشَافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ: ١ / ٦٧).

(٥) عِلْمُ الْمَنْطِقِ: يَسْتَمِي عِلْمُ الْمِيزَانِ، إِذْ بِهِ تُوزَنُ الْحُجُجُ وَالْبَرَاهِينُ، وَهُوَ لَيْسَ مَقْصُورًا عَلَى نَفْسِهِ،
 بَلْ هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى الْعُلُومِ الْأُخْرَى، وَسَمِّيَ بِالْمَنْطِقِ لِأَنَّ التَّنَطُّقَ يُطْلَقُ عَلَى اللَّفْظِ، وَعَلَى إِدْرَاكِ
 الْكَلِمَاتِ، وَعَلَى التَّنَفُّسِ النَّاطِقَةِ، وَعِلْمُ الْمَنْطِقِ عِلْمٌ بِقَوَائِمِ تَفْيِيدِ الْإِنْتِقَالِ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ إِلَى
 الْمَجْهُولَاتِ، بِحَيْثُ لَا يَعْزُضُ الْغَلَطُ فِي الْفِكْرِ.

(انظر: التَّهَانُوي، كَشَافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ: ١ / ٤٥).

(٦) فَرَضِيًّا: عَارِقًا بِقِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ. (اللِّسَانُ: فَرَض).

(٧) عَرُوضِيًّا: عَالِمًا بِالْعَرُوضِ، وَالْعَرُوضُ مِيزَانُ الشَّعْرِ، وَهُوَ آخِرُ تَفْعِيلَةٍ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ مِنَ
 الْبَيْتِ.

(انظر: التَّهَانُوي، كَشَافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ: ٣ / ٢٤٩).

(٨) الْمُقَاسِمِينَ: الْمُقَاسِمَةُ هُوَ تَقْدِيرُ الشَّيْءِ عَلَى مِثَالِ. (اللِّسَانُ: قِيس).

(٩) الْفِتْوَى: مَا أَفْتَى بِهِ الْفَقِيهُ وَأَحْدَثَ حُكْمًا. (اللِّسَانُ: فِتَا).

وكانَ أَحْفَظَ مِنْ أَعْمَى^(١)، وَأَفْصَحَ مِنْ أَعْرَابِيٍّ، وَأَسَمَعَ مِنْ فَرَسٍ^(٢)، وَكَانَ أَقْلَ النَّاسِ نَوْمًا، وَأَسْرَعَهُمْ انْتِيامًا، مَعَ غِلْظِ رِوَايَتِهِ^(٣)، وَكَثْرَةِ لَحْمِهِ، وَمَاتَ مَعَ هَذَا بِالرِّمَّةِ الصَّفْرَاءِ^(٤).

وَكَانَ فُلَانٌ خَطِيئًا لِسِنًا^(٥)، وَعَلَامَةً نَاسِبًا^(٦)، وَرَاوِيَةً لِلْحَدِيثِ وَقَفِيئًا، وَكَانَ يَعْرِفُ رَأْيَ^(٧) الْبَصْرِيِّينَ^(٨) / وَالْكُوفِيِّينَ وَعُلَمَائِهِمْ. وَكَانَ أَحْفَظَ النَّاسِ لِمَا يَسْمَعُ مِنْ غَيْرِ مُعَانَاةٍ، وَكَانَ فَخْهًا؛ فَخَمَ الْأَفْظَاءَ، جَيَّدَ الْمَعَانِي، دَقِيقَ الْمَسَالِكِ^(٩)، لَطِيفَ الْمَذَاهِبِ، كَثِيرَ الْمَخَارِجِ^(١٠).

(١) انظر المثل: «أحفظ من العميان» في:

(الميداني، مجمع الأمثال: ١/ ٤٠٦).

(٢) يزعمون أنه دقيق الحس، يسمع سقوط الشعرة منه.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ١/ ٢٢١، ٢/ ١٧٤، ٤/ ٢٤٥، ٥/ ٥٣٥، ٦/ ٣٤٨، ٧/ ١٠،

والميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ١٣٤، وحمزة الأصفهاني، الدرّة الفاخرة: ص ١٢٧، ١٢٨، وابن

عبد ربه، العقد الفريد: ٣/ ٧٥).

(٣) الزّواء: حسن المنظر مع البهاء والجمال. (اللسان: رأي).

(٤) الرّمّة الصّفراء: هي أقوى الأخلاط، وهي سائل أصفر شديد المرارة يمتزج في كيس المرارة،

ويخالطه بلغم.

(انظر: التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ٤/ ١٢٢، والخوازمي، مفاتيح العلوم: ص ١٠٦).

(٥) لسناً: رجل لسن إذا كان ذا بيان وفصاحة، وأيضاً جودة اللسان وسلطته. (اللسان: لسن).

(٦) ناسباً: عالماً بالنسب. (اللسان: نسب).

(٧) في الأصل (بأي)، وهو تصحيف.

(٨) في الأصل (البعريين)، وهو تصحيف.

(٩) دقيق المسالك: أي غامض. (اللسان: دقق).

(١٠) كثير المخارج: الخبير في الأشياء. (اللسان: خرج).

وكان يستعمل العرب غير مكره له^(١)، وكانت له أحاديث قليلة الألفاظ والحروف، قليل الأخذ من القراطس^(٢)، وهي كثيرة المعاني، بعيدة^(٣) المذهب.

وكان كاتب القلم، جيد الخط والقول، كاتب اللسان، عالماً بالحجج، حاضر الجواب، وكاتب العمل يعرف حجج الديوان^(٤) من حجج الأحكام^(٥). وكان حاسباً^(٦)، وكان إذا تكلم وتحدث حسبته رؤية بن العجاج، وإذا تكلم في الخراج حسبته زاذان^(٧) قروح الأعور^(٨).

وكان إبراهيم بن سيار^(٩) قرظياً عروضياً، وكان حاسباً ومنجماً، وكان نساباً.

(١) في الدروري ص ٦٢: وكان يستعمل العرب عن فكرة له. وهو تصحيف.

(٢) القراطس: الصحيفة التي يكتب فيها. (اللسان: قرطس).

(٣) في الدروري ص ٦٢: كثيرة.

(٤) حجج الديوان: الوثائق. (اللسان: حجج).

(٥) حجج الأحكام: الأدلة. (اللسان: حجج).

(٦) حاسباً: عالماً بالحساب. (اللسان: حسب).

(٧) في الأصل (رادا)، وهو تصحيف.

(٨) زاذان قروح الأعور: فارسي الأصل، تقلد ديوان الخراج للحجاج، قُتل أيام عبد الرحمن بن محمد الأشعث الكندي، وهو خارج من منزل كان فيه إلى منزله.

(انظر: البلاذري، فتوح البلدان: ٢/ ٣٦٨، والجهشياري، الوزراء والكتاب: ص ٢٦، ٣٨، ٩٩).

(٩) إبراهيم بن سيار: أبو إسحاق البصري، ابن هانئ النظم، من رؤوس المعتزلة، متهم بالزندقة، كان شاعراً أديباً بليغاً، له كتب كثيرة في الاعتزال والفلسفة، وكان من أشد الناس ازدراء على أهل الحديث، كان يزعم أن الله يحدث الدنيا وما فيها في كل حين من غير أن يفنيها، وجوز أن يجمع المسلمون على الخطأ، مات في خلافة المعتصم سنة (٢٣١ هـ).

(انظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ١/ ١٦٤، والتديم، الفهرست، ٢٠٤).

وكانَ حَافِظًا لِلْقُرْآنِ^(١) العَظِيمِ وَتَفْسِيرِهِ، وَلِلتَّوْرَةِ^(٢) وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَكُتُبِ
الأنبياء.

وكانَ عالِجَ الكيمياءِ وَعَرَفَ مَذهِيبَها، وكانَ أروى النَّاسِ لِكَلَامِ الأوائلِ
لصُوفِ نَحْلِ الإسلامِ، وأحسَنَ النَّاسِ إخراجًا، وأبلغَهُم عِنْدَ الاحتِجاجِ لسانًا، ولم
يَكُتِبْ عِلْمًا قَطًّا، ولم يُدَوِّنْهُ.

وكانَ صاحِبَ حَدِيثِ عالِمًا، وكانَ لَهُ نُسُكٌ^(٣)، وخالَطَ الصُّوفِيَّةَ^(٤)، وأصحابَ
المضمار^(٥)، وَعَرَفَ اِختِلافَهُم، وكانَ يَقُولُ الشَّعْرَ إِذا أَرادَهُ^(٦)، وكانَ يَسْتَخْرِجُ
المُعْتَمَى^(٧)، وكانَ حَسَنَ العِلْمِ بالنَّحوِ.

وقالَ أبو^(٨) عُبَيْدَةَ^(٩): ما يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ في الدُّنْيا مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيَّارٍ، سألَتْهُ

(١) في الأصل (القران)، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل (للتوريه)، وهو تصحيف.

(٣) التَّسْك: العبادة والطاعة. (اللسان: نسك).

(٤) في الدروري ص ٦٣: خالط السادة الصوفية.

الصُّوفِيَّة: هم القائمون مع الله بحيث لا يعلم قيامهم إلا الله، والتصوف هو التخلق بالأخلاق
الإلهية.

(التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ٤٩ / ٣).

(٥) المضمار: هو المكان الذي تضم فيه الخيل للسباق أو للركض. (اللسان: ضمير).

(٦) في الأصل (راده)، وهو تصحيف.

(٧) المعتمى: هو علم المعتمى، التباس الأمر، واختفاء معناه. (اللسان: عمي).

(٨) في الأصل (بو)، وهو تصحيف.

(٩) أبو عبيدة: معمر بن المثنى التيمي، العلامة النحوي، صاحب التصانيف، ولد سنة (١١٠ هـ)
في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري، كان على رأي الخوارج، وكان بحر من بحور العلم، =

وهو صَيِّبٌ عَنْ عَيْبِ الزُّجَاجِ، فقال: «سَرِيعُ الْكَسْرِ بَطِيءُ الْجَبْرِ»^(١). وَمَدَحُوا النَّخْلَةَ، فقال: «صَعْبَةُ الْمُرْتَقَى، بَعِيدَةٌ فِي الْهَوَاءِ، خَشْنَةُ الْمَسِّ، قَلِيلَةُ الظِّلِّ»^(٢).

وقال يَوْمًا: «كُنَّا نَلْهَوُ بِالْأَمَانِي، وَنَطِيبُ أَنْفُسًا بِالْمَوَاعِيدِ، فَذَهَبَ مَنْ يَعِدُ، وَقَطَعْنَا»^(٣) بِأَهْمُومٍ عَنْ فُضُولِ الْمُنَى»^(٤).

= مع ذلك لم يكن بالماهر بكتاب الله، ولا العارف بسنة نبيه، ولا البصير بالفقه واختلاف أئمة الاجتهاد، مات سنة (٢٠٩ هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨ / ٢٨٧، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥ / ٢٣٥، والذهبي، العبر: ١ / ٢٨٢).

(١) سأل الخليل بن أحمد النِّظَامَ، أن يصف له قدحاً من الزُّجَاجِ، فقال: أبمدح أم بدم؟ فقال: بمدح، قال: نعم، تريك القذى، وتفيك الأذى، ولا تستر ما روى. قال: بدم، قال: سريع كسرهما، بطيء جبرها. (انظر: الجاحظ، الحيوان: ٧ / ١٦٥)، وهناك رسالة في المفاضلة بين الزجاج والذهب، وقد دارت بين سهل بن هارون وشداد الحارثي، حيث ألف سهل بن هارون رسالة في تفصيل الزجاج على الذهب يرد فيها على رسالة شداد الحارثي الذي فضل الذهب على الزجاج، وقال سهل بن هارون «والشراب في الزجاج أحسن منه في كل معدن، واسم الذهب يتطير منه، والزجاج لا يحمل الوضوء، ومتى غسل بالماء عاد جديداً».

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٣ / ٤٧١، والغزولي، مطالع السرور: ١ / ١٤٩، والشعالبي، تحمين القبيح وتقيح الحسن: ص ٩٣ - ٩٤، والشعالبي، الإعجاز والإيجاز: ص ١١٦، وابن نباتة، سرح العيون: ص ٢٢٧).

(٢) قال الخليل بن أحمد للنِّظَامِ، صف هذه النخلة، وأوماً إلى نخلة في داره، فقال: أبمدح أم بدم؟ قال: بمدح، قال: حلو مجتناها، باسق متهاها، ناضر أعلاها. قال: بذمها، قال: هي صعبة المرتقى، بعيدة المجتنى، مخوفة بالأذى.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٧ / ١٦٥، وابن نباتة، سرح العيون: ص ٢٢٧).

(٣) في الدرر: ص ٦٤: قطعتنا.

(٤) انظر القول في الحيوان ٧ / ١٥٣: «قال أبو اسحاق النِّظَامُ: كُنَّا نَلْهَوُ بِالْأَمَانِي، وَنَطِيبُ أَنْفُسًا بِالْمَوَاعِيدِ، فَذَهَبَ مَنْ يَعِدُ، وَقَطَعْنَا أَهْمُومٍ عَنْ فُضُولِ الْمُنَى».

وَذَكَرَ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ^(١)، فَقَالَ^(٢): «تَوَحَّدَ بِهِ الْعُجْبُ^(٣)، فَأَهْلَكَهُ، وَصَوَّرَ لَهُ
الاسْتِيْدَادُ صَوَابَ رَأْيِهِ، [فَتَعَاطَى مَا لَا يُحْسِنُهُ]^(٤)، وَرَامَ أَنْ لَا يَنَالَه، وَفَتَنَتْهُ دَوَائِرُهُ^(٥)
الَّتِي لَا يَجْتَنِجُ إِلَيْهَا غَيْرُهُ^(٦)».

كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِذَا ذَكَرَ الْوَهْمَ^(٧) لَمْ يُشَكَّ فِي جُنُونِهِ، وَاخْتِلَاطِ عَقْلِهِ، وَهَكَذَا كَانَ
الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، وَكَانَ قَدْ أَحْسَنَ فِي شَيْءٍ^(٨).

وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ لَوْ مَاتُوا لَتَبَدَّلَ الدِّينَ، وَلَفَسَدَتِ الْحِكْمَةُ، وَلَا سَتَوَلَّى

(١) الخليل بن أحمد: أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، منشئ علم العروض،
ولد سنة (١٠٠)، كان رأساً في اللسان، وله كتاب العين، مات سنة (١٧٠ هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧ / ٣٢٥).

(٢) هو التَّظَام. (الجاحظ، الحيوان: ٧ / ١٦٥).

(٣) توحّد: تفرّد به. (اللسان: وحد).

العجب: إنكار ما يرد عليه لقلّة اعتياده. (اللسان: عجب).

(٤) ما بين المعقوفين من الدرّويّ: ص ٦٤.

(٥) هي دوائر العروض الخمس: دائرة المختلف وتشتمل على: البحر الطويل والبحر المديد والبحر
البيسط، ودائرة المؤتلف وتشتمل على: البحر الوافر والبحر الكامل، والمجتلب وتشتمل على:
البحر المزج والبحر الرمل والبحر الرجز، ودائرة الممتبه وتشتمل على: البحر السريع والبحر
المنشرح والبحر الخفيف والبحر المضارع والبحر المقتضب والبحر المجتث، ودائرة المتفق
وتشتمل على: البحر المتقارب والبحر المتدارك.

(٦) من قوله «وذكر الخليل...» إلى قوله «لا يجتنج إلى غيره» وردت في الحيوان: ٧ / ١٦٥.

(٧) الوهم: توهم الشيء أي تخيّلته وتمثّله. (اللسان: وهم).

(٨) انظر القول في الحيوان ٧ / ١٦٦: «وكان أبو اسحاق إذا ذكر الوهم لم يشك في جنونه، وفي

اختلاط عقله، وهكذا كان الخليل، وإن كان قد أحسن في شيء».

على الناس الجهل، ولا كَلَّمْتَهُمُ عُلَمَاءَ الرُّومِ وَالهِندِ، فَضْلاً عَنِ عُلَمَاءِ الدَّهْرِيَّةِ^(١) وَالزَّنَادِقَةِ^(٢)، وَالْحَوَارِجِ وَالرَّافِضَةِ^(٣).

وَكَذَلِكَ كَانَ إِبْرَاهِيمُ أَكْثَرَ أَهْلِ الْأَرْضِ تَنْقِلاً، وَأَسْرَعَهُمْ اعْتِقَادًا، وَأَقْلَهُمْ عَلَى مَا اجْتَنَى ثَبَاتًا^(٤)؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَجْلُو بِقَوْلِهِ، وَلَا يُجِيدُ انْتِحَالَه، وَيَعْجَلُ^(٥) عَلَى التَّصْدِيقِ، وَيُعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ، وَيَسَامُ طَوْلَ الرَّوِيَّةِ^(٦) فِيهِ^(٧)، وَيَغْلُظُ فِي حَقِّ الْإِنصَافِ، فَيُعْطِيهِ مَا لَيْسَ لَهُ.

وَكَانَ يَجْعَلُ^(٨) قُصُورَ خَصْمِهِ عَنْهُ، وَنُقْصَانَ مَنْ قَبِلَ عَنْهُ، عَنِ مَرَّتَيْهِ / سَبِيًا

(١) الدهرية: فرقة ذهبوا إلى قَدَمِ الدهر، واستناد الحوادث إلى الدهر، وذهبوا إلى ترك العبادات، ويسمون الملاحدة.

(انظر: التوبختي، فرق الشيعة: ص ٤١، والتهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ٢ / ١٠٩، ونشوان الحميري، الحور العين: ص ١٤٣، وإبراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص ١٥٢).

(٢) الزنديق: القائل ببقاء الدهر، ولا يؤمن بالآخرة ووحداية الخالق. (اللسان: زندق). وهو القائل بالنور والظلمة، ولا يؤمن بالزبوية، وهو الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان، وقيل هو من لا يتدين بدين، والزنادقة من الثنوية، والزنديق يخرج من دين الإسلام مع اعتقاد الكفر، سواء كان الخروج معلناً أو خفياً.

(انظر: عاطف شكري أبو عوض، الزندقة والزنادقة: ص ١٠٨ - ص ١٢٥، وإبراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص ١٥٢).

(٣) في التروبي ص ٦٤: الرافضة.

(٤) في التروبي ص ٦٥: شأنًا.

(٥) في التروبي ص ٦٥: يجيل.

(٦) الروية: الصبر الطويل. (اللسان: روي).

(٧) ساقطة من التروبي.

(٨) في الأصل (يعجل) والتصويب من حاشية الأصل.

لِلنُّصْرَةِ^(١) فِي مَذْهَبِهِ، وَحُجَّةَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ. وَكَانَ كَثِيرَ الْخَوَاطِرِ، قَلِيلَ الصَّبْرِ عَلَى التَّحْصِيلِ، مُعْجَبًا بِالتَّنْقُرْدِ^(٢)، شَدِيدَ الْجُرْأَةِ عَلَى اعْتِقَادِ مَا يُخْرِجُ مِنْ طَبَائِعِ الْأُمَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَالَ بِالْمُدَاخَلَةِ^(٣) وَالطَّفَرَةِ^(٤).

وَكَانَ أَضْيَقَ النَّاسِ صِدْرًا بِحَمْلِ سِرِّهِ، وَكَانَ سِرًّا مَا يَكُونُ إِذَا أَكَّدَ عَلَيْهِ صَاحِبُ السِّرِّ، وَكَانَ إِذَا لَمْ يُؤَكَّدْ عَلَيْهِ نَسِي^(٥) الْقِصَّةِ، فَيَسْلَمُ صَاحِبُ السِّرِّ.

كَانَ الْحِجَابُ بْنُ يُوْسُفَ^(٦) مِنْ أَهْلِ الْإِنْتِقَامِ وَالسَّطْوَةِ^(٧)، وَأَصْحَابِ التَّشْفِي وَالْقَسْوَةِ، وَالصُّورَةَ عِنْدَ الْقُدْرَةِ، وَقَالَ لَهُ [يَوْمًا]^(٨) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَا

(١) فِي الْأَصْلِ (بِصْرِهِ) وَالتَّصْرِبِ مِنْ حَاشِيَةِ الْأَصْلِ.

(٢) التَّنْقُرْدُ: الْمُتَطَعُ الْقَرِينِ وَلَا مِثْلَ لَهُ. (اللِّسَانُ: فَرْدٌ).

(٣) الْمُدَاخَلَةُ: مَقَالَةٌ كَلَامِيَّةٌ زَعَمُوا أَنَّ الْأَلْوَانَ وَالطَّعُومَ وَالزَّوَائِحَ وَالْأَصْوَاتَ وَالْخَوَاطِرَ، أَجْسَامًا، وَأَنَّ تِلْكَ الْأَجْسَامَ بَزَعَمِهِمْ تَتَدَاخَلُ فِي حَيْزٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ ذَهَبَ النَّظَامُ إِلَى ذَلِكَ.

(انظُرْ: إِبْرَاهِيمَ السَّامِرَائِيَّ، مِنْ مَعْجَمِ الْجَاحِظِ: ص ١٤٤).

(٤) الطَّفَرَةُ: الْوَثِيَّةُ، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ كَلَامِيَّةٌ تَنْسَبُ إِلَى النَّظَامِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: أَنَّ الْمَارَ عَلَى سَطْحِ الْجِسْمِ يَسِيرُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ بَيْنَهُمَا أَمَاكِنٌ لَا يَقْطَعُهَا هَذَا الْمَارُ، وَلَا مَرَّ عَلَيْهَا، وَلَا حَاذَاهَا، وَلَا حَلَّ فِيهَا.

(انظُرْ: اللَّسَانَ: طَفَرٌ، وَالْخَوَارِزْمِيَّ، مِفْتَاحِ الْعُلُومِ: ص ١٨، وَإِبْرَاهِيمَ السَّامِرَائِيَّ، مِنْ مَعْجَمِ الْجَاحِظِ: ص ٢٧١).

(٥) فِي الدَّرَوِيِّ ص ٦٥: رَبْمَا نَسِي.

(٦) الْحِجَابُ بْنُ يُوْسُفَ: أَبُو عَمَّادٍ الْحِجَابُ بْنُ يُوْسُفَ بْنِ الْحَكَمِ التَّقْفِيَّ، دَاهِيَةَ وَخَطِيبَ، أَمِيرَ الْعِرَاقِ، وَوُلِدَ سَنَةَ (٤٤٠هـ) وَتَوَفِّيَ سَنَةَ (٩٥هـ).

(انظُرْ: ابْنَ خَلِّكَانَ، وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ: ٢ / ٢٩، وَالصَّفْدِيَّ، الرَّوَّافِيَّ بِالْوَفِيَّاتِ: ١١ / ٢٣٧، وَالذَّهَبِيَّ، الْعَبْرِيَّ: ١ / ٨٤، وَابْنَ نَبَاتَةَ، سَرَحَ الْعَيْرُونَ: ص ١٧٠ - ١٨٦).

(٧) السَّطْوَةُ: شِدَّةُ الْبَطْشِ. (اللِّسَانُ: سَطَا).

(٨) سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ وَمَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ مِنْ حَاشِيَةِ الْأَصْلِ.

يَكُونُ عَاقِلًا حَتَّى يَعْرِفَ نَفْسَهُ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُقِيمُ عَلَيْكَ لَتْخِيرَتَهُ عَنِ نَفْسِكَ، فَقَالَ: «أَنَا حَدِيدٌ حَقُودٌ، ذُو قَسْوَةٍ، وَحَسُودٌ»^(١). فَانْتَحَلَ الشَّرَّ^(٢) بِحَذَافِرِهِ، وَالْمُرُوقَ^(٣) مِنْ جَمِيعِ الْحَقِيرِ بَزْوِيرِهِ^(٤).

ولقد تأتق في ذم نفسه، وتجرأ في الدلالة على لوم طبعه، وفي إقامة البرهان على إفراط كُفْرِهِ، والخروج من كتف ربه، وشدة المشاكلة لشیطانه الذي اغواه، وقرينه الذي أغراه.

هذا مع عتوه^(٥) وطغيانه، وشدة صوابه، وقسوة قلبه. والعجلة شعبة من الحدة، وصاحب العجلة إن أصاب قرصته لم يك محموداً، وإن أخطأها كان مذموماً.

الهيثم بن عدي^(٦): / إن رجالاً كانوا إذا التقى الصفان في الحرب، ذهب

(١) ورد القول في البيان والتبيين: ٣ / ١٦١، وفي الحيوان: ٣ / ٤٧٠، ٥ / ٥٩٢ «أنا حديد، حقود حسوذة»، وفي العقد الفريد ٢ / ٣٠٤: «أنا لجوج لدود حقود حسوذة».

(٢) انتحل الشر: اتخذه معتقداً. (اللسان: نحل).

(٣) المروق: الخروج من الشيء من غير مدخله، وأيضاً سرعة الخروج من الشيء. (اللسان: مرق).

(٤) بزويره: يقال: أخذت الشيء بزويره وبزأبره، إذا أخذته كله، ولم ندع منه شيئاً. (اللسان: زير).

(٥) عتوه: العتوه هو التكبر والتعجب. (اللسان: عتا).

(٦) الهيثم بن عدي: أبو عبد الرحمن، ابن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر الإخباري، العلامة الطائي الكوفي المؤرخ، كان رواية أخبارياً، نقل كلام العرب وعلومها وأشعارها، عالم بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب، وكان شعوبياً، له من الكتب كتاب المثالب، وكتاب بيوتات قريش، وكتاب أخبار طي، قال عنه البخاري: ليس بثقة، كان يكذب، مات سنة (٢٠٧ هـ) وله ثلاث وستون سنة.

(انظر: التديم، الفهرست، ص ١٠٠، والنهي، سير أعلام النبلاء، ٨ / ٤٢٥، والنهي، العبر:

تدبيرهم، غير أنهم كانوا لا يبرحون، منهم الحجاج بن يوسف. كان أبو كعب^(١) مولاة، يُدبر له الحرب عند خيرته فيها.

وكان أخيفش^(٢)، مُسَلِّقَ الأجنان^(٣)، ألا ترى أن عبد الملك كتب إليه في شأن أنس بن مالك^(٤): «فلعنك الله أخيفش العينين، أصك^(٥) الرجلين، أسوأ الجاعرتين^(٦)»^(٧).

(١) أبو كعب: مولى الحجاج. (انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٦ / ٢٧٥).

(٢) في الدروري ص ٦٧: أخفش.

أخيفش: الخفش ضعف في البصر وضيق في العين، وقيل صغر في العين خلقة، وفساد في جفن العين مع احمرار تضيق له العيون. (اللسان: خفش).

(٣) مسلق الأجنان: حمرة تعتري الجفون فتشتر. (اللسان: سلق).

جاء في البيان والتبيين: ١ / ٢٥٧ «كان الحجاج أخيفش، مسلق الأجنان».

(٤) أنس بن مالك: ابن النصر بن ضمضم بن زيد بن حزام بن جندب بن عامر بن عدي بن النجار، الإمام المفتي، المقرئ، المحدث، خادم رسول الله، ولد قبل عام الهجرة بعشر سنين، روى عن الرسول علماً جماً، وعن أبي بكر وعثمان، وحديث عنه ابن سيرين وعمر بن عبد العزيز، ومسنده (٢٢٨٠) حديثاً. توفي سنة (٩٣ هـ).

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ١ / ٢٩٤، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة: ١ / ٢٧٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤ / ٤٨٢، والذهبي، العبر ١ / ٨٠، وابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ٣ / ١٤٢).

(٥) أصك: الصكك اضطراب الركتين والعرقوبين من الانسان وغيره. (اللسان: صكك).

(٦) في الدروري ص ٦٧: الحاليين.

الجاعرتان: حرفا الوركين المشرفان على الفخذين. (اللسان: جعر).

(٧) هذا القول قاله عبد الملك بن مروان للحجاج. (انظر: الأريلي، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك: ص ١١، والعقد الفريد: ٥ / ٣٧).

وكان في صغره يُسَمَّى كَلِيًّا، فَلَمَّا عَظُمَ شَأْنُهُ بِالْعِرَاقِ، وَطَغَى وَعَتَا، سَقَطَ عَنْهُ هَذَا الْاسْمُ. وَلَمَّا اتَّصَلَ بِالْحَسَنِ^(١) خَبَرَ مَوْتَهُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ قَتَلْتَهُ، فَاقْطَعْ عَنَّا سُتَّهُ، فَإِنَّهُ أَتَانَا أُخَيْفَشَ أَعِيمِشَ^(٢)، مَقِيَّتًا^(٣)، لَهُ جُمَيْمَةٌ^(٤) يُرَجِّلُهَا^(٥) صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَأَخْرَجَ إِلَيْنَا كَفًّا قَصِيرَةً الْبَنَانِ^(٦) مَا عَرِقَ فِيهَا عِنَانٌ^(٧) فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ: يَا بَعُونَا، فَبَايَعَنَا، يَصْعَدُ إِلَى هَذِهِ الْأَعْوَادِ^(٨)، فَيَنْظُرُ إِلَيْنَا بِالتَّصْغِيرِ، وَنَنْظُرُ إِلَيْهِ بِالتَّعْظِيمِ، يَا مُرْنَا بِالْمَعْرُوفِ وَيَحْتَبِيهِ، وَيَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَرْتَكِبُهُ»^(٩).

وكان الحسنُ بنُ أبي الحسن^(١٠)، مِمَّنْ تَزَوَّجَ نِسَاءَ عَشِيرَتِهِ وَرَهْطِهِ^(١١)، وَهُوَ

(١) هو الحسن البصري.

(٢) أعيمش: ضعف رؤية العين مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها. (اللسان: عمش).

(٣) مقيتا: المقت أشد البغض. (اللسان: مقت).

(٤) جميمة: مجتمع شعر الرأس، وهو ما سقط على المنكين. (اللسان: جم).

(٥) يرجلها: يسويها ويزيتها. (اللسان: رجل).

(٦) البنان: الأصابع. (اللسان: بن).

(٧) عنان: لجام الفرس. (اللسان: عن).

(٨) الأعواد: المتابر. (اللسان: عود).

(٩) ورد القول في الأخبار الموقيات: ص ٩٨.

(١٠) الحسن بن أبي الحسن: أبو سعيد بن يسار البصري، ولد لستين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، كان من سادات التابعين وكبرائهم، عُرِفَ بعلمه وورعه وزهده وعبادته، كان أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، توفي في رجب سنة (١١٠هـ) وكانت جنازته مشهودة.

(انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/ ٦٩، والذهبي، ميزان الاعتدال، ١/ ٥٢٧، وابن

سعد، الطبقات الكبرى: ٩/ ١٥٧).

(١١) رهطه: الزهط هم القوم والقبيلة، وهو عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة. (اللسان: رهط).

مولاهم، على أن الحسن قد جاوزَ قدرَ كُلِّ ذي قدر. كان يُصَلِّي على كُلِّ جنازةٍ شهدها، فإذا عَلِمَ الوالي أَنَّهُ في جنازةٍ نجاهاها، حتَّى إذا صَلَّى عَلَيْهَا أَقْبَلَ فَعَزَّى أَهْلِهَا؛ إِكْبَارًا لِلْحَسَنِ.

وقد صَلَّى على أُمِّ عبدِ الأعلَى/ بنِ عبدِ الله بنِ عامر^(١)، وهو يومئذٍ سيِّدُ أهلِ البصرة، فَسَمِعَ صُراخًا، فَالتَفَتَ كَالْمُنْكَرِ لِذَلِكَ، فَعادَ إليه عبدُ الأعلَى، فقال: «جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، والله ما عَلِمْتُهُ^(٢) ولا اشْتَهَيْتُهُ، حتَّى سَمِعْتُهُ»^(٣).

وأتاه الفَرَزْدَقُ^(٤) يَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ على السَّوَارِ^(٥) امرأته، فأبى واعتَلَّ عليه،

(١) كان عبد الأعلَى بن عبد الله بن عامر من أبين الناس وأفصحهم، وقال عنه عبد الملك: إني لأنخي العامة عن أذني لأسمع كلام عبد الأعلَى. وقال هشام بن عبد الملك: إني لأستصق العامة الرقيقة تكون على أذني إذا كان عندي عبد الأعلَى بن عبد الله، مخافة أن يسقط عني من حديثه شيء. (انظر: الجاحظ، البيان والبيان، ١/ ٢٣١، والطبري، تاريخ الأمم والملوك ٦/ ٥٦٩ - ٥٧١).

(٢) في الأصل (علمت)، وهو تصحيف.

(٣) روي أن الحسن البصري لما سمع صراخاً في جنازة أم عبد الأعلَى بن عبد الله بن عامر التفت وقال له عبد الأعلَى: جعلت فداك، والله ما أمرت ولا شعرت. (انظر: الجاحظ، البيان والبيان، ١/ ٢٣١، ٢/ ٢٠٩).

(٤) الفَرَزْدَقُ: أبو فراس، همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي البصري، شاعر عصره، وكان أشعر أهل زمانه، ومات سنة (١١٠ هـ).

(انظر: النهي، سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٧٤، وابن خلكان، وفيات الأعيان ٢/ ٦٩، والأصفهاني، الأغاني: ٢١/ ١٨٠، وياقوت الحموي، معجم الأديباء: ١٩/ ٢٩٧).

(٥) السَّوَارُ: ابنة أعين بن ضبيعة بن عقال المجاشعي، زوجة الفَرَزْدَقِ وابنة عمه، تزوجها الفَرَزْدَقُ بغير إذنها، وتزوج عليها عدّة نساء، توفيت في حياته وأوصت بأن يصلي عليها الحسن البصري، فصلى.

(انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات ٢٧/ ١٠٦، وابن خلكان، وفيات الأعيان ٦/ ٩٩، والأصفهاني، الأغاني: ٢١/ ١٨٧).

فقال: «يا أبا سعيد، إذا نُجِّلْتَنِي وَإِيَّاهَا عَارَ الْأَبَدِ»، فأجابته إلى ذلك.

وكانَ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي مُسْتَشْنَى الْغَايَةِ، كَانَ يُقَالُ: «هُوَ أَزْهَدُ النَّاسِ إِلَّا الْحَسَنَ، وَأَيُّنَ النَّاسِ إِلَّا الْحَسَنَ، وَأَفْقَهُ النَّاسِ إِلَّا الْحَسَنَ».

وَقَالَ أَبُو شَعِيبٍ^(١): «الْحَسَنُ خَيْرٌ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنَ الْجَزْرِ^(٢) وَالْمَدِّ^(٣)، وَالْمَدُّ هُوَ حَيَاتُهُمْ، يَأْتِيهِمْ فَيَقْفُ عَلَى آبَائِهِمْ، فَإِنْ شَاؤُوا حَجَّبُوهُ، وَإِنْ شَاؤُوا أَذِنُوا لَهُ» [والله أعلم]^(٤).

كَانَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي^(٥) صُفْرَةَ^(٦) رَجُلًا لَا يَبْقَى بِهِ أَحَدٌ فِي الْأَرْضِ، فِي الْحَرَمِ

(١) أبو شعيب: الظاهر أبو شعيب الحراني، عبد الله بن الحسن، ولد سنة (٢٠٦هـ) قبل عنه ثقة، مأمون، وقيل كان يخطئ، توفي سنة (٢٩٦هـ) وهو ابن تسعين سنة.
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٣ / ٥٣٦، وابن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ٣ / ٣٢٤).

(٢) الجزر: وجوع الماء إلى الخلف. (اللسان: جزر).

(٣) المد: كثرة الماء. (اللسان: مد).

(٤) ما بين المعقوفين من الدروري ص ٧٠.

(٥) في الأصل (الي)، وهو تصحيف.

(٦) المهلب بن أبي صفرة: أبو سعيد بن ظالم بن سراق بن صبح بن عمرو الأزدي البصري، الأمير البطل، قائد الكتائب، ولد عام الفتح، غزا الهند، وحارب الخوارج، ثم ولي خراسان، قال المهلب: ينبغي أن يكون العفو من الملك عن القتل إلا في الحدود وأن لا يعفو عن وال ظالم، ولا عن قاضي مرتشي بل يعجل بالعزل ويعاقب المتهم بالسجن، فحلم الملوك محمود إذا ما اتقوا الله وعملوا بطاعته. توفي غازياً بمرور في ذي الحجة سنة (٨٢هـ) وولي خراسان بعده ابنه يزيد بن المهلب.
(انظر: ابن حجر، الإصابة: ٦ / ٢١٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥ / ٣٣٠، والذهبي، العبر: ١ / ٧٠، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٥ / ٣٥٠، وابن فرحون، النتياج المذهب في معرفة أعيان المذهب: ٢ / ٢٢٦).

والعزم، والصدق والأمانة، والوفاء والسنة، وحاجة الناس إليه، واستغناؤه عنهم، مع الولايات الكثيرة، والعفاف والتوقير، والعلم بالصلحة.

وكان أجمع الناس لخصال الرجال؛ لم يخص^(١) في فتنة قط، ولا عرف بجاهلية، ولا قذف بهجة^(٢)، وكان ممن يحمل عنه الأثر^(٣)، ويصدق على الخبر، مع مكانه من السلطان، وقتله للأقران.

وكان يُقال: «بصرة المهلب»^(٤)؛ لثغيبه الخوارج عنها حين كع^(٥) عنهم! وجمع الوجوه، وقلدوه الأمر، وعظّموا عليه الحق، وكل شيء^(٦).

(٧) أي^(٨) هذا أحسن وأبهي^(٩)، [وأثما]^(١٠) أجمل وأشكل^(١١)، اللمة^(١٢)، أم

(١) في الدرر ص ٧٠: (يخص) وهو تصحيف.

(٢) الهجته: العيبة. (اللسان: هجن).

(٣) الأثر: الخبر. (اللسان: أثر).

(٤) المهلب بن أبي صفرة هو سيد العراق، حمى البصرة من الشراة بعد جلاء أهلها عنها، إلا من كانت به قوة، فسميت لذلك بصرة المهلب.

(انظر: ابن العماد، شذرات الذهب: ١ / ١٦٨، والياضي، مرآة الجنان: ١ / ٣٢٨، والدينوري، الأخبار الطوال: ص ٤٠٢ - ٤٠٤).

(٥) كع: جبن. (اللسان: كعم).

(٦) ساقطة من الدرر. وما تبقى من الفصل غير موجود في الدرر.

(٧) ابتداء ما جاء في السندوي ص ٢١٨، ويلا ص ٦٢، والمبرد ص ٧٥.

(٨) في المبرد ص ٧٥: وما ندري أي الامور المتصلة برأسك أحسن.

(٩) أبهى: أحسن وأجمل. (اللسان: بها).

(١٠) ساقطة من الأصل، وما بين المعوفين من حاشية الأصل.

(١١) أشكل: الشكل هو المثل والشبه. (اللسان: شكل).

(١٢) اللمة: شعر الرأس الذي يجاوز شحمة الأذن، وسميت بذلك لأنها آلت بالمتكئين. (اللسان: لم).

حَطُّ^(١) اللَّحِيَّةِ، أم الإكليل^(٢) أم العِصَابَةِ^(٣)، أم التَّاجِ^(٤) أم العِمَامَةِ^(٥)، أم القِنَاعِ^(٦) أم القَلَنْسُوءَةِ^(٧).

^(٨) وأما قَدَمُكَ فَمِ فِيهَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ الْجَاهِلُ كَمَا يَعْلَمُ الْعَالِمُ، وَيَعْلَمُ الْبَعِيدُ وَالْأَقْصَى كَمَا يَعْلَمُ الْقَرِيبُ وَالْأَدْنَى، أَتَمَّا لَمْ تُحَلِّقْ إِلَّا لِغَيْرِ رَفِيعٍ^(٩)، أَوْ رِكَابِ طِرْفِ كَرِيمٍ^(١٠).

وأما فَوْكَ فَهُوَ الَّذِي لَا نَدْرِي^(١١)، أَيُّ الَّذِي تَقْوَةٌ^(١٢) بِهِ أَحْسَنُ، وَأَيُّ الَّذِي

(١) في السندويّ ص ٢١٨: حط.

والمبرّد ص ٧٥: حط.

(٢) الإكليل: عصابة مزينة بالجواهر والجمع أكاليل. (اللسان: كلل).

(٣) العصابة: كل ما يُعَصَّبُ به الرَّأسُ، وتكون في الحرب. (اللسان: عصب).

(٤) ساقطة من المبرّد.

التاج: الإكليل، وقيل العمامة. (اللسان: توج).

(٥) العمامة: من لباس الرَّأسِ. (اللسان: عمم).

(٦) القناع: ما تتقنَعُ به المرأة من ثوب يغطي رأسها ومحاسنها. (اللسان: قنع).

(٧) القلنسوة: من ملابس الرَّأسِ، وهي غطاء الرَّأسِ وستره، وهي التي تدار عليها العمامة.

(اللسان: قلس).

(٨) من هنا تابع للحديث عن فصل (وما ندري غي أي الخاليتين أنت أجمل) وهي جزء من رسالة

التربيع والتدوير.

(٩) السندويّ ص ٢١٨، ويلا ص ٦٢: نغر عظيم.

وهارون ٣/ ٩٠: لمبر عظيم.

(١٠) طرف كريم: الفرس الكريم الأطراف؛ يعني الآباء والأمهات. (اللسان: طرف).

(١١) في السندويّ ص ٢١٨: ندري.

(١٢) في السندويّ ص ٢١٨، وهارون ٣/ ٩٠، ويلا ص ٦٢، والمبرّد ص ٧٦: تفوه.

منه^(١) أجل: الحديث أم الشعر، أم الاحتجاج^(٢)، أم الأمر أم النهي^(٣)، أم التعليم أم الوصف^(٤). وعلى أننا^(٥) ما ندرى، أي شائيك^(٦) أبلغ، وأي يئائك أشفى: أقلمك أم خطك أم لفظك^(٧) أم إشارتك^(٨)، أم عقدك^(٩)؟ وهل البيان إلا لفظ وخط، وعقد وإشارة^(١٠)؟ وكنت فوق الناس^(١١)، والحمد لله رب العالمين^(١٢)، وواحدهم أعيدك^(١٣) بالله، وأنت تجوز الغاية، وتفوق النهاية^(١٤).

(١) في السندويي ص ٢١٨: يبدأ به.

والمبرد ص ٧٦: تبدأ به.

(٢) الاحتجاج: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. (اللسان: حجج).

(٣) في السندويي ص ٢١٨، ويلا ص ٦٢، والمبرد ص ٧٦: والنهي.

(٤) في السندويي ص ٢١٨، والمبرد ص ٧٦: والوصف.

(٥) في السندويي ص ٢١٨، ويلا ص ٦٢، والمبرد ص ٧٦: أننا.

(٦) في السندويي ص ٢١٨، وهارون ٣ / ٩٠، ويلا ص ٦٢، والمبرد ص ٧٦: ألتستك.

(٧) في المبرد ص ٧٦: أقلمك أبلغ أم لفظك.

(٨) الإشارة: الإشارة تكون باليد والرأس وبالعين والحاجب والمنكب والثوب والسيف، فقد

يتهدد رافع السيف والوسط فيكون ذلك زاجراً ومانعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ١ / ٦١).

(٩) العقد: هو الحساب بأصابع اليدين، وهو دون اللفظ والخط.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ١ / ٦٣).

(١٠) السندويي ص ٢١٩: أو إشارة أو عقد.

وعبارة «وהל البيان إلا لفظ وخط وعقد وإشارة» ساقطة من المبرد.

(١١) في السندويي ص ٢١٩، وهارون ٣ / ٩٠، ويلا ص ٦٢، والمبرد ص ٧٦: وأنت في ذلك فوقهم.

(١٢) عبارة «رب العالمين» ساقطة من السندويي وهارون والمبرد.

(١٣) في بيلا ص ٦٣، والمبرد ص ٧٦: وأعينك.

(١٤) عبارة «وأنت تجوز الغاية وتفوق النهاية» ساقطة من المبرد.

وقد عَلِمْنَا أَنَّ الْقَمَرَ الَّذِي ^(١) تُضْرَبُ بِهِ الْأَمْثَالُ، وَيُشَبَّهُ بِهِ أَهْلُ الْجَمَالِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَبْدُو ضَعِيفًا نِضْوًا ^(٢)، مُعَوَّجًا ^(٣) شَخْتًا ^(٤)، وَأَنْتَ أَبَدًا قَمَرٌ بَدْرٌ، وَيَحْرُ ^(٥) غَمْرٌ ^(٦)، ثُمَّ هُوَ ^(٧) مَعَ ذَلِكَ يَجْعَلُ فِي السَّرَارِ ^(٨)، وَيُشَاءُ بِهٖ فِي الْمَحَاقِ ^(٩)، وَيَكُونُ نَحْسًا كَمَا يَكُونُ سَعْدًا، وَيَكُونُ ضَرًّا كَمَا يَكُونُ نَفْعًا ^(١٠)، وَيَقْرِصُ الْكَتَانَ، وَيُشَجِّبُ الْأَلْوَانَ ^(١١)، وَيُحْمُّ اللَّحْمَ ^(١٢).

(١) فِي السَّنَدُوبِيِّ ص ٢١٩، وَهَارُونَ ٣ / ٩٠، وَالْمَبْرَدُ ص ٧٦: هُوَ الَّذِي.

(٢) سَاقِطَةٌ مِنَ الْمَبْرَدِ.

نِضْوًا: هَزِيلًا. (اللِّسَانُ: نِضَا).

(٣) فِي السَّنَدُوبِيِّ ص ٢١٩، وَالْمَبْرَدُ ص ٧٦: يَظْهَرُ مُعَوَّجًا.

(٤) فِي الْمَبْرَدِ ص ٧٦: شَجَبًا.

شَخْتًا: نَحِيفًا دَقِيقًا. (اللِّسَانُ: شَخْتُ).

(٥) فِي السَّنَدُوبِيِّ ص ٢١٩، وَهَارُونَ ٣ / ٩٠: وَفَخْمٌ.

(٦) فِي الْمَبْرَدِ ص ٧٦: فَخْمٌ ذَمْرٌ، وَلَا وَجْهَ لَهَا.

(٧) سَاقِطَةٌ مِنَ السَّنَدُوبِيِّ وَهَارُونَ وَالْمَبْرَدِ.

(٨) السَّرَارُ: اللَّيْلَةُ الَّتِي يَسْتَرُ بِهَا الْقَمَرُ، وَاسْتَرَّ الْقَمَرُ إِذَا خَفِيَ لَيْلَةً أَوْ لَيْتَيْنِ إِذَا كَانَ الشَّهْرُ تِسْعًا

وَعِشْرِينَ سَرَارَهُ لَيْلَةً ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ، وَإِذَا كَانَ الشَّهْرُ ثَلَاثِينَ فَسَرَارَهُ لَيْلَةً تِسْعًا وَعِشْرِينَ.

(اللِّسَانُ: سَرَرُ، وَالزَّيْدِيُّ، مُحَمَّدٌ مَرْتَضَى الْحُسَيْنِيِّ، تَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، (تَحْقِيقُ

عَبْدِ الْعَزِيزِ مَطْرَ)، مَطْبَعَةُ حُكُومَةِ الْكُوَيْتِ، الْكُوَيْتِ، ١٩٧٠ م: ١٦ / ١٢).

(٩) الْمَحَاقُ: آخِرُ الشَّهْرِ إِذَا تَحَقَّقَ الْهَلَالُ وَلَمْ يُرَ، وَقِيلَ أَنْ يَسْتَرَّ الْقَمَرُ لَيْتَيْنِ فَلَا يَرَى غُدُوَّةً وَلَا

عَشِيَّةً، وَالمَحَاقُ الْقَمَرَ احْتِرَاقَهُ. (اللِّسَانُ: مَحَقٌ).

(١٠) فِي السَّنَدُوبِيِّ ص ٢١٩: وَيَكُونُ نَفْعًا كَمَا يَكُونُ ضَرًّا.

(١١) يَشَجِبُ الْأَلْوَانَ: يَغْيِرُهَا. (اللِّسَانُ: شَجَبٌ).

(١٢) فِي السَّنَدُوبِيِّ ص ٢١٩، وَهَارُونَ ٣ / ٩١، وَيِلَا ص ٦٣: يَجْمُ فِيهِ.

وَالْمَبْرَدُ ص ٧٦: يَجْمُرُ فِيهِ اللَّحْمَ.

يَجْمُ اللَّحْمَ: يَفْسُدُهُ وَيَتَنَّهُ. (اللِّسَانُ: حَمٌّ).

وأنت دائمُ اليُمن، ظاهرُ السَّعادة، ثابتُ الكَمال، شائعُ النَّفع، تكسو من أعراه^(١)، [وتُكِنُّ من أَحَبَه^(٢)] [٣]، وتُلبِنُ ما أَحْسَنَه^(٤). وعلى أَنَّهُ قد مَحَقَّ حُسَنَه المحاق، وشائهُ الكَلْف^(٥)، وليس بِذي تَوَقُّدٍ ولا اشتِعال، ولا خالصِ البياض^(٦) ولا مُتَلالِي، وَيَعْلوه الغَيْمُ^(٧) وَيَكسِفُهُ^(٨) ظِلُّ الأَرْضِ^(٩)، ثُمَّ لا يَعْتَرِيه^(١٠) ذَلِكَ إِلا عِنْدَ تَمَامِهِ^(١١)، وَلَيْلَةَ بَدْرِه^(١٢) واحْتِفَالِه، وكَثِيرًا ما يَعْتَرِيه الصُّفَارُ^(١٣) مِنْ بُخَارِ البِحَار.

(١) الهاء في (أعراه) تعود على القمر.

(٢) في المبرّد ص ٧٧: شحبه.

(٣) ما بين المعقوفين من السندوبيّ ص ٢١٩، وهارون ٣ / ٩١، ويلا ص ٦٣، والمبرّد: ص ٧٧.

(٤) ساقطة من السندوبيّ ومن يلا وهارون والمبرّد.

(٥) الكلف: لون بين السواد والحمرة. (اللّسان: كلف).

(٦) ساقطة من المبرّد.

(٧) في السندوبيّ ص ٢١٩ والمبرّد ص ٧٧: برد.

(٨) في السندوبيّ ص ٢١٩، وهارون ٣ / ٩١، ويلا ص ٦٣: يكسوه، وهو تحريف.

يكسفه: يُذهب ضوءه ويغيّره إلى السواد. (اللّسان: كسف).

(٩) في المبرّد ص ٧٧: ويكسفه ظل.

(١٠) في هارون ٣ / ٩١، والمبرّد ص ٧٧: يعتبر.

(١١) في السندوبيّ ص ٢١٩، وهارون ٣ / ٩١، ويلا ص ٦٣، والمبرّد ص ٧٧: كماله.

(١٢) في السندوبيّ ص ٢١٩، وهارون ٣ / ٩١، ويلا ص ٦٣، والمبرّد ص ٧٧: فخره.

(١٣) في المبرّد ص ٧٧: الصفار.

الصفار: صفرة تعلقو اللون والبشرة، وهو اليرقان والأرقان، وهو أن تصفّر عينا الإنسان ولونه لامتلاء مرارته واختلاط المرّة الصفراء بدمه. (انظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم: ص ٩٨، اللّسان: صفر).

وأنت ظاهرُ التَّمام، دائمُ الكَمال، سَلِيمُ الجَوْهر^(١)، كَرِيمُ العُنْصُر^(٢)، نارِيُ التَّوقُد^(٣)، هَوائِيُ الذَّهْنِ^(٤)، دُرِّي^(٥) اللَّوْنِ^(٦)، رَوْحائِيُ^(٧) البَدَنِ.

فإن^(٨) احْتَجَّجُوا عَلَيْكَ بِالْمَدِّ وَالْجَزْرِ^(٩)، احْتَجَّجَتْ عَلَيْهِم بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ^(١٠)، وبأنَّ طَاعَتَكَ اخْتِيَارٌ [واعتبار]^(١١)، وطَاعَتُهُ طِبَاعٌ^(١٢) واضْطِرَّارٌ، وبأنَّ له سِيرَةً قَدْ قَصَرَ عَلَيْهَا، وَمَنَازِلٌ لَا يَتَجَاوَزُهَا^(١٣)، وَلَا يُمَكِّنُهُ^(١٤) البَدَوَاتُ^(١٥).

وليس في قواه فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ^(١٦)، وَعَلَى أَنْ ضِيَاءَهُ مُسْتَعَارٌ مِنَ الشَّمْسِ،

(١) الجوهْر: وهو ما أُخْلِقت عليه جِبَلَتُهُ. (اللِّسَان: جهر).

(٢) كريم العنصر: كريم الأصل والحسب. (اللِّسَان: عنصر).

(٣) نارِي التَّوقُد: التَّلَاقُزُ وَالْإِضَاءَةُ. (اللِّسَان: وقد).

(٤) في المبرِّد ص ٧٧: هوائي الدهر.

هوائي الذهن: الفهم والعقل وسرعة البديهة، وأيضاً الفطنة والحفظ. (اللِّسَان: ذهن).

(٥) في هارون ٣ / ٩١، والمبرِّد ص ٧٧: بري.

(٦) دُرِّي اللَّوْنِ: أي متلألئ ومشرق، وهو منسوب إلى الدر لصفاته ونقاته. (اللِّسَان: درر).

(٧) الرِّوْحَائِي: كالملائكة ممن خلق الله روحاً بغير جسد، أرواح ليس لها أجسام. (اللِّسَان: روح).

(٨) في المبرِّد ص ٧٧: وإن.

(٩) في السندوبيّ ص ٢١٩، وهارون ٣ / ٩١، والمبرِّد ص ٧٧: بالجزر والمد.

(١٠) في هارون ٣ / ٩١، والمبرِّد ص ٧٧: بالحلم والعلم.

(١١) ما بين المعقوفين من السندوبيّ ص ٢١٩، وبيلا ص ٦٤، ساقطة من هارون والمبرِّد.

(١٢) في المبرِّد ص ٧٧: طبع.

(١٣) في السندوبيّ ص ٢١٩، وهارون ٣ / ٩١، والمبرِّد ص ٧٧: يجاوزها.

(١٤) في بيلا ص ٦٤: تمكته.

(١٥) في المبرِّد ص ٧٧: البدار.

والبدوات: الآراء التي تبدو أي تظهر. (انظر: لويس شيخو، المجاني الحديثة: ٤ / ٩١).

(١٦) المبرِّد ص ٧٧: للتعرف.

وضياؤك عاريةً عند جميع الخلق: فكَم^(١) بين المعيرِ / والمستعير، والمثيّرِ والمُتَحَيَّرِ، وبين العالمِ وبينَ مَنْ^(٢) لا حِسَّ^(٣) فيه.

ولا^(٤) زالت بك الأرضُ مُشْرِقةً، والدُّنيا بك^(٥) مَعْمُورَةٌ، ومَجَالِسُ الحَيْرِ مأهولةٌ^(٦)، ونَسِيمٌ^(٧) أهواء طَيِّبًا، وتُرَابُ الأَرْضِ عَيْقًا.

وإن تَفَتَّيْتُ^(٨) فالرَّشَاقَةُ والقَد، وإن تَنَسَّكَتَ^(٩) فالرَّهْبَانِيَّةُ^(١٠) والإخلاص، وإن مَزَحْتَ^(١١) فَتَهْلَانُ^(١٢) ذو الهَضَبَاتِ^(١٣) ما يَتَحَلَّلُ^(١٤)، وإن

(١) في المبرّد ص ٧٧: وكَم.

(٢) في هارون ٣ / ٩٢، ويلا ص ٦٤: وما.

(٣) في المبرّد ص ٧٧: خير.

(٤) في يلا ص ٦٤: فلا.

(٥) ساقطة من يلا.

(٦) من قوله «ولا زالت بك الأرض...» إلى قوله «.. مأهولة» ساقطة من هارون والمبرّد.

(٧) في هارون ٣ / ٩٢، والمبرّد ص ٧٧: وتَعِير.

(٨) في الأصل (يعلت)، وهو تصحيف. في المبرّد ص ٧٨: هبت.

تفتيت: تشبهت بالفتيان، كنت فتى، وظهرت فتى، وصيرت نفسك فتى. (انظر: إبراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص ٣٢٠، واللّسان: فتا).

(٩) في السندويّ ص ٢١٩، والمبرّد ص ٧٨: تمسكت. تنسكت: تعبدت. (اللّسان: نسك).

(١٠) الرهبانية: مصدر الزاهب وهو المتعبّد بصومعته، وفيها يتخلّون عن أشغال الدنيا وترك ملذّاتها والزهد فيها والعزلة عن أهلها وتمهّد مشافها. (اللّسان: رهب).

(١١) في السندويّ ص ٢١٩، والمبرّد ص ٧٨: ترزنت.

(١٢) تهلان: جبل في اليمن، يضرب به المثل في ثقله لشدة ضخامته.

(انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١ / ٨٨، وابن دريد، جهرة اللّغة: ١ / ١٣٨، الفارابي، كتاب ديوان الأدب: ٢ / ١٤، واللّسان: نهل).

(١٣) الهضبات: جمع هضبة وهي الجبل الطويل الممتع المنفرد. (اللّسان: هضب).

(١٤) في المبرّد ص ٧٨: ما يتحلّل.

تَنَمَّرَتْ (١) فَأَسَدٌ رَابِضٌ عَلَى بَرَائِثِهِ (٢).

(٣) فَجَوْهَرُكَ فَلَكِي (٤)، وَتَرْكِيكَ أَرْضِي، ففِيكَ (٥) طَوَّلَ الْبَقَاءَ، وَمَعَكَ دَلِيلُ الْفَنَاءِ، وَأَنْتَ عِلَّةٌ لِلْمُتَّضَادِّ، وَسَبَبٌ لِلْمُتَنَافِي، وَمَا ظَنَّنَكَ بِخَلْقِي لَا تَنْصُرُهُ إِلَّا حَالَةً (٦)، وَلَا يُفْسِدُهُ إِلَّا التَّنَاقُضُ.

وَطِبَاعُكَ [جُعِلْتُ فِدَاكَ] (٧) طِبَاعُ الْحَمْرِ إِلَّا أَنَّهَا حَرَامٌ وَأَنْتَ حَلَالٌ (٨)، وَجَوْهَرُكَ

= ما يتحلحل: ما يتحرك من مكانه. (اللسان: حلل)، وقال الفرزدق:

فَارْفَعْ بِكَفِّكَ أَنْ أُرِدْتَ بِنَاؤَنَا ثَهْلَانُ ذَا الْهَضْبَاتِ مَا يَتَحَلْحَلُ

(انظر: ابن دريد، جهرة اللغة: ١ / ١٣٨ مادة حلل، وابراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص ١٠٧).

(١) تنمّرت: تغير وجهه وعبس. (اللسان: نمر).

(٢) في الأصل (برائته)، وهو تصحيف. وجملة «أسد رابض على برائته» ساقطة من السندوبيّ وبيلا والمبرّد.

(٣) من قوله «فجوهرك فلكي...» إلى قوله «... لا يفسده التناقض» ساقطة من بيلا وهارون.

(٤) فلكي: أي سماوي. (اللسان: فلك).

(٥) في الأصل (فقل)، وهو تصحيف.

وفي هارون ٣ / ٧٠، والمبرّد ص ٧٨: فمئك.

(٦) الإحالة: الكلام الذي عدل به عن وجهه، يقال: أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته.

(اللسان: حول).

(٧) ما بين المعقوفين من المبرّد ص ٧٨.

(٨) في السندوبيّ ص ٢١٩، وهارون ٣ / ٩٢، والمبرّد ص ٧٨: وطباعك طباع الحمر إلا أنك حلال

كلك.

جَوْهَرُ الذَّهَبِ إِلَّا أَنَّكَ رَوْحٌ كَمَا أَنْتَ. وَقَدْ حَوَيْتَ جَمَالَ^(١) الْيَاقُوتِ؛ إِلَّا مَا زَادَكَ اللهُ عَلَيْهِ^(٢)، وَأَخَذْتَ حُسْنَ^(٣) الْمُشْتَرِي؛ إِلَّا مَا فَضَّلَكَ اللهُ بِهِ، وَجَمَعْتَ خِلَالَ الدَّرِّ إِلَّا مَا حُصِّصْتَ بِهِ دُونَهُ، فَلَمَّا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ صَفْوَهُ^(٤)، وَلُبَّابُهُ^(٥)، وَسَرْفُهُ^(٦)، وَبِهَاؤُهُ.

وَهَلْ يَضُرُّ الْقَمَرَ^(٧) نُبَاخُ الْكِلَابِ^(٨)؟ وَهَلْ يُزْعِجُ النَّخْلَةَ سُقُوطُ الْبَعُوضَةِ عَلَيْهَا^(٩)؟ وَإِنَّ مِنْ / قَائِسَ بَيْنَ الْجَدُولِ وَالْبَحْرِ، وَبَيْنَ الْحِصَاةِ وَالطُّودِ^(١٠)، وَبَيْنَ الْجِيَادِ وَالْحَمِيرِ، لَعَيْرٌ عَاقِلٌ وَلَا مُقَاسٍ.

(١) في السندوبي، وهارون ٣ / ٩٢، والمبرد ص ٧٨: خصال.

(٢) ساقطة من المبرد.

(٣) في السندوبي ص ٢٢٠، وهارون ٣ / ٩٢، والمبرد ص ٧٨: خصال.

(٤) في السندوبي ص ٢٢٠، ويلا ص ٦٥، والمبرد ص ٧٨: صفوته.

(٥) لبابه: خالصة. (اللسان: لب).

(٦) في المبرد ص ٧٨: وشرفه ولبابه.

(٧) في المبرد ص ٧٨: وهل يغير القمهد.

(٨) في السندوبي ص ٢٢٠، وهارون ٣ / ٩٣، والمبرد ص ٧٨: الكلب.

يقال في المثل «لا يضرُّ السحاب نباح الكلاب».

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ١ / ٣١، والميداني، مجمع الأمثال: ٢ / ٢١٥، والأبشيهي، أبو الفتح

بهاء الدين محمد بن أحمد بن منصور (٥٨٥٤ / ١٤٧٦ م)، المستطرف في كل فن مستظرف، ط ١،

(تحقيق إبراهيم صالح)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩ م: ١ / ١٠٥).

(٩) ساقطة من المبرد.

(١٠) انتهاء ما ورد في السندوبي ويلا وهارون والمبرد.

(١١) الطود: الجبل العظيم. (اللسان: طود).

[٥] فصل (١)

قد اعتدّرنا^(٢) في معصيتك، والخلاف على محبتك؛ مرّة بالزواج^(٣)، ومرّة بالنسيان، ومرّة بالالتكالم على عقوقك، وعلى ما هو أولى بك، على آني لم أريد بمزاحك إلا ضحكك^(٤) سينك^(٥).

انظر هل هَرِمْتُ إلا في طاعتك، وهل أخلقتي^(٦) إلا مُعَانَةٌ خِدْمَتِكَ؟^(٧) وفي الجملة إنا لو تَعَمَدْنَا، ثُمَّ أَصْرَرْنَا ثُمَّ أَنْكَرْنَا، لَكَانَ فِي فَضْلِكَ مَا يَتَعَمَدُهُ^(٨)، وفي كَرَمِكَ ما يوجبُ التَّغافلُ عنه^(٩).

فكيف؟! وإنما سَهَوْنَا ثُمَّ تَذَكَّرْنَا، ثُمَّ ظَنَنَّا^(١٠) أَنْ مَا فَعَلْتَ^(١١) لو كَانَ

(١) ورد الفصل عند السندوبي: ص ٢٢٢ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير، وهارون: ٩٧ / ٣ - ٩٨ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير، وبيلا: ص ٧٠ و٤٨ - ٤٩، وعبيد الله: ٣ / ٧١ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير، والمبرد: ص ٦٠، ٨٤ - ٨٥ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير.

(٢) في المبرد ص ٨٤: اعتدنا.

(٣) في السندوبي ص ٢٢٢: بالزوح.

(٤) يجوز (ضحكك) و(ضحك).

(٥) الجملة ساقطة من عبيد الله والمبرد.

(٦) أخلقتي: أبلاني. (اللسان: خلق).

(٧) من بداية هذه الفقرة إلى هنا ساقطة من عبيد الله وهارون والمبرد.

(٨) في السندوبي ص ٢٢٢، وعبيد الله ٣ / ٧١، وهارون ٣ / ٩٨: يتغمدنا.

يتغمده: يستر ما كان منه. (اللسان: غمد).

(٩) في السندوبي ص ٢٢٢، وعبيد الله ٣ / ٧١، وهارون ٣ / ٩٨، وبيلا ص ٧٠: عنا.

(١٠) في السندوبي ص ٢٢٢، وعبيد الله ٣ / ٧١، وهارون ٣ / ٩٨، والمبرد ص ٨٤: اعتدنا.

(١١) عبارة «أَنْ مَا فَعَلْتَ» ساقطة من بيلا والمبرد.

ذَنْبًا^(١) كُنْتُ^(٢) شَرِيكِي فِيهِ، وَلَوْ كَانَ تَقْصِيرًا كُنْتُ^(٣) سَبَبِي إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ دَوَامَ التَّعَاوُلِ شَيْئَةٌ بِالْإِهْمَالِ، وَتَرَكْتُ التَّعْرِيفَ يُورِثُ الْإِغْفَالَ، وَالْعَفْوَ الْمُتَابِعَ^(٤) وَالْبَشَرَ الدَّائِمَ يُؤَمِّنَانِي مِنَ الْمُكَافَاةِ، وَيُذْهِبَانِي [بِالتَّحْفِظِ]^(٥) خَوْفَ الْمُجَازَاةِ^(٦)؛ وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَيْيَةُ^(٧) بَنُ حِصْنِ^(٨) لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٩): «عَمَرُ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]^(١٠) كَانَ خَيْرًا لِي مِنْكَ، أَرْهَبَنِي^(١١) فَاتَّقَانِي^(١٢)، وَأَعْطَانِي / فَأَغْنَانِي، فَإِنْ كُنْتُ اجْتَرَأْتُ عَلَيْكَ فَلَمْ اجْتَرِئْ عَلَيْكَ إِلَّا بِكَ^(١٣)، وَإِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَلَمْ أَخْطِئْ إِلَّا لَكَ؛ لِأَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِكَ، وَالثَّقَّةَ

(١) في المبرّد ص ٦٠: لو كان هذا ذنباً.

(٢) في بيلا ص ٤٨: لكنت.

(٣) في المبرّد ص ٦٠: لكنت.

(٤) في المبرّد ص ٦٠: الشائع.

(٥) ما بين المعقوفين من بيلا ص ٤٨، والمبرّد ص ٦٠.

(٦) عبارة «خوف المجازاة» ساقطة من المبرّد.

(٧) في الأصل (عتبة) وهو تصحيف.

(٨) عُمَيْيَةُ بن حصن: ابن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جُوَيْيَةَ، من بني فزارة، شهد غزوة حُنَيْنِ،

وأعطاه النبي مائة من الإبل، روى عنه الجاحظ في كُتُبِهِ، وذكر للنبي فقال: الأحمق المطاع.

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٤ / ٣١٨، ابن حجر، الإصابة: ٤ / ٦٣٨، والطبري، تاريخ

الأمم والملوك: ٢ / ٩٠ - ٩٤، والذّارِقُطَنِي، المؤتلف والمختلف: ١ / ٤٦١، ٣ / ١٦٠١).

(٩) جملة «رضي الله عنهما» ساقطة من المبرّد.

(١٠) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل. جملة «رضي الله عنه» ساقطة من هارون والمبرّد.

(١١) في المبرّد ص ٦٠: رهبني.

(١٢) في هارون ٣ / ٧٥: فاتقاني.

(١٣) في المبرّد ص ٦٠: به.

بِعَفْوِكَ سَبَبٌ لِقَلْبِي^(١) التَّحْفُظُ، وداعيةٌ إلى تَرْكِ التَّوَقِّي^(٢)، وَكَثْرَةَ التَّدَلُّ^(٣) (٤).

[٦] فصل (٥)

وبعد؛ فَمَنْ يَمِيبُ^(٦) الكَبِيرَ فَكَيْفَ يَبْقَى^(٧) عِنْدَ الصَّغِيرِ؟ وَمَنْ لَمْ يَزَلْ يَعْفُو عَنِ الْعَمَلِ فَكَيْفَ يُعَاقِبُ عَلَى السَّهْوِ؟ وَلَوْ كَانَ عِظْمٌ قَدْرِي هُوَ الَّذِي عَظَّمَ ذَنْبِي، لَكَانَ عِظْمٌ قَدْرِكَ هُوَ الَّذِي يَشْفَعُ^(٨) لِي، وَلَوْ اسْتَحَقَّقْتُ^(٩) عِقَابَكَ بِإِقْدَامِي عَلَيْكَ، مَعَ خَوْفِي لَكَ^(١٠)، لَاسْتَوْجِبْتُ عَفْوَكَ عَنِ إِقْدَامِي عَلَيْكَ لِحَسَنِ^(١١) ظَنِّي بِكَ.

(١) في بيلا ص ٤٩، والمبرد ص ٦٠: إلى قلة.

(٢) في هارون ٣/ ٧٥، وبيلا ص ٤٩: التحرز. وفي المبرد ص ٦٠: التجوز.

التوقي: الصون والستر عن الأذى. (اللسان: وقى). وجاء في البيان: ١/ ١٤٥، والماوردي،

تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك: ١٨٦ من التوقي ترك الإفراط في التوقي.

(٣) العبارة ساقطة من بيلا والمبرد. التلذذ: الفخر وأيضاً حسن المزح والهيمية. (اللسان: دلل).

(٤) جاء القول في: الحصري، زهر الأدب جمع الجواهر في الملح والنوادر: ٢/ ٥٠٦.

(٥) هذا الفصل تابع للفصل السابق. ورد هذا الفصل السندوي: ص ٢١٢ بعنوان: رسالة الترييع

والتدوير، وهارون: ٣/ ٧٦ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير، وبيلا: ص ٤٩، والمبرد:

ص ٦١-٦٢ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير.

(٦) في هارون ٣/ ٧٦، وبيلا ص ٤٩، والمبرد: وهب.

(٧) في المبرد ص ٦١: يعف.

(٨) في السندوي ص ٢١٢، وهارون ٣/ ٧٦، وبيلا ص ٤٩، والمبرد ص ٦١: شفع.

(٩) في الأصل (استحققت) وهو تصحيف.

في السندوي ص ٢١٢، وبيلا ص ٤٩، وهارون ٣/ ٧٦، والمبرد ص ٦١.

(١٠) في بيلا ص ٤٩: منك.

(١١) السندوي ص ٢١٢، والمبرد ص ٦١: بحسن.

على آتي متى أوجبت لك العفو، فقد أوجبت لك الفضل، ومتى أضفت إليك العقاب، فقد وصفتك بالإنصاف. ولا أعلم حال الفضل إلا أشرف من حال العدل، والحال^(١) التي توجب الصبر^(٢) إلا أرفع [من]^(٣) الحال التي توجب العذر^(٤).

فإن^(٥) كنت لا تهب عقابي لحرمتي، فهب لأيديك عندي، فإن النعمة تشفع في النعمة^(٦)، وإن^(٧) لم تفعل ذلك للحرمة، فافعله لحسن^(٨) / الأحدوة^(٩)، فإن لم تحام على حسن^(١٠) الأحدوة^(١١)، فقد^(١٢) إلى حسن العادة، وإن لم تعد^(١٣) إلى حسن العادة^(١٤) فأتما أنت أهله. [ولو لم]^(١٥) تدع الإنصاف إلا لأنك فوقه، لكان ذلك واجبا، وفي حكم الكرم لازما^(١٦).

(١) في السندوي ص ٢١٢، ويلا ص ٤٩؛ ولا الحال.

(٢) في السندوي ص ٢١٢، وهارون ٧٦/٣، ويلا ص ٤٩، والمبرد ص ٦١: توجب لك الشكر.

(٣) ما بين المعقوفين من السندوي ص ٢١٢، ويلا ص ٤٩، وهارون ٧٦/٣، والمبرد ٦١د.

(٤) في السندوي ص ٢١٢، وهارون ٧٦/٣، ويلا ص ٤٩، والمبرد ص ٦١: توجب لك الصبر.

(٥) في المبرد ص ٦١: وإن.

(٦) في يلا ص ٤٩: النعمة.

(٧) في السندوي ص ٢١٢، وهارون ٧٦/٣: فإن.

(٨) في المبرد ص ٦١: لخب.

(٩) الأحدوة: ما حدث به، وهو واحد الأحاديث. (اللسان: حدث).

(١٠) في هارون ٧٦/٣، ويلا ص ٤٩: وإن لم تفعل ذلك لحسن.

(١١) عبارة «فإن لم تحام لحسن الأحدوة» ساقطة من المبرد.

(١٢) في المبرد ص ٦٢: وعد.

(١٣) في السندوي ص ٢١٢، ويلا ص ٤٩: تفعله.

(١٤) في المبرد ص ٦٢: وإن لم تفعل ذلك لحسن العادة.

(١٥) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(١٦) من «ولو لم تدع الانصاف...» نهاية الفصل ساقطة من المبرد.

[٧] فصل (١)

وقَد شَاعَ الحَبْرُ، وَسَارَ المَثَلُ بِقَوْلِهِمْ: «اطْلُبُوا الحَوَائِجَ عِنْدَ حِسَانِ الوجوه»^(١).
وإن كَانَ ذِكْرُ الوجوه^(٢) لِنَمَائِهَا وَقَعَ^(٣) عَلَى حُسْنِ وَجْهِ الطَّلَبِ^(٤)، وَجَمَالِ جِهَةِ الرِّغْبَةِ^(٥)،
وَكَانَ عَلَى طَرِيقِ المَثَلِ السَّائِرِ^(٦)، وَعَلَى سَبِيلِ اللَّفْظِ المُشْتَقِّ [مِنَ اللَّفْظِ]^(٧)، وَالْفَرْعِ

(١) ورد الفصل في هارون: ٤ / ٢١٩ بعنوان: رسالته في استجاز الوعد، والحاجري: ص ٣٥-٣٧ بعنوان: فصول في الهجاء، والمورد: ص ١٩٣.

(٢) في هارون ٤ / ٢١٩، والمورد ص ١٩٣: اطلبوا الحاجات من حسان الوجوه. وجاء بعد هذا الكلام في هارون ٤ / ٢١٩، والمورد: ص ١٩٣: «فإن كَانَ الوجهُ إِنْسَاءً وَقَعَ عَلَى الوجهِ الذي فِيهِ النَّاطِرُ وَالسَّمَاعُ، وَالشَّامُ وَالذَّائِقُ، إِذَا كَانَ حَسَنًا جَمِيلًا، وَعَتِيقًا بَيًّا، فَوَجْهُكَ الذي لَا يُجْبَلُ عَلَى أَحَدٍ كَمَا لَهُ، لَا يُحْطَى جَوَالُهُ». وجاء في البيان والتبيين: ٢ / ١٣٩ «قضى الله لك الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤها».

والحديث «أطلبوا حوائجكم عند حسان الوجوه، فإن قضى حاجتك قضاها بوجه طليق، وإن ردك ردك بوجه طليق، فرب حسن الوجه دميمه عند طلب الحاجة، ورب دميم الوجه حسنه عند طلب الحاجة».

(انظر: المتقي الهندي، كنز العمال في سنين الأفعال والأفعال: ٨ / ٣٥٦، الحديث رقم ١٣٧٣٣).
ويقال «اطلبوا الحوائج إلى ذي الرحمة من أمتي». (انظر: ورام، تنبيه الخواطر ونزهة الناظر: ١ / ٩).

(٣) في هارون ٤ / ٢١٩، والمورد ص ١٩٣: الوجه.

(٤) في هارون ٤ / ٢١٩، والمورد ص ١٩٣: يقع.

(٥) في هارون ٤ / ٢١٩، والمورد ص ١٩٣: المطلب.

(٦) في هارون ٤ / ٢١٩، والمورد ص ١٩٣: وجماله على جهة الرغبة.

(٧) في هارون ٤ / ٢١٩، والمورد ص ١٩٣: وإن كان ذلك على طريق المثل.

(٨) ما بين المعقوفين من هارون: ٤ / ٢١٩، والمورد: ١٩٣.

المأخوذ من الأصل، فَوَجَّهُ الْمَطْلَبَ إِلَيْكَ أَفْضَلَ الْوُجُوهِ وَأَسْأَهَا، وَأَثَوَّبَهَا^(١) وَأَنْكَأَهَا^(٢)، وهو الْمَنْهَجُ الْفَصِيحُ^(٣)، وَالتَّجَرُّ الرَّيِّحُ، وَجَمَالُهُ ظَاهِرٌ، وَنَفْعُهُ حَاضِرٌ، وَخَيْرُهُ غَامِرٌ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ [تَعَالَى]^(٤) قَرَنَهُ مَعَ ذَلِكَ بِالْيَمْنِ، وَسَهَّلَهُ بِالْيُسْرِ، [وَحَبَّبَهُ بِالْبِشْرِ الْحَسَنِ]^(٥)، وَدَعَا إِلَيْهِ بِلَيْنِ الْحِجَابِ^(٦)، وَكُنْتُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(٧):

هَسُّ إِذَا نَزَلَ الْوُفُودُ بِبَابِهِ سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَدَّبُ الْخُدَامِ

(١) في هارون / ٤ / ٢١٩: وأصونها.

والمورد ص ١٩٣: وأصوبها.

(٢) في هارون: ٤ / ٢١٩.

نكأ: أي لا تصاب بوجع. (اللسان: نكأ).

(٣) في هارون / ٤ / ٢١٩، والمورد ص ١٩٣: المنهج الفسيح.

(٤) ما بين المعقوفين من هارون: ٤ / ٢١٩، والمورد: ١٩٣.

(٥) ما بين المعقوفين من هارون: ٤ / ٢١٩، والمورد: ١٩٣.

(٦) في الأصل (الخطاب)، وما أثبت من هارون / ٤ / ٢١٩، والمورد ص ١٩٣. إلى هنا ينتهي ما ورد في هارون والمورد.

(٧) هو ابراهيم بن هرمة، ونسباً لمحمد بن بشير الخارجي في بهجة المجالس / ١ / ٢٧٢، ونسباً أيضاً إلى أبي تمام، والصواب لابن هرمة كما في حماسة أبي تمام. ورد البيتان في البيان والتبيين: ١ / ١١٩، ٢ / ٢١٨ (أخو الأرحام)، والخطيب التبريزي، شرح ديوان الحماسة: ١ / ٣٣٤، وابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذاهن والمهاجس: ١ / ٢٧٢، وابن قتيبة، عيون الأخبار: ١ / ١٦٢، والمرزباني، معجم الشعراء: ص ٣٤٣، وص ٧٥، ومحاضرات الأدباء: ٢ / ٢، والمحاسن والمساوي: ص ١٦٠، والملاوردي، أدب الدنيا والدين: ص ٣٤٦، والعقد الفريد: ٢ / ٢٩٤، وخزانة الأدب: ٩ / ٤٠٣:

سَهْلُ الْفِنَاءِ إِذَا حَلَّتْ بِبَابِهِ طَلَّقَ الْيَدِينَ مُؤَدَّبُ الْخُدَامِ
وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَسْدِرِ أَيْسَمَا ذَوِ الْأَرْحَامِ

وَإِذَا رَأَيْتَ شَقِيقَهُ وَصَدِيقَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا دُورُ الْأَرْحَامِ

هذا والأيامُ لَيْسَتْ تَزِيدُكَ إِلَّا نُبْلًا وَسُرُورًا^(١) / ^(٢). قَالَ ثُمَامَةُ بْنُ أَسْرَسَ (٣) فِي كَلَامٍ لَهُ:

«لَمْ يَطْمَعِ أَحَدٌ قَطُّ فِي مَالِهِ إِلَّا لِيَلْبَغَهُ^(٤) بِالطَّمَعِ فِي غَيْرِهِ^(٥)، وَلَا يَشْفَعُ^(٦) لِصَدِيقٍ، وَلَا تَكَلَّمَ فِي حَاجَةٍ مُتَحَرِّمٍ بِهِ إِلَّا لِيُلْقِنَ الْمَسْئُولَ حُجَّةً مَنَعَ، وَلِيَقْتَحَ عَلَى السَّائِلِ بَابَ حِرْمَانٍ».

قَالَ أَبُو بَكْرِ الْأَصَمُّ^(٧): «لَمْ أَرْ مِثْلَهُ، بَلْ لَمْ أَسْمَعْ، وَالسَّمَاعُ أَكْثَرُ، بَلْ لَا أَتَوْهُمْ،

(١) سروراً: مروءة وشرف. (اللسان: سرو).

(٢) من هنا ابتداء ما ورد في الحاجري.

(٣) ثمامة بن أسرس: أبو معن النميري البصري المتكلم، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن، كان ندياً ظريفاً صاحب مُلْح، أتصل بالرشيد ثم بالمأمون، روى عنه الجاحظ، كان يقول أن العالم فعل الله بطباعه، وأن المقلدين من أهل الكتاب وعباد الأصنام لا يدخلون النار بل يصيرون تراباً، وأن من مات مصراً على كبيرة خلد في النار، وأن أطفال المؤمنين يصيرون تراباً. (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٨٤، والذهبي، العبر، ١ / ٣٥٩، والصفدي، الوافي بالوفيات: ١١ / ١٦، والذهبي، ميزان الاعتدال ٢ / ٩٤).

(٤) في الحاجري ص ٣٥: ليشغله.

(٥) في الحاجري ص ٣٥: فيه عن غيره.

(٦) في الحاجري ص ٣٥: تشفع.

(٧) أبو بكر الأصم: شيخ المعتزلة، كان ثمامة بن أسرس يتغلى فيه، ويطنب في وصفه، وكان دينياً وقوراً، صبوراً على الفقر، منقبضاً عن الدولة، له تفسير، وكتاب خلق القرآن، وكتاب الحججة والزسل، وكتاب الحركات، والرد على الملحدين، والرد على المجوس، والأسماء الحسنی، واقتراق الأمة، ومات سنة (٢٠١هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٨ / ٢٥٧، والتديم، الفهرست ٢١٤).

والتَّوَهُّمُ^(١) أفسَح، وما ظَنُّكُمْ بِمَنْ يُمَسِّي فِي غَضَبِ اللَّهِ [تعالى]^(٢) وَسَخَطِهِ، وَيُصْبِحُ فِي خِذْلَانِ اللَّهِ وَتَحْلِيَّتِهِ مِنْ يَدِهِ، وَمَا ظَنُّكُمْ بِمُتَكَلِّمٍ لَا يَعْرِفُ قَوْلَهُ، وَلَا يَقْضِي عَلَى مَذْهَبِهِ، سِوَاءَ عِنْدَهُ التَّشْبِيهِ وَنَفْيُهُ^(٣)، وَالْحَيْرُ^(٤) وَضِدُّهُ، وَالْإِرْجَاءُ^(٥) وَخِلَافُهُ، لَا يُعَادِي الْخَارِجِيَّ، وَلَا يَتَوَلَّى النَّابِتِيَّ، وَلَا يَحْفَلُ بِالْجَاهِلِيَّةِ، وَلَا يَغْضَبُ عَلَى الرَّافِضِيِّ.

وقال الحُصَيْنُ بْنُ الْحُسَيْنِ^(٦) فِي كَلَامٍ لَهُ: «إِنَّ مِمَّا يُؤْيِسُ^(٧) [مِنْ] ^(٨) رُجُوعِهِ، وَيُمْتَنَطُ مِنْ نُزُوعِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ طَبَعَ عَلَى قَلْبِهِ فِي اللَّؤْمِ، وَصَرَبَ عَلَى سَمْعِهِ فِي الْبُخْلِ. أَنَّ الْبَيْخِيلَ الْمُوَسِّرَ، وَالْمَنْوَعَ^(٩) الْمَثْرِيَّ^(١٠)، إِذَا كَانَ عَاقِلًا، وَيَأْمُورُ النَّاسَ عَارِفًا، لَا يَسُوعُ لَهُ شَرَابٌ، وَلَا يَطِيبُ لَهُ عَيْشٌ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرَ عَلَى مُحَالَطَةِ النَّاسِ، وَمُلَابَسَتِهِمْ، وَمُجَاوَرَتِهِمْ^(١١)،

(١) التوهّم: التفرّس والتوسّم والتيتن، وأيضاً التخيل والتمثل. (اللسان: وهم).

(٢) ما بين المعقوفين من الحاجري ص ٣٥.

(٣) في الأصل (التشبيه ويغيه)، وهو تصحيف.

والتشبيه: التشبيه الإلهي، وهو عبارة عن الجمال الإلهي؛ لأن الجمال الإلهي له معاني، وهي الصور والأوصاف الإلهية، وله صور وهي تجليات تلك المعاني فيما يقع عليه من المعقول والمحسوس.

(انظر: عبد المنعم الحنفي، معجم مصطلحات الصوفية: ص ٤٤ - ٤٥).

(٤) في الحاجري ص ٣٦: والجبر.

(٥) الإرجاء: التأخير، ومنه سميت المرجئة الذين يقولون الإيمان قول لا فعل. (اللسان: رجاء).

(٦) لم أجد له ترجمة.

(٧) يؤيس: من اليأس.

(٨) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٩) المنوع: الضنين المسك. (اللسان: منع).

(١٠) المثري: كثير المال. (اللسان: ثرا).

(١١) في الحاجري ص ٣٦: ومجاورتهم.

وَمُصَاهَرَتِهِمْ، إِلَّا بَأْنَ يَجْعَلُ التَّوَاضُّعَ دَرِيئَةً^(١) دُونَ مَالِهِ، وَالسَّعْيَ فِي حَوَائِجِهِمْ جُنَّةً دُونَ عَرَضِهِ، وَعَلَى أَنْ لَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْكِبَرِ وَالْمَنَعِ، وَبَيْنَ التَّنَبُّلِ / وَالْبُخْلِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ طِبَاعِ الْأُمَّةِ، وَنَقَضَ مَا تَجَرَّى عَلَيْهِ^(٢) الْعَادَةُ، فَبَلَغَ فِي الْكِبَرِ الْغَايَةَ، كَمَا بَلَغَ فِي الْبُخْلِ النَّهْيَةَ، إِلَّا أَنْ كِبَرَهُ

لَا يَجُوزُ الْعَامَّةُ^(٣)، وَأَهْلُ^(٤) الرَّغِيَّةِ وَالْحُرْمَةِ، هَذَا مَعَ ثِقَلِ الرُّوحِ وَالْفَدَامَةِ^(٥)، وَالتَّبَرُّدِ وَالرَّخَامَةِ^(٦).

فَلَوْ كَانَ حُلُوَ الْحَدِيثِ عَدْرَتُهُ، وَلَوْ كَانَ حَسَنَ الْاسْتِجَاعِ أَمْسَكْتُ عَنْهُ، وَلَوْ تَمَسَّكَ بِسَبَبٍ مِنَ الْحَيْرِ، وَإِنْ ضَعُفَ، أَوْ رَغِبَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَإِنْ قَلَّ، لِأَضْرَبْتُ عَنْهُ صَفْحًا، وَلَطَوَيْتُ عَنْهُ كَشْحًا، وَلَكِنَّهُ^(٧) اسْتَفْرَعَ اللَّؤْمَ وَتَعَرَّقَهُ^(٨)، وَبَلَغَ غَايَتَهُ وَاسْتَوْعَبَهُ، كَيْفَ وَلَمْ يَسْمَعْ بِمَلِيحَةٍ^(٩) قَطُّ وَلَا فَهْمَهَا، وَلَا تَبَسَّمَ مِنْ نَادِرَةٍ قَطُّ وَلَا عَقَلَهَا.

وَذَكَرَهُ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ: «أَمْتَنِعُ وَاللَّهِ مِنْ اسْتِحْسَانِ مَا يَقُولُهُ الْمُتَحَرِّمُ بِهِ، وَمِنْ

(١) في الأصل (درية)، وهو تصحيف.

(٢) في الحاجري ص ٣٦: ما عليه تجرّي.

(٣) في الحاجري ص ٣٦: لا يجوز إلا لعامة الرعية والحرمة.

(٤) في الأصل (وهل)، وهو تصحيف.

(٥) الفدامة: العمي عن الحجّة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم، وهو الغليظ الأحمق الجافي. (اللسان: فدم).

(٦) الرخامة: الثقل من الرجال بين الرخامة. (اللسان: وخم).

(٧) في الحاجري ص ٣٦: ولكن.

(٨) تعرّقه: صار عريقًا به. (اللسان: عرق).

(٩) في الحاجري ص ٣٦: بملحة.

المليحة: الأحاديث والأخبار. (اللسان: ملح).

استِجَادَةٍ مَا يَظْهَرُ مِنْ (١) الْمَقْطَعِ إِلَيْهِ، وَإِنْ حُسِّنَتْ مَعَانِيهِ، وَسُرِّقَتْ أَلْفَاظُهُ، وَسَهِّلَتْ مَخَارِجُهُ، مَخَافَةً أَنْ يَزِيدَ ذَلِكَ فِي طَمَعِهِ، وَأَنْ يَفْسَحَ (٢) مِنْ أَمَلِهِ، وَيَجْعَلُهُ حُجَّةً عَلَيْهِ عِنْدَهُ، بِقَصْرِهِ (٣) وَحِرْمَانِهِ إِيَّاهُ (٤).

لَمْ يَقْهَمَ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا زَادَهُ (٥)، وَلَا رَوَى أَثَرًا، وَلَا طَلَبَ شِعْرًا، وَلَا حَفِظَ خَبْرًا، وَلَا قَرَأَ تَنْزِيلًا (٦)، وَلَا سَمِعَ تَأْوِيلًا، وَقَدْ رَضِيَ بِكِتَابِ الْمُنْطِقِ بَدَلًا مَنِ الْقُرْآنِ، وَبِالْكَوْنِ وَالْفَسَادِ عَوَضًا مِنَ الْأَحْكَامِ، وَبِالْعَرَضِ (٧) وَالْجَوْهَرِ (٨) خَلْفًا، وَبِالْجُرْءِ (٩) وَالطَّفْرَةِ / سَرَفًا.

(١) في الحاجري ص ٣٦: منه.

(٢) في الأصل (فسح) وما أثبت من الحاجري ص ٣٧.

(٣) في الأصل غير منقوطة.

(٤) في الحاجري ص ٣٧: في تقصيره به وحرمانه إياه.

(٥) في الحاجري ص ٣٧.

زاده: دفعه. (اللسان: زود).

(٦) في الأصل (تريلًا)، وهو تصحيف.

(٧) ورد في عبيد الله في رسالة في خلق القرآن، ٣ / ٢٢٠ (العرض لا يقوم بنفسه ولا بد من أن يقوم

بغيره، والأعراض من أفعال الأجسام، لا تكون إلا منها، ولا توجد إلا بها وفيها، والجسم لا

يكون إلا من جسم، ولا يكون إلا من مخترع الأجسام).

والعرض: اسم لما لا دوام له، وما كان قائمًا في جوهره وليس جوهرًا وهو صفة الجوهر.

(انظر: نشوان الحميري، الحور العين: ص ١٣٧، و ص ٢٤٢).

(٨) الجوهر: الموجود القائم بنفسه، الحامل للعرض، ويقابله العرض، وهو على ضربين: مركب

وهو الجسم مثل الجسد، وسيط وهو النفس والزوج، وينحصر الجوهر في خمسة: هيولى وصورة

وجسم ونفس وعقل.

(انظر: نشوان الحميري، الحور العين: ص ١٣٧، و ص ٢٤٣، وأحمد أمين، ضحى الإسلام:

٣ / ١٠٤، ومعجم مصطلحات الصوفية: ص ٦٨-٦٩).

(٩) في الأصل (الخرز)، وهو تصحيف.

إِذَا فَكَّرَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْجَنَّةِ [وَالنَّارِ] ^(١)، فَكَّرَ فِي الدَّرْهِمِ وَالذَّنِيرِ، وَإِذَا فَكَّرَ الْكَرِيمُ فِي الذِّكْرِ، وَالْعَابِدُ فِي الْأَجْرِ، فَكَّرَ فِي الْاِحْتِيَالِ لِلْمَنْعِ، وَفِيهَا زَادَ عَلَى الْجَمْعِ، وَهُوَ تَسْبِيحٌ وَحِيدٌ فِي اللُّؤْمِ، وَوَاحِدٌ عَصْرُهُ فِي الْبُغْضِ، وَهُوَ الصَّرْفُ ^(٢) فِيهِمَا الْبَحْثُ ^(٣)، وَالخَالِصُ الْمُحَضُّ ^(٤)، قَدْ أَصْبَحَ إِمَامٌ كُلُّ لَيْمٍ، وَقَائِدُ كُلِّ ذَنِيءٍ.

وَحَسْبُكَ بَرَجُلٌ أَوْصَى إِلَى الْعُتْبِيِّ ^(٥)، وَتَفَرَّسَ الْحَيْرَ فِي الْمُرُوزِيِّ ^(٦)، وَقَالَ فِي وَصِيَّتِهِ وَتَحَضَّرَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ فُقَرَاءِ أَهْلِهِ: يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ» ^(٧)، وَأَنَا أَزْعُمُ أَنَّ ثُلُثَ الثُّلُثِ كَثِيرٌ، لِلْمَسَاكِينِ حَقُّهُمْ فِي بَيْتِ الْمَالِ، إِنَّ

(١) ما بين المعرفين من الحاجري ص ٣٧.

(٢) الصرف: الخالص من كل شيء. (اللسان: صرف).

(٣) البحث: الخالص من كل شيء، الذي لا يخاطه شيء. (اللسان: بحث).

(٤) المحض: الخالص الذي لا يشوبه شيء. (اللسان: محض).

(٥) في الأصل (العبيتي)، وهو تصحيف.

العبيتي: أبو عبد الرحمن الأموي، محمد بن عبد الله بن عمرو، من بني عتبة بن أبي سفيان، أديب كثير الأخبار، له شعر حسن، من أهل البصرة، ووفاته فيها سنة (٢٢٨هـ)، له تصانيف حسان، منها: «أشعار النساء اللاتي أحبين ثم أبغضن» و«الأخلاق» و«الحيل».

(انظر: الذهبي، العبر: ١ / ٣١٧، وابن خلكان، وفیات الأعيان: ٤ / ٣٩٨).

(٦) المروزي: هارون بن خالد، وال من أمراء الدولة العباسية، ولأه المتوكل السند سنة (٢٣٢هـ)، واستمر إلى أن نشبت فتنة بين البيهية والنزارية فقتل فيها سنة (٢٤٠هـ).

(انظر: الزركلي، الأعلام ٨ / ٦٠).

(٧) الحديث في موطأ مالك بن أنس ص ٦٦٦: عن مالك عن ابن شهاب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، أنه قال: جاءني رسول الله، ﷺ، يعوذني عام حجة الوداع، من وجع اشتد بي، فقلت: يا رسول الله، قد بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي، أفأتصلق بثلثي مالي؟ قال رسول الله، ﷺ: «الثلث، والثلث كثير، إنك أن تلذ ورثك أغنياء، خير من =

طَلَبُوهُ طَلَبَ الرَّجَالِ أَخَذُوهُ، وَإِنْ جَلَسُوا عَنْهُ جُلُوسَ النِّسَاءِ مُنِعُوهُ، فَلَا يُرْغَمُ اللَّهُ أَنْوْفَهُمْ^(١)، وَلَا رَحِمَ مَنْ رَحِمَهُمْ. فَهَذِهِ وَصِيَّتُهُ، وَالْعُتْبِيُّ وَالْمُرُوزِيُّ خَيْرَتُهُ، وَتِلْكَ سُنَّتُهُ وَطَرِيقَتُهُ.

[٨] فصل^(٢)

فَلَا تَعَجَلْ أَثِمَا السَّامِعِ، وَاعْلَمْ أَنِّي مُقَصِّرٌ فِيمَا اتَّوَلَّيْتُ مِنْ وَصْفِهِ: هُوَ^(٣) رَجُلٌ لَا يَنْجِعُ^(٤) فِيهِ الرَّقْمِيُّ^(٥)، وَلَا تَنْفُذُ فِيهِ الْحَيْلُ، وَلَا تَهْرُؤُهُ^(٦) الرِّيحَ، وَلَا يَحِزُّ فِيهِ اللَّوْمُ، وَلَا يَتَوَهَّمُ أَحَادِيثَ غَدٍ، وَلَا يُؤَلِّهُ التَّوْبِيخَ، وَلَا يُبَالِي سَحَطَ الْكِرَامِ، وَلَا شَكِيَّةَ^(٧) الْأَحْرَارِ، وَلَا وَعِيدَ الرَّجَالِ، وَلَا لُزُومَ الْحُجَّةِ، وَلَا إِزَاحَةَ^(٨) الْعِلَّةِ^(٩).

= أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجْرَتْكَ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ.

(الإمام مالك بن أنس، الموطأ: ص ٦٦٦).

(١) في الحاجري ص ٣٧: إِنْ أَنْوَفَهُمْ. يُقَالُ «أَرغَمَ اللَّهُ أَنْوْفَهُمْ» مِثْلُ يَضْرِبُ فِي الذَّلِّ وَالْعَجْزِ عَنِ الْإِتِّصَافِ وَالْإِنْفِيَادِ عَلَى كُرْهِهِ. (انظر: الجاحظ، الحيوان: ٣ / ٣٠٦).

(٢) ورد هذا الفصل في الحاجري: ص ٣٧-٣٨ بعنوان: فصول في الهجاء، وأبي النصر: ص ٣٢.

(٣) في الحاجري ص ٣٧: فهو.

(٤) في الحاجري ص ٣٧: تنفع.

وفي أبي النصر ص ٣٢: تنجع.

ينجع: ينفع. (اللسان: نجع).

(٥) الرِّقْمِيُّ: العودَةُ الَّتِي يُرْقَمُ بِهَا صَاحِبُ الْأَقْفَةِ. (اللسان: رقا).

(٦) في الحاجري ص ٣٧: يهزه.

(٧) شَكِيَّةٌ: إِظْهَارُ مَا يَصْفُكَ بِهِ غَيْرُكَ مِنَ الْمَكْرُوهِ. (اللسان: شكا).

(٨) في الحاجري ص ٣٨: إناخة.

(٩) الْعِلَّةُ: الْحَدِثُ بِشَغْلِ صَاحِبِهِ عَنْ حَاجَتِهِ. (اللسان: علل).

وَلِيهِ كَعَدُوَّهُ، وَجَارُهُ الْأَدْنَى / كَالْأَجْنَبِيِّ الْأَقْصَى. رَفِيقُهُ جَائِعٌ، وَصَدِيقُهُ ضَائِعٌ، وَجَارُهُ ذَلِيلٌ، وَنَاصِرُهُ مَحْذُولٌ، وَجَلِيسُهُ مَقْمُوعٌ، وَغَرِيمُهُ تَمْنُوعٌ، وَصَفِيَّةُ^(١) مَحْجُوبٌ^(٢)، وَخَادِمُهُ مَكْرُوبٌ، وَكَلْبُهُ مَهْزُولٌ، وَبَابُهُ مَهْجُورٌ، وَأَكِيلُهُ^(٣) فِي تَقِيَّةٍ^(٤)، وَشَرِيئُهُ فِي بَلِيَّةٍ، وَكُلُّهُمْ [فِي] جَهْدِ الْبَلَاءِ، لَوْ لَا رَاحَةُ الدُّعَاءِ.

هَذَا مَعَ [ظُلْمٍ]^(٦) الْعِبَادِ، وَإِخْرَابِ الْبِلَادِ، وَالْحَيَاةِ الْكَثِيرَةِ، وَالتَّضْيِيعِ الْفَاجِحِ، وَالضَّعْفِ عَنِ عَمَلِهِ، وَإِشْلَاءِ^(٧) الْجُنْدِ عَلَى رَعِيَّتِهِ^(٨)، وَالْحُكْمِ بِالرُّشَاءِ، وَالْحِجَابِ الشَّدِيدِ، وَضَرْبِ الْخُصُومِ، وَالجَبِيهِ^(٩) لِلشُّهُودِ، مَعَ الْجَهْلِ بِالْحُكُومَةِ، وَضَبْقِ الصَّدْرِ فِي الْمُنَازَعَةِ. لَا يَرَحِمُ الْمَظْلُومَ، فَإِنْ اسْتَرْحَمَهُ أَزْدَادًا عَلَيْهِ غِلَظًا، وَلَا يَرِيقُ لِفَقِيرٍ، فَإِنْ تَعَرَّضَ لَهُ قَتَلَهُ جَوْعًا.

[٩] فصل (١٠)

أَنَا أَذُكُّكَ عَلَى صِفَةِ هَذَا الرَّجُلِ. وَيَلُّ لِيَنَّ ظَنَّ أَنَّهُ يَرْجُوهُ، أَوْ يَطْمَعُ فِيهِ، وَيَلُّ لِيَنَّ

(١) صَفِيَّةٌ: الَّذِي يَصَافِيهِ الْوَدَّ وَيُخْلِصُهُ لَهُ. (اللِّسَانُ: صَفَا).

(٢) مَحْجُوبٌ: مُسْتَوْرٌ وَمَمْنُوعٌ مِنَ الدُّخُولِ. (اللِّسَانُ: حَجَب).

(٣) أَكِيلُهُ: الَّذِي يَأْكُلُهُ. (اللِّسَانُ: أَكَلَ).

(٤) تَقِيَّةٌ: حَذَرٌ. (اللِّسَانُ: وَقِيَ).

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ مِنَ الْحَاجِرِيِّ ص ٣٨، وَأَبِي النَّصْرِ: ص ٣٢.

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ مِنْ حَاشِيَةِ الْأَصْلِ.

(٧) إِشْلَاءٌ: اتِّخَاذُ الْجُنْدِ كَالْكِلَابِ. (اللِّسَانُ: شَلَا).

(٨) فِي أَبِي النَّصْرِ ص ٣٢: وَابْتِلَاءُ الْجُنْدِ عَلَى رَغْبَتِهِ.

(٩) الْجَبِيهِ: رَدُّ الرَّجُلِ عَنْ حَاجَتِهِ وَاسْتِقْبَالُهُ بِمَا يَكْرَهُ. (اللِّسَانُ: جَبِه).

(١٠) وَرَدَّ الْفَصْلَ عِنْدَ الْحَاجِرِيِّ ص ٣٨ بِعُنْوَانِ: فَصُولٌ فِي الْمُهْجَاءِ.

عَادَ لِي تَأْمِيلِهِ، أَوْ طَمَعٍ فِي مَالِهِ. وَوَيْلٌ لِمَنْ أُنْتِنَى عَلَيْهِ خَيْرًا، وَقَدَّرَ لَدَيْهِ عُرْفًا، وَوَيْلٌ لِمَنْ تَرَكَ الرَّذَّ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَرْفَعْ ذَلِكَ إِلَيْهِ.

لَمْ يُضْمِرْ قَطُّ لِأَحَدٍ^(١) حُبًّا، وَلَا تَمَنَّى لَهُ خَيْرًا، وَلَا اشْتَأَقَ إِلَى صَدِيقِي، وَلَا اسْتَوْحَشَ إِلَى أُنَيْسٍ.

لَمْ يَتَوَكَّلْ قَطُّ إِلَّا عَلَى حِيلِهِ^(٢)، وَلَا فَنَعَ إِلَّا إِلَى رَأْيِهِ، وَلَا عَرَفَ الاسْتِخَارَةَ وَالاسْتِشَارَةَ.

[يَسْخَرُ مِمَّنْ يَرَى أَنَّ الْبَرَكَتَ فِي الْمَشُورَةِ، وَأَنَّ النَّجْحَ مَقْرُونٌ بِالْاسْتِخَارَةِ]^(٣)، وَأَنَّ الْكَرِيمَ مُضْمِرٌ بِالْحَيْرَةِ^(٤)، وَأَنَّ الدُّعَاءَ يَكْشِفُ الْبَلَاءَ، وَلَا يَعْرِفُ التَّوْفِيقَ/^(٥).

اجْتَرَأَ عَلَيْهِ حَاصِمُهُ، وَلَا يَزِيدُهُ التَّقْرِيعُ^(٦) إِلَّا فِحَةً^(٧)، وَالْاسْتِرْحَامُ إِلَّا قَسْوَةً، وَالتَّخْوِيفُ إِلَّا صَرَامَةً.

وَأَوَّلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ تَامًّا الْقَامَةَ؛ لِأَنَّهُ إِلَى أَنْ يُمْتَحَنَ يُيَابُ، وَكَأَنِّي بَكَ إِذَا قَرَأْتُ كِتَابِي هَذَا وَقِيلَ لَكَ: هُوَ بِالْبَابِ، وَدَخَلَ فِتْنَاتِهِ، فَوَجَدْتَهُ كَمَا وَصَفْتُ صَحِيحَكَ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ إِنْ صَحِيحَكَ، فَقَالَ لَكَ: مَا أَصْحَكَكَ؟ فَإِنَّهُ مِنْ أَكْثَرِ

(١) في الحاجري ص ٣٨: لأحد قط.

(٢) في الحاجري ص ٣٨: حيلته.

(٣) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٤) ساقطة من الحاجري.

(٥) انتهاء ما جاء في الحاجري.

(٦) التقريع: التأنيب والتعنيف، وقيل هو الإجماع باللوم. (اللسان: قرع).

(٧) فحة: وقاحة. (اللسان: قحح).

النَّاسِ فُضُولًا وَاعْتِرَاضًا فِي كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا [إِذَا] ^(١) خَبَّرْتَهُ بِصِفَتِهِ. وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَزِدَّ بِهِ
فَلَا تُكَلِّمَهُ قَاعِدًا؛ فَإِنَّ فِي أَضْلَاعِهِ طَوْلًا، وَفِي بَطْنِهِ عِظْمًا، وَلَكِنْ أَمَمُهُ صَاحِرًا ^(٢)، فَإِنَّ
عَيْنَكَ تَقْتَحِمُهُ دِمَامَةً ^(٣) وَذَلَّةً.

وَأَذْكُرُنِي عِنْدَ هَذِهِ الْفِعْلَةِ بِدِقَّةِ الْفِطْنَةِ وَذِكَاةِ الدَّهْنِ. وَلَقَدْ أَتَانِي مَرَّةً فَاسْتَسْقَى،
فَأَمَرْتُ الْعُلَامَ بِكَسْرِ الْكُوزِ، وَلَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ [إِلَّا] ^(٤) لِأَنَّهُ تَوَلَّدَتْ فِي الْكُوزِ رَائِحَةٌ
كَرِيهَةٌ، كَمَا يَقْتَلِزُّ الْإِنْسَانُ الْحَجَامَ ^(٥) وَالْبَيْطَارَ ^(٦) وَالصَّاحَاحَ ^(٧) وَكُسَاحَ ^(٨) الْحَشُوشِ ^(٩)،
وَعَلَى أَنَّهُ وَاللَّهِ أَقْدَرُ مِنْ كُلِّ مَا ذَكَرْنَا.

[١٠] فصل (١٠)

سَأَلْتَنِي أَعَزَّكَ اللَّهُ عَنِ فُلَانٍ، وَنَحْنُ مُخْبِرُونَكَ بِالْآثَرِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ صَاحِبُ
الْخَبْرِ، وَبِالْوَاضِحِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْحَقِّ، وَبِالظَّاهِرِ الَّذِي يُفْضِي عَلَى الْبَاطِنِ، فَتَفْهَمُ
ذَلِكَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

(١) ما بين المعقوفين من الحاجري: ص ٣٨.

(٢) صاغراً: الصاغر هو الراضي بالذل والضميم. (اللسان: صغر).

(٣) دمامة: القصر والقيح. (اللسان: دم).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق.

(٥) الحجام: هو صاحب مهنة الحجامة امتصاص فم المحجمة. (اللسان: حجيم).

(٦) البيطار: معالج الدواب. (اللسان: بطر).

(٧) في الأصل (الساح) وهو تصحيف.

الصاحاح: العرق المتتن، وأيضاً خبث الرائحة من العرق. (اللسان: صمغ).

(٨) الكساح: الكس. (اللسان: كسح).

(٩) الحشوش: أماكن قضاء الحاجة. (اللسان: حشش).

(١٠) هذا الفصل جديد لم ينشر من قبل.

فَمِنْ ذَلِكَ أَتَى رَأْيُهُ وَهُوَ فِي جِيرَانِهِ كَالْحَيْضَةِ الْمَنْسِيَةِ^(١)، وَكُلُّهُمْ يَعْرِفُهُ بِالْأَبْنَةِ^(٢)،
وَلَهُ غُلَامٌ حَدِيدُ الْقَامَةِ، عَظِيمُ الْهَامَةِ، ذُو الْوَجْهِ وَأَفْحَاذِ وَأُورَاكِ وَأَصْدَاغِ^(٣)، أَشْعَرُ
الْقَفَا، يَلْبَسُ الرَّقِيقَ مِنَ الثِّيَابِ، وَيُثَابِرُ عَلَى التَّعْطِيرِ وَذُخُولِ الْحَتَمِ، وَتَزْيِيقِ^(٤) الثِّيَابِ،
وَتَقْلِيمِ الْأَطَاغِرِ.

وَكَانَ مَعَ هَذِهِ الصِّفَةِ الْمُدْبَّرَ لِأَمْرِهِ، وَالْفَاتِقَ^(٥) لَهُ، وَالْمَشْفُوعَ إِلَيْهِ، وَالْحَاكِمَ عَلَى
مَوْلَاهُ، دُونَ بَنِيهِ وَأَهْلِهِ وَحَاشِيَتِهِ، وَالصَّارِفَ لَهُ عَنِ رَأْيِهِ إِلَى رَأْيِهِ، وَعَنِ إِرَادَتِهِ إِلَى هَوَاهُ.
وَكَانَ أَكْثَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَعَهُ جُلُوسًا، وَأَكْثَرَهُمْ لَهُ خَلْوَةً، لَا يَبِيتُ إِلَّا مَعَهُ، وَإِذَا
غَضِبَ أَحَزَّتْهُ غَضَبُهُ، وَطَلَبَ رِضَاهُ.

وَكَانَ أَيَّامَ وَلايَتِهِ لَا يَتَقَدَّمُهُ قَرِيبٌ وَلَا بَعِيدٌ، وَلَا شَرِيفٌ وَلَا وَضِيعٌ. إِنْ رَكِبَ
فَهُوَ مَوْضِعُ الْحَرَسِ مِنَ الْخَلِيفَةِ، وَإِنْ قَعَدَ فَفِي مَوْضِعِ الْوَلَدِ السَّارِ، وَالزَّوْجَةِ الْبَارَّةِ،
وَإِنْ التَّمَّتْ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ لِحَاجَةِ كَانٍ مِنْ وَرَائِهَا، فَكَانَتْ أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ خَلْعِ نَعْلَيْهِ،
وَكَانَ يَبِيتُ فِي لِحَافِهِ، فَحَكَمْنَا عَلَيْهِ بِهَذَا الْحُكْمِ الظَّاهِرِ، لَا حُكْمَ الْقَضَاةِ، بِالتَّسْجِيلِ
وَتَحْلِيلِهَا فِي الدَّوَاوِينِ، وَلَا كَالِإِقْرَارِ بِالْحَقُوقِ وَالْحُدُودِ^(٦) وَشَهَادَةِ الْعُدُولِ^(٧).

(١) الحيضة المنسية: الخرقه البالية. (اللسان: حيز).

(٢) الأبنة: العيب في الكلام. (اللسان: ابن).

(٣) أصداغ: ما انحدر من الرأس إلى مركب اللحين، وقيل هو ما بين العين والأذن. (اللسان: صدغ).

(٤) في الأصل (وتزنيق) وهو تصحيف.

(٥) الفاتق: الحاذق الفصيح. (اللسان: فتق).

(٦) الحدود: حدود الله ضريان: ضرب منها حدود حدتها للناس في مطاعهم ومشاربهم

ومناكبهم، مما أحل وحرم وأمر بالانتهاء عما نهى عنه منها، ونهى عن تعديها، والضرب الثاني

عقوبات جعلت لمن ركب ما نهى عنه كحد السارق، وحد الزاني، وغيرها. (اللسان: حدد).

(٧) شهادة العدول: الثقات. (اللسان: عدل).

[١١] فصل^(١)

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا أُعْطِيتِ، وَمِنْ بَدِيعٍ مَا أُوتِيتِ، أَنَا لَمْ تَرِ مَقْدُودًا^(٢) وَأَسِيعَ^(٣)
الْجُفْرَةَ^(٤) غَيْرَكَ، وَلَا رَشِيقًا مُسْتَقِصَّ الْخَاصِرَةَ^(٥) سِوَاكَ، فَأَنْتَ الْمَدِيدُ، وَأَنْتَ الْبَسِيطُ،
وَأَنْتَ الطَّوِيلُ، وَأَنْتَ الْمُتْقَارِبُ.

[فِيَا شِعْرًا جَمَعَ الْأَعَارِضُ^(٦)، وَبِأَشْخَصًا جَمَعَ الْأَسْتِدَارَةَ وَالطَّوِيلَ، بَلْ مَا
يُحْمَكُ مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ، وَيَتَعَاظَمُكَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وَالنَّاطِقُونَ
بِالْفَهْمِ يَعْلَمُونَ]^(٧)، فَاسْتِغَاظَةُ^(٨) عَرْضِكَ قَدْ أَدَخَلْتَ الضَّمِيمَ^(٩) عَلَى ارْتِفَاعِ
سَمِّكَ^(١٠)، وَمَا^(١١) ذَهَبَ مِنْكَ عَرْضًا قَدْ اسْتَعْرَقَ [مَا ذَهَبَ]^(١٢) مِنْكَ طَوْلًا،

(١) ورد هذا الفصل في هارون: ٥٧/٣ - ٦٠ بعنوان: رسالة الترييح والتدوير، ويلا: ص ١٣-١٨،
والمبرد: ص ٤٢-٤٥، ٥٠-٥١ بعنوان: رسالة الترييح والتدوير، والتندوبي: ص ١٩١-١٩٤،
تحت عنوان: رسالة الترييح والتدوير.

(٢) مقدودًا: معتدل القامة والجسم. (اللسان: قدد).

(٣) في المبرد ص ٤٢: أوسع.

(٤) الجفرة: جوف الصدر، وقيل هو ما يجمع البطن والجنين. (اللسان: جفر).

(٥) الخاصرة: ما فوق الخصر من الجلد الرقيقة، وتسمى الطقطة. (اللسان: خصر، طفف).

(٦) الأعرىض: كلام يشبه بعضه بعضًا في المعاني، وهو ما عُرِضَ به ولم يَصْرَحْ. (اللسان: عرض).

(٧) ما بين المعرفين من التندوبي ص ١٩١، وهارون: ٥٧/٣، ويلا: ص ١٤، والمبرد ص ٤٢.

(٨) في التندوبي ص ١٩١، وهارون: ٥٧/٣، ويلا ص ١٤.

والمبرد ص ٤٢: أن استغاضة.

(٩) في المبرد ص ٤٢: الميم، ولا وجه لها.

(١٠) ارتفاع سمكك: السمك: القامة من كل شيء بعيد. (اللسان: سمك).

(١١) في التندوبي ص ١٩١، وهارون: ٥٨/٣، والمبرد ص ٤٢: وأن ما.

(١٢) ما بين المعرفين من التندوبي ص ١٩١، وهارون: ٥٨/٣، ويلا: ص ١٤، والمبرد ص ٤٢.

[وَلَنْ^(١) اِخْتَلَفُوا فِي طَوْلِكَ لَقَدْ اتَّفَقُوا^(٢) فِي عَرَضِكَ، وَإِذْ قَدْ^(٣) سَلَّمُوا لَكَ بِالرَّغْمِ^(٤) شَطْرًا، وَمَنْعُوكَ بِالظُّلْمِ شَطْرًا^(٥)، فَقَدْ حَصَلَتْ مَا سَلَّمُوا^(٦)، وَأَنْتَ فِي دَعْوَاكَ فِيمَا لَمْ يُسَلِّمُوا.

وَلَعَمْرِي إِنَّ الْعُيُونَ لَتُخْطِئُ، وَإِنَّ الْحَوَاسَّ لَتَكْذِبُ، وَمَا الْحُكْمُ الْقَاطِعُ إِلَّا لِلذَّهْنِ، وَمَا الْاِسْتِيَانَةُ^(٧) الصَّحِيحَةُ إِلَّا لِلْعَقْلِ؛ إِذْ كَانَ زِمَامًا عَلَى الْأَعْضَاءِ، وَعِيَازًا عَلَى الْحَوَاسِّ.

وَمَا يُبَيِّنُ أَيْضًا أَنَّ ظَاهِرَ عَرَضِكَ مَانِعٌ مِنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ طَوْلِكَ قَوْلُ أَبِي دُوَادٍ الْإِيَادِي^(٨) فِي إِبِلِهِ:

سَمِنْتَ وَاسْتَحَشَّ أَكْرَعُهَا لَا النَّيِّ فِيَّ وَلَا السَّنَامُ سَنَامُ^(٩)

(١) في المبرّد ص ٤٢: وإن.

(٢) في المبرّد ص ٤٣: اختلفوا.

(٣) في هارون ٣/ ٥٨، والمبرّد ص ٤٣: إذ كانوا قد.

(٤) في المبرّد ص ٤٣: بالزعم.

(٥) جملة «ومنعوك بالظلم شطرا» ساقطة من هارون والمبرّد.

(٦) جملة «فقد حصلت ما سلّموا» ساقطة من المبرّد.

(٧) الاستيانية: ظهور الشيء ومعرفته. (اللسان: بين).

(٨) أبو دؤاد الإيادي: قيل هو جارية بن الحجاج، وقيل حنظلة بن الشرقي.

(انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ١٥٤، وابن سعيد، نشوة الطريفي تاريخ جاهلية

العرب: ٢/ ٦٦٧، والأصفهاني، الأغاني: ١٦/ ٥١٨).

(٩) البيت في الشعر والشعراء ص ١٥٥، والأصمعي، الأصمعيات: ص ١٨٨ الأصمعية ٦٥، وهو

يصف الإبل، استحش: استندق. والتي: الشحم. ومطلع القصيدة:

إبلي الإبل لا يجوزوها الرّا عون مَجُّ التّدنى عليها المدام

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ^(١) فِيكَ^(٢) مِنْ الْعَجَبِ، إِلَّا أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ عَوَّدَهُ اللهُ [تعالى]^(٣) بِالصَّيرِ^(٤) عَلَى خَطَا الْجَسِّ، وَبِالشُّكْرِ عَلَى صَوَابِ الدَّهْنِ [٥]؛ فَأَنْتَ^(٦) فِي طَوْلِكَ آيَاتُ^(٧) لِلْسَّائِلِينَ، وَفِي عَرْضِكَ مَنَارٌ لِلْمُصَلِّينَ^(٨).

[وَقَدْ تَطَلَّمَ^(٩) الْمَرْبُوعُ^(١٠) مِثْلِي مِنَ الطَّوِيلِ مِثْل: مُحَمَّدٌ^(١١)، وَمِنَ الْقَصِيرِ مِثْل: أَحْمَدُ^(١٢)؛ إِذْ زَعَمَ مُحَمَّدٌ^(١٣) أَنَّهُ إِنَّمَا^(١٤) أَفْرَطَ فِي الرَّشَاقَةِ، وَنُسِبَ إِلَى الْقِضَافَةِ^(١٥)؛ لِأَنَّ

(١) في المبرّد ص ٤٣: يك.

(٢) ساقطة من هارون.

(٣) ما بين المعقوفين من المبرّد ص ٤٣.

(٤) في المبرّد ص ٤٣: بالصد.

(٥) من قوله «ولئن اختلفوا...» إلى قوله «... صواب الدهن» من السندويّ ص ١٩١-١٩٢، وهارون: ٣/ ٥٨، وبيلا: ص ١٤، والمبرّد ص ٤٣.

(٦) في السندويّ ص ١٩٢، وهارون ٣/ ٥٨، وبيلا ص ١٥، والمبرّد ص ٤٣: لقد كنت.

(٧) في السندويّ ص ١٩٢، وبيلا ص ١٥: آية.

وهارون ٣/ ٥٨، والمبرّد ص ٤٣: غاية.

(٨) في السندويّ ص ١٩٢: للضالين.

وهارون ٣/ ٥٩، وبيلا ص ١٥، والمبرّد ص ٤٣: للمضلين.

(٩) في المبرّد ص ٤٣: تكلم.

(١٠) المربوع: أي مربع الخلق، لا بالطويل ولا بالقصير. (اللسان: ربيع).

(١١) في هارون ٣/ ٥٩، والمبرّد ص ٤٣: عمر.

(١٢) في هارون ٣/ ٥٩، والمبرّد ص ٤٣: عمرو.

(١٣) ساقطة من هارون والمبرّد.

(١٤) ساقطة من هارون والمبرّد.

(١٥) القضاة: النحافة. (اللسان: قصف).

إفراطاً طوله غَمَرَ الاعتِدَالَ مِنْ عَرَضِهِ^(١). وَرَعَمَ أَحَدُهُ أَنَّهُ إِنَّمَا أَقْرَطَ فِي الْعَرَضِ وَنُسِبَ إِلَى الْغِلْظِ، لِأَنَّ إِفْرَاطَ عَرَضِهِ غَمَرَ الْعِتِدَالَ مِنْ طَوْلِهِ، وَكِلَاهُمَا يَحْتَاجُ إِلَى الْاِعْتِدَارِ، وَيَقْتَرِ إِلَى الْاِعْتِدَالِ.

والمربوعُ بِحَمْدِ اللَّهِ قَدْ اِعْتَدَلَتْ أَجْزَاؤُهُ فِي الْحَقِيقَةِ، كَمَا اِعْتَدَلَتْ فِي الْمَنْظَرِ. فَقَدْ اسْتَعْنَى بِعِزِّ^(٢) الْحَقِيقَةِ عَنِ الْاِعْتِدَارِ، وَبِحُكْمِ الظَّاهِرِ عَنِ الْاِعْتِدَالِ.

وقد سَمِعْنَا مَنْ يَذُمُّ الطُّوَالَ، كَمَا سَمِعْنَا مَنْ يُزِي عَلَى الْقِصَارِ، وَلَمْ نَسْمَعْ أَحَدًا ذَمَّ الْمَرْبُوعَ^(٣)، وَلَا أزرَى عَلَيْهِ، وَلَا وَقَفَ عِنْدَهُ، وَلَا شَكَ فِيهِ، وَمَنْ يذُمُّهُ إِلَّا مَنْ ذَمَّ الْاِعْتِدَالَ، وَمَنْ يُزِي عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ أزرَى عَلَى الْاِقْتِصَادِ. وَمَنْ يَنْصِبُ لِلصَّوَابِ^(٤) الظَّاهِرِ إِلَّا الْمُعَايِدَ، وَمَنْ يُبَارِي فِي الْعِيَانِ إِلَّا الْجَاهِلَ، بَلْ مَنْ يُزِي عَلَى أَحَدٍ بِتَفَاقُمِ التَّرْكِيبِ^(٥)، وَبِسُوءِ التَّنْضِيدِ^(٦) مَعَ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ^(٧):

﴿مَا تَرَى فِي^(٨) خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاقُوتٍ﴾ [الملك: ٦٧] ^(٩).

(١) في هارون ٣ / ٥٩، والمبرد ص ٤٣: «لأن إفراط عرضه غمر الاعتدال من طوله» وهذا لا يناسب السياق، لأن محمداً مفرط في الطول وليس في القصر لذلك نسب إلى القضاة.

(٢) في المبرد ص ٤٤: بعدل.

(٣) في هارون ٣ / ٥٩، والمبرد ص ٤٤: مربوعاً.

(٤) في المبرد ص ٤٤: يعيب. ينصب للصواب: يعاديه. (اللسان: نصب).

(٥) تفاقم التركيب: إجراؤه على غير استواء. (اللسان: فقم).

(٦) التنضيد: ضم الشيء إلى الآخر وجعله متراففاً. (اللسان: نضد).

(٧) في هارون ٣ / ٦٠، والمبرد ص ٤٤: عز وجل.

(٨) في الأصل: من، وهو تحريف.

(٩) من قوله: وقد تظلم... إلى تفاوت] من السندوبي ص ١٩٢، وهارون: ٣ / ٥٩ - ٦٠، وبيلا:

وَبَعْدُ؛ فَأَيُّ قَدِّ أَرْدَى^(١)، وَأَيُّ نِظَامٍ أَسْفَدُ مِنْ عَرَضٍ مُجَاوِزٍ لِلْقَدْرِ^(٢)، وَطَوِيلٍ^(٣) مُجَاوِزٍ لِلْقَصْدِ؟ وَمَتَى لَمْ^(٤) يَضْرِبِ الْعَرَضُ بِسَهْمِهِ عَلَى قَدْرِ حَقِّهِ، وَيَأْخُذَ الطَّوِيلُ مِنْ نَصِيهِهِ عَلَى مِثْلِ وَزْنِهِ، خَرَجَ الْجِسْمُ^(٥) مِنَ التَّقْدِيرِ، وَجَاوَزَ التَّعْدِيلَ. وَإِذَا^(٦) خَرَجَ مِنَ الْقَدْرِ^(٧) تَفَاسَدَ، وَإِذَا^(٨) جَاوَزَ التَّعْدِيلَ تَبَايَنَ.

وَقُلْتُ^(٩): إِنْ كَانَ الْفَضْلُ فِي النَّكَايَةِ، وَفِي الشَّدَّةِ وَالصَّلَابَةِ، فَصَارُ^(١٠) كُلُّ شَيْءٍ أَشَدُّ ضِرَارًا، وَأَدْقُ مَدْخَلًا، وَأَظْهَرُ قُوَّةً وَجَلْدًا، كَالْحِجَارَةِ أَصْلَبُهَا الْحِصَا، وَكَالْحَيَاتِ أَقْتَلُهَا الْأَفَاعِي^(١١)، وَكَالْبَعُوضِ أَضَرُّهَا الْجُرْجِسُ^(١٢)، وَكَالْعَقَابِ أَقْتَلُهَا

(١) في هارون ٣ / ٦٠: أردأ، والمعنى واحد.

(٢) في المبرد ص ٤٤: للقد.

(٣) في هارون ٣ / ٦٠: أو طول.

(٤) ساقطة من المبرد.

(٥) في السندويي ص ١٩٢: الجسد.

(٦) في المبرد ص ٤٥: فإذا.

(٧) في السندويي ص ١٩٢، وهارون ٣ / ٦٠، وبيلا ص ١٦، والمبرد ص ٤٥: التقدير.

(٨) في هارون ٣ / ٦٠: وإذا تفسد.

(٩) في السندويي ص ١٩٣، وبيلا ص ١٧: ورأيتك تقول.

(١٠) في الأصل (فصار) وهو تصحيف.

(١١) الحية أقتلها الأفاعي، ويقال سمها أن لم يقتل أمرص.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٤ / ١٢١، ٢١٢).

(١٢) الجرجس: ضغار البعوض، ويقال له قرقس.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٣ / ٣٠١، والراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢ / ٧٢٧،

اللسان: قرقس، جرجس).

الجَرَارات^(١)، وكذلك أحرارُ الطَّيرِ وبُعَاثُهَا^(٢)، وصِغَارُ البَرَاغِيثِ^(٣) وكيَّارُهَا.

[وَقُلْتُ: إِنْ كَانَ الْفَضْلُ فِي الْعَدَدِ فَمِمَّا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ^(٤)، وَمِمَّا الذَّرُّ^(٥) وَالْفَرَاشُ، وَمِمَّا الدَّعَامِيصُ^(٦) وَالْبَعُوضُ، وَمِمَّا الرَّمْلُ وَالتُّرَابُ، وَقَطْرُ السَّحَابِ. وَاحْتَجَجْتَ بِأَنَّ الْحُسْنَ وَالْفَضْلَ لِصِغَارِ مَا فِي الْإِنْسَانِ؛ كَالنَّاطِرِينَ^(٧)، وَالْأُنثِيَيْنِ^(٨)، وَحَبَّةِ الْقَلْبِ^(٩)، وَأُمِّ الدِّمَاغِ^(١٠)] (١١).

(١) الجرات: عقارب صفراء صغيرة، وهي من أخصب العقارب وأقربها لمن تلدغه، وسميت جرارة لجرها لذنبها.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٣/ ٣٣٣، ٤/ ٢١٩، واللسان: جرر).

(٢) البعاث: كل طائر ليس من الجوارح، وما لا يصيد من الطيور كالترخم والحند والغربان، وهو بطيء الطيران.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٧/ ٦٠، والثعالبي، ثمار القلوب: ص ٤٤٧، واللسان: بعث، والراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢/ ٧٠٨).

(٣) البراغيث: وصف أعرابي البراغيث فقال: ما أذى صغارها، وأقبح آثارها.

(انظر: الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢/ ٧٢٩).

(٤) يأجوج ومأجوج: قبيطان، جنس من الآسيويين.

(الجاحظ، الحيوان، ٤/ ٧١، واللسان: أجج، والدميري، حياة الحيوان الكبرى: ٢/ ٢٢١).

(٥) الذر: النمل الأحمر الصغير. (اللسان: ذر).

(٦) الدعصوص: دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء. (اللسان: دعمص).

(٧) الناظران: عرقان في مجرى الدمع على الأنف من جانبيه. (اللسان: نظر).

(٨) الأنثيان: الأذنان والحصيتان. (اللسان: أنث).

(٩) حبة القلب: ثمرته وسويداؤه، وقيل العلقة السوداء التي تكون داخل القلب. (اللسان: حب).

(١٠) أم الدماغ: الجلدة التي تجمع الدماغ. (انظر: ابن الأثير، المرصع: ص ١٦٨، واللسان: أمم).

(١١) ما بين المعقوفين من السنديوي ص ١٩٤، ويلا: ص ١٧.

وَرَعَمَتَ أَنْ الْإِنْسَانَ إِذَا طَالَ جِسْمُهُ، وَامْتَدَّ شَخْصُهُ، أَسْرَعَ الْإِنْهَادُ إِلَى بَدَنِهِ، وَالْإِنْجَاءُ إِلَى ظَهْرِهِ، وَأَنَّ الْقَصِيرَ لَا يَنْقَوَسُ صُلْبُهُ، وَلَا يَمِيلُ عُنُقُهُ، وَلَا يَضْطَرِبُ/ شَخْصُهُ، وَلَا تَعَوُّجُ عِظَامُهُ، وَيَسَعُهُ كُلُّ بَابٍ، وَيَقْطَعُهُ كُلُّ ثَوْبٍ، وَلَا تَخْرُجُ رِجْلَاهُ مِنَ النَّعْشِ، [وَلَا تَفْضُلَانِ^(١)] عَنِ الْفِرَاشِ، وَهُوَ بَعْدُ أَخْفُ عَلَى الْقُلُوبِ، وَأَخْلَطُ بِالنَّفُوسِ، وَأَبْعَدُ مِنَ السَّهَاجَةِ^(٢)، وَأَدْخَلَ فِي كُلِّ بَابٍ مَلَاخَةَ^(٣).

وَقُلْتُ: وَيَقُولُ^(٤) النَّاسُ: مَا هُوَ إِلَّا فُلْفَلَةٌ، وَمَا هُوَ إِلَّا خَرْدَلَةٌ^(٥)، وَمَا هُوَ إِلَّا رِبْقَةٌ^(٦)، وَمَا هُوَ إِلَّا شَرَارَةٌ، وَمَا لِسَانِهِ إِلَّا لِسَانُ حَيَّةٍ^(٧). وَرَعَمَتَ^(٨) أَنْ الْأَرْضَ لَا تَوْصَفُ بِالْعَرَضِ دُونَ الطَّوْلِ، [إِلَّا]^(٩) لِقَضِيئَةِ الْعَرَضِ عَلَى الطَّوْلِ، وَأَنَّ الشَّاعِرَ قَالَ^(١٠):

(١) فِي بَيْلَا ص ١٧: وَلَا يَفْضُلُ.

(٢) السَّهَاجَةُ: الشَّيْءُ الَّذِي لَا مَلَاخَةَ فِيهِ. (اللِّسَانُ: سَمِج).

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ مِنَ السَّنْدُوبِيِّ ص ١٩٤.

(٤) فِي السَّنْدُوبِيِّ ص ١٩٤، وَبَيْلَا ص ١٧: وَتَقُولُ.

(٥) سَاقَطَةٌ مِنَ السَّنْدُوبِيِّ، وَبَيْلَا.

خَرْدَلُ: نَبَاتٌ حَرِيفٌ. (اللِّسَانُ: خَرْدَلُ).

(٦) فِي الْأَصْلِ (رِبْقَةٌ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

فِي السَّنْدُوبِيِّ ص ١٩٤، وَبَيْلَا ص ١٨: زَنْبِقَةٌ.

الرِّبْقَةُ: الْعُرْوَةُ. (اللِّسَانُ: رَبِقُ).

(٧) انظُرِ الْقَوْلَ فِي الْحَيَوَانَ: ٤/ ٢٥٠ «إِذَا مَدَحُوا الْخَلْفَ الْعَلِيفَ وَالْقَدَمَ اللَّطِيفَةَ قَالُوا: كَأَنَّهُ لِسَانُ حَيَّةٍ».

(٨) فِي السَّنْدُوبِيِّ ص ١٩٤، وَبَيْلَا ص ١٨: وَتَزَعَمُ.

(٩) فِي الْأَصْلِ (وَلَا) وَهُوَ خَطَأٌ، وَمَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ مِنَ السَّنْدُوبِيِّ ص ١٩٤.

(١٠) فِي السَّنْدُوبِيِّ ص ١٩٤: «وَذَلِكَ كَقَوْلِ الشُّعْرَاءِ وَوَصَفِ الْعُلَمَاءِ».

وَالْبَيْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ، أَحَدِ الْخَارِجِيِّينَ مَعَ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَقِيلَ لِلطَّرْمَاحِ.

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كِمَّةَ حَابِلٍ (١)

وَلَمْ يَقُلْ وَهِيَ طَوِيلَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ (٢) وَصَفَ الْجَنَّةَ بِالْعَرِضِ دُونَ الطُّوْلِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَجَنَّاتٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣)، وَأَنْتَ وَاللَّهُ صَخْمٌ غَلِيظُ اللِّسَانِ، جَيِّدُ الْهَامَةِ، وَفِي ذَلِكَ خَلْفٌ مِنْ حُسْنِ الْقَامَةِ، وَأَنْتَ لَقَلِيلُ الشَّيْبِ، قَلِيلُ الْبَوْلِ.

وَتَزَعُمُ أَنَّكَ صَغِيرُ الرَّأْسِ، وَرَأْسُكَ رَأْسُ الْجَالُوتِ (٤)، وَمَا (٥) إِدْرَاكُكَ الشَّخْصَ الْبَعِيدِ، وَقِرَاءَتُكَ الْكِتَابِ الدَّقِيقِ، وَنَقْشُ (٦) الْخَاتَمِ قَبْلَ الطَّيْعِ، وَفَهْمُ الْمُشْكِلِ قَبْلَ التَّمَهْلِ، مَعَ وَهْنِ الْكِبَرِ (٧)، وَتَقَادُمِ الْمِيلَادِ، وَمَعَ تَخَوُّنِ الْأَيَّامِ، وَتَنْقِصِ الْأَزْمَانِ.

= ورد البيت في الحيوان: ٤٣٢/٦، والبحري، الحماسة: ص ٣٠٤، وشرح ديوان الحماسة: ٧٨/١، ٢٢٦، والأصبهاني، الزهرة: ٢/٦٢٨، والمتخب والمختار من النوادر والأشعار: ص ٢٩٧.
(١) حابل: الصائد ذو الحباله. (اللسان: حبل).

(٢) في السندوبي ص ١٩٤: وقلت: لولا فضيلة العرض على الطول لما وصف الله الجنة بالعرض دون الطول.

(٣) سورة الحديد، الآية رقم ٢١، أما نص الآية في سورة آل عمران، الآية ١٣٣: ﴿وَجَنَّاتٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾.

(٤) من «قلت: أن كان الفضل في النكايه... رأس الجالوت» ساقطة من المبرد.

رأس الجالوت: قبل هو رئيس الجالوت، وهو الذي قتله داود عليه السلام.

(انظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٤، والشعالبي، ثمار القلوب: ص ٣٢٢، ونشوان

الحميري، الحور العين: ص ١٤٤-١٤٥).

(٥) في المبرد ص ٥٠: وأما.

(٦) في الأصل (ونفس) وهو تصحيف، وما أثبت من المبرد.

(٧) في المبرد ص ٥٠: مع وهن الكبره.

فَمِنْ تُونِيَا^(١) الْهِنْدِ، وَمِنْ تَرْكِ الْجَمَاعِ^(٢)، وَمِنْ الْجِمِيَّةِ الشَّدِيدَةِ، وَمِنْ طَوْلِ اسْتِقْتَالِ الْحَضْرَةِ^(٣). فَمَا هَذَا الْإِطْرَاقُ الَّذِي قَدْ اعْتَرَاكَ، وَمَا هَذَا الْغَيْظُ/ الَّذِي قَدْ أَنْصَبَكَ، وَمَا هَذَا الْحَزَنُ الَّذِي قَدْ أَكْمَدَكَ، وَمَا هَذَا الْهَمُّ الَّذِي قَدْ أَضْنَاكَ، وَهَلْ رَأَيْتَ أَخْسَرَ صَفَقَةً، وَلَا أَوْهَنَ قَوَّةً، وَلَا أَرْدَأَ حُجَّةً، مِمَّنْ أَجْرَى الْعِتَاقَ^(٤) مَعَ الْكَوَادِنِ^(٥)، وَالرَّوَاتِعِ^(٦) مَعَ الْمَحَامِرِ^(٧)، وَمَنْ خَاصَمَ مَنْ يُسَالِمُهُ، وَحَارَبَ مَنْ يَقْلُدُهُ.

[١٢] فصل (٨)

وَسَأخْبِرُكَ عَنِ هَذَا الرَّجُلِ، مِنْ لُؤْمِ الطَّيْعِ، وَسُخْفِ الْجِلْمِ، وَدَنَاءَةِ النَّفْسِ، وَخُبَيْتِ الْمَنْشَأِ، مَا^(٩) يَشْفِي الصَّدْرَ وَيُثَلِّجُهُ، وَيَبَيِّنُ عَنِ الْعُلْرِ فِيهِ وَيَكْشِفُهُ، وَاسْتَشْهِدِ الْعُدُولَ، وَأَهْلَ الْمَخِيلَةِ^(١٠) وَالْعُقُولَ، عَلَى أَنِّي لَمْ أَرْ لَهُ مَحْتَجًّا، وَلَا عَنهُ، مُكْذِبًا، وَلَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَرَحُّهُ، وَ^(١١) يَحْفَلُ بِهِ، أَوْ يُمَسِكُ عَنهُ، أَوْ يَشْفَعُ فِيهِ.

(١) في الأصل غير معجمة. وما أثبت من السندوبي: ص ١٩٤.

(٢) في المبرّد ص ٥٠: ولترك الجماع.

(٣) إلى هنا انتهاء ما جاء في المبرّد.

(٤) العتاق: الخيول الجميلة الكريمة. (اللسان: عتق).

(٥) الكوادن: البراذين. (اللسان: كدن).

(٦) الروابع: جمع روعاء وهي الفرس أو الناقة الحديدية الفواد. (اللسان: روع).

(٧) المحامر: فرس يشبه الحمار في جريه من بطئه، وأيضًا يقال: فرس محمر للفرس الهجين.

(اللسان: حمر).

(٨) ورد الفصل في الحاجري: ص ٣٣-٣٥ بعنوان: فصول في الهجاء، ومن ص ٢٥-٢٧ بعنوان:

رسالة في الزئاء والتأين، وأبي النصر: ص ٢٧-٣٠.

(٩) في الحاجري ص ٣٣: بيا.

(١٠) أهل المخيلة: أهل الظن. (اللسان: خيل).

(١١) في الحاجري ص ٣٣: أو.

قُلْتُ لِمُعَاذِ^(١) بْنِ سَعْدٍ^(٢): «أَدَخَلْتَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: لَا يَعُودُ إِلَيْهِ حُرٌّ».

وَقُلْتُ لِلْفَيْضِ بْنِ يَزِيدٍ^(٣): «صِفْهُ لِي، فَإِنَّكَ تَعْرِفُ الْأُمُورَ، وَقُلْ، فَإِنَّكَ تُحْسِنُ أَنْ تَقُولَ»، قَالَ: «يُضْرُّ وَاللَّهِ عِنْدَهُ مَا يَنْفَعُ عِنْدَ الْكِرَامِ، وَيَنْفَعُ عِنْدَهُ مَا يَضُرُّ عِنْدَ الْكِرَامِ».

قُلْتُ: «فَكَيْفَ عِشْرَتُهُ؟ قَالَ: فَوْقَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى، وَدُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ^(٤)».

وَقَالَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِ دُرُسْتٍ^(٥): «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ بَاطِنِ عَزْمِهِ، كَمَا أَعُوذُ بِكَ مِنْ ظَاهِرِ عَمَلِهِ».

(١) في الأصل (لمعا)، وهو تصحيف.

(٢) في الحاجري ص ٣٣: سعيد. ولم أجد له ترجمة.

(٣) الفيض بن يزيد: ذكره الجاحظ في كتابه البخلاء، وأورد له أقوالاً مظهرًا فيها بخله، وامتناعه عن تقديم المساعدة المالية للآخرين، متذرعًا بفقره، وقلة حيلته، وكثرة عياله. (انظر: الجاحظ، البخلاء، ٢ / ١٧٤ - ٧٥).

(٤) هما تضمين الآية «وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَسْفُوتًا» [التسجدة: ٢١].

العذاب الأدنى: القتل والأسر، والجذب سنين، والأمراض.

العذاب الأكبر: عذاب الآخرة.

(٥) أبو عقيل بن درست: أورد الجاحظ له كلامًا في الحيوان والبيان والتبيين، يقول أبو عقيل: أن نشاط القاتل على قدر فهم السامع، وقال أيضاً: إذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القاتل على القول، لم يبلغ القاتل في منطقه، وكان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلة بالاستماع منه.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين ٢ / ١١٧، ٢٠٦، والجاحظ، الحيوان: ٧ / ١٥٢).

وقال شداد الحارثي^(١): «لَمْ أَرُ لَوْمًا قَطُّ إِلَّا وَالِدَهُ يُنْقِصُ مِنْهُ أَوْ يَزِيدُ فِيهِ، إِلَّا لَوْمُهُ، فَإِنَّهُ قَدْ تَنَاهَى فِي الْقُوَّةِ، وَيَبْلُغُ أَقْصَى النُّهَايَةِ، وَعَادَ مُصَمِّتًا^(٢) لَا مَدْخَلَ^(٣) عَلَيْهِ، وَمُشْتَبِهًا لَا حِيلَةَ فِيهِ. فَإِنْ كَانَ إِلَى الْغَايَةِ أَجْرِي، فَقَدْ حَوَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ^(٤)، وَإِنْ كَانَ التَّفَرُّدَ طَلَبَ، فَقَدْ خَلَا بِالرِّيَاسَةِ، وَاسْتَبَدَّ بِالْوَحْدَةِ».

وقال^(٥) سهل بن هارون^(٦): «إِنَّ الْحَاسِدَ وَالغَضْبَانَ وَالْحَاقِدَ، وَالْعِيَابَ^(٧)، إِذَا اسْتَفْتَدُوا الْعُيُوبَ وَاسْتَكْوَأُوا^(٨) قَوْلَ الزُّورِ، وَالتَّمَسُّوا مَا شَاكَلَ الْحَقَّ وَقَارَبَهُ، وَأَشْبَهَ مَا

(١) شداد الحارثي: ذكره الجاحظ في البيان والتبيين، وقال: إنه يكتئب أبا عبيد الله، وأورد قصته مع المرأة السوداء.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ٢ / ٤٥).

(٢) المصمت: لا جوف له. (اللسان: صمت).

(٣) في الحاجري ص ٣٣: يدخل.

(٤) قصبات السبق: الغاية التي يسبق إليها، ويقال حاز قصبات السبق أي استولى على الأمر.

(انظر: الحصري، زهر الآداب: ١ / ٥٤، اللسان: قصب).

(٥) أطلق عمر أبي النصر على هذا الجزء عنوان «الهجاء اللاذع».

(٦) سهل بن هارون: فارسي الأصل، أقبل على التزود من يتابع الثقافة وخاصة علم الكلام، وما نقل عن الأجانب من مختلف الترجمات فارسية ويونانية وهندية، قربه يحيى البرمكي وزير الرشيد منه وألقبه بالدواوين، وبعد أن أسس هارون الرشيد دار الحكمة عين بها للإشراف على بعض الكتب، وبعض ما كان يترجم فيها من الآداب الأجنبية، وفي عهد المأمون أصبح قتيماً على خزائن كتب الفلسفة، وكان يلزم المأمون في مجالسه وندواته، وبقي خازناً بدار الحكمة حتى توفي سنة (٢١٥ هـ).

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين ١ / ٥٢، والتدبير، الفهرست ١٧٤).

(٧) العياب: كثير العيب للناس. (اللسان: عيب).

(٨) في الحاجري ص ٣٣، وفي أبي النصر ص ٢٧: استلوا.

في المنسوب وناسبه^(١)، وهو الرُّجُلُ بَعْرَارَتُهُ^(٢)، وَكَثْرَةُ رَدَّةِ^(٣)، وَفُحْشِ عُبُوبِهِ، وَظُهُورِ لُؤْمِهِ، وَكَثْرَةِ الشُّهُودِ عَلَيْهِ، وَالْقَائِلِينَ فِيهِ، لَا يَجُوجُكَ إِلَى الْيَمِينِ وَالشَّاهِدِ، فَعَائِبُهُ سَلِيمٌ مِنَ الذَّمِّ^(٤)، مُعْفَى مِنَ الْكُذِبِ، لَا يَعْيبُهُ وَرَعٌ، وَلَا يُسْفَهُهُ كَرِيمٌ، وَلَهُ عِنْدَ ذَاِمِهِ وَالوَاصِفِ لِعُبُوبِهِ آيَادٌ لَا تُشْكِرُ، وَنَعَمٌ لَا تُنْكِرُ».

وَوَصَفَهُ آخَرَ فَقَالَ: «هُوَ مُنْحَرِفٌ عَنِ الْجَادَّةِ^(٥)، يَخْبِطُ خَبِطَ الْعَشْوَاءِ^(٦)، وَيَحْكُمُ حُكْمَ الْوَرَهَاءِ^(٧)، وَيُنَاسِبُ أَخْلَاقَ النِّسَاءِ؛ لِأَنَّ الْمَرَأَةَ لَا تَسْمُو إِلَى مَرَاتِبِ السَّادَةِ، وَلَا تَرُومُ^(٨) مُنَافَسَةَ الْقَادَةِ، وَلَيْسَ لَهَا مِنْ عَقْلِهَا مَادَّةٌ. هَمَّتْهَا قَصِيرٌ، وَرُكْنُهَا/ ضَعِيفٌ، وَصَدْرُهَا ضَيِّقٌ، وَرَأْيُهَا مُتَشَبِّهٌ، وَفِي قَوِيٍّ هَوَاهَا فَضْلٌ عَلَى قَوِيٍّ عَقْلِهَا، وَسُخْفٌ رَأْيُهَا غَائِرٌ لِرِجَاحَةِ حِلْمِهَا، لَا تَعْرِفُ حُدُودَ الْاِعْتِدَالِ، وَلَا مَوَاقِعَ الْاِقْتِصَادِ، وَلَا التَّوَسُّطَ فِي الْأُمُورِ، وَلَا عَوَاقِبَ التَّنْذِيرِ».

(١) المنسوب وناسبه: المنسوب ذو الحسب والنسب، وناسبه أي أشركه في نسبه. (اللسان: نسب).

(٢) بَعْرَارَتُهُ: حسنه أو طريقته. (اللسان: غرر).

(٣) ساقطة من الحاجري.

(٤) في الحاجري ص ٣٤: الذنب.

(٥) الجادّة: الطريق. (اللسان: جدد، وإبراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص ٨٨).

(٦) العشواء: أصلها من الناقة العشواء لأنها لا تبصر ما أمامها فهي تخبط بيديها، وذلك أنها ترفع

رأسها فلا تتعهد مواضع أخفافها، وتخبط خبط العشواء مثل يضرب للذي يركب رأسه ولا

يتم لعاقبته كالناقة العشواء التي لا تبالي كيف تخبط بيديها كلما مرت به، مثل قول زهير:

رأيت المنايا خبّطَ عشواءاً، من نُصِبَ مُنْتَه، ومن مُخْطِئٍ يُعْتَمِرُ فِيهِرَمَ

(انظر: حمزة الأصفهاني، الدرّة الفاخرة: ص ١٠٩، واللسان: عشا).

(٧) الورهاء: الحكماء، والخرفاء بالعمل. (اللسان: وره).

(٨) تروم: تطلب. (اللسان: روم).

ووصفه آخرُ فقال: «يَظْلِمُ الضَّعِيفَ، وَيَقْتُلُ الصَّارِعَ، وَيُدْفَقُ^(١) عَلَى الْجَرِيحِ، وَيَطْلُبُ الْهَارِبَ، وَيَهْرُبُ مِنَ الطَّالِبِ، وَلَا يَعْرِفُ التَّقِيَّةَ^(٢) وَلَا الْمُرُوَّةَ؛ يَعْتُقُ أَبَاهُ، وَيَحْسُدُ أَخَاهُ؛ الْعُجْبُ^(٣) شَقِيقُهُ، وَالْبَذْخُ^(٤) صَدِيقُهُ، وَالنَّفْجُ^(٥) أَلْفُهُ، وَالصَّلْفُ^(٦) عَقِيدُهُ.

قد تَمَكَّنَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَهَوَّنَ عَلَيْهِ سَخَطَ الرَّبِّ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ عِقَابَ الْأَبَدِ، وَوَعَدَهُ الظَّفَرَ، وَمَتَّاهِ السَّلَامَةَ، وَلَقَمَهُ الْاِحْتِجَاجَ بِالْبَاطِلِ، وَزَيَّنَ لَهُ قَوْلَ الزُّورِ، وَنَظَّمَ لَهُ خِلَالَ الشَّرِّ.

فِي أَنْفِهِ حُخْرَوَانَةٌ^(٧)، وَفِي رَأْسِهِ نُعْرَةٌ^(٨)، وَكَأَنَّمَا أَنْفُهُ فِي أُسْلُوبٍ^(٩). وَمَنْ عَظَّمَ كِبَرَهُ اشْتَدَّ عُجْبُهُ، وَمَنْ أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ لَمْ يُشَاوِرْ كَفِيًّا، وَلَمْ يُؤَامِرْ نَصِيحًا.

(١) يذفق: يتمم. (اللسان: ذفق).

(٢) في الأصل (النفه)، غير معجمة.

(٣) العجب: إنكار ما يرد عليه لقلّة اعتياده. (اللسان: عجب).

(٤) البذخ: التكبر والتطاول. (اللسان: بذخ).

(٥) النفج: التعاطم والتكبر والخيلاء. (اللسان: نفج).

(٦) الصلف: مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرًا. (اللسان: صلف).

(٧) خنزروانه: كِبَر. (اللسان: خنز)، وهو أن يشمخ أنفه من الكبر، ويفتح منخره، ولهذا يقال في أنفه خنزروانه؛ إذا مال رأسه من الكبر.

(انظر: أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة: ص ٤٤٠، وإبراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص ١٣٣).

(٨) نعرة: كبر. (اللسان: كبر، وإبراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص ٤٠٩).

(٩) أنفه في أسلوب: دلالة أنه متكبر. (اللسان: سلب).

وَوَصَفَهُ آخَرَ فَقَالَ: «سَلَّمْتَهُ»^(١) الْحَالُ إِلَى الْقَسْوَةِ، وَاسْتَمَرَّعَتْهُ الْعَفْلَةُ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْهِ سُلْطَانُ الطَّبَعِ، وَكُتِفَ عَلَى قَلْبِهِ حِجَابُ الرَّيْنِ^(٢)، فَلَمْ يَبْقَ فِي عَقْلِهِ فَضْلٌ لِلِاسْتِمَاعِ^(٣)، وَلَا فِي اسْتِطَاعَتِهِ بَقِيَّةً لِلتَّصَرُّفِ.

يَنْبُو^(٤) عَنْهُ/ السَّيْفُ وَإِنْ كَانَ صَارِمًا، وَتَقِفُ عَنْهُ الْحِجَّةُ وَإِنْ كَانَتْ قَاطِعَةً، وَلَا يَجِدُ النَّافِخُ فِيهِ فَحْمًا^(٥)، وَلَا الْقَابِسُ مِنْهُ قَبْسًا^(٦)، وَلَا الْمَوْرِي زَنْدًا^(٧).

قَالَ مَعْمَرُ السُّلَمِيِّ^(٨) وَذَكَرَهُ مَرَّةً فِي كَلَامٍ لَهُ فَقَالَ: «مَوْكَلٌ بِلَوْمِ الْمُحْسِنِينَ، وَالتَّعَجُّبِ مِنَ الْمُفْضِلِينَ. يَعُدُّ الْاِقْتِصَادَ جَوْدًا، وَالْجَوْدَ سَرَفًا، وَيَعَجَّبُ مِنَ الطَّامِعِ فِيهِ،

(١) في الحاجري ص ٣٤، وفي أبي النصر ص ٢٨: أسلمته.

(٢) الرين: سواد القلب. (اللسان: رين).

(٣) في الحاجري ص ٣٤، وفي أبي النصر ص ٢٨: للاستماع.

(٤) ينبو: يقصر. (اللسان: نبا).

(٥) لا يجد النافخ فيه فحماً: فحماً: الجمر الطافى، وفي المثل لو كنت أنفخ في فحم؛ ويضرب هذا المثل للرجل الذي يبارس أمراً لا يجدي.

(انظر: الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة: ص ١٠٠، والميداني، مجمع الأمثال: ٣ / ١٠٢، واللسان: فحم).

(٦) القابس منه قبساً: القبس هي الشعلة، والقابس هو طالب النار. (اللسان: قبس).

(٧) الموري زندا: يضرب مثلاً للنجاح والظفر، أي إذا رام أمراً أنجح فيه، وأدرك ما يطلب.

(انظر: حمزة بن الحسن، الدرّة الفاخرة: ص ٢٥٩، واللسان: وري).

(٨) معمر السلمي: معمر بن عباد السلمي، بالتشديد، معتزلي من أهل البصرة، ثم سكن بغداد وناظر النظام، كان يقول: النفس جوهر، ليس جسماً ولا عَرَضاً، ولا لها طول ولا عرض، ولا عمق ولا جوف، ولا هي في مكان، وهي الفاعلة المدبّرة، مات سنة (٢١٥ هـ).

(انظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ٧ / ١٤).

وَالرَّاعِبِ إِلَيْهِ، وَيُضَعَّفُ مَنْ جَزَعٌ [مِنْ] (١) الدَّمِّ، وَهَشَّ لِلْحَمْدِ (٢)؛ لَا يُعَدُّ الْحَزَمَ إِلَّا الْمَنَعُ، وَلَا الْعَيْشَ إِلَّا الْجَمْعُ، لَمْ يُجَدِّثْ عَن جَوَادِ قَطْ، وَلَا نَدِمَ عَلَى سُوءِ قَطْ، وَلَا أَمَسَكَ عَن الْاجْتِجَاجِ لَهُ.

ثُمَّ مَا ظَنَّنَكَ بِعِرْقِ السُّوءِ إِذَا تَقَادَمَ، وَاللُّؤْمِ إِذَا تَمَكَّنَ، وَالْبُخْلِ إِذَا اسْتَفْحَلَ (٣)، وَالْفَحْشَاءِ (٤) إِذَا نَمَتَ (٥)، وَالذَّنَاءَةَ إِذَا كَمَلَتْ (٦).

يُعَظَّمُ الْعَتِيَّ وَإِنْ كَانَ غَفْلًا (٧)، وَمِنَ الْأَدَبِ خِلْوًا، وَمِنَ حِلْيِ الْجُودِ عَطْلًا (٨)، وَيُحَقَّرُ الْمُقَلُّ (٩) وَإِنْ كَانَ أَدِيًّا حَكِيمًا، وَحَوْلًا (١٠) بَارِعًا، وَلِمَجْهُودِهِ بِأَذَلًا. شَدِيدُ الْكِبَرِ عَلَى جَلِيسِهِ، مُتَهَاوِنٌ بِعَظِيمِ حَقِّهِ، وَلَوْ انْقَطَعَ إِلَيْهِ أَبُوهُ، وَاحْتِجَّ إِلَيْهِ أَخُوهُ.

وَأَعْظَمُ النَّاسِ عِنْدَهُ يَدًا، وَأَظْهَرُهُمْ فَضْلًا، لِنُصْحِهِ مِنْ غَرِيبِ الْكِبَرِ، وَنَصَبِ عَلَى ذُرْوَتِهِ مِنْ بَدِيْعِ الدَّلِّ، مَا لَا يَقُومُ لَهُ عِزٌّ، وَلَا يَنْهَضُ بِهِ حُرٌّ (١١)، وَلَرَكِيَّتُهُ بِهَا لَا

(١) ما بين المعقوفين من الحاجري ص ٣٥، وأبي النصر ص ٢٨.

(٢) هش للحمد: إذا سرت به وفرح. (اللسان: هشش).

(٣) في الحاجري ص ٣٥، وفي أبي النصر ص ٢٨: تفحل.

(٤) في الأصل (الفحشا) وهو تصحيف.

(٥) في الحاجري ص ٣٥، وفي أبي النصر ص ٢٨: تمت.

(٦) في أبي النصر ص ٢٨: أكملت.

(٧) غفلاً: الذي لا يرجئ خيره ولا يخشى شره. (اللسان: غفل).

(٨) عطلاً: الخالي من الحلي. (اللسان: عطل).

(٩) المقلُّ: الفقير. (اللسان: قلل).

(١٠) حولاً: ذو حيل، وبصير بتحويل الأمور. (اللسان: حول).

(١١) في الأصل (ضر) وهو تصحيف، وما أثبت من الحاجري ص ٣٥، وأبي النصر ص ٢٨.

يَحْتَمِلُهُ الْكَلِيمُ، وَلَا يَرُومُهُ الْعَزْمُ، يُقَدِّرُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقَعْ^(١) الْكَرِيمَ إِلَّا لِيَضْرِعَ خَدَّهُ، وَلَا
أَغْنَى اللَّئِيمَ إِلَّا لِيَرْفَعَ / مَسَائِلُنَا فِيهِ^(٢).

وَلِئِنْ بَكَيْتُ عَلَيْهِ لِأَجِدَنَّ مَبْكِي، وَلِئِنْ احْتَسَبْتُ لِفِي مِثْلِهِ يُحْتَسَبُ.

وَلَوْ شِئْتَ أَنْ أَبْكِي دَمَا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ^(٣)

وَلِئِنْ قَصُرَتْ مُدَّةُ الْإِمْتَاعِ بِهِ، مَا قَصُرَتْ مُدَّةُ الْحُزْنِ فِيهِ، وَلِئِنْ ارْتَحَلَ عَنَّا
وَشِيكَا، لَقَدْ أَتَوَى فِي قُلُوبِنَا الْأَسْفَ طَوِيلًا، وَلِئِنْ كَانَ عَرَضْنَا لِلصَّبْرِ بِمَوْتِهِ، لَقَدْ
عَرَضْنَا لِلشُّكْرِ بِحَيَاتِهِ.

وَلِئِنْ دَنَوْتُ مِنَ النَّاسِ بَعْدَهُ، وَاقْتَرَبْتُ مِنْ حَيَاتِهِمْ^(٤)، مُتَسَلِّيًا^(٥) عَنْ بَعْضِ

الْكَمَدِ^(٦)، وَمُنْفَسًا^(٧) عَنِ حَرَارَةِ الْعَلَلِ^(٨) فِي ذَلِكَ، لَكَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

فَإِنْ أَغْشُ قَوْمًا بَعْدَهُ أَوْ أَزُورُهُمْ فَكَالْوَحْشِ يُدْنِيهَا مِنَ الْأَنْسِ الْمَحْلُ

(١) في الحاجري ص ٣٥، وفي أبي النصر ص ٢٨: يقرر.

(٢) في الحاجري ص ٣٥، وفي أبي النصر ص ٢٨: إلا ليرفع قدره.

(٣) نسب البيت للخريمي: المبرد، الكامل: ٣ / ٢٠٤، والجرجاني، الإشارات والتبسيطات: ص ٦٩،
والعباسي، معاهد التنصيص: ١ / ٢٤٦.

(٤) في الحاجري ص ٢٥: جناهم.

(٥) في الحاجري ص ٢٥: تسلّيًا.

(٦) الكمد: الهم والحزن، وقيل الحزن المكتوم. (انظر: ابن قيم الجوزية، روضة المحيّن ونزهة
المشتاقين: ص ٣٨، واللّسان: كمد).

(٧) في الحاجري ص ٢٥: تنفيسًا.

(٨) الغلل: الغش والعداوة والحقد والحسد. (اللّسان: غلل).

ولئن أشرَّ^(١) الباغي، وفرِحَ العدو، وشرَّ الحاميد، وظَفِرَ الشامِت، وجَدَل^(٢)
المُبغِض، واستَبَسَّرَ الشَّانِي^(٣)، ما تَعَزَّيْنَا^(٤) في ذلك إلا بَقَوْلِ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ^(٥):
أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالذَّهْرِ رَأَيْتَ الْمُبْرَأَ الْمَوْفُورُ^(٦)
ولئن مَجَلَّدْتُ لِلشَّامِتِينَ، وتَزَيَّنْتُ لِلعُيُونِ، وأصْلَحْتُ مِن شِعْرِي وَثِيَابِي،
وَرُكُوبِي وَرِيبَاسِي، لَكِنَّمَا^(٧) قَالَ الْأَوَّلُ^(٨):

(١) أشر: فرح. (اللسان: أشر).

(٢) جدل: فرح. (اللسان: جدل).

(٣) في الحاجري ص ٢٥: القالي.

الشاني: المبغض. (اللسان: شنا).

(٤) في الأصل (عريا) وهو تصحيف.

(٥) عدي بن زيد: أبو عمير، ابن حماد، نصراني، عبّادي، سكن الحيرة، فلانَ لسانه وسهل منطقته،
وكان كاتباً لكسرى، وكان كسرى مُكرماً له ومحباً، وكان عدي أنبل أهل الحيرة، وأجودهم
منزلة، غضب عليه النعمان بن المنذر وحسه طويلاً واغتاله في حسه، توفي سنة (٩٥ هـ).
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥ / ٥٧٤، والأصفهاني، الأغانى: ٢ / ٨٩).

(٦) ورد البيت في خزنة الأدب: ٩ / ٥٠٦، والشعر والشعراء: ص ١٤٤، وسير أعلام النبلاء، ٥ /
٥٧٤، والروض المعطار في خبر الأقطار: ص ٢٢٧، حاسة أبي تمام: ١ / ١٠٩، ومعجم
الشعراء: ص ٨١، وابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ١ / ١٥٥، وعبد السلام هارون، مجموعة
المعاني: ١ / ٣٠٣.

(٧) في الحاجري ص ٢٦: فكما.

(٨) القائل هو أبو يعقوب، إسحاق بن حسان الخريمي، كان أعجمياً ازدهر شعره في عصر الرشيد
والمأمون ومدحهما، وكان يفتخر بأصله الفارسي، توفي سنة (٢١٤ هـ).

(انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١ / ٣٣٩).

وإني وإن أظهرت صبراً وحسبَةً وصانعتُ أعدائي عليك لموجعٌ^(١) /
ولئن رُمينا من الدهرِ بالجلَى^(٢)، لقد سهَّلَ علينا مؤونةَ الصُّغرى، فنحنُ في فقدنا
له كما قالَ الأوَّل:

وكنْتُ أعيُرُ الدَّمعَ قبْلَكَ مَنْ بكى
فأنتَ على مَنْ ماتَ بعدَكَ شاغِلُهُ^(٣)

ولئن قلت: إنَّه قصَّ الجناح، وجذَمَ^(٤) اليد، وقطَعَ الظهر، وقصَمَ^(٥) النَّاب،
وحطَمَ الصُّلب، وفلَّ^(٦) الحذَّ^(٧)، وأوهنَ المنة^(٨)، وأضرَمَ^(٩) الأحشاء، وعقلَ اللسان^(١٠)،

(١) ورد البيت في المنتخب والمختار في النواحر والأخبار: ص ١٩٣:

وإني وإن أظهرت مني جلادة وصانعت أعدائي، عليه لموجع

(٢) الجلي: الأمر العظيم. (اللسان: جلل).

(٣) البيت للشمردل بن شريك اليربوعي، ابن عبد الملك من بني ثعلبة، شاعر هجاء، كان يقال له ابن الخريطة، وهو من شعراء الدولة الأموية، عاصر جرير والفرزدق، قال المرزباني: له في الصيد والطرْد أراجيز حسان.

(انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٤٧٠، والأمدي، المؤلف والمختلف: ص ٢٠٥.

ورد البيت في البيان والتبيين ٤ / ٥٤، والشعر والشعراء: ص ٥٠٧).

(٤) جذم: قطع. (اللسان: جذم).

(٥) قصم: كسر. (اللسان: قصم).

(٦) الفل: الكسر. (اللسان: فل).

(٧) الحذ: حذة الشيء. (اللسان: حدد).

(٨) المنة: القوّة. (اللسان: من).

(٩) أضرَم: أهب وأشعل. (اللسان: ضرَم).

(١٠) عقل اللسان: لم يقدر على الكلام. (اللسان: عقل).

وأهاجَ المُتَبَلِّدُ^(١)، وأعاشَ الحَيْرَةَ^(٢)، وأماتَ الذِّكَاءَ، ونَزَعَ الرَّغْبَةَ، وأورَثَ السَّلْوَةَ، وبرئَ اللَّحْمَ، وهاضَ^(٣) العَظْمَ، وأورَثَ الكَمْدَ، وأعقَبَ الأَسْفَ، وهاجَ الكابَةَ، لأصدُقنَ، بل لأفصِرَنَّ عَن نِّهَايَةِ مَا بَلَغَ.

فالحَمْدُ لله، ثُمَّ الحَمْدُ لله، على نوائِبِ الدَّهْرِ، ومَكَارِهِ الأَيَّامِ، ومَرَارَةِ العَيْشِ، ومَجْرَعِ التُّكْلِ^(٤)، واعْتِرَاضِ الشَّجَا^(٥)، اصْطِبَارًا واسْتِسْلَامًا، ورُجوعًا إلى أمرِ الله، ومَسْكَا بِمَرَاشِيدِهِ.

فإن تَكُنِ الأَيَّامُ فَرَقَنَ بَيْنَنَا
فقد بَانَ مَحْمودًا أَخِي يَوْمَ وَدَّعَا^(٦)

(١) المتبلد: الذي يتردد متحيرا. (اللسان: بلد).

(٢) الحيرة: عدم الاهتداء إلى السبيل. (اللسان: حير).

(٣) هاض: كسره بعد الجبور أو بعدما كاد ينجبر. (اللسان: هيض).

(٤) التكل: الموت والهلاك. (اللسان: تكل).

(٥) الشجا: الهم والحزن. (اللسان: شجا).

(٦) البيت لمتمم بن نويرة، وهو ابن جرة التميمي، صحابي له قصائد من غرر الشعر في رثاء أخيه

مالك، عاش حتى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تمثلت عائشة رضي الله عنها بشعره.

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٥ / ٥٤، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٦ / ١٥، والذارقطني،

المؤتلف والمختلف: ٢ / ٦٠٠، والأمدى، المؤلف والمختلف: ص ٢٩٧، وابن قتيبة، الشعر

والشعراء: ١ / ٣٣٧، والأصفهاني، الأغاني: ١٥ / ١٩٩).

ورد البيت في الكامل للمبردت الهدناوي: ٣ / ٢٦٦، والزخشري، شرح المفصل: ٣ / ٣٨٠،

والخطيب التبريزي، شرح اختيارات الفضل: ٣ / ١٦٨٧، والعقد الفريد: ٣ / ٢٦٠، واليزيدي،

كتاب الأمالي: ص ٢١، والبستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: ص ١٩٠، والقرشي، جمهرة

أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: ٢ / ٧٥٢، وإميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد

العربية: ٤ / ٢٠٥.

يا أبا محمد، أصلحك الله! فقيم التريص^(١) والانتظار، وعلّام العرجة^(٢)؟ وإنما الدنيا كأهل دار؛ متى يفرّ أو لهم تلاحقوا، فلم يبق بها أنيس.

أفما تعلم أن الركب وقوف؛ من آتته دابته/ ارتحل، غير أن الإياب إلى الله!
أوما تعلم أننا رهائن بأنفسنا، فكيف لا نسعفي فكأكيها! وما تعلم أنا لمدويون
لحلية التشمير^(٣)؛ فما الونى^(٤) والتأخير! فنشدتك الله ونفسي في التشدّد والتخوف.
فما نحن إلا مثلهم غير أننا أقمنا قليلاً بعدهم وترحلوا

[١٣] فصل^(٥)

قد رأيتك، جعلت فداك، ألفت إنساناً خارجاً من الإنسانية إلا باسمها، قد
لفظته كل طبيعة حيوانية منغمية، وجانته أرواحهم، ونفرت عنه قلوبهم، ونحامت
أنفسهم؛ حتى لقد تنكبوه في المسيرة والموافقة، وردّ السلام والإشارة؛ وذلك أن فيه
آفات قد ملأت جوارحه، وغطت على آدبه؛ حتى لو كان سبحانه وائل^(٦) في الخطابة،

(١) التريص: أصله من الربصة وهي التلبث. (اللسان: ريص).

وقيل طول الانتظار، قال تعالى ﴿فَتَرْتَضُوا يَوْمَ هُنَّ حِينٌ﴾ [المؤمنون: ٢٥].

(انظر: أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص ١٠٧ ١٠٨).

(٢) العرجة: المقام. (اللسان: عرج).

(٣) التشمير: الجهد في الأمر والاجتهاد فيه. (اللسان: شم).

(٤) الونى: الضعف والفتور والإعياء. (اللسان: وني).

(٥) ورد جزء من هذا الفصل في المبرد: ص ٤٢ بعنوان: رسالة التريص والتدوير، والحاجري:

ص ٣٩ بعنوان: فصول في الهجاء، وأبي النصر: ٣٣.

(٦) سبحانه وائل: سبحانه بن وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان، اشتهر في
الجاهلية، وعاش زمناً في الإسلام، وكان إذا خطب يسيل عرقاً ولا يعيد كلمة ولا يتوقف =

وطولِ اللّسان، وواضحِ البيان، كانَ كَبَاقِلٍ^(١) في العَيَاةِ وَالْمَدَامَةِ^(٢)، ولو[والإداه]^(٣) عَبْدٌ مَتَافٍ وَهَاشِمٌ؛ وَحَاشَا هُمَا أَنْ يَلِدَا مِثْلَهُ، مَا كَانَ إِلَّا خَامِلًا، وَضِيعًا، وَلَوْ كَانَ حَاتِمًا الطَّائِي^(٤) وَكَعَبَ بْنِ مَامَةَ^(٥) وَالتُّوَكَّلَ^(٦) فِي السَّخَاءِ وَكَثْرَةِ الْعَطَايَا، مَا كَانَ إِلَّا مَنقُوصًا

= ولا يقعد حتى يفرغ، أسلم في زمن النبي ﷺ، ولم يجتمع به، توفي سنة (٥٤ هـ)، كان ليساً بليقاً، يضرب به المثل في البيان والفصاحة، فيقال أفصح من سبحان وائل.
(انظر: ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ٦ / ٦٧، وابن نباتة، سرح العيون: ص ١٤٦ - ١٤٧، وابن قتيبة، المعارف: ص ٦١١، وأحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أديبات وإنشاء لغة العرب: ١ / ٣٢٢).

(١) باقل: من بني قيس بن ربيعة، يضرب به المثل في العي، وكان عيناً فدماً، قيل أنه بلغ من عي باقل أنه اشترى ظلياً بأحد عشر درهماً، فقيل له: بكم اشتريت الظمي؟ ففتح كفيه وقرق أصابعه وأخرج لسانه ليشير بذلك إلى أحد عشر، فانفلت الظمي وذهب.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ١ / ١٠، وابن قتيبة، المعارف: ص ٦٠٨، واللّسان: بقل).

(٢) الفدامة: القدم هو العي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة، وهو أيضاً الغليظ الأحق.
(اللّسان: قدم).

(٣) في الأصل (ولده)، وما أثبت من الحاجري ص ٣٩، وأبي النصر ص ٣٣.

(٤) حاتم الطائي: ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج القحطاني، شاعر جاهلي، جواد مشهور بالكرم، عاش ومات في الجاهلية، يصدق قوله فعله، مظفر، منصور، إذا قاتل غلب، وإذا سُئل وهب، شعره كثير ضاع معظمه، بقي منه ديوان صغير، وفي تاريخ وفاته اختلاف.
(انظر: الأصفهاني، الأغاني، ١٧ / ٣٦٢، وابن قتيبة، الشعر والشعراء ١ / ١٦٤، وابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ٣ / ٤٢٤).

(٥) كعب بن مامة: اشتهر بالكرم، حتى قال عنه الجاحظ أنه بذل النفس حتى أعطبه الكرم، أن كل ما اشتهر به حاتم الطائي لا يبلغ شيئاً أمام كعب بن مامة. (انظر: الجاحظ، البخلاء، ٢ / ٩٦، ٩٧، ١٨٧).

(٦) التوكل: أبو الفضل، جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون بن المهدي بن منصور =

وَرَدَلًا، وَلَوْ انْفَلَقَتْ عَنْهُ جُتَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ^(١) وَأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ^(٢)، مَا كَانَ إِلَّا جَاهِلًا زَكِيًّا/، وَإِحْدَى صِفَاتِهِ اللَّازِمَةُ لَهُ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وَلَيْسَ صَاحِبُكَ يَمُنُّ عَنِّي اللهُ؛ لِأَنَّ جِبْهَتَهُ فِي رَأْسِهِ، وَمُقَدَّمُ رَأْسِهِ الَّذِي تُعْرَفُ بِهِ الْأَشْخَاصُ فِي مَوْضِعِ قَصْرَةِ عُنُقِهِ^(٣)، وَمَرَّتَعُ فِكْرِهِ فِي مَوْضِعِ حِفْظِهِ، وَأُذُنَاهُ مَقْلُوبَتَانِ، فِي لِسَانِهِ حُبْسَةٌ^(٤)، تَرَى آذَانَهُ فِي شِقِّهِ، وَلِسَانَهُ فِي شِقِّهِ، وَتَظُنُّ أَنَّ كَلَامَهُ كَلَامَ تَحْمُومٍ أَوْ تَحْمُورٍ.

^(٥) عليه من الكلام أشدُّ المؤونة^(٦)، وفي معانيه اختلافٌ ليس منه شيءٌ يواتي

= القرشي العباسي، ولد سنة (٢٠٥ هـ) وبويع عند موت أخيه الواثق في ذي الحجة سنة (٢٣٢ هـ) أمه اسمها شجاع، قدم سنة (٢٤٤ هـ) إلى دمشق فأعجبهته، وعزم على المقام بها، ونقل دواوين الملك إليها، وأمر بالبناء فيها، وقد أظهر المتوكل السنة، وزجر عن القول بخلق القرآن، توفي سنة (٢٤٧ هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٩، والذهبي، العبر ١ / ٣٥٣، وابن العبري، تاريخ مختصر الدول: ص ٢٤٦).

(١) أبو عبيدة: هو معمر بن المثنى.

(٢) أبو عمرو بن العلاء: ابن عمار بن العريان، التميمي البصري، شيخ القراء والعريية، ولد سنة (٧٠ هـ) حدث عن أنس ابن مالك، ويحيى بن عمر، برز في الحروف وفي النحو، واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم، كان أعلم الناس بالقراءات والعريية، والشعر وأيام العرب، من أشراف العرب، توفي سنة (١٤٥ هـ) وعاش ستاً وثلاثين سنة.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٦ / ٥٤٠، والذهبي، العبر ١ / ١٧١، والمزني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٢١ / ٤١٠).

(٣) القصرة: أصل العنق. (اللسان: قصر).

(٤) حبسة: تعذر الكلام عند إزادته. (اللسان: حبس).

(٥) طمس وبياض في الأصل.

(٦) الكلمة مطموسة بالخبز في الأصل، ولعل الصواب ما أثبت.

صَاحِبِهِ، وَهُوَ قَصِيرٌ حَقِيرٌ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ طَوِيلٌ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَصِيرًا فِي الْعَيْنِ، فَإِنَّهُ طَوِيلٌ فِي الْحَقِيقَةِ.

(١) ويقول: «وما عليّ أن يراني النَّاسُ عَرِيضًا، وأكون في حُكْمِهِمْ غَلِيظًا، وأنا عندَ الله طَوِيلٌ جَمِيلٌ، وفي الْحَقِيقَةِ مَقْدُودٌ رَشِيقٌ. وقد عَلِمُوا أَنَّهُ مع طولِ الْبَادِ^(٢) رَاكِبًا، طَوِيلٌ^(٣) الظَّهْرِ جَالِسًا، وَلَكِنَّهُ بَيْنَهُمْ إِذَا قَامَ اخْتِلَافٌ^(٤)، وَلَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا اضْطَجَعَ مَسَائِلٌ^(٥)».

وهو شَيْخٌ كَبِيرٌ السِّنِّ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ شَابٌّ صَغِيرُ السِّنِّ. وَيَدَّعِي أَنَّهُ الْغَايَةُ فِي كُلِّ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَهُوَ لَمْ يَنْظُرْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ، ثُمَّ هُوَ كَثِيرُ الْخِلَافِ، هَجَّجٌ بِالْاعْتِرَاضِ، شَدِيدُ الْمِرَاءِ^(٦)، قَلِيلُ الرَّجُوعِ، بَطِيءُ الرَّوْعِ^(٧)، وَبَرِيءٌ إِلَى أَنْ يَرْفَعَ الصَّوْتِ، وَتَظْهَرُ الْحُجَجُ، وَبِالْمِرَاءِ يَكُونُ الْفَلَجُ^(٨)، وَإِنَّ مَنْ لَمْ يُكَابِرْ لَمْ يَبْلُغْ حَاجَتَهُ. [وإنَّه مِنَّنْ أَقْصَرَ عَن ذَلِكَ]^(٩) وَلَا يَتَّقُ / بِالتَّوَكُّلِ.

(١) من قوله «ويقول: وما عليّ أن يراني...» إلى قوله «إذا اضطجع مسائل» وردت في المبرد ص ٤٢.

(٢) في المبرد ص ٤٢: البال.

الباد: ما يلي السرج من فخذ الفرس.

(٣) ساقطة من المبرد.

(٤) في المبرد ص ٤٢: ولكن بينهم فيك إذا قمت اختلاف.

(٥) في المبرد ص ٤٢: وعليك لهم إذا اضطجعت مسائل.

(٦) المراء: الجدل. (اللسان: مرا).

(٧) الروع: القلب والعقل والذهن، وأيضًا الفزع. (اللسان: روع).

(٨) الفلج: الظفر والفوز. (اللسان: فلج).

(٩) في الأصل (وإن من اقتصر)، وما أثبت من الحاجري ص ٣٩، وأبي النصر ص ٣٢.

وقال محمد المكي^(١): «قُلْتُ لَهُ مَرَّةً: جُعِلْتُ فِدَاكَ! لَعَلَّ إِخْوَانَكَ أَنْ يَجْلِسُوا عِنْدَكَ فَوْقَ مِقْدَارِ شَهْوَتِكَ؛ فَإِنْ أَقَمْتَهُمْ اسْتَحْيَيْتَهُمْ، وَإِنْ تَرَكْتَهُمْ ثَقُلَ عَلَيْكَ مَكَائِهِمْ.

وما زالتِ الملوكُ تجعلُ لهذا أمارَةً، وتَنصِبُ له علامة، وقد قيلَ هذا لمعاويةَ بنِ أبي سُفيانَ، فقال: آيَةُ ذَلِكَ أَنْ أَلْقِيَ الْحَبِيزَةَ مِنَ يَدَي. وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ^(٢): آيَةُ ذَلِكَ أَنْ أَسْتَلْقِيَ عَلَى فِرَاشِي.

وقال عبدُ المَلِكِ بنُ مروان: آيَةُ ذَلِكَ أَنْ أَقُولَ: إِذَا سِتَّم. وقال سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ^(٣): آيَةُ ذَلِكَ أَنْ أَقُولَ: عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فاجْعَلْ لَنَا^(٤) آيَةً نَتَّهِى إِلَيْهَا، وَأَمَارَةً لَا تُجَاوِزُهَا، قَالَ: آيَةُ ذَلِكَ أَنْ أَقُولَ: يَا غَلامَ، العَدَاءُ^(٥).

(١) محمد المكي: أبو عبد الله، وقد أمره يحيى بن خالد وزير هارون الرشيد أن ينظم شعراً في (نقفور) فقال:

نَقَصَ الَّذِي أَعْطَيْتَهُ نَقْفُورُ فَعَلَيْهِ دَائِرَةُ البَوَارِ تَدُورُ
أَبْشَرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ فَتَحَّ أُنَاكُ بِهِ الإِلَهَ كَبِيرُ

فقال الرشيد ليحيى: قد علمت أنك احتلت في إسماعي هذا الخبر على لسان المكي، ونهض نحو الروم فافتتح هرقله.

(انظر: الجهشيارى، الوزراء والكتّاب ص ٢٠٧).

(٢) يزيد بن معاوية: أبو خالد، ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية، توفي في نصف ربيع الأول سنة (٦٤ هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥ / ٨١، والذهبي، ميزان الاعتدال: ٤ / ٤٤٠).

(٣) سليمان بن عبد الملك: ولد سنة (٦٠ هـ)، ولي الخلافة في جمادى الآخرة سنة (٩٦ هـ)، وتوفي سنة (٩٩ هـ) بمرج دابق.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥ / ٥٧٤، والصفدي، الوافي بالوفيات ٥ / ٢٤٥، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥ / ٣٧).

(٤) في الحاجر ص ٣٩ لك.

(٥) في الأصل (العداء) وهو تصحيف.

وقال مرة: «بسّ الشّيء الصّديق؛ أن أعطيتّه أفقرَكَ، وإن منعتّه وجدَ عليك، ومتى وجدَ عليك ظلماً اغضبِكَ، ومتى اغضبِكَ أو حشَكَ، ومتى أو حشَكَ استوحش منك».

وقال أباؤنا ولأبائهم بالأهواز^(١): «من وهب المال في عمله فهو أحمق، ومن وهب ماله بعد عزله فهو مجنون، ومن وهب ماله من جوائز مملوكة، أو من ميراث لم يتعب فيه، فهو محدود، ومن وهب من كيبه^(٢)، ما استفاد بحياته وكده، فذاك المطبوع على قلبه، المأخوذ بسمعِهِ وبصرِهِ».

واحتجب حيناً عن زواره؛ ليستفيدوا^(٣) النّفات فيعجزوا، وليضحروا فيذهبوا. فإن أمسكوا عن ذمّه فقد أعفوه، وإن ذمّوه فقد منعوا الناس منه. فخرَج يوماً فقاموا إليه، فنأشدوه، وأذكروا الحرمة، وقرظوه^(٤)، فجبّهم مرةً، وحاجّهم مرةً؛ بقلبٍ جامع، ولسانٍ غضب^(٥). فلما رأوا ذلك انصرفوا عنه، بحدّ^(٦) اللّعن فيه^(٧)، والسبّ له.

= ورد قول سليمان بن عبد الملك «يا غلام الغداء» في المجلس الصالح: ٢ / ٣٩٦.

(١) الأهواز: الكورة العظيمة التي ينسب إليها سائر الكور، وهي تسع كور بين البصرة وفارس، ولكل كورة منها اسم، وأهل الأهواز معروفون بالبخل والحق وسقوط النفس، وهي كثيرة الختمى ووجوه أهلها مصفرة.

(انظر: الجاحظ، البلاء، ١ / ٩٤، وياقوت، معجم البلدان: ١ / ٢٨٤ - ٢٨٥).

(٢) في أبي النصر ص ٣٣، وفي الحاجري ص ٣٩: كبه.

(٣) في أبي النصر ص ٣٣، وفي الحاجري ص ٣٩: ليستعدوا.

(٤) قرظوه: مدحوه ووصفوه. (اللسان: قرظ).

(٥) لسان غضب: ذليق، وغضبه بلسانه أي تناوله وشمته. (اللسان: غضب).

(٦) في أبي النصر ص ٣٣، وفي الحاجري ص ٣٩: بجيد.

(٧) في الحاجري ص ٣٩: له.

[١٤] فصل (١)

وكيف ألام على بُغضه، وعلى إرغامه ومقتيه، وأنا لو أحببته [لاستوجبْتُ الحدَّ]^(٢)، ولاستوحشتُ من الوحدة، ولجئتُ في الإسلام ببدعة^(٣)؟ وكيف أُجبه وأتولاه، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ^(٤) مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

واعلم أن من أحبَّ في الله أبغض فيه، ومن أحبَّ الكرم أحبَّ الكرام، ومن أبغض اللؤم أبغض اللئام، ومن أحبَّ الله أبغض من لا يُحبه الله.

وبعد هذا كله، فكيف أُجبه وأقصر في بُغضه، وأفتر عنه، وهو يزعم أن اسم الكرم كلمةٌ وضعها المستأكلون من العرب، ولقننها عنهم المؤلِّدون، وأنه لا يعرف للذمام^(٥) معنى، ولا للحرمة حقيقة، وأن هذه الأسماء الموضوعة والأوصاف الممنوعة^(٦)، إنما هي خدعةٌ وحيل^(٧)، وخلافة^(٨) ومكر، ومخاريق^(٩) وباطل، وأن المعروف من غره/ المدح، واستماله حبُّ الذكر، وهش للتطرية^(١٠)، وفرح بالتعريض، وزعم أن الشاة عرَّض والمال جوهر، والمال جسمٌ باق، والشاة عرَّض فان.

(١) ورد الفصل في الحاجري: ص ٣٩-٤٠ بعنوان: فصول في الهجاء، وأبي النصر: ص ٣٤.

(٢) ما بين العقوفين من حاشية الأصل.

(٣) بدعة: الحدث وما ابتدع في الدين بعد الإكمال. (اللسان: بدع).

(٤) في الأصل (فهو) وهذا تحريف.

(٥) الذمام: الحق والحرمة. (اللسان: ذمم).

(٦) في الحاجري ص ٤٠، وفي أبي النصر ص ٣٤: الممنوعة.

(٧) في الحاجري ص ٤٠، وفي أبي النصر ص ٣٤: حيلة.

(٨) خلافة: خداع. (اللسان: خلب).

(٩) مخاريق: الألاعيب التي يلجأ إليها المشعوذون، واحدها مخراق. (اللسان: خرق).

(١٠) التطرية: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه. (اللسان: طرا).

وقال: «الآ تَرَى أَنْ ذَا الْمَالِ يُعْظَمُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذِي جُودٍ، وَالْجَوَادُ لَا يُعْظَمُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذِي مَالٍ». وَزَعَمَ أَنَّ الثَّنَاءَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالسَّرَابِ الْمَائِعِ، وَيَحْلُمُ النَّائِمُ، وَبِالْأَمْسِ الذَّاهِبِ، وَبِأَصَالِيلِ الْمُنَى^(١).

وَزَعَمَ أَنَّ مَدَارَ الْأَمْرِ فِي الْإِخْبَارِ عَنِ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ؛ وَأَنَّ الصُّدْقَ لَا يَحْسُنُ إِلَّا لِأَنَّهُ يَنْفَعُ، وَالْكَذِبَ لَا يُقْبَحُ إِلَّا لِأَنَّهُ يَضُرُّ. فَإِذَا نَفَعَ الْكَذِبُ فَقَدْ نَحَوَّلَ حُكْمَهُ، وَإِذَا ضَرَّ الصُّدْقُ فَقَدْ تَبَدَّلَ رَسْمُهُ. وَلَيْسَ بَيْنَ نَفْسِ الصُّدْقِ وَالْعُقُولِ وَلايَةٍ، وَلا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْكَذِبِ عِدَاوَةٌ. وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ اتِّفَاقُ النَّفْعِ فِي الصُّدْقِ أَكْثَرَ، صَارَ عِنْدَ الْعَوَامِّ أَحَدًا، وَلَمَّا كَانَ مَا يَنْفَعُ بِالْمَضَرَّةِ فِي الْكَذِبِ أَكْثَرَ، صَارَ عِنْدَ الْعَوَامِّ أَدَمًا، فَمَا لَهُ، لَعَنَهُ اللَّهُ، ثُمَّ مَا لَهُ لَعَنَهُ اللَّهُ، هُوَ كَيْفَ نَصَبَ لِلكَرَمِ وَتَمَى عَنْهُ، وَكَيْفَ^(٢) تَكْفَلُ بِاللُّؤْمِ وَدَعَا إِلَيْهِ؟ وَكَيْفَ اعْتَرَضَ عَلَى جَمِيعِ الْمُتَّقِينَ، وَبَلَغَ كَيْدَهُ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ؟

[١٥] فصل^(٣)

لَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَفْضَلَ مِنَ الْخُلَفَاءِ/، وَلا أَحَقَّ بِالسَّنَاءِ وَالْكَرَامَةِ وَالرَّفْعَةِ وَالْفَضِيلَةِ. وَإِنَّمَا غَايَةُ النَّاسِ وَمُتَهَيِّئَةُ شَرَفِ الْمُتَشَرَّفِ أَنْ يَجِدَهُمْ وَيَتَّصِلَ بِهِمْ، فَكُلُّ عِلْمٍ لَا يَرَفَعُوهُ مُتَضَعٌ، وَكُلُّ حِكْمَةٍ لَا يُنْبَهُونَهَا خَامِلَةٌ، وَكُلُّ سَوْفٍ لَا تَنْفَعُ عِنْدَهُمْ كَاسِدَةٌ.

وَلَوْلَا أَنَّ دَوْلَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ صَارَتْ عَجْمِيَّةً خُرَاسَانِيَّةً^(٤)، وَكَانَتْ دَوْلَةَ بَنِي

(١) أضراب من المنى: الأمان التي لا خير فيها. (اللسان: ضلل).

(٢) ساقطة من الحاجري وأبي النصر.

(٣) هذا الفصل جديد لم ينشر من قبل.

(٤) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند، وأهل خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة. (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٢/ ٣٥٠).

مروان عَرَبِيَّةٌ أَعْرَابِيَّةٌ فِي أَجْنَادِ^(١) شَامِيَّةٍ، وَالْعَرَبُ أَوْعَىٰ لِمَا تَصَنَعُ، وَأَحْفَظُ لِمَا تَأْتِي؛ أَوَّلًا بِالشُّعْرِ الَّذِي يُقَيِّدُ عَلَيْهَا مَائِزَهَا، وَيُخَلِّدُ بِهَا مَحَاسِنَهَا، فَتَبَّتْ بِذَلِكَ لِبَنِي مَرَوَانَ شَرَفٌ كَبِيرٌ، وَجَدُّ تَلِيدٌ، وَتَدَابِيرٌ لَا تُحْصَىٰ، لِأَرَبِيٍّ مَتَاقِبٌ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ بَنِي الْعَبَّاسِ عَلَىٰ مَتَاقِبِ جَمِيعِ مَنْ وَلَدَ بَنُو مَرَوَانَ وَأَبُو سُفْيَانَ.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ خُرَاسَانَ حَفِظُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَقَاتَمَهُمْ فِي أَهْلِ الشَّامِ، وَتَدَبَّرَ مُلُوكِهِمْ، وَسِيَاسَاتِ كِبْرَائِهِمْ، وَمَا جَرَىٰ فِي ذَلِكَ مِنْ فَوَائِدِ الْكَلَامِ، وَمِنْ شَرِيفِ الْمَعْنَىٰ، كَانَ فِيهَا قَوْلُ الْمَنْصُورِ^(٢) وَقَعَلَ فِي أَيَّامِهِ، وَمَا أَسَسَ لِمَنْ بَعْدَهُ، مَا بَقِيَ لِجَمَاعَةِ مُلُوكِ بَنِي مَرَوَانَ.

وَلَقَدْ تَتَبَعَ أَبُو عُيَيْدَةَ النَّحْوِيُّ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ^(٣)، وَهِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ^(٤)،

(١) أجناد: الجند المدينة وجمعها أجناد، وخصَّ بها مدن الشام، وأجناد الشام خمسة: دمشق، حمص، قسرين، الأردن، وفلسطين، يقال لكل مدينة منها جند. (اللسان: جند).

(٢) المنصور: هو أبو جعفر المنصور، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ثاني الخلفاء العباسيين ولد سنة (١٣٦ هـ) بويح سنة (١٣٦ هـ)، توفي سنة (١٥٨ هـ) وهو محرم. (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١ / ٥٧٩).

(٣) أبو الحسن المدائني: علي بن محمد الأخباري، صاحب التصانيف، ليس بالقوي في الحديث، وهو صاحب الأخبار، قلَّ ما له من الروايات المستندة، كان عالماً بأيام الناس، صدوقاً في ذلك، له أكثر من مئتي كتاب، ومن مصنفاته: المغازي، وأخبار النساء، وتاريخ الخلفاء والشعراء، وتاريخ أحسن التواريخ، وعنه أخذ الناس تواريخهم، مات سنة (٢٢٤ هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠ / ٤٠٠، وابن حجر العسقلاني، لسان الميزان ٤ / ٢٩٣، والذهبي، العبر: ١ / ٣٠٨، وابن قتيبة، المعارف: ٥٣٨).

(٤) هشام بن الكلبي: أبو المنذر، هشام بن أبي النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي، النسابة الكوفي، له الكثير من التصانيف، مثل كتاب حلف الفضول، حلف تميم وكلب، وفضائل قيس عيلان، وكتاب المؤذونات، كان واسع الرواية لأيام الناس وأخبارهم، توفي سنة (٢٠٤ هـ). =

والهَيْثُمُ بْنُ عَدِيٍّ، أَعْجَبَا قَدْ اخْتَفَتَا، وَأَحَادِيثٌ قَدْ انْقَطَعَتْ، فَلَمْ يُدْرِكُوا إِلَّا قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ، وَمَمْزُوجًا مِنْ خَالِصٍ (١).

وعلى [كُلِّ] (٢) حال، فَإِنَّا إِذَا صِرْنَا إِلَى بُغْيَةٍ / [لَا] (٣) يَأْمَلُ الشَّرِيفُ إِلَّا اصْطِنَاعَكَ، وهل يَرَجُو المَلْهُوفُ إِلَّا غِيَاثَكَ؟ وهل لِلطَّوْلِ عَرَضٌ سِوَاكَ؟ وهل لِلغَوَانِي (٤) مَثَلٌ غَيْرُكَ؟ وهل لِلْمَاتِحِ (٥) رَجَزٌ إِلَّا فِيكَ؟ وهل يَمْدُو الحَادِي إِلَّا بِذِكْرِكَ؟ وهل تَقَعُ الأَبْصَارُ إِلَّا عَلَيْكَ؟ وتُعْرَفُ الإِشَارَةُ إِلَّا إِلَيْكَ؟

وَلَوْ لَا أَنْ يَأْخُذَ الوَاصِفُ لَكَ بِنَصِيهِ مِنْكَ، وَيَسْهَمِهِ مِنَ الشُّكْرِ لَكَ، لَكَانَ الإِطْنَابُ (٦) عِنْدَهُمْ فِي وَصْفِهِمْ لَغَوَا (٧)، وَكَانَ تَشْقِيقُ (٨) الكَلَامِ عَجْزًا، وَلَكَانَ تَكَلُّفُهُ فَضْلًا.

= (انظر: التديم، الفهرست، ص ٩٥، وابن خَلْكَان، وفيات الأعيان، ٦ / ٨٢، والذهبي، ميزان الاعتدال، ٤ / ٣٠٤، وابن قتيبة، المعارف: ص ٥٣٦).

(١) من قوله «ولقد تتبع أبو عبيدة النحوي...» إلى قوله «وممزوجًا من خالص» ورد في البيان والبيان: ٣ / ٢٢٧.

(٢) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها النص.

(٤) الغواني: الجوارى الحسناء، سميت غانية لأنها غنيت بحسنها عن الزينة. (اللسان: غنا).

(٥) الماتح: الذي يسير سيرًا طويلًا بلا نزول. (اللسان: متح).

(٦) الإطناب: المبالغة في مدح أو ذم والإكثار فيه. (اللسان: طنّب).

(٧) لغوا: السقط وما لا يعتد به من كلام، ولا يُحصَل منه على فائدة ولا على نفع. (اللسان: لغا).

(٨) تشقيق: إخراج الكلام أحسن مخرج. (اللسان: شقق).

[١٦] فصل^(١)

وَمَنْ هَذَا الَّذِي يَضَعُهُ^(٢) أَنْ يَكُونَ دُونَكَ، أَوْ يُمْتَهَنَ^(٣) بِالتَّسْلِيمِ لَكَ، وَمَ لَمْ^(٤)
تَعُدَّ إِقْرَارَهُ إِحْسَانًا، وَخُضُوعَهُ إِنْصَافًا؟ أَمِنَ الشَّبِيهِ لَكَ فِي مَتْرَلَتِكَ^(٥)؟

أَلَسْتَ خَلَفَ الْأَخْيَارِ، وَبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ^(٦)؟ وَأَيُّ أَمْرِكَ لَيْسَ بَغَايَةً؟ وَأَيُّ شَيْءٍ
مِنْكَ لَيْسَ فِي النِّهَائِيَّةِ؟ وَهَلْ فِيكَ شَيْءٌ يَفُوقُ شَيْئًا، أَوْ يَفُوقُهُ شَيْءٌ؟ أَوْ يُقَالُ لَهُ: لَوْ لَمْ
يَكُنْ.

كَذَا لَكَانَ كَذَا^(٧)، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَا لَكَانَ أَحْسَنَ^(٨)، وَلَوْ^(٩) كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ
أَتَمًّا.

-
- (١) ورد هذا الفصل في هارون: ٣/ ٨٢-٨٤ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير، والسندويي: ص ٢١٥
بعنوان: رسالة الترييع والتدوير، وبيلا: ص ٥٥-٥٦، والمبرد: ص ٦٨-٧٠ بعنوان: رسالة
الترييع والتدوير. ويبدو أنه تنمعة للفصل السابق.
- (٢) في المبرد ص ٦٨: نصفه.
- (٣) في السندويي ص ٢١٥، وبيلا ص ٥٥: يمتحن.
- وهارون ٣/ ٨٢، والمبرد ص ٦٨: يهجمي.
- (٤) في السندويي ص ٢١٥، والمبرد ص ٦٨: أو.
- (٥) جملة «أمن الشبيه لك في منزلتك» ساقطة من هارون والمبرد.
- (٦) جملة «ألست خلف الأخيار، وبقيّة الأبرار» ساقطة من هارون والمبرد.
- (٧) ساقطة من السندويي وهارون وبيلا والمبرد.
- (٨) جملة «لو لم يكن كذا لكان أحسن» ساقطة من المبرد.
- (٩) في المبرد ص ٦٨: أو لم.

وأين الحُسْنُ الخَالِصُ /، والجمالُ البارعُ^(١)، والمِلْحُ المَحْضُ^(٢)، والحلاوةُ التي لا تَسْتَحِيلُ، والتَّمَامُ الذي لا يُجِيلُ^(٣)؛ إلا عِنْدَكَ أو فِيكِ^(٤)، ولكَ أو مَعَكَ، خَالِصَةً لَكَ، ومَقْصُورَةً عَلَيكَ، لا تَلِيْقُ إلا بِكَ، ولا تَحْسُنُ إلا فِيكِ؛ فَلكَ مِنْهُ الكُلُّ وَلِلنَّاسِ البَعْضُ، وَلَكَ الصَّافِي وَلِلنَّاسِ المَشُوبُ.

هذا سِوَى الغَرِيبِ الذي لا نَعْرِفُهُ، والبَدِيعِ الذي لا نَبْلُغُهُ^(٥)، لا بَل [أين]^(٦) الحُسْنُ المُصَمَّتُ، والجمالُ المُفْرَدُ، والخلْقُ^(٧) الغَرِيبُ^(٨)، والقَدُّ العَجِيبُ، والمِلْحُ المَشْهُورُ، والفَضْلُ المَشْهُورُ؛ إلا لَكَ وفِيكِ؟

وهل على ظَهْرِها جَمِيلٌ حَسِيبٌ، أو عالِمٌ أَدِيبٌ إلا وَظَلَمْتَ أَكْبَرُ مِنْ شَخِصِهِ، وَظَنَنْتَ أَبْلَغُ^(٩) مِنْ عِلْمِهِ، واسْمُكَ أَفْضَلُ مِنْ مَعْنَاهُ، وَجِلْمُكَ^(١٠) أَثْبَتُ مِنْ نَجْوَاهُ، وَصِمْتُكَ أَفْضَلُ مِنْ فَحْوَاهُ^(١١)؟

(١) في السندويّ ص ٢١٥، وهارون ٣ / ٨٢، والمبرد ص ٦٨: الفائق.

(٢) الملح: الملاحه. (اللسان: ملح).

المحض: الذي يكون على وجهه لم يخالطه شيء.

(انظر: أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص ٥٤٦).

(٣) في المبرد ص ٦٨: لا يجيل.

(٤) في السندويّ ص ٢١٥، وهارون ٣ / ٨٢، ويلا ص ٥٥، والمبرد ص ٦٨: إلا فيك أو عندك.

(٥) من قوله «خالصة لك...» إلى قوله «والبديع الذي لا نبلغه» ساقطة من هارون ويلا والمبرد.

(٦) ما بين المعرفين من السندويّ ص ٢١٥، وهارون ٣ / ٨٢، ويلا ص ٥٥، والمبرد: ص ٦٨.

(٧) في السندويّ ص ٢١٥، ويلا ص ٥٥: الكمال.

(٨) جملة «والخلق الغريب» ساقطة من هارون والمبرد.

(٩) في السندويّ ص ٢١٥، وهارون ٣ / ٨٣، ويلا ص ٥٥، والمبرد ص ٦٩: أكثر.

(١٠) في السندويّ ص ٢١٥: وحكمك.

(١١) عبارة «وصمتك أفضل من فحواه» ساقطة من هارون والمبرد.

فحواه: معنى ما يعرف من مذهب الكلام. (اللسان: فحا).

وهل في الأرض حليمٌ سواك؟ وهل أظلت الخضراءُ ذا هُجّةٍ أصدّق منك^(١)؟
وهل حَمَلت النساءُ أجَلٌ منك^(٢)؟

وَلَرُبَّمَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ حَسَنًا جَمِيلًا، وَحُلُومًا مَلِيحًا، وَفَخِيمًا نَبِيلًا، وَعَتِيقًا رَشِيقًا^(٣)،
ثُمَّ لَا يَكُونُ مَوْزُونَ الْأَعْضَاءِ، وَلَا مُعَدَّلَ^(٤) الْأَجْزَاءِ.

وقد تكونُ أيضًا الأقدارُ مُتساويةً وَغَيْرَ مُتقَارِبَةٍ وَلَا مُتقَاوِنَةٍ^(٥)، وَتَكُونُ^(٦)
قَصْدًا، وَمِقْدَارًا عَدْلًا، وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ^(٧) ذَقَاتُ خَفِيَّةٍ لَا يَرَاهَا الْغَيْبِيُّ^(٨)، وَلَطَائِفُ
غَامِضَةٍ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الذَّكِيُّ.

فَأَمَّا الْوِزْنُ الْمُحَقَّقُ^(٩)، وَالتَّعْدِيلُ الْمُصَحَّحُ^(١٠)، وَالتَّرْكِيبُ الَّذِي لَا يَقْضِيهِ

(١) جاء في كتاب معاني الأخبار ١/ ١٧٣: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

(٢) من قوله: «وهل في الأرض حليم سواك... إلى أجل منك» ساقطة من هارون والمبرد.

(٣) في هارون ٣/ ٨٣: «عتيقًا رشيقًا، وفخيمًا نبيلًا».

والمبرد ص ٦٩: «عتيقًا رشيقًا، وفخيمًا نبيلًا».

عتيقًا: العتق هو الكرم والجمال والقرف والحرية. (اللسان: عتق).

(٤) في السنديويّ ص ٢١٥: مقدود.

وهارون ٣/ ٨٣، والمبرد ص ٦٩: معتدل.

(٥) في المبرد ص ٦٩: وقد تكون الأقدار متساوية غير متقاربة.

(٦) في هارون ٣/ ٨٣، ويلا ص ٥٦، والمبرد ص ٦٩: ويكون.

(٧) ساقطة من ويلا.

(٨) في السنديويّ ص ٢١٥، ويلا ص ٥٦: إلا الألمي.

(٩) في هارون ٣/ ٨٣، والمبرد ص ٦٩: المتحقق.

(١٠) في هارون ٣/ ٨٣، والمبرد ص ٦٩: الصحيح.

التَّحْرُسُ، وَلَا يُضْرُّهُ^(١) التَّعَنَّتُ^(٢)، وَلَا يَتَعَلَّلُ جَادِيَهُ^(٣)، وَلَا يَطْمَعُ^(٤) فِي التَّمْوِيهِ عَائِبُهُ^(٥)؛ فَهُوَ الَّذِي خُصِّصَتْ بِهِ دُونَ الْأَنَامِ، وَدَامَ لَكَ عَلَى الْأَيَّامِ.

وكَذَلِكَ^(٦) الْحَسَنُ إِذَا كَانَ حُرًّا مُرْسَلًا، وَعَتِيقًا^(٧) مُطْلَقًا^(٨)، ثُمَّ^(٩) لَا يَتَحَكَّمُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ^(١٠)، وَلَا يُزِيلُهُ^(١١) الزَّمَانُ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الْحَدَثَانِ^(١٢)، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعْلِيْقِ التَّمَائِمِ، وَلَا إِلَى الصُّوْنِ وَالكِينِ^(١٣)، وَلَا إِلَى الْمُتَقَاسِ^(١٤) وَالْكُحْلِ.

(١) في السندوبيّ ص ٢١٥، وهارون ٣/ ٨٣، ويلا ص ٥٦، والمبرد ص ٦٩: يحصره.

(٢) في المبرد ص ٦٩: التغيب.

التعننت: المشقة والتشدد. (اللسان: عنت).

(٣) الجادب: العائب. (اللسان: جذب).

(٤) في المبرد ص ٦٩: ولا تطمعه.

(٥) في السندوبيّ ص ٢١٥، وهارون ٣/ ٨٣، ويلا ص ٥٦: تاعته.

والمبرد ص ٦٩: غايته.

(٦) في السندوبيّ ص ٢١٥، وهارون ٣/ ٨٣، والمبرد ص ٦٩: وكذا.

(٧) في الأصل (عيقا) وهو تصحيف.

(٨) في السندوبيّ ص ٢١٥: مطبقًا.

(٩) ساقطة من هارون ويلا والمبرد.

(١٠) في المبرد ص ٧٠: الدهن.

(١١) في السندوبيّ ص ٢١٥: يذيله.

والمبرد ص ٧٠: يذيله.

(١٢) ساقطة من السندوبيّ وهارون والمبرد.

الحدثان: مصائب الدهر. (اللسان: حدث).

(١٣) الكن: وقاء كل شيء وستره. (اللسان: كنى).

(١٤) في السندوبيّ ص ٢١٥، ويلا ص ٥٦: المناقش.

وهارون ٣/ ٨٤، والمبرد ص ٧٠: المناقش.

المناقش: المداد، وهو ما يكتب به. (اللسان: نقس).

[١٧] فصل (١)

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ حِجْسِنِ وَجْهِكَ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ سُهِّلَ فِي الْعُيُونِ تَسْهِيلًا، وَحُبِّبَ إِلَى الْقُلُوبِ تَحْبِيبًا، وَقُرَّبَ إِلَى النَّفُوسِ تَقْرِيبًا؛ حَتَّى امْتَرَجَ بِالْأَرْوَاحِ، وَخَالَطَ الدِّمَاءَ، وَجَرَى فِي الْعُرُوقِ، وَتَمَسَّتْ فِي الْعِظَامِ^(١)، بِحَيْثُ لَا يَبْلُغُهُ الشَّمْسُ^(٢)، وَلَا الْوَهْمُ، وَلَا السُّرُورُ الشَّدِيدُ، وَلَا الشَّرَابُ الرَّقِيقُ؛ لَكَانَ فِي ذَلِكَ^(٣) الْبُرْهَانُ النَّيِّرُ، وَالذَّلِيلُ الْبَيِّنُ^(٤)، وَالْمَرْيَةُ الظَّاهِرَةُ، وَالْفَضِيلَةُ الْوَاضِحَةُ^(٥).

[ولو لم يكن لك إلا أنا لا نستطيع أن نقول في الجملة، وعند الوصف والمدحة: هو^(٧) أحسن من القمر^(٨)، وأضوأ^(٩) من الشمس^(١٠)، وأبهى من الغيث، وهو^(١١)

(١) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ٣ / ٦٢ بعنوان: رسالة الترييح والتدوير، والتندويي: ٢١٥-٢١٦ بعنوان: رسالة الترييح والتدوير، وهارون: ٣ / ٨٤-٨٥ بعنوان: رسالة الترييح والتدوير، وبيلا: ص ٥٧، والمبرد: ص ٧٠-٧٢ بعنوان: رسالة الترييح والتدوير.

(٢) في التندويي ص ٢١٦، وعبيد الله ٣ / ٦٢، وهارون ٣ / ٨٤، والمبرد ص ٧٠: العظم.

(٣) في عبيد الله ٣ / ٦٢، وهارون ٣ / ٨٤، والمبرد ص ٧٠: السمر.

(٤) في المبرد ص ٧٠: لكان له في ذلك.

(٥) جملة (والذليل البين) ساقطة من التندويي وعبيد الله وهارون وبيلا والمبرد.

(٦) في التندويي ص ٢١٦، وعبيد الله ٣ / ٦٢، وهارون ٣ / ٨٤، وبيلا ص ٥٧، والمبرد ص ٧٠: السينة.

(٧) في عبيد الله ٣ / ٦٢، وهارون ٣ / ٨٤: هو.

(٨) انظر المثل في الميداني، مجمع الأمثال: ١ / ٤٠٦.

(٩) في بيلا ص ٥٧: أو أضوأ.

(١٠) يقال في المثل «أضوأ من النهار» و«أضوأ من الصبح».

(انظر: الميداني، مجمع الأمثال: ١ / ٢٧٧).

(١١) ساقطة من عبيد الله وهارون والمبرد.

أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِ الْحَلِيَّةِ^(١)، وَأَنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ فِي التَّفَارِيقِ: كَانَ عُنُقَهُ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ،
وَكَانَ قَدَمُهُ لِسَانُ حَيَّةٍ^(٢)، وَكَانَ وَجْهَهُ^(٣) مَأْوِيَةً^(٤)، وَكَانَ بَطْنُهُ قُبْطِيَّةً^(٥)، وَكَانَ سَاقُهُ
بَرْدِيَّةً^(٦)، وَكَانَ لِسَانُهُ وَرَقَةً^(٧)، وَكَانَ أَنْفُهُ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَانَ حَاجِبُهُ خُطًّا بِقَلَمٍ^(٨)،
وَكَانَ لَوْنُهُ الذَّهَبَ، وَكَانَ عَوَارِضُهُ^(٩) الْبَرْدَ^(١٠)، وَكَانَ فَاهُ خَاتِمٍ، وَكَانَ جَبِينَهُ هِلَالًا،
وَلَهُوَ أَطَهَرُ مِنَ الْمَاءِ، وَأَرْقُ طَبَاعِمَنِ الْهَوَاءِ، وَلَهُوَ أَمْضَى مِنَ السَّيْلِ^(١١)، وَأَهْدَى مِنَ
النَّجْمِ^(١٢)؛ لَكَانَ فِي ذَلِكَ الْبُرْهَانَ النَّيِّرَ، وَالذَّلِيلَ الْبَيْنَ^(١٣) [١٤].

(١) في بيلا ص ٥٧: الحلبة.

يوم الحلية: يوم الزينة. (اللسان: حلا).

(٢) يقال في مثل، إذا مدحوا الخف اللطيف، والقدم اللطيفة، قالوا: كأنه لسان حية.

(الملاحظ، الحيوان: ٤ / ٢٥٠).

(٣) في بيلا ص ٥٧: عينه.

(٤) المأوية: المرأة، كأنها نسبت إلى الماء لصفاتها، وأن الصور تُرى منها كما ترى في الماء الصافي، وقيل

حجر بلور. (انظر: الثعالي، فقه اللغة: ص ٣٢٢، اللسان: موا).

(٥) في المبرد ص ٧١: قنطية. قبطية: القبطية ثياب كان يبيض. (اللسان: قبط).

(٦) بردية: شبه ساقه بالبردية لأنها ليس فيها عقد ولا نتوء، وبها تشبه ساق المرأة. (اللسان: برد).

(٧) جاء في البيان والتبيين: ١ / ١٢٠ «حدثني أعرابي يمدح رجلاً برقة اللسان، فقال: كان والله

لسانه أرق من ورقة»، وجاء في نشوة الطروب: ٢ / ٦٧٨ «قال أعرابي في وصف بليغ: كان لسانه

أرق من ورقة».

(٨) في المبرد ص ٧١: خط قلم.

(٩) عوارضه: العارض: الخند، وقيل ما ينبت على عرض اللحي فوق الذقن. (اللسان: عرض).

(١٠) البرد: حب الغمام. (اللسان: برد).

(١١) يقال في المثل «أَمْضَى مِنَ السَّيْلِ تَحْتَ اللَّيْلِ».

(انظر الميداني، مجمع الأمثال: ٣ / ٣٥٨، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣ / ٧٦).

(١٢) انظر المثل في البيان والتبيين: ١ / ٣٩، ومجمع الأمثال: ٣ / ٥١٠، والعقد الفريد: ٣ / ٧٦.

(١٣) جملة «لكان في ذلك البرهان النير والدليل بين» ساقطة من السندويي.

(١٤) من قوله «ولولم يكن لك...» إلى قوله «والدليل بين» من عبيد الله ص ٦٢ / ٣، والسندويي =

وكيف لا تكون^(١) كذلك وأنت الغاية في كل فضل، والمثل^(٢) في كل شكل،
وفيك قال^(٣) الشاعر^(٤):

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا^(٥)

فأما^(٦) قول الدمشقيين: ما تأملنا قط تأليف مسجدا^(٧)، وتركيب محرابنا، وقبة
مصلانا؛ إلا أثار لنا التأمل، واستخرج لنا التفرس غرائب حسن لم نعرفها، وعجائب
صنعة لم نقف عليها.

= ص ٢١٦، وهارون: ٣ / ٨٥، وبيلا ص ٥٧، والمبرد: ص ٧١.

(١) في بيلا ص ٥٧: يكون.

(٢) في السندوبي ص ٢١٦، وبيلا ص ٥٧: النهاية.

(٣) في عبيد الله ٣ / ٦٢: وأما قول.

(٤) هو أبو نواس، الحسن بن هاني، أحد شعراء العصر العباسي، توفي سنة (١٩٨ هـ).

(انظر: الزركلي، الأعلام ٢ / ٢٢٥).

(٥) ورد البيت في: ديوان أبي نواس: ص ١٥٨، وثمار القلوب ص ٥٢٥، والفروق في اللغة:

ص ٤٦٨، والجرجاني، كتابات الأدباء وإشارات البلغاء: ص ١٣٣، وابن رشيق القيرواني،

العمدة في محاسن الشعر ونقده: ٢ / ١٤٢، وخلاصة الذهب المسبوك: ص ١٦٦، ومعاهد

التصنيف: ١ / ٧٨.

(٦) ساقطة من السندوبي والمبرد.

(٧) مسجد دمشق: هو أثر بني أمية المضرور به المثل في الحسن، وكان كل من خلفاتهم يزيد فيه

زيادة، ويؤثر أثراً حتى تنهى حسنه، وتكاملت جلالته، وهو منقوش الحيطان والسقوف

والأعمدة، مرصعة كلها بالجوهر، ومشرفة بالألوان.

(انظر: الثعالبي، ثمار القلوب: ص ٥٢٥، وابن قتيبة، المعارف: ص ٥٦٥).

وما نَدْرِي أَجَوَاهِرُ مُقَطَّعَاتِهِ^(١) أَكْرَمُ فِي الْجَوَاهِرِ، أَمْ تَنْضِيدُ أَجْزَائِهِ فِي تَنْضِيدِ
الْأَجْزَاءِ؛ فَإِنَّمَا^(٢) ذَلِكَ مَعْنَى مَسْرُوقٍ مِنِّي فِي وَصْفِكَ، مَاخُودٌ^(٣) مِنْ كُتُبِي فِي مَدْحِكَ.
وَالْجُمْلَةُ الَّتِي تَنْفِي الْجِدَالَ، وَتَقَطُّعُ الْقَيْلَ وَالْقَالَ، أَنِّي لَمْ أُرَكِّدْ^(٤) قَطُّ إِلَّا وَذَكَرْتُ^(٥)
الْجَنَّةَ، وَلَا رَأَيْتُ أَجْمَلَ النَّاسِ فِي عَقِيبِ^(٦) رُؤْيَتِكَ إِلَّا ذَكَرْتُ النَّارَ.

[١٨] فصل^(٧)

وَلَا^(٨) تَعَجَّبْ^(٩) أَثِيهَا السَّامِعُ؛ وَاعْلَمْ^(١٠) أَنِّي مُقَصِّرٌ^(١١). وَإِذَا رَأَيْتَهُ^(١٢) عَلِمْتَ
أَنِّي فِيهَا يَجِبُ لَهُ مَفْرُطٌ^(١٣).

- (١) في الأصل (مطعته) وما أثبت من السندويي ص ٢١٦، وعبيد الله ٣/ ٦٢، وهارون ٣/ ٨٥،
ويلا ص ٥٧، والمبرد ص ٧٢.
(٢) في بيلا ص ٥٧، والمبرد ص ٧٢؛ فإن.
(٣) في هارون ٣/ ٨٥؛ وماخوذ.
(٤) في الأصل (ارل) وهو تصحيف.
(٥) في المبرد ص ٧٢؛ إلا ذكرت.
(٦) في السندويي ص ٢١٦، وعبيد الله ٣/ ٦٢، وهارون ٣/ ٨٥، والمبرد ص ٧٢؛ عقب.
(٧) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ٣/ ٦٣، والسندويي: ص ٢١٦-٢١٧ بعنوان: رسالة الترييع
والتدوير، وهارون: ٣/ ٨٥-٨٦، بعنوان: من كتابه في رسالة الترييع والتدوير، ويلا: ص ٥٨-
٥٩، والمبرد: ص ٧٢-٧٣ بعنوان: رسالة الترييع والتدوير. هذا الفصل تنمة لما سبقه.
(٨) في بيلا ص ٥٨؛ فلا.
(٩) في السندويي ص ٢١٦؛ والعجب.
(١٠) ساقطة من السندويي.
(١١) في بيلا ص ٥٨؛ مفرط.
(١٢) في الأصل (راته) وهو تصحيف.
(١٣) جملة (وإذا رأيته علمت أني فيما يجب له مفرط) ساقطة من عبيد الله.
وفي هارون ٣/ ٨٥، ويلا ص ٥٨؛ وإذا رأيته علمت أني مقصّر.

هو رَجُلٌ طَيِّبُهُ حُرَّةٌ^(١)، وعِرْقُهُ كَرِيمٌ، ومَغْرَسُهُ طَيِّبٌ، وَمَنْشُؤُهُ مَحْمُودٌ/ . عُنْدِي
بِالنِّعْمَةِ^(٢)، وعَاشَ فِي غِيْظَةٍ^(٣)، أَرْهَفَهُ^(٤) التَّأْدِيبَ، وَالطَّفَمَةَ^(٥) طُولَ التَّمْكِيرِ^(٦)، وَخَامَرَهُ^(٧)
الْأَدَبَ، وَجَرَى فِي عِرْقِهِ^(٨) مَاءَ الْحَيَاءِ. وَأَحْكَمَتُهُ التَّجَارِبُ وَعَرَفَ الْعَوَاقِبَ^(٩)؛ فَأَفْعَالُهُ
كَأَخْلَاقِهِ، وَأَخْلَاقُهُ كَأَعْرَاقِهِ، وَعَادَتُهُ كَطَبِيعَتِهِ، وَآخِرُهُ كَأَوَّلِهِ، تَحْكِي اخْتِيَارَاتِهِ التَّوْفِيقَ،
وَمَذَاهِبُهُ التَّسْدِيدَ.

لَا يَعْرِفُ التَّكْلُفَ، وَيَرَعْبُ عَنِ التَّجَوُّزِ^(١٠)، وَيَنْبُلُ عَنِ تَرْكِ الْإِنْصَافِ، وَلَا^(١١)
تَمْتَعُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ الْمُبْهَمِ، وَلَا يَلْتَحِجُ^(١٢) بِاسْتِيَانَةِ الْمُسْكِلِ.
^(١٣) يَتَخَيَّرُ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَرْقَاهَا عَجْرَجًا، وَمِنَ الْمَعَانِي أَدْقَاهَا مَسْلَكًا، وَأَحْسَنَهَا قَبُولًا،

(١) الطَّيْنُ الْحَرُّ: الْحَرَّةُ: الطَّيْنَةُ الطَّيِّبَةُ. (اللِّسَانُ: حَرر).

(٢) فِي الْمَبْرَدِ ص ٧٢: فِي النِّعْمَةِ.

(٣) فِي عِبِيدِ اللَّهِ ٦٣/٣: الْغِيْظَةُ.

(٤) فِي هَارُونَ ٨٦/٣: وَأَرْهَفَهُ.

(٥) فِي السَّنَدُوْبِيِّ ص ٢١٦، وَعِبِيدِ اللَّهِ ٦٣/٣، وَهَارُونَ ٨٦/٣، وَالْمَبْرَدِ ص ٧٢: لَطْفَهُ.

(٦) فِي بِيَلَا ص ٥٨: طُولَ الْفِكْرَةِ.

(٧) خَامَرَهُ: خَالَطَهُ. (اللِّسَانُ: خمر).

(٨) فِي السَّنَدُوْبِيِّ ص ٢١٦، وَعِبِيدِ اللَّهِ، وَهَارُونَ ٨٦/٣، وَالْمَبْرَدِ ص ٧٢: وَجَرَى فِيهِ مَاءَ الْحَيَاءِ.

(٩) جُمْلَةٌ «وَأَحْكَمَتُهُ التَّجَارِبُ وَعَرَفَ الْعَوَاقِبَ» سَاقِطَةٌ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ وَهَارُونَ وَالْمَبْرَدِ.

(١٠) فِي الْمَبْرَدِ ص ٧٢: التَّجَرُّدَ.

(١١) فِي هَارُونَ ٨٦/٣، وَالْمَبْرَدِ ص ٧٣: لَا.

(١٢) فِي عِبِيدِ اللَّهِ ٦٣/٣، وَهَارُونَ ٨٦/٣، وَبِيَلَا ص ٥٩: يَلْحَجُّ.

يَلْتَحِجُّ: أَظْهَرَ غَيْرَ مَا فِي نَفْسِهِ. (اللِّسَانُ: لَحج).

(١٣) مِنْ هُنَا إِلَى آخِرِ الْفَصْلِ سَاقِطَةٌ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ وَهَارُونَ وَالْمَبْرَدِ.

وأجودَها وقوعًا، وأتمَّها إطعامًا، بأقوى الكلام، وأوجزه، وأعدَّبه وأحسنه؛ يُقَلَّل عَدَدَ حُرُوفِهِ، وَيُكَثِّرُ عَدَدَ مَعَانِيهِ، وَمِنَ الْفِعْلِ بَعْدَ ذَلِكَ أَكْمَلَهُ تَحْقِيقًا. إِذَا أَقْبَلَ هِبَانَهُ، وَإِذَا أَدْبَرَ اغْتَبَانَهُ؛ مَعَ تَمَكُّنِهِ وَقَمْلِيهِ (١) وَسَعَةِ صَدْرِهِ.

[١٩] فصل (٢)

وَبَعْدُ (٣)؛ فَمَنْ يَطْمَعُ فِي عَيْكَ (٤) [بَلْ مَنْ يَطْمَعُ فِي قَدْرِكَ] (٥)؟ وَكَيْفَ وَقَدْ أَصْبَحَتْ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ (٦) خَوْذٌ (٧) إِلَّا وَهِيَ (٨) تُعْتَرُ (٩) بِاسْمِكَ، وَلَا فَيْئَةَ إِلَّا

(١) في السندوبي ص ٢١٧، ويلا ص ٥٩: عقله.

تَمْلِيهِ: المَلِي: الاستمتاع بالشيء. (اللسان: ملا).

(٢) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ٦٣ / ٣ بعنوان: رسالة التريب والتدوير، والسندوبي: ص ٢١٧ بعنوان: رسالة التريب والتدوير، وهارون: ٨٦ / ٣ - ٨٧ بعنوان: رسالة التريب والتدوير، ويلا: ص ٥٩ - ٦٠، وأبي النصر: ص ٣٨، والمبرد: ص ٧٣ - ٧٤ بعنوان: من كتابه في التريب والتدوير.

(٣) ساقطة من عبيد الله والسندوبي وأبي النصر والمبرد.

(٤) في المبرد ص ٧٣: عينك.

(٥) ما بين العقوفين من عبيد الله ٦٣ / ٣، والسندوبي ص ٢١٧، وهارون ٨٦ / ٣، ويلا ص ٥٩، والمبرد: ص ٧٣، وأبي النصر ص ٣٨.

(٦) في عبيد الله ٦٣ / ٣، والسندوبي ص ٢١٧، وهارون ٨٦ / ٣، ويلا ص ٥٩، والمبرد ص ٧٣، وأبي النصر ص ٣٨: ظهرها.

(٧) في المبرد ص ٧٣: جواد.

خَوْذٌ: الفتاة الحسناء الخلق الشابة، وقيل الجارية الناعمة. (اللسان: خوذ).

(٨) ساقطة من المبرد.

(٩) جاء في حاشية الأصل في تفسير كلمة (تعثر) بيت شعر لعمر بن أبي ربيعة (ولم أجد له في ديوانه):

وَإِذَا مَا عَثَرَتْ فِي مَرَطِهَا هَتَفَتْ بِاسْمِي وَنَادَتْ يَا عَمْرُ

وهي تُغني^(١) بِمَدْحِكَ^(٢)، وَلَا قَتَاةٌ إِلَّا وَهِيَ^(٣) تَشْكُو تَبَارِيحَ^(٤) حُبِّكَ، وَلَا عَجْوِيَّةٌ إِلَّا وَهِيَ تَنْقَبُ^(٥) الْخُرُوقَ^(٦) لِمَرِّكَ، وَلَا عَجْوَزٌ إِلَّا وَهِيَ تَدْعُو لَكَ، وَلَا غَيْرٌ إِلَّا وَقَدْ شَقِي بِكَ.

فَكَمْ مِنْ كَبِدٍ حَرَىٰ مُنْضَجَةً، وَمَصْدُوعَةً مَفْرِيَةً^(٧)؟ وَكَمْ حَسَىٰ خَافِقٍ، وَقَلْبٍ هَائِمٍ؟ وَكَمْ مِنْ^(٨) عَيْنٍ سَاهِرَةٍ، [وَأُخْرَىٰ جَامِدَةً]^(٩)، وَأُخْرَىٰ بَاكِيَةً؟ وَكَمْ مِنْ^(١٠) عَبْرَىٰ مَوْلَهٗ^(١١)؟ وَقَتَاةٍ مُعَذِّبَةٍ قَدْ أَقْرَحَ^(١٢) قَلْبَهَا الْخُزْنَ، وَأَجْهَدَ^(١٣) عَيْنَهَا الْكَمَدَ، قَدْ

(١) في المبرّد ص ٧٣: تبغى.

(٢) في المبرّد ص ٧٣: تمدحك.

(٣) ساقطة من عبيد الله وهارون والمبرّد.

(٤) تباريح: توهُجُ الشوق، يقال: تباريح الحب وتباريح الشوق، ويرتح به الحب والشوق؛ إذا أصابه البرح وهو الشدة.

(انظر: ابن قَيِّم الجوزية، روضة المحيّن: ص ٣٣، واللّسان: برح).

(٥) في عبيد الله ٣/ ٦٣، وهارون ٣/ ٨٧، ويلا ص ٥٩، والمبرّد ص ٧٣: تنقب.

(٦) الخروق: الحرق: الفرجة والمقصود أنها تُحدث شقوفاً في الجدار عندما تمر. (اللّسان: خرق).

(٧) في المبرّد ص ٧٣: ومعذبة.

مفريّة: مشقوقة. (اللّسان: فرا).

(٨) ساقطة من المبرّد.

(٩) ما بين العقوفين من عبيد الله ٣/ ٦٣، والسندوبيّ ص ٢١٧، وهارون ٣/ ٨٧، ويلا ص ٦٠،

والمبرّد: ص ٧٣، وأبي النصر ص ٣٨.

(١٠) ساقطة من عبيد الله وهارون والمبرّد.

(١١) من قوله: «فكم من كبد حرى... إلى عبرى مولهة» ساقطة من أبي النصر.

(١٢) في أبي النصر ص ٣٨: أفرج.

(١٣) في بيلا ص ٦٠: أجمد.

اسْتَبَدَّلَتْ بِالْحَلِيِّ الْعُطْلَةَ^(١)، وبِالْأَنْسِ الْوَحْشَةَ^(٢)، وبِالْتَّكْحِيلِ الْمَرْهَ^(٣)، فَأَصْبَحَتْ
وَالِهَةً^(٤) مَبْهُوتَةً^(٥)، وَهَائِمَةً مَجْهُودَةً، بَعْدَ طَرْفِ نَاصِعٍ، وَيَسْنُ ضَاحِكٍ، وَغُنْجٍ^(٦)
سَاحِرٍ^(٧)، وَيَعْدَ أَنْ كَانَتْ [نَارًا]^(٨) تَتَوَقَّدُ، وَشُعْلَةً تَتَوَهَّجُ.

[٢٠] فصل^(٩)

وَلَيْسَ حُسْنُكَ أَبْقَاكَ اللهُ حُسْنًا يَبْقَى مَعَهُ تَوْبَةٌ^(١٠)، أَوْ تَصِحُّ مَعَهُ عَقِيدَةٌ، أَوْ
يَدُومُ مَعَهُ عَهْدٌ، أَوْ يُبْتُ مَعَهُ عَزْمٌ، أَوْ يُمَهِّلُ صَاحِبَهُ لِلتَّثْبِتِ، أَوْ يَتَّسِعُ لِلتَّخْيُرِ، أَوْ

(١) العطلة: خلو المرأة من الحللي. (اللسان: حلا).

(٢) ساقطة من أبي النصر.

(٣) ساقطة من أبي النصر.

المره: خلو العين من الكحل. (اللسان: مره).

(٤) والهة: شديدة الحزن والجزع. (اللسان: وله).

(٥) في الأصل (مبهويه)، وهو تصحيف.

وما أثبت من عيد الله ٣ / ٦٣، والسنديوي ص ٢١٧، وهارون ٣ / ٨٧، ويلا ص ٦٠، وأبي
النصر ص ٣٨. وفي المبرد ص ٧٤: مبهوتة.

مبهوتة: متحيرة. (اللسان: بهت).

(٦) غنج: حسن التدليل. (اللسان: غنج).

(٧) جملة (وغنج ساحر) ساقطة من عيد الله والمبرد.

(٨) ما بين المعوقين من عيد الله ص ٣ / ٦٣، والسنديوي ص ٢١٧، وهارون: ٣ / ٨٧، ويلا
ص ٦٠، وأبي النصر ص ٣٨.

(٩) ورد هذا الفصل في عيد الله: ٣ / ٦٤ بعنوان: رسالة التريب والتدوير، والسنديوي: ص ٢١٧ -

٢١٨ بعنوان: رسالة التريب والتدوير، وهارون: ٣ / ٨٧ بعنوان: رسالة التريب والتدوير،

ويلا: ص ٦٠، والمبرد: ص ٧٤ - ٧٥ بعنوان: رسالة التريب والتدوير.

(١٠) في عيد الله ٣ / ٦٤، والسنديوي ص ٢١٧، ويلا ص ٦٠، والمبرد ص ٧٤: الحسن الذي تبقى
معه توبة.

يَنْهِنُهُ^(١) / زَجْر، أَوْ يَهْدُهُ^(٢) خَوْف.

هو أَبَقَالَهُ^(٣) اللهُ شَيْءٌ يَنْقُضُ^(٤) العَادَةَ، وَيَقْصَحُ المُنَّةَ، وَيُعْجِلُ عَنِ الرَّوِيَةِ، وَيُطْرَحُ^(٥) بِالْعَرَاءِ^(٦)، وَتُنْسَى^(٧) مَعَهُ العَوَاقِبُ.

وَلَوْ أَدْرَكَتَ^(٨) عُمَرَ بْنَ الحَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٩) لَصَنَعَ بِكَ أعْظَمَ مِمَّا صَنَعَ بَنَصْرِ بْنِ الحِجَّاجِ^(١٠)، وَلَرَكَّبَكَ بِأكْبَرَ^(١١) مِمَّا رَكَّبَ بِهِ جَعْدَةَ السُّلَمِيِّ^(١٢)، بَلْ لَدَعَاهُ

(١) في المبرد ص ٧٤: ينهيه.

ينهنه: يزجره. (اللسان: منه).

(٢) في السندوي ص ٢١٧، وعبيد الله ٣ / ٦٤، ويلا ص ٦٠: يذب.

وهارون، والمبرد ص ٧٤: يفيله.

(٣) في السندوي ص ٢١٧، ويلا: أعرك.

(٤) في المبرد ص ٧٤: ينقص.

(٥) في عبيد الله ٣ / ٦٤، وهارون ٣ / ٨٧، والمبرد ص ٧٤: يطوح.

(٦) في عبيد الله ٣ / ٦٤، والسندوي ص ٢١٧، وهارون ٣ / ٨٧: بالعزاء.

(٧) في عبيد الله ٣ / ٦٤، وهارون ٣ / ٨٧: ينسى.

(٨) في عبيد الله ٣ / ٦٤، والسندوي ص ٢١٧، وهارون ٣ / ٨٧، ويلا ص ٦٠، والمبرد ص ٧٤:

أدركك.

(٩) ساقطة من عبيد الله وهارون ويلا.

(١٠) نصر بن الحجاج: نصر بن علاط بن خالد بن ثويرة السلمي، قيل أن عمر بن الخطاب، رضي الله

عنه، استدعاه، فأتي به، فإذا هو أحسن الناس وجهاً وأحسنهم شعراً، فقال عمر: عزيمة من أمير

المؤمنين ليأخذني من شعرك، فأخذ من شعره، فخرج له وجتان كأنهما شقتا قمر، فقال: اعتم،

فاعتم، ففتن الناس بعينه، فقال عمر: والله لا تساكني ببلدة أنا فيها، قال: يا أمير المؤمنين ما ذنبي؟

قال: هو ما أقول لك، وسيره إلى البصرة، وبقي فيها إلى أن مات عمر، وركب راحلته وأتى المدينة.

(انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٧ / ٣٨، والزركلي، الأعلام، ٨ / ٢٢).

(١١) في المبرد ص ٧٤: أعظم.

(١٢) جعدة السلمي: أدرك الجاهلية، وكان والياً في عهد عمر بن الخطاب، وله قصة مع عمر بن =

الشُّغْلُ بَكَ إِلَى تَرْكِ التَّشَاغُلِ بِهِمَا، وَالغَيْظُ عَلَيْكَ إِلَى الرَّحْمَةِ لَهَا.

فَمَنْ كَانَ عَيْبٌ حُسْنِهِ الْإِفْرَاطُ، وَالطَّعْنُ^(١) عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الزِّيَادَةِ، كَيْفَ يَرُومُهُ عَاقِلٌ، أَوْ يَنْتَقِصُهُ عَالِمٌ؟

[٢١] فصل^(٢)

فَلَا^(٣) تَعَجَّبْ إِنْ كُنْتَ^(٤) نِهَآيَةَ الْهَيْمَةِ، وَغَايَةَ الْأَمْنِيَةِ^(٥)، فَإِنَّ حُسْنَ الْوَجْهِ^(٦) إِذَا وَافَقَ حُسْنَ الْقَوَامِ، [وَوَشِدَّةَ الْعَقْلِ]^(٧)، وَجُودَةَ الرَّأْيِ، وَكَثْرَةَ الْعِلْمِ^(٨)، وَسَعَةَ الْخُلُقِ، وَالْمَغْرَسَ الطَّيِّبَ، وَالنَّصَابَ الْكَرِيمَ، وَالطَّرْفَ النَّاصِعَ، وَاللِّسَانَ الْبَيِّنَ^(٩)، وَالنَّعْمَةَ

= الخطاب، وكان غزلاً صاحب نساء، يحدثنه ويمازحهن، وكان يعقلهن ثم يأمرهن أن تمشي فتعثر وتقع تنكشف، فبلغ ذلك عمر فنفاه.
(انظر: ابن حجر، الإصابة: ١ / ٦٣٦).

(١) ساقطة من السندويي.

(٢) ورد هذا الفصل في السندويي ص ٢١٨ بعنوان: رسالة التبريع والتلوير، وأيضاً ص ٢٩٠ - ٢٩١ بعنوان: رسالة مدح النبيذ، وفي هارون: ٣ / ١٢٥ - ١٢٦ بعنوان: رسالة في مدح النبيذ، وبيلا: ص ٦١، والمبرد: ص ١١٥ - ١١٧ بعنوان: رسالة في مدح النبيذ.

(٣) في المبرد ص ١١٥: ولا.

(٤) في المبرد ص ١١٥: كانت.

(٥) في المبرد ص ١١٥: غاية المنية.

(٦) في هارون ٣ / ١٢٥، والمبرد ص ١١٥: الوجوه.

(٧) ما بين المعرفين من هارون: ٣ / ١٢٥، والمبرد: ص ١١٥.

(٨) في هارون ٣ / ١٢٥: وكثرة الفضل.

والمبرد ص ١١٥: كثرة الفعل.

(٩) في هارون ٣ / ١٢٥: واللسان الفخم.

والمبرد ص ١١٥: واللسان المفخم.

الْبَهْجَةَ^(١)، وَالْمَخْرَجَ السَّهْلَ، وَالْحَدِيثَ الْمَوْتِقَ، مَعَ الْإِشَارَةِ الْحَسَنَةِ، وَالنَّبْلَ فِي الْجِلْسَةِ، وَالْحَرَكَةَ الرَّشِيقَةَ، وَاللَّهْجَةَ الْفَصِيحَةَ، وَالْتَمَهُلَ فِي الْمُحَاوَرَةِ^(٢)، وَالْهَدَّ^(٣) عِنْدَ الْمُنَاقَلَةِ^(٤)، وَالْبَدِيَةَ^(٥) الْبَدِيْعَ، وَالْفِكْرَ الصَّحِيْحَ، وَالْمَعْنَى الشَّرِيفَ، وَاللَّفْظَ الْمَحْذُوفَ، وَالْإِيْجَازَ يَوْمَ الْإِيْجَازِ، وَالْإِطْنَابَ يَوْمَ الْإِطْنَابِ، يُقْلُ^(٦) الْحَزَّ^(٧)، وَيُصِيبُ الْمَفْصِلَ، وَيَبْلُغُ بِالْعَفْوِ^(٨) مَا يَقْصُرُ عَنْهُ الْجَهْدُ^(٩)، كَانَ أَكْثَرَ لِتَضَاعُفِ الْحُسْنِ، وَأَحَقَّ بِالْكَبَالِ وَالْحَمْدِ^(١٠).

وَالْتَّاجُ^(١١) بَيْهِي، وَهُوَ عَلَى رَأْسِ الْمَلِكِ^(١٢) أَبِيهِ، وَالْيَاقُوتُ الْكَرِيمُ حَسَنٌ،

(١) في بيلا ص ٦١: والنغمة البهجة.

الجملة ساقطة من هارون والمبرد.

(٢) في المبرد ص ١١٦: المجاوزة.

(٣) في هارون ٣/ ١٢٥، والمبرد ص ١١٥: والجز.

الهد: سرعة القطع وسرعة القراءة. (اللسان: هذ).

(٤) المناقلة: مراجعة الكلام في صحب. (اللسان: نقل).

(٥) البديهة: الذي يجيب جواباً سديناً على البديهة. (اللسان: بده).

(٦) في الأصل (يقبل) وهو تصحيف.

قل: قطع. (اللسان: قلل).

(٧) في المبرد ص ١١٦: المحز.

الحز: القطع في الشيء في غير إبانة. (اللسان: حزز).

(٨) في المبرد ص ١١٦: العفو.

(٩) الجملة من «يفل الحز... يقصر عنه الجهد» ساقطة من الترييح والتدوير.

(١٠) في هارون ٣/ ١٢٥: والحمد لله. كلمة «الحمد» ساقطة من المبرد.

(١١) في هارون ٣/ ١٢٥، والمبرد ص ١١٦: وإن التاج.

(١٢) في هارون ٣/ ١٢٥، والمبرد ص ١١٦: الملوك.

وهو على^(١) جيد المرأة الحسناء أحسن، والشعرُ الفاخرُ حسن، وهو من فَمِ^(٢) [الأعرابي أحسن]^(٣)، وإن كانَ من^(٤) قولِ المنشِدِ وقريضه^(٥)، ومن نَحته^(٦) ونَحْبِيره^(٧) فقد بَلَغَ الغاية، وقامَ على النّهاية^(٨).

[٢٢] فصل^(٩)

وما ندرى في أيِّ الحالَتَيْنِ^(١٠) أنتَ أجمل، وفي أيِّ المترتبتَيْنِ أنتَ أحمد^(١١)، إذا

(١) في هارون ٣ / ١٢٥: في.

(٢) ساقطة من المبرّد.

(٣) ما بين المعرفين من السندويّ: ص ٢٩١، وهارون: ٣ / ١٢٦، ويلا: ص ٦١، والمبرّد: ص ١١٦.

(٤) ساقطة من السندويّ.

(٥) في السندويّ ص ٢٩١: قريضه.

(٦) نحته: النحت: الطيّعة والأصل، يقال: نُحِتَ على الكرم أي طبع عليه. (اللسان: نحت).

(٧) نَحْبِيره: التحبير: حسن الخط. (اللسان: حبر).

(٨) في هارون ٣ / ١٢٦، والمبرّد ص ١١٧: وأقام النّهاية.

(٩) وردت بعض فقرهذه الفصل في عبيد الله: ٣ / ٦٥ بعنوان: رسالة التريب والتدوير، وهارون:

٣ / ٨٩، ٣٠١ بعنوان: رسالة التريب والتدوير، والسندويّ: ٢١٨ بعنوان: رسالة التريب

والتدوير، وأبي النصر: ص ٣٩، وأبي ملحّم: ص ٢١١-٢١٤، ٢١٧-٢١٨، ٢٢٠ - ٢٢٢

بعنوان: رسالة في نفي التشبيه، ويلا: ص ٦١ - ٦٢، والمبرّد: ص ٧٥ بعنوان: رسالة التريب

والتدوير.

(١٠) في هارون ٣ / ٨٩: والمبرّد ص ٧٥: الحالين.

(١١) في السندويّ ص ٢١٨، وعبيد الله ٣ / ٦٥، وهارون ٣ / ٨٩، ويلا ص ٦٢، والمبرّد ص ٧٥،

وأبي النصر ص ٣٩: أكمل.

قَرَفْنَاكَ أُم (١) إِذَا جَمَعْنَاكَ، أُم (٢) إِذَا ذَكَرْنَا كُذِّكَ (٣)، أُم (٤) إِذَا تَأَمَّلْنَا بَعْضَكَ؟

أَمَّا (٥) كَفُّكَ فَهِيَ الَّتِي لَمْ تَخْلُقْ إِلَّا لِلتَّقْبِيلِ وَالتَّوْقِيعِ، وَهِيَ الَّتِي يَحْسُنُ بِحُسْنِهَا كُلُّ مَا (٦) اتَّصَلَ بِهَا، وَيَجْتَالُ بِهَا كُلُّ مَا صَارَ فِيهَا.

وَلَا أُدْرِي (٧): الْكَأْسُ فِي يَدِكَ (٨) أَحْسَنُ (٩)، أُم الْقَلَمُ أُم الرَّمْحُ (١٠)، أُم المِخْصَرَةُ (١١)، أُم العِئَانُ الَّذِي تَمْسِكُهُ، أُم السَّوْطُ الَّذِي تُعَلِّقُهُ (١٢)؟

وَعَلَى أَنَا لَا نُدْرِي/بِالزَّرَايَةِ (١٣) عَلَى أَهْلِهِ لَا يَحْفَلُونَ بِالْعَيْبِ، وَلَا يَشْعُرُونَ

(١) فِي عِبِيدِ اللَّهِ ٦٥ / ٣: أُو. وَالْمَبْرَدُ ص ٧٥: وَإِذَا.

(٢) سَاقِطَةٌ مِنَ السَّنَدُوْبِيِّ وَهَارُونَ وَالْمَبْرَدُ.

(٣) الْجُمْلَةُ «أُم إِذَا جَمَعْنَاكَ، أُم إِذَا ذَكَرْنَا كُذِّكَ»، سَاقِطَةٌ مِنْ بِيَلَا.

(٤) فِي أَبِي النُّصْرِ ص ٣٩: أُو.

(٥) فِي السَّنَدُوْبِيِّ ص ٢١٨، وَعِبِيدِ اللَّهِ ٦٥ / ٣، وَهَارُونَ ٨٩ / ٣، وَالْمَبْرَدُ ص ٧٥، وَأَبِي النُّصْرِ ص ٣٩: فَأَمَّا.

(٦) فِي الْمَبْرَدِ ص ٧٥: كَلِمًا.

(٧) فِي السَّنَدُوْبِيِّ ص ٢١٨، وَعِبِيدِ اللَّهِ ٦٥ / ٣، وَهَارُونَ ٨٩ / ٣، وَبِيَلَا ص ٦٢، وَالْمَبْرَدُ ص ٧٥: كَمَا أَصْبَحْنَا وَمَا نُدْرِي.

فِي أَبِي النُّصْرِ ص ٣٩: وَمَا نُدْرِي.

(٨) فِي هَارُونَ ٨٩ / ٣: الَّتِي فِي يَدِكَ.

(٩) فِي الْمَبْرَدِ ص ٧٥: الْكَأْسُ الَّذِي فِي يَدِكَ أَجْمَلُ.

(١٠) فِي هَارُونَ ٨٩ / ٣، وَبِيَلَا ص ٦٢، وَالْمَبْرَدُ ص ٧٥، وَأَبِي النُّصْرِ ص ٣٩: أُم الرَّمْحِ الَّذِي تَحْمَلُهُ.

(١١) المِخْصَرَةُ: شَيْءٌ يَأْخُذُهُ الرَّجُلُ بِيَدِهِ لِيَتَوَكَّأَ عَلَيْهِ مِثْلَ الْعَصَا. (اللِّسَانُ مَادَّةُ خَصْرُ).

(١٢) انْتِهَاءُ مَا جَاءَ فِي عِبِيدِ اللَّهِ وَالسَّنَدُوْبِيِّ وَهَارُونَ وَبِيَلَا وَالْمَبْرَدِ وَأَبِي النُّصْرِ، وَمَا جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ لَيْسَ عِنْدَهُمْ.

(١٣) الزَّرَايَةُ: زَرَى عَلَيْهِ أَي عَابَهُ وَعَاتَبَهُ. (زَرَى).

بموقعِ الدَّم؛ يُسْتَمونَ البَحِيلُ مُصْلِحًا مُقْتَصِدًا، والجَوَادُ جاهِلًا مُسْرِفًا. فإِذَا أَنْ يَحْفَظُوا مَا بَئِرَهُ، وَيَهْشُوا لِسَمَاعِ مَكْرُمَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ صَارَ مِنَ التَّرْوِكِ الَّذِي لَا يُطَلَّبُ، وَمِنَ الْمَرْفُوضِ الَّذِي لَا يُرَادُ.

وقد كَانَ الخَاطِرُ بِعُيُونِهِمْ^(١) مُخْتَارًا؛ فَانْقَطَعَ سَبَبُهُ، وَبَرُوزُهُمْ فِي الْفَرْطِ^(٢)؛ فَاجْتَنَّتْ أَصْلَهُ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَمَعَهُ وَحِشَّةُ الْوَحَادِ، وَغُرْبَةُ الْإِنْفِرَادِ، ثُمَّ لَا تَزِيدُ مَعَ ذَلِكَ الْإِيَّامُ عَقْدَهُ إِلَّا شِدَّةً، وَعَزَمَهُ إِلَّا صَرَامَةً، وَرَعْبَتَهُ إِلَّا قُوَّةً، فَمَنْ عَرَفَ كَيْفَ تُضَاعَفُ الْأَقْدَارُ، وَزِيَادَاتُ الرَّجَالِ، وَمَوَازِنَةُ الْأَعْمَالِ قَضَى لَهُ بِالْغَايَةِ^(٣)، وَحَكَّمَ لَهُ بِأَقْصَى النَّهَائِيَةِ.

وكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَقَدْ انْفَرَدَ بِالكَرَمِ فِي دَهْرِ اللَّؤْمِ، وَتَوَحَّدَ بِالْجُودِ فِي زَمَانِ الْإِمْسَاكِ، وَصَارَ الدَّهْرُ عَقِيًّا، وَالزَّمَانُ عَاجِزًا.

فَأَمَّا إِذَا أَسَى^(٤) الْأَصْدِقَاءَ، وَوَصَلَ الْأَرْحَامَ، وَجَبَرَ الْإِيَّامَ، وَحَثَّ عَلَى الْحَيْرِ، وَذَكَرَ الْمَعْرُوفَ، فَإِنَّ ذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي الْمَجَالِسِ، شَائِعٌ فِي الْمَحَافِلِ، مُسْتَهَيِّضٌ فِي الْخَلْقِ. لَقَدْ أَصْبَحَ وَليْسَ يُخَافُ عَلَيْهِ الْإِفْرَاطُ فِي الْحَيْرِ، وَالْمُجَاوِزَةُ فِي الْقَدْرِ، وَأَنْ يَكُونَ هَوَاهُ فِي الْجُودِ يُحَسِّنُ عِنْدَهُ الشَّرْفَ، وَاعْتِيَادَهُ/ لِيُلوِغَ الْغَلْبَةَ يُخْرِجُهُ مِنَ النَّهَائِيَةِ، وَأَنْ يَحْمِلَ عَلَى نَفْسِهِ فَوْقَ الطَّاقَةِ، وَيَسْأَلَهَا أَكْثَرَ مِنَ الْمَجْهُودِ، وَأَنْ لَا يَدْعَ مِنْ مَالِهِ ظَهْرًا لِغَدِهِ، وَلَا جَوَادِثَ يَوْمِهِ، هَذَا رَأْيُ الْعَامَّةِ.

(١) الكلمة غير منقوطة في الأصل.

(٢) في الأصل (يزورهم) غير معجمة ولا يَحْتَمِلُ الْمَعْنَى تَزْوَرُهُمْ وَإِنَّمَا قَدْ تَكُونُ بَرُودُهُمْ أَوْ بَرُوزُهُمْ. الْفَرْطُ: سَفْحُ الْجِبَالِ، أَوْ الْجَبَلِ الصَّغِيرِ، وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى التَّقَدُّمَ. (اللسان: فرط).

(٣) في الأصل: بالغاية.

(٤) أسي: ساعد وشفى. (اللسان: أسي).

فأما العامةُ فإنها تعلمُ أنه أوسعُ علماً، [وأرجحُ حلماً] (١) وأثبتُ حزمًا، وأعدلُ حكماً، وأملكُ لِسَهْوَتِهِ، وأقوى على طبيعته، وأشدُّ تحفظًا، وأحسنُ تثبتًا من أن يُحرِّكه التفریط، أو يَغْلِبَهُ الإفراط (٢). وإن من كان مَحَلُّهُ من الإسلامِ مَحَلًّا، ومَوْضِعُهُ من الأعراقِ الكريمةِ مَوْضِعًا، ومَنْشُؤُهُ في الأدبِ الصالحِ مَنْشَأًا، ولا يجوزُ أن تَغْلِبَهُ طبيعة، أو مَمْرُهُ له شهوة، لا يشغله اهتمامُ بما باشَرَ منها عن العنايةِ بتدبيرِ ما غابَ عن بصره، لا بل قد مثل بقلبه صورةَ عائبِ أصحابه في مثالٍ من هو شاهدٌ له، همًّا بأمره، وبحثًا عن دَفِينَتِهِ، وعلما بأقلِّ قليله. ولم يكن ذلك مانعًا من أن حرَّكته يَقْظَةُ لَبِّهِ (٣)، ولطافةُ فِطْنَتِهِ. ولو رأيتَه مُتَفَضِّلًا في تَوْبِهِ، مُتَبَدِّلًا في أهله (٤). وفي غمِّهِ السَّوْقَةُ (٥)، ودَهْمَاءُ الرَّعِيَةِ، أو غَافِلًا غَيْرَ مُحْتَفِلٍ، أو ساهيًا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ، لَعَلِمْتَ أنه قد هُمِيَ لِعَظِيمٍ، وَعُمِيَ لِحَسِيمٍ، وأن له شأنًا وإن جهلته، ونبأ وإن أغفلته.

وليسَ في/ الأرضِ مَنْظَرٌ أَدْلُّ على عَجَبٍ، ولا عَلَانِيَةٌ أَدْلُّ على سَرِيْرَةٍ، مِن مَنْظَرِهِ على عَجَبِهِ، وَعَلَانِيَتِهِ على سَرِيْرَتِهِ، ولا يَحْتَاجُ فيه إلى قَائِفٍ (٦)، ولا يَسْتَعِينُ عليه بِمُتَمَرِّسٍ (٧)، ولا يُمَسِّكُ عن القَضَاءِ حتَّى يُجْرِبَ، وعن الحُكْمِ حتَّى يَسْتَيْبِتَ. وليسَ يَكُونُ بِالْفَضْلِ بَارِعًا، ولِحِصَالِ الحَقِيْرِ جَامِعًا، حتَّى يَسْتَوِيَ في مَعْرِفَتِهِ الجَاهِلُ والعَالِمُ،

(١) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٢) الإفراط: الإعجال والتقدم. (اللسان: فرط).

(٣) لَبِّهِ: باله. (اللسان: لب).

(٤) متبدلاً في أهله: كثير البذل للمال. (اللسان: بذل).

(٥) السوقة: الرعية، ومن دون الملك، ومن لم يكن ذا سلطان. (اللسان: سوق).

(٦) قائف: الذي يتبع الأثر. (اللسان: قوف).

(٧) المتفرس: الحاذق الذي يتبّت في النظر. (اللسان: فرس).

وَالْعَمِيُّ وَالذَّكِيُّ؛ وَإِنْ كَانَ قَتْلٌ ^(١) بِأَبِكَ فَتَحَا عَظِيمًا، وَهَزِيمَةُ الطَّاعِيَةِ نَصْرًا عَزِيزًا، وَهَدْمٌ عَمُورِيَةٌ تَفْعًا كَبِيرًا؛ فَإِنَّ الَّذِي عَمَّ الْإِسْلَامَ مِنْ نَقْيِ التَّنْشِيهِ ^(٢)، وَظُهُورِ التَّوْحِيدِ، وَقَمْعِ الْبِدْعِ، وَاجْتِنَاعِ الْكَلِمَةِ، وَالْوِفَاقِ عَلَى السُّنَّةِ، وَتَعْلِيمِ الْجَاهِلِ، وَتَثْقِيفِ الْأَخْرَقِ، وَإِنْسَانِ السَّادِرِ ^(٣)، وَرَدِّ الْمَعَانِدِ، وَمَوَدَّةِ الذَّهْمَاءِ ^(٤)، وَإِذَاقَةِ النَّاسِ طَعْمَ الْأُلْفَةِ، وَتَعْرِيفِهِمْ مَنَافِعَ الْأَمْنِ، وَعِزَّ التَّعَاوُنِ، وَقُوَّةَ الْإِجْمَاعِ، وَإِبْدَاعِ صُدُورِهِمُ الْهَيْبَةَ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْوَحْشَةِ إِلَى الْأُنْسَةِ، وَخَلْعِ قُلُوبِهِمْ بِالرَّهْبِ، وَاسْتِمَالَةِ أَهْوَانِهِمْ بِالرَّغْبِ، وَتَعْدِيلِ طَبَائِعِهِمْ بِهَا، وَتَسْوِيَةِ خَوَاطِرِهِمْ بِتَعْدِيلِهِمْ، وَقَمْعِهِمْ بِالْحَقِّ، وَإِحْبَائِهِمْ ^(٥) بِالْعَدْلِ، وَفَتْقِ ^(٦) أَذْهَانِهِمْ [بِالْحُجَّةِ] ^(٧)، وَتَقْقِيهِمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مَعَ الْحِدْقِ بِالتَّعْلِيمِ، وَتَنْفِيرِهِمْ مِنَ التَّمْلِيدِ، وَجَمْعِهِمْ عَلَى الْإِحْتِجَاجِ لِلتَّوْحِيدِ أَعْمَ فَضْلًا، وَأَجْمَعُ وَأَظْهَرُ أَثْرًا، وَأَجْمَلُ، وَكُلُّ فِي / الْغَايَةِ، وَلَيْسَ لِكُلِّ غَايَةٌ وَرَاءَهَا غَايَةٌ.

لَيْسَ كُلُّ عَظِيمٍ فَوْقَهُ عَظِيمٌ، وَمَا ظَنَّكَ بَنُوبٍ يُسَدِّيهِ ^(٨) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُنِيرُهُ ^(٩) ابْنُ أَبِي دُوَادٍ ^(١٠). وَمَا ظَنَّكَ بِتَدْبِيرِ فَضْلِ مِنَ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ وَقَامَ بِهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ^(١). وَمَا

(١) فِي الْأَصْلِ (قَبْلَ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٢) التَّنْشِيهِ: مُصْطَلَحٌ كَلَامِي يَتَعَلَّقُ بِتَشْبِيهِ اللَّهِ بِالنَّاسِ.

(٣) فِي الْأَصْلِ (إِنْسَانٌ) غَيْرُ مَعْجَمَةٌ.

إِنْسَانِ السَّادِرِ: الْمُتَحَيَّرِ، وَقِيلَ الَّذِي لَا يَتِمُّ لَشَيْءٍ وَلَا يَأْتِي مَا صَنَعَ. (اللسان: سدر).

(٤) الذَّهْمَاءُ: جَمَاعَةُ النَّاسِ. (اللسان: ذهم).

(٥) إِحْبَائِهِمْ: أَيُ إِعْطَائِهِمْ، وَقَدْ تَكُونُ الْجَبَايَةُ مِنْهُمْ أَيُ إِجْبَاءِهِمْ. (اللسان: حبي).

(٦) الْفَتْقُ: الشَّقُّ، وَهُوَ خِلَافُ الرِّتْقِ. (اللسان: فتق).

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ مِنْ حَاشِيَةِ الْأَصْلِ.

(٨) يُسَدِّيهِ: يَنْسَجُهُ، وَالسَّدْيُ خِلَافُ لِحْمَةِ الثَّوْبِ. (اللسان: سدا).

(٩) يُنِيرُهُ: يَهْدِيهِ. (اللسان: نير).

(١٠) هُوَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ.

ظَنُّكَ بِصَوَابٍ فَتَقَهُ مَعْصُومٌ^(٢)، وَحَقٌّ نَهَجُهُ مُؤَفَّقٌ. وَعَلَى الْأَعْرَاقِ تَجْرِي الْأَخْلَاقُ، وَعَلَى قَدْرِ الْأَصْلِ يَكُونُ الْفَرْعُ، وَمَتَى كَرُمَ الشَّجَرُ طَابَ الثَّمَرُ، وَمَتَى صَحَّ الْغَيْبُ صَحَّتِ الشَّهَادَةُ، وَمَتَى زَكَّتِ السَّرِيرَةُ زَكَّتِ الْعَلَانِيَةُ.

وَالنَّاسُ بَيْنَ مُعْتَصِمٍ بِالْأَصْلِ، وَمُسْتَظِلٍّ بِالْفَرْعِ، وَبَيْنَ مُعْطٍ مُسْتَزِيدٍ، وَطَامِعٍ مُسْتَظِرٍّ، وَشَاكِرٍ دَاعٍ، وَمُثْنٍ رَاجٍ، وَمُضْمِرٍ لِلوَدِّ مُخْلِصٍ، عَلَى أَنْ يُصِيْبَهُ فِي فَتْحِ عَمُورِيَّةٍ مَعْرُوفٍ، وَمَوْضِعٍ عِنَايَةً مَكْشُوفٍ، وَتَدْبِيرُهُ فِي شَأْنِ بَابِكَ مَوْصُوفٍ، فَقَدْ شَارَكَهُمْ فِيهَا لَهُمْ، وَبَانَ مِنْهُمْ فِيهَا لَيْسَ لَهُمْ، وَكُلُّ شَيْءٍ لغيرِهِ قِلَّةٌ فِيهِ حَظٌّ وَسَهْمٌ وَحَقٌّ وَسَبَبٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ مَقَالٌ، وَلَا مُتَعَلِّقٌ، وَلَا دَعْوَى، وَلَا طِلْبَةٌ، وَلَا عَلَى أَحَدٍ شُبْهَةٌ، أَيْمَنَ النَّاسِ نَقِيْبَةً^(٣)، وَأَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ بَرَكَةٌ، وَالْيَتِيمُ كَنَفًا^(٤)، وَأَحْسَنُهُمْ بِشْرًا، وَأَنْصَفُهُمْ قَوْلًا، وَأَكْرَمُهُمْ عَفْوًا، وَأَقْلَهُمْ حَسَدًا، وَأَخْضَعُهُمْ عِنْدَ الْحَقِّ، وَأَحْسَنُهُمْ تَبَيُّنًا عِنْدَ الْغَضَبِ.

وَمَا زَالَ مَرْسُومًا بِاللَّيْنِ وَالشَّدَّةِ، وَالْمَنْعِ وَالْبَدَلِ، وَالتَّقْرِيبِ وَالتَّبْعِيدِ/، وَبِالْعَفْوِ الْهَيِّ وَالْعِقَابِ الْمُقْتَصِدِ؛ إِنْ وَعَدَ وَفَى، وَإِنْ تَوَعَّدَ اسْتَنَى^(٥)، وَإِنْ رَضِيَ أَعْطَى فَوْقَ الْمُنْيَةِ، وَإِنْ غَضِبَ حَكَّمَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يُعَلِّمُهُمْ وَكَأَنَّهُ يَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ، وَيُعْطِيهِمْ وَكَأَنَّهُ يَسْتَجِدُّهُمْ، وَيُدَارِيهِمْ وَهُوَ الْقَادِرُ دَوِّمُهُمْ، حَتَّى اسْتَوْسَقُوا^(٦) وَانْقَادُوا، وَسَامَحُوا

(١) أبو عبد الله: كنية أحمد بن أبي ذؤاد.

(٢) معصوم: ممنوع. (اللسان: عصم).

(٣) في الأصل (بقية) وهو تصحيف.

نقيبة: طبيعة. (اللسان: نقب).

(٤) كفا: جابأ. (اللسان: كف).

(٥) أن توعد استثنى: أن تهدد حاشئ الذي لم يخطئ. (اللسان: ثنى).

(٦) استوسقوا: اجتمعوا أو تمكنوا من الأمر. (اللسان: وسق).

وانساقوا، وتَوَازَرُوا عَلَى الطَّاعَةِ، وَنَصَبُوا لِأَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ حَتَّى صَفَا الدِّينَ، وَحَتَّى صَارَتْ الْمُسَبِّهَةُ أَثْلَاثًا؛ إِمَّا مُنَافِقًا مُنْقَصِعًا^(١) يَخَافُ مِنْ ظُلْمِهِ وَيَفْرَعُ فِي نَوْمِهِ، وَإِمَّا مُدَاهِنًا مُسْتَعْبِدًا أَعْطَى الْقِيَادَةَ وَسَامَحَ بَعْدَ النُّفَارِ^(٢) وَخَضَعَ بَعْدَ الْكِبَرِ، وَإِمَّا تَائِبًا مُخْلِصًا أَبْصَرَ بَعْدَ عَمَاهُ، وَعَرَفَ بَابَ هُدَاهُ.

ثُمَّ الَّذِي عَمَّ الْبِلَادَ، وَسَمَلَ بِهِ الْعِبَادَ؛ مِنْ مَنَعِ الْمَظْلَمِ، وَنُصِرَةَ الْمَظْلُومِ، وَإِخْرَاجِ الْغِلِّ مِنْ قُلُوبِ الْمَقْهُورِينَ، وَالغِيِّ^(٣) مِنْ قُلُوبِ الْقَاهِرِينَ، حَتَّى عَادَ الْحَقُّ عَزِيزًا، وَالْبَاطِلُ ذَلِيلًا، وَالْفِتْنُ مَقْمُوعَةً، وَالْأَهْوَاءُ مَرْفُوضَةً، وَالشُّبُهَةُ ظَاهِرَةً، وَالْحُجَّةُ قَاهِرَةً، وَالسُّبُلُ آمَنَةً، وَالدُّنْيَا سَاكِنَةً، وَالْأَطْرَافُ مَحْفُوظَةٌ، وَالْبَيْضَةُ مَمْنُوعَةٌ^(٤)، وَالثُّفُوسُ رَاضِيَةٌ، وَالرُّؤُوسُ خَاضِعَةٌ، وَالْعُيُونُ قَرِيرَةٌ، وَالْأُمَالُ فَيْسِحَةٌ، وَالْأَسْعَارُ رَخِيصَةٌ.

وَلِلَّهِ دَرُّ مَلِكٍ اخْتَارَهُ! مَا أَحْسَنَ مَا اخْتَارَهُ! وَلِلَّهِ دَرُّ خَلِيقَةٍ اجْتَبَاهُ! مَا أَكْرَمَ مَا اجْتَبَاهُ! مَتَى سَمِعْتَ بِنَسِيحٍ وَحِدِهِ، أَوْ بِوَاحِدٍ عَصَرَهُ، أَوْ مُنْقَطِعٍ الْقَرِينِ، فَاقْضِ فِيهِ بِأَنَّهُ الْمَعْنَى وَالْمُسْتَحِقُّ لِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَلَا تَلْتَمِثِ إِلَى مَعْنَى الْقَاصِدِ، وَتَوَجَّهِ الْمُسَمَّى؛ فَقَدْ يَغْلُطُ النَّاسُ فِي الْأَسْمَاءِ كَمَا يَغْلُطُونَ فِي الْمَعَانِي، وَيَقُولُونَ عَلَى هَذَا أَهْوَاهُمْ، وَيَتْرَكُونَ مَا هُوَ أَوْلَى بِهِمْ. وَإِنَّمَا هَذِهِ أَسَاؤُهُ فِي الْحَقِيقَةِ دُونَ جَمِيعِ الْخَلِيقَةِ، وَنَسِيحٌ وَحِدِهِ، هُوَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ.

لَمْ يَزَلْ هَذَا الْأِسْمُ عَارِيَةً^(٥) عِنْدَ جَمِيعِ الْأَجْوَادِ، وَمَطْلُوبًا عَلَى أَفْوَاهِ الشُّعْرَاءِ،

(١) منقصعا: يقال قصعت الرجل قصعا أي صغرته وحقرته وقمعته. (اللسان: قصب).

(٢) النفار: الهرب والمجانبة. (اللسان: نفر).

(٣) الغي: الضلال. (اللسان: ضلل).

(٤) البيضة: حوزة كل شيء، وساحة القوم، والمقصود هنا البلاد. (اللسان: بيض).

(٥) الاسمعارية: ما تداولوه بينهم. (اللسان: عور).

وضائعا على ألسنة الخطباء؛ فإذا سمَّيته به فقد أعطيته ما له، ووفيته حقه، وعدلت عليه في الحكم، وزجته من الظلم، ومنعت المتكسبين من الاسم؛ لأن من سمى ناقصا وافرا، والدون كاملا، والمشارك خالصا، فقد كذب إن كان عالما، وأخطأ إن كان جاهلا.

ولا يكون الاسم تاما الدلالة، نقيا من الشبهة، حتى يطبق المعنى^(١)، ويلتصم الشيء المسمى، فلا يفضل عنه، ولا يقصر عن شيء منه، ولا يشبه شيئا سواه، ولا يجري في معناه. ولئن عابه كونه في عصرنا؛ لقد تزيينا بكوننا في عصره. ولئن نقصه أن نحن الشاكرين له، لقد زادنا أن كان هو المنعم علينا. ولئن قصرنا فيما يجب له من الشكر، إنه لمجتهد فيما لا يجب عليه من الإنعام. ولئن كان يلقي من تقويمنا عناة وكلفة، إنا لنجد تقويمه / رخاء وراحة.

وما ظنك بجلوس يتظلم إليه من إنصافه، ويوجب عليه التفضل في جميع حالاته؛ يغضب إن قصر دون جهده، أو ترك شيئا دون عائبه. قد رأينا الرجل يعني شقيقه، وينسى صديقه، ويعني رفيقه، وينسى خليطه، ويعني صهره وينسى جلسه، ويعني جازه وينسى معرفته، ويعني ذا الحرمة القديمة، وينسى ذا الحرمة الحديثة؛ على أن الحرمة لا تعظم بطول أيامها كما تعظم لعظم صاحبها.

وهذا باب يغلط فيه كثير من الناس، ويعني المؤمل ذا الشفاعة، وينسى من لا شفيع له، إلا حسن الطاعة، ويعطي إذا هوي وإن وافق الباطل، ويمنع إذا كره وإن وافق الحق.

وقد نجد الواحد يحرّم على الخلاف في النحلة^(٢)، وعلى الخلاف في النسب،

(١) يطبق المعنى: يتمه. (اللسان: طبق).

(٢) يحرّم: يمنع ويرفض. (اللسان: حرم).

النحلة: الذبابة. (اللسان: نحل).

وعلى حُبِّ الأمصار، وعلى تَذَكُّرِ الأحقاد، وعلى عَدَاوَةِ الآبَاءِ والأجداد، وعلى أمرٍ كانَ في الصِّبَا، والحدائِثِ في أَيَّامِ الجَهْلِ [والغُرَاةِ] ^(١)، وعلى الكَلِمَةِ تَفَرُّطُ من الصِّدِيقِ، وتَسْبِقُ دَوْنَهُ الجَلِيسِ؛ فَيَتَسَقَى بِالْحِرْمَانِ، وَيَتَزَجَّلُ بِالتَّصْمِيمِ ^(٢)، ثُمَّ يَجْعَلُ حِرْمَانَهُ لِيَاهِ، وَمَنْعَهُ لَهُ مَنْ حِصَالِهِ المَحْمُودَةِ، وَمَنَاقِبِهِ المَمْدُوحَةِ، وَدَلِيلًا عَلَى شِدَّةِ الشُّكِيمَةِ ^(٣)، وَثَبَاتِ العَزِيمَةِ، وَإِنَّمَا يَعْتَلُّ عَلَى البَدَلِ، وَيَلْتَمِسُ العِلَّلَ عَلَى المَعْرُوفِ.

وَيَجْرَعُ أَحَدُهُمْ مِنْ لُزُومِ الحُجَّجِ /، وَأَخِذِ الحَقِّ بِالمُحْتَقِّ ^(٤)؛ فَيَجْلِبُ لِنَفْسِهِ عِلَّةً وَيُسَمِّيهَا حُجَّةً، وَيُسَوِّي لَهَا عُدْرًا وَيَمُوهُ لَهَا مَذْهَبًا؛ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ قَهْرِ الحَقِّ، وَلُزُومِ الحُكْمِ، وَرُبَّمَا لَمْ يَرْضَ حَتَّى يَتَحَجَّجَ بِهَا عِنْدَ أَصْحَابِهِ، وَيَشْكُرَهُ النَّاسُ عَلَى سَمَاعِهِ.

وقد يواسي الإخوانَ مَنْ رُبَّمَا يَضَجُّرُ بالإخوانِ. وقد يُكْرِهُ مِنَ الإِحْسَانِ مَنْ رُبَّمَا امْتَنَّ بالإِحْسَانِ، وَقَدْ يُحِبُّ الصَّنِيعَةَ مَنْ يُحْطَى مَوْضِعَ الصَّنِيعَةِ، وَقَدْ يُعْطِي اللهُ مَنْ رُبَّمَا أُعْطِيَ لِغَيْرِ اللهِ، وَقَدْ يَهَبُ الكَثِيرَ مَنْ رُبَّمَا دَخَلَهُ العُجْبُ، وَمَشَى الحَيَلَاءُ ^(٥)، وَعَمَطَ الدُّخْلَاءُ ^(٦)، وَأَسَاءَ بِالحَاطَاءِ ^(٧).

وقد يَجُودُ بِالجَزِيلِ مَنْ رُبَّمَا بَخِلَ بِالقَلِيلِ، وَقَدْ يَجُودُ بِالمَالِ مَنْ يَبْخُلُ بِالطَّعَامِ، وَيُحْطَى فِي الكَلَامِ. وَيَجُودُ بِجَاهِهِ مَنْ يَمْنَعُ النَّاسَ مِنْ مَالِهِ. وَيَجُودُ بِمَا يُحِبُّ مَنْ لَا يُعْطَى

(١) ما بين المعرفين من حاشية الأصل.

(٢) يتزجل: الزجل: اللُّعْبُ والجَلْبَةُ والتَطْرِبُ ورفع الصَّوْتِ. (اللِّسَانُ: زجل).

التَّصْمِيمُ: المَظِي فِي الشَّيْءِ. (اللِّسَانُ: صمم).

(٣) الشُّكِيمَةُ: قُوَّةُ القَلْبِ. (اللِّسَانُ: شكيم).

(٤) أَخَذَ الحَقَّ بِالمُحْتَقِّ: أَخَذَهُ بِالقَبْضِ عَلَى خِنَاقِ الشَّخْصِ. (اللِّسَانُ: خنق).

(٥) الحَيَلَاءُ: الكَبِيرُ. (اللِّسَانُ: خيل).

(٦) عَمَطَ: عَابَ. (اللِّسَانُ: عمط).

الدُّخْلَاءُ: جَمْعُ دَخِيلٍ، وَهُوَ المُدَاخِلُ وَالمُبَاطِنُ. (اللِّسَانُ: دخل).

(٧) الحَاطَاءُ: الشُّرَكَاءُ. (اللِّسَانُ: خلط).

إِلا مَا لَا يُحِبُّ؛ لَا يَتَعَاطَى التَّضَلُّ، وَلَا يَهْمُ بالتَّثْقُلِ، وَرُبَّمَا فَخَرَ الْجَوَادُ بِفِعْلِهِ، وَخَبَرَ عَنِ مَذْهَبِهِ، إِمَّا افْتِخَارًا عَلَى ضَدِّهِ، وَإِمَّا صَرَخًا عَنْ نَفْسِهِ، وَإِمَّا تَقْرِيبًا لِجَلِّدِ نِعْمَةٍ، أَوْ تَذْكَيرًا لِإِقَابِي أَحَدُوتهِ، وَاسْتِئَالَةً لِهَوَى امْرَأَةٍ، وَتَثَقُّفاً عِنْدَ السُّلْطَانِ، أَوْ تَهْوِيلًا فِي سَفَرٍ.

وَرُبَّمَا كَانَ كَذَلِكَ مِنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ، وَسُخْفِ الحِلْمِ، وَفَرَطِ العُجْبِ، وَالجَهْلِ بِالغَيْبِ. وَرُبَّمَا أَنْفَقَ أَحَدُهُمُ المَالَ الكَثِيرَ، وَالقَدَرَ الحَطِيرَ فِي البِنَاءِ وَالْفَرَشِ، وَفِي الآنِيَةِ وَالكُسُوفَةِ، وَفِي الأَطْعَمَةِ وَالأَشْرَبَةِ، وَفِي الرِّيَاحِينِ وَالْفَوَاكِهِ، وَفِي الطَّرْفِ وَالعِطْرِ، وَفِي عِشْقِ القِيَانِ، وَالشَّغْفِ بِالصَّيْدِ، وَفِي الجَوَارِي وَالخِصْيَانِ، وَفِي المَرَائِبِ وَالشَّاكِرِيَةِ، وَفِي المَدْعَاةِ عَلَى المُبَارَاةِ، وَفِي النِّيَقَةِ^(١) وَالْمُبَاهَاةِ؛ حَتَّى يُؤْتَى عَلَى آخِرِهِ مَعَ عِظَمِ حَظِّهِ، وَكَثْرَةِ ضُنُوفِهِ، لَيْسَ فِيهِ ﴿فَكَ﴾^(٢) رَقَبَةً * أَوْ ﴿طَعَنَ فِي يَوْمِ ذِي مَسْجِنٍ﴾ * نَيْسَاءَ ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مَسْكِنًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿البلد: ١٣-١٦﴾.

لَمْ يَصْطَنِعُوا حُرًّا، وَلَا اسْتَرْهَنُوا شُكْرًا، وَلَا ادَّخَرُوا أَجْرًا، وَلَا أَحْرَزُوا ذِكْرًا، ثُمَّ عَقَوْا أَوْلَادَهُمْ مِنْ وَجْهَيْنِ، وَحَرَمَوْهُمْ مِنْ طَرِيقَيْنِ: أَفْقَرَوْهُمْ إِلَى النَّاسِ، وَلَمْ يُحِبِّوهُمْ إِلَى النَّاسِ، بَلْ بَغَضَوْهُمْ إِلَيْهِمْ بِفَضْلِ بُغْضِهِمْ لَهُمْ، وَأَحْتَقَوْهُمْ^(٤) عَلَيْهِمْ بِفَضْلِ حَنْقِهِمْ عَلَيْهِمْ. هَذَا وَصَدِيقُهُمْ ظَاهِرُ الحِلَّةِ^(٥)، رَثُّ الهَيْئَةِ. وَنَدِيمُهُمْ مُنْقَدُّ الجُرْبَانِ^(٦)، سَخِيفُ الطَّيْلِسانِ^(٧)، مَرَّقُ التَّلَعَيْنِ، مَثْقُوبُ الحَقِيقِينَ. وَجَارُهُمْ غَضْبَانٌ، وَنَسِيهِمْ لَهْفَانٌ.

(١) النِّيَقَةُ: المبالغة في التَّزِينِ. (اللِّسَانُ: نيق).

(٢) فِي الأَصْلِ (عَتَق) وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٣) فِي الأَصْلِ (وَلَا) وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٤) الحَتَقُ: الحَقْدُ. (اللِّسَانُ: حنق).

(٥) الحِلَّةُ: الحَاجَةُ وَالْفَقْرُ. (اللِّسَانُ: خلل).

(٦) الجُرْبَانُ: جِيبُ القَمِيصِ. (اللِّسَانُ: جرب).

(٧) الطَّيْلِسانُ: ضَرْبٌ مِنَ الأَكْسِيَةِ، وَهُوَ كَسَاءٌ مَدَوَّرٌ أَخْضَرٌ يَلْبَسُهُ الخَوَاصُ مِنَ العُلَمَاءِ وَالْمَشَائِخِ.

(اللِّسَانُ: طلس).

على هذا طبقات الناس، وأخلاق جميع الأمم، خلا من لا يحتاج إلى استثنائه وذكره، وإلى اشتراطه وحصره من الخلفاء الراشدين، وأئمة المسلمين، والسلف المتقدمين، إلا ابن أبي ذؤاد؛ فإننا لم نذكر قنّان الخير، ولم نوصف ضرباً من الكرم إلا وهو فيه بخدافيره، ولا وصفنا باباً من الشرّ ونوعاً من اللوم إلا وهو مجانب له، وأسبابه/ منقطعةٌ دونَه.

فمن الناس من يُعطي من غير مسألة فذاك الجمهور الأعظم، والسواد الأكبر. والحصلتان الأوتان قد كانتا في الحواصّ وموجودتين في الأقل، ثم انقطعت أسبابهما، وتجدّمت^(١) عُراهما، وبأد أثرهما، ومات ذكرهما، وذهبت من حين إليهما، ويصف حالهما ويندبهما، ويكي عليهما. ونحن لا نُصيب من يكي عليهما، وينصب لذكرهما فضلاً، أو يُحسِنُ بهما ظناً.

وأبو عبد الله^(٢) يُعطي قبل السؤال، وبعد السؤال، ويموّد بكلّ عليّ نقيس، ويمتقر كلّ ثمين، ويمتهن كلّ خطير، ويهوى الحق، ويستحليه ويستخفه ويستهنه، ويستغلّ الباطل ويمجنّويه^(٣). قد جعل ترك الباطل صناعةً، وحُبّ الذكر تجارةً، وطاعة الله شعاراً، ومحبة الناس دناراً^(٤)، وبين الجواد وحسن الظنّ نسباً، وبين الكرم وسلامة القلب سبباً، وبين حسن الظنّ والاعتزاز صداقةً، وبين السلامة والعبادة قرابةً؛ كقرابة السلامة من الكرم، وكصداقة الجود حسن الظنّ.

(١) تجذمت: تقطعت. (اللسان: جدم).

(٢) أبو عبد الله: كنية أحمد بن أبي ذؤاد.

(٣) يمجنّويه: يكرمه. (اللسان: جوا).

(٤) الدنار: الغطاء. (اللسان: دثر).

وهذه الأسباب أقوى من الأرحام، وأمتن من الرضاع، فإن لم يكن الكريم ذا ذرية^(١)، وإذا تجرّية وفطنة، ولم يكن الجواد حازماً، وبأسباب التهم عالماً، أهلكه جوده، وأعطبه كرمه، بل لا نقول إننا لجواد يهلك، وأن الكريم يعطب، ولكن نقول/ أهلكه فقد حارس الكرم، وعُدّ مصابير الجود التّحرّم، وأبو عبد الله جوده في وزن حزمه، وكرمه في مقدار تحفّظه؛ فأمّره تامّ مستو، وإلى كل غاية مُتته، وقد قال الأول: «من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه، كان حتمه في أغلب خصال الشرّ عليه»^(٢).

وأبو عبد الله ليس في خصاله فضل عن عقله، بل في عقله فضل عن خصاله، أنقص من عقولهم، وأصلح ما فسد من طبائعهم، وردّ ما فرط إلى اعتداله، وحدّ ما زاد على مقداره.

وذكر المغيرة بن شعبه^(٣) عمّر بن الخطاب رحمه الله فقال: «كان والله أعقل من أن يُخدع»^(٤). ولولا أن من السرف في المحبة، ومن الحطّ^(٥) في المدحة، أن نصّف غير

(١) ذرية: تجربة. (اللسان: درب).

(٢) ورد هذا القول في الحيوان: ٩٢ / ٢، والبيان التبيين: ٦٧ / ١، وأدب الدنيا والدين: ص ٢٥، والمستطرف: ٥٤ / ١.

(٣) المغيرة بن شعبه: أبو عيسى، ابن أبي عامر بن مسعود، الأمير الثقيفي، من جلة الصحابة، ومن كبار القادة والساسة الذمّة، أسلم قبل الحديدية، كان أعور، أصيبت عينه يوم اليرموك، شهد حروب اليمامة وفتوح الشام واليرموك والقادسية، ولي العراق لعمر بن الخطاب، وهو أول من سلم عليه بالإمارة، مات وهو أمير على الكوفة سنة (٥٠ هـ).

(انظر: ابن العماد، شذرات الذهب: ٩٨ / ١، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤ / ٢١٧، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣ / ٤٦٦، والأصفهاني، الأغاني: ١٦ / ٣٢١).

(٤) جاء في أمالي القاضي ٢ / ١٢١ «كان عمر أفضل من أن يُخدع، وأعقل من أن يُخدع».

(٥) الحطّ: الكلام الفاسد الكثير المضطرب. (اللسان: خطل).

عُمَرَ بِصِفَةِ عُمَرَ، كَمَا أَنَّ مِنَ السَّرَفِ أَنْ يُلْحَقَ بِعُمَرَ مَنْ كَانَ بَعْدَ عُمَرَ، لَقَلْنَا هَذِهِ صِفَتَهُ، وَنَعْتَهُ، وَحِلْيَتَهُ. عَلَى أَنَّا لَوْ احْتَقْنَا بِقَدْرِهِ، وَحَكَمْنَا لَهُ بِمِثْلِ فَضْلِهِ؛ لَخَرَجْنَا مِنْ أَدْبِهِ، وَلَعَصَيْنَا كُلَّ أَمْرِهِ، وَلَا سَتَوَجَبْنَا مِنْهُ الْعِقَابَ الشَّدِيدَ، وَالْأَطْرَادَ الْبَعِيدَ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ لَا يُجْدَعُ لِفَضْلِهِ، فَإِنَّ اللَّفْظَ بَعَيْنَهُ إِذَا وَقَعَ لِإِمَامٍ بَعَيْنِهِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَصِفَ بِهِ وَزِيرًا، وَلَا سَيِّدًا كَرِيمًا، إِلَّا بَأَنْ نُقِصَّ لَفْظَهُ، أَوْ نُحَوَّلَ نَظْمَهُ؛ إِذَا كَانَ أَيْضًا/ الْمَعْنَى بِهِ لِاتِّقَاءِ، وَخِصَالِهِ مُوَافِقًا.

وهذا فضل من فضول ما بين الأئمة والوزراء من الفروق التي بين السادة والخلفاء، وفضل الأئمة على الوزراء، كفضل الوزراء على الدهماء^(١)، وفضل الأنبياء على الخلفاء فوق فضل الخلفاء على الوزراء.

وَمَنْ عَرَفَ الْأَقْدَارَ قَلَّ غَلَطُهُ، وَمَنْ فَهَمَ الضُّرُوبَ صَحَّ حُكْمُهُ، وَمَنْ لَمْ يُجَاسِبِ نَفْسَهُ إِذَا حَدَّ، وَلَمْ يُحْصِلْ قَوْلَهُ إِذَا هَجَا، جَهْلٌ^(٢) الْكِتَابِ اثْبَتُ مِنْ جَهْلِ اللِّسَانِ. وَإِنْ كَانَ اللِّسَانُ أَكْثَرَ خَطَأً فَإِنَّ الْقَلَمَ أَبْقَى عَازًا، وَأَدْوَمُ حُزْنًا، وَأَبْعَدُ فِي الْأَفَاقِ صَوْتًا؛ فَاحْذَرِ مَعَ وَضْعِ الْكِتَابِ آفَةَ الْخَلْوَةِ، وَبَوَاقِ الْوَحْدَةِ^(٣)؛ فَإِنَّهَا تَوْرُثُكَ الثَّقَمَةَ بِتَفْسِيكَ، وَالْإِسْتِرْسَالَ إِلَى غَيْرِكَ عِنْدَ غَيْبَةِ الْخِصْمِ عَنِ عَيْنِكَ، وَارْتِفَاعِ ذِكْرِهِ عَن وَهْمِكَ.

وَدَوَاوَاهُ أَنْ تَظُنَّ عِنْدَ كُلِّ لَفْظَةٍ، وَعِنْدَ كُلِّ مَعْنَى وَخَطَرَةٌ؛ إِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عُلَمَاءُ، وَأَنْتُمْ جَمْعًا لَكَ أَعْدَاءُ. وَكُلُّهُمْ فَارِعٌ إِلَّا مِنَ النَّظَرِ فِيهِ، وَالتَّصَفُّحِ لَهُ، وَأَنْتُمْ إِنْ يَنْظُرُوا فِيهِ نَظَرُوا نَظَرَ مَنْ لَا يَسْتُطِيعُ عُذْرَكَ، وَلَا يُحِبُّ رُشْدَكَ، وَلَا يُعْجَبُ بِكَلَامِكَ كَعُجْبِكَ،

(١) الدهماء: عامة الناس. (اللسان: دهم).

(٢) في الأصل (أو جهل) والتصحيح من الحاشية.

(٣) بواقى الوحدة: شرورها. (اللسان: بوق).

ولا يَجِدُ به كَوَجِدِكَ، وانتَ إنْ نَظَرْتَ فِيه نَظَرْتَ بِعَيْنِ وَاِمَقَةٍ^(١)، وَسَمِعْتَ بِأُذُنِ عَاشِقَةٍ/، وَإِنْ تَلَقَّيْتَهُ تَلَقَّيْتَهُ بِنَفْسِ قَابِلَةٍ، وَطَبِيعَةٍ جَادِبَةٍ؛ لِأَنَّهُ مِنْ لَفْظِكَ فِي مَعْنَى وَكَدِكَ، وَمِنْكَ فُصِّلَ وَإِلَيْكَ يُنْسَبُ، وَهُوَ فَرَعٌ وَأَنْتَ أَصْلُهُ، وَحَادِثٌ أَنْتَ أَوَّلُهُ؛ فَشَفِيعُهُ مُطَاعٌ، وَسَبِيهُ قَوِيٌّ، وَقَرَابَتُهُ قَرِيبَةٌ، وَرَجْمُهُ مَاسَةٌ^(٢).

وهو بابٌ جَدَعٌ^(٣)، وَمَوْطِعٌ زَلِقٌ، وَالتَّحْفُظُ مِنْهُ شَدِيدٌ، وَمَعْنَاهُ غَامِضٌ، وَحَدُّهُ خَفِيٌّ، وَإِنَّ الْفِعْلَ لَيَجْفُو عَنْهُ، فَكَيْفَ الْوَصْفُ؟ وَإِنَّ الْوَصْفَ لَيَنْبُو عَنْهُ، فَكَيْفَ الْعَمَلُ؟ غَيْرَ أَنْ مَنْ أَعْطَى الْجُهْدَ فِي التَّحْفُظِ، وَاسْتَعْمَلَ النِّهْمَةَ وَالتَّبَقُّظَ؛ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى السَّلَامَةِ، وَأَبْعَدَ مِنَ الْآفَةِ، فِيمَا أَنْ يَنْتَهِي مِنْ كُلِّ الْفَسَادِ، وَيَصْفَوَ مِنْ جَمِيعِ الْكَدْرِ، فَذَلِكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ إِلَّا جَاهِلٌ مَغْمُورٌ، وَمُعْجَبٌ مَغْرُورٌ.

والله ما هو بمن يُهاطلُ الرَّاغِبِ، وَيُرَاوِغُ الرَّاجِي التِّيَّاسَ صَجْرَهُ، وَاسْتِنْفَادَ قَوِيٍّ صَبْرَهُ، لِيَكُونَ هَذَا الْمُنَازِلَ لَهُ، وَالْمَحْجُوجَ دُونَهُ. وَلَا يَعْرِفُ صَنِيعَهُ بِالْعَدْرِ ثُمَّ لَا يَعْرِفُ التُّفَاقَ، وَلَا الْغُشَّ، وَلَا الرِّيَاءَ، وَلَا الْمَلَقَ^(٤)، وَلَا الْحَبَاءَ^(٥)، وَلَا السَّرَّةَ^(٦)، وَلَا الزِّيَادَةَ. فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْاسْتِيقَالِ^(٧) وَفَرَطِ الْمَلَالِ^(٨)، وَمَنْ تَمَنَّى قَطْعَ السَّبَبِ، وَحَاجَّتَهُ إِلَى

(١) وائمة: محبة وعاشقة. (اللسان: ومق).

(٢) في الأصل (ورحمته سامة) وهو خطأ، وما أثبت من حاشية الأصل.

(٣) جدع: باب يجبس الخير. (اللسان: جدع).

(٤) الملق: يقال رجل ملق؛ أي يعطي ما ليس في قلبه. (اللسان: ملق).

(٥) الحبء: الستر. (اللسان: خبا).

(٦) السرة: كسم الخبر. (اللسان: سرر).

(٧) الكلمة غير منقوطة في الأصل.

(٨) الملل: التقلب من المرض أو الغم. (اللسان: ملل).

الجبايات، فلولاً ما يخاف من الشبهة على قلوب الضعفة؛ لكان الجواب به خطلاً،
والرد عليه هذراً/، ولأن يكون الكلام ضاراً خيراً من أن يكون لغواً.

كَيْفَ يَقَعُ الاستِثْقَالُ بِمَنْ (١) هو أَرْقُ من النَّسِيمِ (٢)، وَأَخْفُ من الهَوَاءِ (٣)، وَأَدْقُ
مَسْلَكًا من النَّارِ، وَأَعْدَبُ من الزَّلَالِ، ولا سِما من فُلانٍ، وهو مَعِدِنُ الفِطْنَةِ، وَيَبْشُرُ
المَعْرِفَةَ، ومُسْتَنْبِطُ الذِّكَا، وَعُرَّةُ الحِكْمَةِ، وَصاحِبُ التَّمييزِ، والمُقَدِّمُ في التَّحْصِيلِ،
وداهيةُ الدَّهْياءِ، وواحدُ الوُزراءِ.

ومَنْ لم يَقُلْ بَعْدَ مُحاصَمَتِهِ، وطولِ مُنازَعَتِهِ، لو كُنْتُ قُلْتُ كذا وكذا كانَ أَفْضَلَ،
ولو لم أَكُنْ (٤) قُلْتُ كذا وكذا كانَ أَمْتَلْ. ومَنْ تَنجَلِي (٥) أوْاخِرُ حُجَّتِهِ مَعَ أوَّلِ حَواطِرِهِ،
ومَنْ لم تَزَلْ مَوادِدُهُ على وَزَنِ مَصادِرِهِ (٦)، وأخِرُ فِكرِهِ كأوَّلِ بَدائِهِ.

وكَيْفَ يَجْهَلُ مَواضِعَ الاستِثْقَالِ مِنْ مَواضِعِ الاستِخفافِ مَنْ يَعْرِفُ بالْفَراسَةِ
مَلا يَعْرِفُ بالتَّجْربَةِ، وبِالْقِياقَةِ ما تَعَجَّزُ عَنْهُ، المُعائِنَةُ، وَيَلْغُ بِالْحَطَرَةِ (٧) ما لا يَلْغُ
صاحِبُ الفِكرَةِ؟

وكَيْفَ يوصَفُ بالاستِثْقَالِ مَنْ هو في طِباعِ الحَرِيقِ (٨)؟ وكيفَ يَتَغافلُ عَن

(١) في الأصل (من) ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) انظر المثل في الميداني، جمع الأمثال: ٧٧ / ٢.

(٣) يقال في المثل «أرق من الهواء»، انظر المثل في (الميداني، جمع الأمثال: ٧٧ / ٢).

(٤) في الأصل (كنت) وشطب عليها وكتب فوقها (أكن).

(٥) الكلمة غير منقوطة في الأصل.

(٦) موارده: المورد: الطريق إلى الماء. (اللسان: ورد).

مصادره: المصدر: الطريق الذي يصدر عن الماء فيه. (اللسان: صدر).

(٧) الخطرة: ما يخطر في القلب من تدير أو أمر. (اللسان: خطر).

(٨) طبع الحريق: السبيء الخلق. (اللسان: حرق).

التعريض، ويُقِيمُ عَنِ التَّعْزِيرِ^(١)؟ وَيُعْرَضُ عَنِ الْكِتَابَةِ؛ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْإِفْصَاحَ. وَمَنْ لَا يُخَالِطُ الْعُظَمَاءَ إِلَّا بِالشَّرْطِ، وَلَا يُعَاشِرُ الْكِبْرَاءَ إِلَّا عَلَى التَّحَكُّمِ، وَمَنْ أَدْنَى^(٢) مَا فِي شَرْطِهِ أَنْ يُعْتَدَرَ إِلَيْهِ / وَهُوَ الْمُسِيءُ.

وَمَنْ يَحْكُمُ تَحْكِيمَ الصَّبِيِّ، وَمَنْ لَمْ يَزَلْ مُفِيقًا وَهُوَ يَأْبَى إِلَّا التَّحَسُّرَ، وَمُدَّلًّا وَهُوَ لَا يَعْرِفُ إِلَّا التَّشَدُّدَ، وَمَنْ لَمْ يُعْطِ قَطُّ إِلَّا بِالْتَعْظِيمِ، وَلَا عُرْفَ إِلَّا بِالْإِكْبَارِ وَالتَّمْخِيمِ، وَلَا جَزَعَ مِنَ الْوَحْدَةِ إِلَى مُعَاشَرَةِ كَرِيمٍ، وَمَنْ لَمْ يَزَلْ يَأْخُذُ بِجَلِيسِهِ بِالتَّكْرَمِ، وَيُبْصِرُهُ كَيْفَ التَّنَزُّهِ، وَيُعَرِّفُهُ بِحَقَاقِي الْأَنْفِ^(٣) وَمَرَاتِبِ الشَّرْفِ، وَخَصَائِصِ الْإِخْلَاصِ، وَلَطَائِفِ الْأَدَابِ.

وَمَنْ قَدْ جَمَعَ الْفَخَامَةَ وَالْحَلَاوَةَ، وَالظَّرْفَ وَالْمُرُوءَةَ، وَالتُّسُكَ وَالْفُتُوَّةَ، وَمَنْ لَا يُعْطِي الْإِنْقِيَابَ نَصِيْبَهُ الْمَوْفَرَ، كَمَا يُعْطِي الْأَسْرِسَالَ حَقَّهُ الْمَقْرَّرَ، وَيُعْطِي صَدِيقَهُ النَّافِلَةَ^(٤)، وَلَا يَسْأَلُهُ الْفَرِيضَةَ^(٥).

وَلَا تَمَّ حَدَّثْنَا مَعَ مُفَاوَضَتِكَ إِيَّاهُ، وَلَا كَتَمْتُكَ عَيْبًا فِيهِ مَعَ عَفْلَتِكَ عَنْهُ، وَلَا طَمِعَ فِيهِ طَامِعٌ، وَلَا زَارَهُ زَائِرٌ، وَلَا ذَهَبَ عَنْكَ إِلَّا بِقَدْرِ مَا أَرْسَلْتَهُ مِنْ يَدَيْكَ، وَلَا أُرِدْتَهُ قَطُّ إِلَّا كَانَ مُمْتَلَأًا بَيْنَ عَيْنَيْكَ، وَقَدْ يُقَالُ فِي الدُّعَاءِ «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ صَدِيقٍ مُطْرٍ^(٦)»، وَمِنْ جَلِيسٍ مُغْرٍ.

(١) يقيم عن التعزير: حمل النفس على الهلاك. (اللسان: عزر).

(٢) في الأصل (ادنى)، وهو تصحيف، والتصويب من حاشية الأصل.

(٣) الأنف: السيادة. (اللسان: أنف).

(٤) النافلة: ما كانت زيادة على الأصل؛ فصلاة التطوع نافلة لأنها زيادة أجر. (اللسان: نقل)، والمقصود هنا الصديق الزائد.

(٥) الفريضة: ما أوجبه الله. (اللسان: فرض).

(٦) صديق مطر: يحسن المدح والثناء، وقيل مدح الرجل بما ليس فيه. (اللسان: طرا).

وقد عَلِمْتَ أَنَّهُ أَبَعَدَ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إِغْرَاءٍ وَإِطْرَاءٍ. وَمَنْ يَسْمَعُ لِمَا أَسْرَرْتَ، وَيَقْطَعُ لِمَا سَرَرْتَ، وَإِنَّهُ لِأَقْلَمُهُمْ تَكَلُّفًا وَدَحْسًا^(١)، وَعِنَ أُمُورِ النَّاسِ تَنْقِيرًا وَبِحَاثًا.

وَبَعْدَ هَذَا؛ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ نَجِدَ ذَنْبًا/ وَجَدْتَهُ، وَكَذَلِكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ لَا نَجِدَهُ لَمْ نَجِدْهُ. كُلُّ ذَنْبٍ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَنْسَاهُ^(٢) نَسِيَّتَهُ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَذْكُرَهُ ذَكَرْتَهُ، وَلَيْسَ الذَّنْبُ إِلَّا مَا يَصْلُحُ مِنْهُ الْقَلْبُ، وَلَا يَزَالُ حَاضِرًا لِلدَّهْرِ، وَإِلَّا مَا كَانَ مِنْ تِبَاعِ اللَّوْمِ. فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّ الْغُفْرَانَ يَتَعَمَّمُهُ، وَالْحُرْمَةَ تَشْفَعُ فِيهِ.

* دَعِذَا وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرِيمٍ * (٣)

أَخْرَجَ إِلَيْنَا، أَبْقَاكَ اللَّهُ، مِنْ هَذَا الدِّينِ، وَارْدُدْ عَلَيْنَا هَذَا الْحَقَّ، فَقَدْ أَمَسْنَا عَنْ التَّقَاضِي مَا أَمْكَنَ، وَصَبَرْنَا عَلَى الْمَوَاعِيدِ مَا صَلَّحَ، وَمَا بَنَا إِلَيْهِ حَاجَةٌ، وَبِكَ عَنَّا، غِنَى مِنْ الْحَوَالَةِ، وَإِنْ جَازَ أَنْ يُقِيمَ رَعِيًّا بِالنُّعْمَةِ، جَازَ أَنْ نُقِيمَ لَكَ بِالشُّكْرِ، وَإِنْ جَازَ أَنْ نُؤَمِّلَكَ وَنُحَقِّقَ أَمَالَنا غَيْرَكَ، جَازَ لَنَا أَنْ نَشْكُرَ غَيْرَ الْمُتَنِعِمِ، وَنَأْمَلَ غَيْرَ الْمُصْطَبِعِ.

وَأَنَا أُعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ هَذِهِ السَّنَةَ، وَشَرَعَ هَذِهِ الْمِلَّةَ، وَاعْفِنَا مِنْ هَذِهِ الْمَوَاعِيدِ الَّتِي تُمْرِضُ الْقُلُوبَ، وَتَقْطَعُ الْأَحْشَاءَ، وَتُمِيتُ الْأَمَلَ، وَتُقَرِّبُ

(١) دحسًا: فسادًا. (اللسان: دحس).

(٢) الكلمة غير متقوطة في الأصل، والسياق يدل على ما أثبت.

(٣) صدر البيت لزهير بن أبي سلمى، وعجزه:

خيرُ البُكَاةِ، وسيِّدُ الحَضِرِ

(انظر: ديوان زهير بن أبي سلمى: ٥٤).

الأجل، وطال ما أعفيتنا بما هو أعرس منها، وأنكد وأبعد مطلبًا؛ فلم تغالب طبيعتك أتم ما كنت عزمًا، ولم تخالف عادتك أوزن ما كنت حِلْمًا.

وانت مُد كُنْتِ فِي الْمَهْدِ طِفْلًا تَزْدَادُ فِي / كُلِّ يَوْمٍ فَضْلًا، فِي الرَّوِيَةِ بَعْدًا، فِي الْإِفْهَامِ قُرْبًا، حَتَّى إِذَا صِرْتَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِصِنَاعَتِكَ الشَّرِيفَةِ، وَمَنَاقِبِكَ الْحَمِيدَةِ، وَأَشْهَرَهُمْ اضْطِلَاعًا بِصِنَاعَتِكَ، وَاحْتِمَالًا لِنِعْمَتِكَ حَقًّا، وَأَقْدَمَهُمْ سَبْقًا، وَأَوْفَقَهُمْ لِبَطَاعَتِكَ، وَأَرْكَدَهُمْ بِفَنَائِكَ، أَرَدْتَ أَنْ تُعَامِلَهُ بِالْإِنْصَافِ، وَالْإِنْصَافُ ظُلْمٌ مِنْ مِثْلِكَ، ثُمَّ تَفَعَّلَ ذَلِكَ بِهِ وَهُوَ أضعفُ بِمَا كَانَ رُكْنًا، وَأَوْهَنُ مَا كَانَ عَظْمًا، فِي ذُرَاكَ^(١) شَاخٍ، فِي ظِلِّكَ هَرَمٍ. فِيمَا زَدَدْتَ عَلَيْهِ شِبَابَهُ، وَأَعَدْتِ إِلَيْهِ قُوَّتَهُ، وَإِنَّمَا أَنْ تَدْفَعَ إِلَيْهِ مَا يَتَوَبُّ عَنِ الشَّبَابِ، وَمَا يَجْبُرُ الضَّعْفَ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَحَدِهِمَا، فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ؛ فَإِنَّ الْحَيَاةَ فِي يَدَيْكَ. ثُمَّ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَوْرِ^(٢) بَعْدَ الْكُورِ^(٣)، وَمِنَ الْإِكْلَالِ^(٤) بَعْدَ الْإِحْتِمَالِ^(٥)، لَوْ رَأَيْتُ هَذَا فِي الْمَنَامِ لَكَانَ عِنْدِي أَضْغَاثُ أَحْلَامِ^(٦).

(١) ذراك: ظلك. (اللسان: ذرا).

(٢) الحور: التقصان. (اللسان: حور).

(٣) الكور: الزيادة، وكان الرسول يتعوذ من الحور بعد الكور، أي الزيادة بعد التقصان، وقيل فساد الأمور بعد صلاحها. (اللسان: كور).

(٤) الإكلال: الثقل. (اللسان: كلل).

(٥) الاحتمال: القدرة أو الحلم. (اللسان: حمل).

(٦) أضغاث أحلام: ما كان مختلطًا لا حقيقة له، وأضغاث أحلام لا يصح تأويلها لاختلاطها. (اللسان: ضغث).

ما لنا، أصلحك الله، ولِوَاعِيدِ عُرُقُوبٍ^(١)، وَقِصَّةِ غُرَابٍ نُوْحٍ^(٢)، وَأَمَانِي الْكُمُونِ^(٣). كَانَتْ مَوَاعِيدُكَ إِنجَارًا، وَلَكَ رَائِدٌ لَا يَكْذِبُ، وَمَخِيلَةٌ لَا تُخْلِفُ، فَلِمَا لَنَا وَلِبَرَقِ الْخَلْبِ^(٤)، وَلِنَارِ الْحُبَابِ^(٥)، وَلِمَ عَوَّدْتَنِي الْحَقَائِقَ وَعَدَوْتَنِي بِسُرْعَةٍ

(١) مواعيد عروقوب: يضرب بها المثل في الكذب والخلف، وعروقوب رجل من خير، أتاه أخوه يسأله، فقال له عروقوب: إذا أطلعت النخلة فلك طلعتها، فلما أطلعت أتاه للعدة، فقال له: دعها حتى تُبلح، فلما أبلحت أتاه، فقال: دعها حتى تُزهي، فلما زهت قال: دعها حتى ترطب، فلما أرطبت قال: دعها حتى تُثمر، فلما أثمرت سرى إليها ليلاً وجدّها ولم يُعطِ أخاه شيئاً. (انظر: الثعالبي، ثمار القلوب: ص ١٣١، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٨٧ / ٣، وابن قتيبة، المعارف: ص ٦١٢، والميداني، مجمع الأمثال: ٣ / ٣٣٠).

(٢) غراب نوح: يُضرب مثلاً للرسول الذي لا يعود أو يبطئ عن ذي الحاجة من غير إنجاح، وذلك أن نوحاً، عليه السلام، أرسل الغراب من السفينة ليأتيه بخبر الماء، فاشتغل بميعة وجدها ولم يُعد إلى نوح حتى أرسل مكانه الحمامة، فجاءت بالخبر. وجاء في كتاب الحيوان «لا يرجع فلان حتى يرجع غراب نوح» وأيضاً «ما هو إلا غراب نوح». (انظر: الجاحظ، الحيوان: ٢ / ٣١٨، ٣٢١، والثعالبي، ثمار القلوب: ص ٤٠).

(٣) أماني الكمون: مذهب كلامي يزعم أصحابه أن النار كامنة في الحجر كما يكمن الدم في الإنسان والزيت في الزيتون.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٥ / ١٠، وأحمد أمين، ضحى الإسلام: ٣ / ١٠٤).

في الثعالبي: مواعيد الكمون، ويضرب مثلاً للمواعيد الكاذبة. (الثعالبي، ثمار القلوب: ص ٦١٥).

(٤) في الأصل (الخلب) وهو تصحيف.

برق الخلب: هو الذي لا غيث معه، فهو يومض ويكعم في المطر، ثم يعد ويخلف، ويقال في المثل: برق لو كان له مطر.

(انظر: الثعالبي، ثمار القلوب: ص ٦٥٥، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٨٧ / ٣، والأبشيبي، المستطرف: ١ / ١٠١، والميداني، مجمع الأمثال: ١ / ١٥٧).

(٥) نار الحباب: هي نار الحباب، ونار أبي حباب، تضرب مثلاً للشيء يروق ولا طائل فيه، =

الإيجاب؟ ولم أودعني العز، ومن رأبك إذلالي؟

وكم أطلقت/ لساني، ومن شائك إخراسي، فرددني كما أخذتني، أو رُد علي ما وعدتني. وإن كنت إنما ترده علي مخافة أن يعظم عليك الحق، أو يغلط عليك الأمر؛ فإني كستُها هنا أستجديك، ولا بهذا أحتج عليك، وليس بالحرمة أمْتُ إليك، ولا بالذمام أطلب ما عندك. وقد أخذنا [ثمن] ^(١) الحرمة أن كنا عن الحرمة نعمل، واستوفينا حقَّ الذمام أن كنا على الذمام نتكىل. وإن لم يكن هنا هوى مجرِّك، وأثر يرغبك ^(٢)، ومشاكلة من الطيبة، ومجارة بالمحبة، وعقد إزاء، وخلة صفاء، ورغبة في الصنيعة، وإشفاق على سالف النعمة؛ فلسنا في حال يُقيم عليها حر، ولا يرضى بها كريم، وليس يرضى بهذا إلا من لا ينبغي لك أن ترضى به.

ومن كان من هذه الطبقة؛ فليس مثلك رغب في تقيده، لا والله حتى يكون فيمن يتفق عليك دليل على صواب تدبيرك، وحتى يكون جليستك شاهداً على حسن اختيارك. فإن كان شفيعي إليك الهوى، فلست أعرِف الهوى إلا بالغلبة، وإلا بالاستعجال عن المشاورة، وإن كنت محتَملاً للصبر، فالذي بقي أيسر، إلا أنك تَرُبُّ ^(٣) السالف من نعمتك، وتغسل به العار عن صنيعتك.

= وقيل: كان الجاحب رجلاً بخيلاً، لا يوقد نازاً بالليل كراهية أن يلقاها من يتسع بضوئها، وكان إذا احتاج إلى إيقادها أوقدها، وإذا أبصر مستضيئاً بها أطفأها. وأيضاً هي كل نار تراها ولا حقيقة لها عند التماسها.

(انظر: ابن الأثير، المرصع في الآباء والأمهات والبنين والأخوة والذوات: ص ١٣٧،
والنعماني، ثمار القلوب: ص ٥٨١، والجرجاني، كنايةات الأدباء: ص ٨٥).

(١) ما بين المعرفين من حاشية الأصل.

(٢) أشير رغبك: مرج. (اللسان: أشر).

(٣) تَرُبُّ: تحفظه وترعاه وتسوسه. (اللسان: رب).

ما بدا لك في هذا؟ ألم تك / حَمَّالٌ أُنْقَالَ؟ ومتى لم تكن ناهضاً بالأعباء؟ فوالله لوجهك عند المصيبة أشدُّ إشراقاً من وجه الشاكر عند النعمة. هل تكثرت لها مع تمام عزمك؟ وهل تحبها مع ثبات حنانك؟ وهل في الأرض أبلُّ ريقاً عند معضلة^(١)، ولا أرطبُ لساناً عند فادحة^(٢)، ولا أرخى عند نازلة^(٣)، ولا أخذُ بالحزم عند ساعة المهلة لساعة الحاجة، ولا أعنى عن التجلُّد عند وقوع البلية منك! فإن اعتلكت بالعادة فعدتُك أحسنُ عادة، وإن احتججت بالطبيعة فطبيعتُك أكرمُ طبيعة، وإن احتجرت بالتهيب فانت أجرأ من الليث، وأمضى من النصل^(٤).

أن نفسي لا تحتمل أن تكون في هذه الحال، وأنا في هذه الحال، فأعلمني رأيك في مقدرِ حرقين، إن كان كلاماً، وإن شئت بالإشارة، وكلُّ ما خفف عليك فهو أحبُّ إليّ.

قد جللت عن المكافأة، وثبتت عن المجازاة، ولن تكون بالحزم موصوفاً، وبالجلم مذكورا، حتى تؤثر الحق متى ظهر لك، وحتى تدع المكافأة، وترغب عن المحاماة، وتستصغر شفاء الغيظ، وتختبر الأمور الصغار. وليس لإساءتك^(٥) إلى أعاديك؛ بعد ظهور قدرتك وجه غير الثبل، وعظم القدرة.

وهذا باب أنت فتحتَه، يا أبا فلان، وأنت أولى بسدِّه، وفتق^(٦) أنت أحدثته، وأنت أولى برتبه^(٧). نحن نحتال باللفظ ونموه بالمعاني، والناس يحتجون بالعمل،

(١) المعضلة: الشدة، وأيضاً الأمر الذي لا يهتدى لوجه. (اللسان: عضل).

(٢) فادحة: نازلة. (اللسان: فدح).

(٣) النازلة: الشديدة تنزل بالقوم، وهي الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس. (اللسان: نزل).

(٤) انظر المثل في (الميداني، مجمع الأمثال: ٣/ ٣٥٨).

(٥) في الأصل (لاسانك)، وهو تصحيف.

(٦) فتق: شق. (اللسان: فتق).

(٧) الرتق: الالتحام. (اللسان: رتق).

وَيَقْضُونَ بِالْعِيَانِ. لَيْسَ يُشْبِهُ حَالُنَا فِي الْحُرْمَةِ حَالَكَ فِي الْجَاهِ وَالْقُدْرَةِ، وَلَا ظَاهِرُ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، بَاطِنَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ.

وَلَيْسَ بَعْدَ حُرْمَتِي مِنْ حُرْمَةٍ، وَلَا بَعْدَ حَالِكَ حَالٌ تُرْمِحِي، وَلَا بَعْدَ مَازَلِكِ مَازَلَةٌ تُسَمِّنِي، وَلَسْتُ أَنْتَظِرُ شَيْئًا سِوَى [حَقِّي] (١)، وَلَا أَنْتَوِّعُ حَقًّا أَزِيدُهُ فِي حُقُوقِي، وَلَا تَتَوَقَّعُ فَائِدَةً تَزِيدُهَا فِي فَوَائِدِكَ، وَمَا لَأَزِيدُ إِلَّا بَقَاءَ النِّعْمَةِ، وَتَبَاتُ الدَّلْوَةِ، فَأَدَامَهَا اللَّهُ لَكَ، وَكَبَّتْهَا فِي عَقَبِكَ، فَإِنَّ مِمَّا يُطِمِعُنِي فِي بَقَائِهَا، أَنْكَ أَخَذْتَهَا بِحَقِّكَ، وَاسْتَوَجَبْتَهَا بِمَنَاقِبِكَ مِنْ أَسْبَابِهَا.

وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْنَاسِ أَنْ تَتَفَاضَلَ، وَمِنْ عَادَةِ الْأَشْكَالِ أَنْ تَتَعَاقَمَ، وَالشَّيْءُ يَتَغَلَّغُلُ إِلَى مَعْلَدِيهِ، وَيَحْنُ إِلَى عُنْصُرِهِ، فَإِذَا صَادَفَ مَنِيَّتَهُ، وَلَا قَى مَغْرِسَهُ؛ رَسَخَ بِمُروِقِهِ، وَبَسَقَ (٢) بِفُروِعِهِ، وَتَمَكَّنَ تَمَكَّنَ الْإِقَامَةِ، وَتَبَّتْ تَبَاتِ الطَّبِيعَةِ.

وَمَا زَالَتْ قَلْقَلَةٌ (٣) تَجُولُ، وَنَازِعَةٌ إِلَيْكَ، وَحَبْدًا هِيَ مُطْمَئِنَّةٌ سَاكِنَةٌ وَرَاضِيَةٌ، بِمَكَانِهَا فَايِنَةٌ. وَوَيْلٌ لِمَنْ تَعَرَّضَ لَهَا وَهُوَ لَا يَسْتَحِقُّهَا، وَتَرَحُّا لِمَنْ ابْتُلِيَ بِهَا، ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْ فِي الْخِلَاصِ مِنْهَا؛ فَإِنَّ لَهَا عَيْبًا يُثْقِلُ الظَّهْرَ، وَيَمْلَأُ الصَّدْرَ، وَلَيْسَ يَحْتَمِلُهَا بِحَقِّهَا إِلَّا التَّامُّ الْوَاقِي، وَلَا / يَنْهَضُ بِثِقَلِهَا إِلَّا الْجَامِعُ الْكَامِلُ، وَإِلَّا مَنْ فِي قَوْمِهِ (٤) فَضْلٌ عَلَيْهَا، وَسَعَةٌ لِأَكْثَرِ مِنْهَا، وَإِلَّا فَإِنَّ الْمَجْهُودَ مُنْهَزِمٌ؛ وَالْمَجْهُودُ (٥) يَحْتَاجُ إِلَى جِهَامٍ (٦)، وَالْمَنْهُوكُ يَحْتَاجُ إِلَى تَنْفُسٍ، وَمَتَى اسْتَحْجَمَ نَفْسُهُ ضَاعَفَ عَلَيْهِ كَدَّهُ.

(١) زيادة يقتضيهما السياق.

(٢) بسق: طال. (اللسان: بسق).

(٣) قلقلة: قلة الثبوت في المكان، وشدة اضطراب الشيء وتحركه. (اللسان: قلقل).

(٤) في الأصل (قوله) والتصحيح من حاشية الأصل.

(٥) المجهود: ما جهد الإنسان من مرض أو من أمر شاق. (اللسان: جهد).

(٦) جهام: راحة. (اللسان: جم).

وكَيْفَ يَفْهَمُ السَّكَرَانُ مَا يَفْهَمُ الصَّاحِي، وَمَنْ لِلنَّاقِصِ بِمَعْرِفَةِ الْوَافِرِ، وَكَيْفَ
لِلْمَشْغُولِ بِتِهَامِ نَفْسِ الْفَارِغِ، وَكَيْفَ يَتَكَلَّفُ الْقِنَاعَةَ مَنْ قَدْ عَادَ مُسْتَفْرِغَ الْإِسْتِطَاعَةَ،
وَهَلْ تُنَالُ الْأُمُورُ بِغَيْرِ آلَتِهَا^(١)؟ وَهَلْ يُطْمَعُ فِيهَا بِغَيْرِ أَسْبَابِهَا؟ وَهَلْ يَسْتَلَى صَاحِبُ
الْبَلَاءِ^(٢) إِلَّا بِبَعْضِ مَا مَعَهُ مِنَ الرَّجَاءِ؟

وَمَنْ أَسْوَأَ حَالاً مِنْ مَغْلُوبٍ لَا يُعَدِّرُ، وَمُتَبَلِّئٍ لَا يُرْحَمُ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ عِلَّتَهُ،
وَلَا يَدْرِي مِنْ أَيِّ جِنْسٍ دَاوَاهُ؟ فَإِنْ شَكَا إِلَى عَاجِزِ أَعَارِهِ مِنْ عَجْزِهِ، وَأَمَدَّهُ مِنْ جَزَعِهِ،
وَأَضْرَاهُ عَلَى كَثْرَةِ الشُّكُوبِ^(٣)، وَعَوَّدَهُ قِلَّةَ الصَّبْرِ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ سُخْفَ الْجَزَعِ، وَحَسَّنَ
عِنْدَهُ مُطَالَبَةَ الْحَرِيصِ. وَإِنْ فَرَعَ إِلَى قَادِرٍ مَتَعَهُ الدُّعَاءَ وَالرَّحْمَةَ، وَالْإِسْتِمْتَاعَ وَالْمَشُورَةَ،
فَضْلاً عَنِ مَوَاسَاتِهِ، وَإِثَارِهِ إِيَّاهُ عَلَى بَدَلِ جَاهِهِ، وَحُسْنِ شَفَاعَتِهِ. وَأَشَدُّ عَلَى الْمَرِيضِ
مِنْ عِلَّتِهِ، وَأَقْتَلُ لَهُ مِنْ دَائِهِ، يَأْسُهُ مِنْ مُعَالَجَةِ الطَّيِّبِ الرَّقِيقِ الشَّفِيقِ.

فَلَيْسَ هَذَا الْبَائِسِ إِلَّا كَرِيمٌ حَلِيمٌ حَكِيمٌ رَحِيمٌ، مَعَ ذَلِكَ عَلِيمٌ مُعَافٍ، وَكَأَنَّهُ لَمْ
يَزَلْ مُتَبَلِّئٌ مَوْقِيٌّ، وَهُوَ مُصَابٌ مَنكُوبٌ، وَمَجْدُودٌ^(٤)، وَهُوَ فِي الْمَعْرِفَةِ مَحْرُومٌ، قَدْ عَرَفَ
النُّفُوسَ وَأَقْدَارَهَا، وَالْعِلَلِ وَأَوْزَانَهَا، وَعَرَفَ / جَمِيعَ الدَّوَاءِ؛ فَيُعَالِجُ النُّفُوسَ بِطَلَبِ
الرَّحْمَةِ، وَيُرْحَمُ الْمَرَضَى بِفَضْلِ الْحِكْمَةِ، فَصَارَتْ رَحْمَتُهُ عِلَّةً لِمَعْرِفَتِهِ، وَحِكْمَتُهُ سَبَبًا
لِرَحْمَتِهِ.

وَقَدْ وَثَّقَ بِثَوَابِ الشُّكْرِ، وَشَرَفِ الذِّكْرِ، وَتَعْظِيمِ الْأَجْرِ، وَعَرَفَ مَا فِي إِضَاعَةِ
ذَلِكَ مِنَ الْوِزْرِ. لَا يَعْرِفُ سَاعَاتِ الْمَسْأَلَةِ، وَلَا مَقَادِيرِ الطَّلَبِ، وَلَا الشَّيْءَ الَّذِي يُعْطَى

(١) ألتها: لا زيادة ولا نقصان. (اللسان: ألت).

(٢) في الأصل (البل) وما أثبت من حاشية الأصل.

(٣) أضراه على كثرة الشكوى: تعود على الشيء فلا يكاد يبصر عنه. (اللسان: ضرا).

(٤) مجدود: مقطوع. (جدد).

بِالرَّهْبَةِ دُونَ الرَّغْبَةِ، وَبِالهُوَى دُونَ الْحَرَمَةِ، وَبِالْكِنَايَةِ دُونَ الْإِفْصَاحِ، وَبِالتَّضْرِيحِ دُونَ الْأَتْسَةِ، أَوْ بِالْكِفَايَةِ دُونَ الْقَرَابَةِ، أَوْ بِالمُشَاكَلَةِ دُونَ الْحَقُوقِ؛ حَتَّى يَصِيرَ مَاوِي لِكُلِّ مَعْرُوفٍ سَارٍ، وَقَرَارًا لِكُلِّ غَرِيبٍ نَادِرٍ، وَلِكُلِّ صَنِيعَةٍ لَيْسَ لَهَا رَبٌّ، وَيَدَّ لَيْسَ لَهَا نَصِيرٌ. وَلَيْسَ يَتَكَلَّفُ الصَّبْرَ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِعَاقِبَةِ الصَّبْرِ، وَلَا يَطْلُبُ الدَّهْرَ إِلَّا كُلُّ مَشْغُوفٍ بِشَرَفِ الدُّكْرِ.

وَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا عَلَى هَذِهِ الطَّيِّعَةِ، وَأَفَاتَهَا عَلَى هَذِهِ الْخِلْقَةِ، فَمَا أَحَقُّ مَنْ كَانَ مِثْلِي، أَلَا يَدْرِي أَسْكَرَانٌ هُوَ أَمْ صَاحٍ؟ وَذُو آفَةٍ هُوَ أَمْ سَلِيمٌ؟ وَلَسْتُ أَدْرِي أَيُّ شَيْءٍ دَهَانِي، وَأَيُّ هَذِهِ الْأَفَاتِ اعْتَرَانِي، أَحْوَرٌ^(١) فِي أَصْلِ الْعِرْقِ أَمْ سُوءُ عَادَةٍ؟ بَلْ مَا أَدْرِي لَعَلَّ لِكُلِّ آفَةٍ فِي نَصِيئًا، وَلِكُلِّ مَفْسَدَةٍ فِي شَقِيصًا^(٢)، فَيَا لَيْتَهَا تَكُونُ الذَّالَّةَ، وَتَقْصُ الْقُوَّةَ. وَإِثَارَ الْهُوَيْنِي^(٣)، وَإِنِّي لِتَخْتِيرُ، مَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ عِرْقِ السُّوءِ، وَخِذْلَانِ الْمُتَمَتِّعِ وَالْمُسْتَمْكِنِ، خِلَافَ الْمُسْتَبْهِمِ؛ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَعَيْه/ مَامُونٌ، وَوَدَّه صَاحِحٌ، وَقَلْبُهُ فَارِعٌ إِلَّا مِنَ حُبِّكَ، وَطَرَفُهُ مَغْضُوضٌ إِلَّا عَنِ حِفْظِكَ.

ذَاهِبٌ حَيْثُ ذَهَبْتَ، وَمُقِيمٌ حَيْثُ أَقَمْتَ، وَهُمْ مَجْبُولُونَ مُسْخَرُونَ، مُرْتَهَنُونَ مُيَسَّرُونَ، قَدْ أَفْرَعُوا لَكَ إِفْرَاغًا، وَسَكَبُوا لَكَ سَكْبًا، قَامُوا عَلَى الْإِحْلَاصِ، وَتَصَفَّوْا لَكَ مِنَ الْأَدْنَسِ، وَكَفَّفُواكَ مَزُوتَةَ الْإِمْتِحَانِ، وَخَطَّارَ التَّجْرِبَةِ، وَتَوَقَّعَ الْمَحْذُورِ^(٤)، وَتَكَلَّفَ الْإِحْتِرَاسِ.

وَقد رَأَيْتُ النَّاسَ يَمْتَرُونَ إِلَيْكُمْ بِأَسْبَابِ، وَتَتَوَسَّلُونَ إِلَيْكُمْ بِضُرُوبِ، وَيَضْرِبُونَكُمْ

(١) خور: ضعف. (اللسان: خور).

(٢) شقيصًا: الشقيص والشقص هو النصيب. (اللسان: شقص).

(٣) الهويني: التوذة والرفق والسكينة والوقار. (اللسان: هون).

(٤) المحذور: المتأهب والمستعد والمتيقظ. (اللسان: حذر).

بِحُقُوقٍ، وَيَحْتَجُونَ عَلَيْكُمْ بِأُمُورٍ، لَمْ أَجِدْهَا وَإِنْ كَثُرَتْ تَعْدُو ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: حَقٌّ أَوْجِبَهُ الطَّبَعُ، وَالبَعِيدُ مُحْتَمِلٌ لِلنَّسْخِ جَائِزٌ عَلَيْهِ النَّقْلُ^(١)، وَالتَّخَلُّقُ إِصْلَاحُ الَّذِي هَيْئَتُهُ اعْتِيَادٌ. وَالطَّبَعُ جَوْهَرِيٌّ لَا يَزُولُ، وَطَبِيعِي لَا يَجُوزُ نَسْخُهُ^(٢)، وَلَا تَصْلُحُ النُّفُوسُ عَلَى نَقْلِهِ. وَاللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِمُخَالَفَةِ البِنْيَةِ^(٣)، وَلَا يَدْعُو إِلَى نَقْصِ السَّجِيَةِ. فَلَهُ مَعَ رُسُوحِهِ فِي الخِلْقَةِ تَأْكِيدُ العَادَةِ، وَحُرْمَةٌ مِنْ طَرِيقِ الدِّيَانَةِ؛ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الوَادِّ لَكَ، وَالمُشْفِقِ عَلَيْكَ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَحْمِيكَ مِنَ الذَّلِّ، وَلَا يَمْنَعُكَ مِنَ القَتْلِ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ مَا يَمْنَعُ نَفْسَهُ. وَإِنَّ المَحَبَّ لَيْسِيءٌ فَيُظَنُّ بِهِ الغَلَطُ، وَيُذَنِّبُ فَيَحْتَجُّ لَهُ بِالدَّالَّةِ^(٤)؛ هَذَا إِذَا كَانَ ذَنْبُهُ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَخْرَجٌ فِي جَوَازِ العَقْلِ، لَسْنَا شَيْئًا إِلَّا وَأَنْتَ أَكْثَرُ مِنْهُ تَعْرِفُ، وَلَكِنَّ الفَارِغَ يَرَى مَا لَا يَرَى المَشْغُولُ.

إِنِّي آيِدُكَ اللهُ قَدْ أَلْفَتْ كِتَابًا احْتَجَّتْ إِلَى عَرْضِهِ عَلَيْكَ، وَاسْتِشَارَتِكَ فِيهِ؛ فَإِنَّ العِلْمَ إِنَّمَا يَنْقُصُ، وَالحَيْرَ إِنَّمَا يَطْرِفُ^(٥) مِنْكَ، تَرُكُ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، وَالتَّصَادُقِ فِيهِ.

وَقَدْ ظَنَّ كُلُّ رَئِيسٍ أَنَّ اسْتِعَانَتَهُ بِأَخِيهِ، وَارْتِفَاقَهُ بِصَاحِبِهِ، يَوْجِبُ عَلَيْهِ العَجْزَ، وَلِصَاحِبِهِ القُوَّةَ، وَأَنَّ القَوِيَّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى المَعُونَةِ، وَأَنَّ المَعْلَمَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى المَادَّةِ، وَقَدْ تَحَمَّلْتُ الإِقْرَارَ بِالعَجْزِ عَمَّنْ أَنَا، وَفَخَرْتُ بِذَلِكَ عَلَى مَنْ تَحَامَاهُ.

فَأَمَّا المُحْتَاجُ إِلَى سَدِّ الخَلْئَةِ، وَالمَعْرُوجُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى التَّقْوِيمِ، وَالكَلِيلُ^(٦) الَّذِي

(١) فِي الأَصْلِ (النَّقْلُ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٢) طَبِيعِي لَا يَجُوزُ نَسْخُهُ: نَقْلُهُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، أَوْ إِطْلَاقُهُ وَإِقَامَةُ آخِرِ مَكَانِهِ. (اللِّسَانُ: نَسْخٌ).

(٣) البِنْيَةُ: الفِطْرَةُ. (اللِّسَانُ: بَنِي).

(٤) يَحْتَجُّ لَهُ بِالدَّالَّةِ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى مَنْ لَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ شَبِهَ جِرَاءَةَ مِنْهُ. (اللِّسَانُ: دَلُّ).

(٥) يَطْرِفُ: يَصْرِفُ وَيَرُدُّ. (اللِّسَانُ: طَرْفٌ).

(٦) الكَلِيلُ: السِّيفُ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ، المُتَلَمُّ. (اللِّسَانُ: كَلَلٌ).

يحتاج إلى الشُّحذ^(١). فقد قالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٢) رَحِمَهُ اللهُ: «رَجِمَ اللهُ امرأَ أهدى إلينا مساوئنا»^(٣). وجاءَ في الأثرِ «المؤمنُ مرآةُ أخيه»^(٤).

والمصالحُ مُؤكِّدَةٌ في شُرُوطِ الإسلام. وأنا أسألُ بِحَقِّ التَّوْحِيدِ، وبِحُرْمَةِ الإسلامِ، وبِذِمَامِ الْمُتَحَرِّمِينَ بِكَ، والعارفينَ بِمَا جَعَلَ اللهُ عِنْدَكَ، إِلا نَظَرْتَ في هذا الكِتَابِ قَبْلَ ظُهُورِهِ، وَتَصَفَّحْتَهُ قَبْلَ انْتِشَارِهِ؛ فَإِنَّ عَيْبِي راجِعٌ إِلَيْكَ، وَناقِصٌ مِنْ قُوَّتِكَ، وَمَنْ لَمْ يَحْمِلْ ضَعِيفَهُ حَلًّا بِهِ ضَعْفُهُ، وَمَنْ لَمْ يَنْصُرْ مَوْلَاهُ عَجَزَ عَمَّنْ ناوَاهُ.

وقد شَهِدْتُ مَدَّ اللهُ في عُمُرِكَ بِمَجْلِسِكَ البَهِيِّ في نَفْسِهِ، المُبَارَكِ على أَهْلِهِ، المُؤَسَّسِ على الإِخْلَاصِ، والمُزَيَّنِ بِالقُرْآنِ/، والمُكَلَّلِ بِالسُّنَّةِ. وهو المَجْلِسُ الَّذِي لَمْ يُمَهِّدْهُ قَطُّ إِلا مُتَكَلِّمُ دِيانٍ، أو مُتَفَقِّهُ في الأَحْكامِ، أو حَاطِبُ مِصْقَعٍ، أو وافيْدٌ مِقْدامٍ، أو كاتِبٌ أديبٌ، أو سَيِّدٌ مُطاعٌ، أو رَاهِبٌ مُحَبَّبٌ، أو مُتَواضِعٌ صوفيٌّ، أو مُتَشَكَّرٌ وُفيٌّ، أو مُسْتَرِيدٌ في نِعْمَةٍ، أو مُتَحَلِّ بِمُجالِسةِ أَهْلِ المَعْرِفَةِ، أو مُسْتَغْفِرٌ مُؤَيَّدٌ، أو ناظِرٌ مُعْتَبَرٌ، أو صامِتٌ مُفَكِّرٌ؛ فَسَمِعْتُهُمْ وقد أَجْرَوْا في الاِحْتِجاجِ لِلْفِرارِ كَلِامًا، وَذَكَرًا في نَفْيِ القَلْداِ عَنهُ.

(١) الشُّحذُ: الحدُّ بالِمن. (اللِّسانُ: شُحذَ).

(٢) عمر بن عبد العزيز: أبو حفص، ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أمير المؤمنين، ولد سنة (٦٣ هـ)، ولي المدينة سنة (٨٦ هـ)، توفي سنة (١٠١ هـ) وهو ابن (٣٩) سنة.
(انظر: الذهبي، العبر: ١/ ٩١، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥/ ٥٧٦، والمزي، تهذيب الكمال: ٤٣٢ / ٢١).

(٣) هذا القول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(انظر: الماوردي، أدب الدنيا والدين: ص ٢٣٣، والطروشني، سراج الملوك: ١/ ٣٢١-٣٢٢، ٣٢٨).

(٤) انظر الحديث الشريف في (المهتمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٧ / ٥٢١، الحديث رقم ١٢١٢٠).

وَسَمِعْتُ لَكَ فِيهِ جَوَابًا اسْتَحْسَنْتُهُ، وَمَذْهَبًا أَحَبَبْتُهُ، وَسَيَّلْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُتَّفِقَةً، وَحُجَّتُنَا وَاحِدَةً. وَقَدْ كَانَ فِي فَهْمِهِمْ عَنْكَ بَعْضُ الْعَجْزِ، وَفِي مُطَاوَعَتِهِمْ بَعْضُ الْيَقِينِ؛ مَعَ حُسْنِ نِيَّةٍ، وَجَوْدَةِ قَصْدٍ، وَحُسْنِ إِصْغَاءٍ. وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ نَظَرَ أَبْصَرَ، وَلَا كُلُّ مَنْ تَسَمَّعَ سَمِعَ.

وقد يمتنع العلم ثم يوجب، ويتوَعَّرُ ثم يسهل، ويرفك يأتي لهم على ذلك منهم، ويأتيك رادُّ عليهم ما شدَّ عنهم. والله لا يخلفُ بأعظم منه، لقد عبرتُ دهرًا، وبقيتُ زمانًا، وأنا لا بأس أن أرى مثلك، وإن كنتُ قد رأيتُ من يساويك في الكمال، ولقد ظننتُ أن الدنيا قد أسنت وهرمت، وأنها أصفت وأجبلت^(١)، كالعقيم الذي لا يلقيح، والعاقر التي لا تلد.

وبالله لقد أعجبني نفسي / حين فهمتك، وحين أحسنت أن أجبك، وحين طمعتُ في أن أحسنَ وصفك، ولأن يكونَ الترفيقُ ساقني إليك، أحبُّ إليَّ من أن يكونَ ذلكَ كانَ عن كسبي، وليسَ شيءٌ أوزنَ عندَ الله ولا أعلى منزلةً من الاحتجاجِ له، والحبُّ فيه، ورفعُ الظلامِ عن عبادِهِ، وكلُّها بحمدِ الله مُتَّجِعَاتٌ فِيكِ، ووافراتٌ عندك.

فهنيئًا لك في الدنيا الذكرُ الجميل، وفي الآخرة الثوابُ الجزيل، وهنيئًا لك ما تجهدُ في نفسك من عِزِّ الإحسان، وما ترى بعدوكَ من ذلِّ الإساءة. ولو أن الله لم يُعاقِبِ الحاسِدَ إلا بالذي يجِدُ من الغيظ، وتضايِقِ الصدر، كانَ ذلكَ كافياً، وبلاءَ عظيمًا.

وقد رأيتُ أعزَّكَ اللهُ رجلاً في مرتبتك، وفي مثلِ حالِكِ، غيرَ أني لم أعْطِهم به،

(١) أصفت: أخذت صفوه. (اللسان: صفي).

أجبلت: انقطعت. (اللسان: جبلت).

ولم أحسدُهم عليه؛ لِمَا كَانَ فِيهِمْ مِمَّا يَصْغُ مِنَ الْقَدْرِ وَتُسْقِطُ مِنَ الْبِهَاءِ، وَمَحَقُّ مَا فِي الْقَلْبِ مِنَ الْحَلَاوَةِ، وَيُعْرَضُ لِلزَّوَالِ، وَيُغَيَّرُ الْحَالُ، مِنْ خَبَائِثِ تَحَجَّنٍ^(١)، وَمِنْ شَرِّ يُنْشَرُ، وَمِنْ شِرَّةٍ تَظْهَرُ^(٢)، وَفَاحِشَةٍ تُرْكَبُ، وَسَرِيرَةٍ تُكْشَفُ عَلَى الْإَيَّامِ، وَحِيلَةٍ تَظْهَرُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَوَامِّ مَعَ قَلَّةِ النَّصِيحَةِ، وَسُوءِ النَّظَرِ لِلرَّعِيَةِ. ثُمَّ لَمْ يَكُنْ غَايَةً لِأَحْدِهِمْ إِلَّا حَظُّ نَفْسِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرِ الْحَظَّ إِلَّا جَمَعَ الْمَالَ، وَعَدَاوَةَ الرِّجَالِ، وَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيُسَوِّي بَيْنَ أَهْلِ الْبِرَاءَةِ وَالسَّلَامَةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التُّطَفِ^(٣) وَالْحَيَاةِ. فِي الْمَنَعِ / وَالتَّحْصِينِ، وَفِي الصَّنْعِ وَالدَّفَاعِ.

وَلَوْ سَوَّى اللَّهُ بَيْنَ الْمُدَاهِنِ^(٤) فِي الدِّينِ، وَالْعَادِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ، الْجَمُوعِ^(٥) الْمَنُوعِ، وَبَيْنَ الْمُعْلِنِ لِلدِّينِ وَالتَّائِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَالتَّزْيِيهِ الْبَدُولِ^(٦)، كَانَ ذَلِكَ مَدْعَاةً إِلَى الشَّرِّ، وَمَزْجَرَةً عَنِ الْحَيْرِ.

وَاللَّهُ يَتَعَالَى عَنِ ذَلِكَ عُلُوقًا كَبِيرًا، وَلَوْ لَمْ يُبَيِّنْ وَطَأَتَكَ، وَيَشُدُّ أَرْزَكَ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى ظَهْرِهَا مَظْلُومٌ، إِلَّا وَهُوَ يَرْجُوكَ، وَلَا ظَالِمٌ إِلَّا وَهُوَ يَتَّقِيكَ، وَلَا ذُو نِعْمَةٍ صَاحِبٌ ثَرْوَةً، وَحَالٍ جَمِيلَةً إِلَّا وَهُوَ آمِنٌ لِحَسَدِكَ، وَلِدَسْكَ^(٧)، وَعَوَائِلِكَ^(٨)، غَيْرَ مُدَارٍ وَلَا مُخْتَالٍ فِي صَرْفِ يَوْاقِقِكَ. وَلَوْ ذَهَبُوا عَنْكَ لَرَدَّهُمْ إِلَيْكَ عِلْمُهُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصَيِّوْنَ مِثْلَكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيكَ مِنَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ، وَالْأُمُورِ الْمَرْضِيَّةِ، إِلَّا أَنَا لَا نَعْلَمُ عَلَى

(١) تحجن: احتجنت الشيء أي جمعته وضممته إليه. (اللسان: حجن).

(٢) شرة: عيب. (اللسان: شرر).

(٣) التطف: العيب. (اللسان: نطف).

(٤) المداهن: المصانع، والمظهر خلاف ما يضر. (اللسان: دهن).

(٥) الجموع: الذي يجمع الأشياء. (اللسان: جمع).

(٦) البنول: الكريم. (اللسان: بدل).

(٧) دسك: مكرك. (اللسان: دس).

(٨) غوائلك: خداعك. (اللسان: غول).

ظَهَرِهَا أَحَدًا يُتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالْعِلْمِ غَيْرِكَ، وَلَا قَادِرًا يَتَدَلَّلُ عَلَيْهِ إِخْوَانُهُ سِوَاكَ، لَكَانَ ذَلِكَ بَاتِي لَنَا عَلَى كُلِّ غَايَةٍ، وَيُجَاوِزُنَا كُلَّ غَايَةٍ.

وَلَوْ كُنْتُ أَصْفَكَ بِهَا لَا تَعْرِفُهُ، وَأَقُولُ مَا لَا تَعْلَمُهُ؛ لَكُنْتُ لِمَقْتِكَ مُسْتَحِقًّا، وَلِلتَّبَعِيدِ مُسْتَوْجِبًا، وَمَدَارُ الْأَمْرِ عَلَى بُعْدِ الْهَمَّةِ، وَنَزَاهَةِ النَّفْسِ، وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا، وَالصَّبْرِ عَلَى مَا يَنْوِبُهَا.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْرِ مَنِي حُسْنَ قَبُولِكَ، كَمَا لَمْ يَجْرِ مَنِي حُسْنَ الْمَعْرِفَةِ بِفَضْلِكَ /، فَقَدْ أَصْبَحْتُ أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِهَا قَرَبَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَتَعَرَّفُ إِلَيْكَ بِهَا دَعَانِي إِلَيْهِ.

ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ عِنْدِي مَا أَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى أَهْلِ الْقُرْبَى، وَأَتَّصِلُ مِنْ أَجْلِهِ بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالسَّابِقَةِ، وَمَا يَسُرُّنِي إِذَا لَمْ يُجْعَلْنِي لِلْمَظْلُومِينَ مَفْرَعًا، وَلِلْعُلَمَاءِ مَنْرَعًا، إِنَّ ذَلِكَ عَدَاكَ، وَإِنَّ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ لِسِوَاكَ، وَمَتَى نَصَبْتُ وَاحِدًا حَلِيًّا، وَرَفِيعَ الْقَدْرِ مُتَوَاضِعًا، وَعَلَى عِلَاتِهِ رَاهِبًا، وَإِقَامَةَ جِزَاءِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ مُصَيِّبًا، وَمَوَاضِعَهَا عَالِمًا، بَعِيدَ الْغَضَبِ، شَدِيدَ الصَّوْلَةِ، يُعْلِزُ قَبْلَ الْإِيْقَاعِ، وَيَجْتَمِلُ مَا كَانَ الْاِحْتِيَالُ كَرَمًا، وَالكَظْمُ حِلْمًا.

وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَنْظُرَ فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَتَقْرَأَ مِنْهُ مَا خَفَّ عَلَيْكَ، فَإِنْ كَانَ كَمَا وَصَفْتُ؛ حَثَّتْ عَلَى قِرَائَتِهِ وَتَدْوِينِهِ، وَأَمَرَتْ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْمَادَّةِ، وَإِلَى حُسْنِ الْمَعْرِفَةِ مِنَ الْمَوَافِقِينَ، وَمِنَ الْإِخْوَانِ الصَّالِحِينَ أَنْ يَنْظُرُوا فِيهِ، وَقَدْ كُنْتُ عَلَى ذَلِكَ قَادِرًا، وَبِهِ مُسْتَوْصِيًا. وَلَكِنَّ الرَّجُلَ الرَّفِيعَ إِذَا رَفَعَ الشَّيْءَ ارْتَفَعَ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا وَضَعَ الشَّيْءَ انْتَضَعَ.

وَحَرَامٌ عَلَى مُتَكَلِّمِ عَالِمٍ، أَوْ خَطِيبٍ مُفَوَّهِ، وَفَقِيهِ مُطَاعٍ، إِنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْكَمَ بِهِ، وَذَكَرَ لَكُمْ مَا عِنْدَهُ، قَلَّ ذَلِكَ أَمْ كَثُرَ، وَصَادَفَ مِنْكُمْ شُغْلًا أَوْ

فَرَاغًا. وَهُوَ فِي الْعُيُونِ أَعْظَمُ، لِمَا جَعَلَ اللَّهُ عِنْدَكُمْ مِنَ الْاِخْتِيَارِ، وَالْعِلْمِ بِمَنَافِعِ الْبِلَادِ،
[وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ وَالْأُمَّةِ، إِذْ كُتِبَ الْمَفْرَعُ وَالْمَقْنَعُ] (١).

وَكَوْلًا مَا قُلِدْتُمْ مِنْ أَمْرِ الْجَمَاعَةِ، وَمِنْ أَمْرِ الْقِيَامِ بِشَأْنِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَأَنْ
الشُّغْلَ بِرِعَايَةِ حَقِّهَا، وَالذَّفَاعَ عَنْهَا، لَمْ يُبَيِّنْ مِنْ قَوَائِمِ فَضْلًا لِلدُّعَاءِ وَالْمُنَازَعَةِ، وَوَضَعَ
الْكُتُبَ وَالْجَوَابَ وَالْمَسْأَلَةَ، لَكُتِبْتُمْ أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ.

عَلَى أَنَّنَا لَمْ نَنْطِقْ (٢) إِلَّا بِالسِّيَرِ كُمْ، وَلَمْ نَحْتَدِ الْأُمُورَ إِلَّا عَلَى مِثَالِكُمْ، وَلَمْ نَقُولْ إِلَّا
بِهَا أَعْرَضْنَا مِنْ فَضْلِ قَوَائِمِكُمْ. وَحَرَامٌ عَلَى الْعُلَمَاءِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَعَلَى الرُّوَاةِ
مِنَ الْأَدْبَاءِ، وَعَلَى أَهْلِ اللِّسَنِ مِنَ الْخُطَبَاءِ، تَرَكَ مُعَاوَنَتِكُمْ وَمُكَاتَفَتِكُمْ، وَالْجُلُوسَ بَيْنَ
أَيْدِيكُمْ، وَالِاسْتِمَاعَ مِنْكُمْ. وَعَلَيْهِمْ أَنْ يُطِيعُوا أَمْرَكُمْ، وَأَنْ يَتَفَدَّوْا لِطَاعَتِكُمْ، وَأَنْ يُجْلِصُوا
فِي الدُّعَاءِ، وَيُمَحِّضُوا فِي النَّصِيحَةِ، وَأَنْ يَصْبِرُوا عَلَى الْمِحْنَةِ، وَأَنْ يَعْمَلُوا فِي نَفْيِ الْغِلِّ
وَالْحَسَدِ، وَأَنْ لَا يَرْضَوْا مِنْ أَنْفُسِهِم بِالْتَّفَاقِي فِي أَمْرِكُمْ، وَأَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْحَسَدَ لَا يَقَعُ
إِلَّا بَيْنَ الْأَشْكَالِ، وَأَنَّ التَّنَافُسَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ تَقَارُبِ الْحَالِ، وَلَا يَقَعُ الْحَسَدُ بَيْنَ
الْمُتَبَايِنِينَ، لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْمُتَقَارِبِينَ.

وَلَا يَكُونُ الظُّلْمُ إِلَّا بِالطَّمَعِ، وَلَا يَكُونُ الطَّمَعُ إِلَّا بِالسَّبَبِ، فَإِذَا انْقَطَعَ السَّبَبُ
انْقَطَعَ الطَّمَعُ، أَوْ مَنْ [عَدِمَ الطَّمَعُ] (٣) عَدِمَ الطَّلَبُ. وَكَيْفَ يَتَكَلَّفُ الطَّيْرَانُ مَنْ لَيْسَ
لَهُ جَنَاحٌ؟ وَكَيْفَ يَرْجُو أَمْرَ الْخَاصَّةِ مَنْ قَدْ عَجَزَ عَنِ تَدْبِيرِ نَفْسِهِ، وَقَصَرَ عَنِ تَقْوِيمِ
عَبْدِهِ؟ وَإِنصَافُ اللِّسَانِ قَلِيلٌ، وَإِنصَافُ الْقَلْبِ أَقْلٌ مِنْهُ.

(١) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٢) في الأصل (نطق)، وهو تصحيف.

(٣) زيادة يقتضيهما السياق.

وقد جعلَ اللهُ الشُّكْرَ مَوْصُولًا/ بِالزُّيْدِ، وَمِنَ الشُّكْرِ عَلَى نِعْمِهِ عَلَيْنَا بِكُمْ أَنْ نُعْظَمَ مَا عَظَّمَ اللهُ مِنْ أَمْرِكُمْ، وَمَنْ صَغَّرَ مَا عَظَّمَ اللهُ فَقَدْ عَظَّمَ مَا صَغَّرَ اللهُ، وَلَا يَقَعُلُ ذَلِكَ إِلَّا صَغِيرُ الْقَدْرِ، الْخَائِلُ الذِّكْرُ، أَوِ الْجَاهِلُ بِالْأَمْرِ.

وَكَيْفَ لَا يَكُونُونَ عَلَى مَا خَبَرْتِ، وَكَمَا وَصَفْتِ، وَقَدْ أَغْنَيْتُمُ الْعَيْلَةَ^(١)، وَأَنْتُمْ مِنَ الْوَحْشَةِ، [وَجَمَعْتُمُ الشَّمْلَ، وَأَعَدْتُمُ الْأَلْفَةَ، وَرَدَدْتُمُ الظُّلَامَةَ، وَأَحْيَيْتُمُ السَّنَةَ]^(٢)، وَأَمْتُمُ الْبِدْعَةَ، وَأَبْرَزْتُمُ التَّوْحِيدَ بَعْدَ اكْتِسَابِهِ، وَأَظْهَرْتُمُوهُ بَعْدَ اسْتِخْفَانِهِ، وَاحْتَمَلْتُمُ عَدَاوَةَ الْجَمِيعِ دُونَنا، وَوَتَرْتُمُ الطَّاعِنِينَ فِي نُفُوسِنَا.

وَنَحْنُ لَا نَطَالِبُ مَا كُنْتُمْ قِيَامًا، وَلَا نَذْكُرُ مَا كُنْتُمْ شُهُودًا، وَنَحْنُ مَعَ قِلَّةِ عَلِمِنَا لَا نَجِدُ عَلَيْهَا إِلَّا الْمُقْصَرَّ عَنْ عَلِمِنَا، وَأَنْتُمْ مَعَ اتِّسَاعِ عُلُومِكُمْ، أَعْمَالِكُمْ فَوْقَ عُلُومِكُمْ.

وَلَعَلَّ قَائِلًا أَنْ يَقُولَ: وَلَمْ أَدْخِلْهُ فِي جُمْلَةِ صِفَاتِ أَبِيهِ، وَجِلَّةَ مَشِيخَتِهِ وَأَقْرَبِيهِ، حَيْثُ خَصَّه اللهُ بِالتَّقْدِيمِ، وَأَثَابَهُمُ بِالتَّعْظِيمِ، بَلْ كَيْفَ تَقَدَّمَ مَنْ صَغُرَ سِنُّهُ، وَقُلْتُ تَجْرِبَتُهُ، وَكَيْفَ تُمَكِّنُ الطَّاعَةَ الْكَثِيرَةَ فِي الْأَيَّامِ الْقَصِيرَةِ، وَالشُّهُورِ الْيَسِيرَةِ؟

وَمَا قُلْتُ ذَلِكَ حَفِظَكَ اللهُ وَلَا انْتَحَلْتُهُ، إِلَّا وَبُرْهَانِي ظَاهِرًا، وَشَاهِدِي حَاضِرًا. وَذَلِكَ أَنَّ الشَّبَابَ سُكْرٌ وَطِيَّاحٌ^(٣)، وَصَوْلَةٌ وَنِزَاعٌ. وَاهْرَمُ دَاخِلٌ فِي جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ، وَآخِذٌ بِقِسْطِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَجْزَاءِ.

أَلَا تَرَى كَيْفَ يُعْمَلُ نَاطِرُهُ وَسَامِعُهُ، وَذَائِقُهُ وَشَامِعُهُ، وَهَاضِمُهُ وَعَامِلُهُ؟ وَكَيْفَ تَنْتَقِصُ عَلَى مُرُورِ الْأَيَّامِ قُوَّتُهُ، وَكَذَلِكَ/ قَلْبُهُ، وَكُلُّ مَا يُظَنُّ مِنْ أَمْرِهِ، وَعَلَى قَدْرِ مَا

(١) العيلة: الفقراء. (اللسان: عيل).

(٢) ما بين العقوفين من حاشية.

(٣) طيَّاح: الكبر والفخر والتكبر. (اللسان: طمع).

يَنْقُصُ [من] ^(١) قُوَى جِسْمِهِ يَنْقُصُ مِنْ قُوَى شَهْوَتِهِ، وَعَلَى قَدْرِ مَا يَنْقُصُ مِنْ قُوَى شَهْوَتِهِ يَخْفُ عَلَيْهِ مُخَالَفَةُ هَوَاهُ، وَجُجَادِبَةُ نَوَازِعِهِ.

فَمَنْ حَمَلَ عَلَى نَفْسِهِ فِي سُبَابِهِ، فَقِي سُلْطَانِ حَدَائِثِهِ، وَكِمَالِ قُوَّتِهِ، فَطَلَّقَهَا مَرَّةً وَنَكَحَهَا مَرَّةً، وَعَانَى تِلْكَ التَّكَالِيفِ، وَغَلَبَ تِلْكَ الرِّيحِ، كَانَ أَوْزَنَ طَاعَةً؛ إِذْ كَانَ أَحْمَلَ لِلْمَشَقَّةِ.

وَعَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ تَكُونُ الْمَثْوِيَّةُ، وَتَعْظُمُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ، وَتَقَعُ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ الْمَحَبَّةُ. وَنَحْنُ نَعْتَبِرُ حَالَكَ بِالَّذِي فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَقَدْ مَلَكَ اللَّهُ بَعْضَ النَّاسِ أَبْدَانًا بَعْضُ، وَلَمْ يَمْلِكِ الْقُلُوبَ أَحَدًا غَيْرَهُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْغَرَارَةَ ^(٢) مَقْرُونَةٌ بِالْحَدَائِثِ، وَالْحَنْكَةُ مَوْصُولَةٌ بِطُولِ التَّجْرِبَةِ، فَإِنَّ الذَّهْنَ الْحَدِيدَ ^(٣)، وَالطَّبْعَ الصَّحِيحَ، وَالْإِرَادَةَ الْوَاقِرَةَ، تُنَالُ فِي الْأَيَّامِ الْيَسِيرَةِ، وَتُدْرِكُ فِي الذُّهُورِ الْقَصِيرَةِ، مَا لَا تُنَالُهُ الْعُقُولُ الْمَمْزُوجَةُ ^(٤)، وَالطَّبَائِعُ الْمَدْخُولَةُ ^(٥)، وَالْأَدَاةُ النَّاقِصَةُ فِي الْأَيَّامِ الْكَثِيرَةِ، وَالذُّهُورِ الطَّوِيلَةِ.

فَهَذَا مَا حَصَرْنَا مِنَ الْقَوْلِ، وَأَمَكَّنَّا مِنَ الْاِحْتِجَاجِ، وَمَا أَشْكُ أَنْ مَن خَبَرَ أَمْرَكَ، بِأَكْثَرِ مِنْ اخْتِيَارِي، أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ أَكْثَرُ مِنْ عِلْمِي. وَعَلَى أَنْ مَنْظَرِكَ أَبْقَاكَ اللَّهُ يُغْنِي عَنِ الْمَخْبَرِ، وَالْفِرَاسَةَ فَيْكَ تَكْفِي مَرْوَنَةَ التَّجْرِبَةِ لَكَ.

(١) زيادة يتطلبها النص.

(٢) الغرارة: الغر هو الشاب الذي لا تجربة له. (اللسان: غر).

(٣) في الأصل (الحديد) وهو تصحيف، لأنَّ الذَّهْنَ يوصف بالحلَّة وليس بالجلَّة.

(٤) العقول الممزوجة: التي لا تثبت على خلق، وقيل المخلطة الكذابة. (اللسان: مزج).

(٥) الطَّبَائِعُ الْمَدْخُولَةُ: التي خالطها العيب والغش والفساد والتفاسق. (اللسان: دخل).

(١) وقد تَقَبَّلَتْ (٢) بِحَمْدِ اللَّهِ أَخْلَاقَ سَيِّئِكَ، كَمَا تَقَبَّلَ سَيِّئَكَ أَخْلَاقَ أَشْيَاحِهِ (٣)، / واحتَدَيْتْ عَلَى مِثَالِهِ، كَمَا احتَدَى [مِثَالُهُ] (٤) عَلَى مِثَالِ [مَنْ قَبْلَهُ] (٥). ولو لم يَتَعَمَّقُوا أَمْرَكَ، وَتَصَفَّحُوا سِرَّتَكَ فِي نَفْسِكَ، ثُمَّ فِي خَاصَّتِكَ وَعَامَّتِكَ، لَكَانَ فِي صِدْقِ الْفِرَاسَةِ، وَظُهُورِ الْمَخِيلَةِ (٦) مَا يَقْضِي بِهِ الْمُتَفَرِّسُ (٧)، وَيَسْتَدِلُّ بِهِ الْمُجَرَّبُ، وَظَنَّ الْعَاقِلُ كَيْفِيْنَ غَيْرِهِ (٨).

قال عمرُ بنُ الحَطَّابِ رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ لَمْ يَتَفَعَّ بِظَنِّهِ لَمْ يَتَفَعَّ بِعَقْلِهِ» (٩). وقال أوسُ ابنُ حَجْرٍ (١٠):

-
- (١) من هنا ابتداء ما جاء في أبي ملحَم ص ٢١٧، ولكن لم تكن الفقر الواردة عند أبي ملحَم بنفس الترتيب الوارد في الأصل، وهارون ١ / ٣٠١.
- (٢) في الأصل (تقبلت) وهو تصحيف. وما أثبت من هارون ١ / ٣٠٢.
- وتقبَّلَ الرَّجُلُ أَبَاهُ: أشبهه. (اللِّسَان: قيل، والقاموس المحيط: قيل).
- (٣) ساقطة من هارون.
- (٤) ساقطة من هارون وأبي ملحَم، وهي زيادة يقتضيهما السياق.
- (٥) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.
- (٦) في هارون ١ / ٣٠٢: المحبة.
- المخيلة: التفرس. (اللِّسَان: خيل).
- (٧) في أبي ملحَم ص ٢١٧: وظهور المحبة ما تقضي به النفوس.
- (٨) جاء في تسهيل النظر: ص ١٧١ «ظَنَّ الْعَاقِلُ أَصْدَقَ مِنْ يَقِينِ الْجَاهِلِ».
- (٩) في أبي ملحَم ص ٢١٧، وهارون ١ / ٣٠٣: إتك لن تتفع بعقله حتى تتفع بظنه.
- جاء القول في العقد الفريد: ٢ / ٢١٧.

(١٠) أوس بن حجر: أبو شريح، ابن عتاب التميمي، هو زوج أم زهير بن أبي سلمى، اشتهر بالوصف والطرديات ووصف الحروب، في شعره حكمة ورقة، وكان غزلاً مفرماً بالنساء، كانت تميم تقدمه على سائر شعراء العرب، كان كثير الأسفار، كثرت إقامته عند عمرو بن هند، عَمَّرَ طويلاً، ولم يدرك الإسلام، توفي سنة (٢ ق.هـ).

الأمعي الذي يظنُّ لك الظَّ نَّ كَانَ قَد رَأَى وَقَدْ سَمِعَا^(١)

وَلَسْتُ أُمَّتُ إِيَّاكَ [أكرمك الله]^(٢) بَعْدَ التَّوْحِيدِ وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ، وَنَصْرِي^(٣) لِلدِّينِ، بِأَمْرِ أَنَا بِهِ أَوْثَقُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي شُكْرِ الْكِرَامِ، وَالْأَحْدُوَّةِ الْحَسَنَةِ. قَالَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الانشراح: ٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٢٤]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]. فَلَوْ كَانَ حُبُّ الذِّكْرِ خَطِيئَةً لِمَا رَغَبْتُمْ فِيهِ، وَمَا عَدَّهُ^(٤) فِي نَعْمِهِ.

وَلَعَلَّ قَائِلًا أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُعْتَصِمَ بَرِّبِ الْعَالَمِينَ، الَّذِي حَقَّنَ اللَّهُ بِهِ الدِّمَاءَ^(٥)، وَسَدَّ^(٦) بِهِ الشُّغُورَ، [وردة به المظالم]^(٧)، وَحَسَمَ بِهِ عِرْقَ

= (انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ٢٣، ١٢٧، والأصفهاني، الأغاني: ١١ / ٤٧، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٣١١، ٢١).

(١) الأمعي: الرجل المتوقد الذكاء، ورد البيت في ديوان أوس بن حجر: ص ٥٣، والبيان والبيان: ٤ / ٤٢، والحايوان: ٣ / ٥٩، ورسائل الجاحظ، (تحقيق عبد السلام هارون): ١ / ٣٠٢، وعيون الأخبار: ١ / ٩١، ومجمع الأمثال: ١ / ٣٦، والكامل للمبرد: ٣ / ٢٣٥، ٢٣٤، وبهجة المجالس: ١ / ٤١٩، وابن جني، الخصائص: ١ / ٤٧٢، وزهر الآداب: ١ / ٦٤، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٥ / ٢١٢، ومعاهد التنصيص: ١ / ١٢٨، واللسان: مادة لمع، ومجموعة المعاني: ١ / ٧٣، والمتخب والمختار من النوادر والأشعار: ص ١٣٣).

(٢) ما بين المعقوفين من أبي ملحم ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٦.

(٣) في أبي ملحم ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٦: نصري.

(٤) في هارون ١ / ٣٠٦: عُدَّ.

(٥) في أبي ملحم ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٦: حقق الله به الدين.

(٦) في أبي ملحم ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٦: سدَّ.

(٧) ما بين المعقوفين من أبي ملحم ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٦.

البغي، وتَوَاجِمَ الْفِتْنَةِ^(١)، الَّذِي لَمْ يَبْزَلِ [الله] ^(٢) يَزِيدُهُ فِي كُلِّ طَرْفَةٍ حَبَّةً، وَمَعَ كُلِّ حَبَّةٍ هَيْبَةٌ، وَمَعَ كُلِّ نِعْمَةٍ شُكْرًا، وَمَعَ كُلِّ شُكْرِ فَضْلًا.

وهو الْمُبْتَدِئُ لهذا^(٣) الأمر، والدَّالُّ عليه^(٤)، والقائمُ به، والقُطْبُ^(٥) الذي يَدُورُ عليه^(٦) الرَّحَى، وَعَلَى مِثَالِهِ احْتَدَى [من احتدى]^(٧)، وَيَلْسَانُهُ نَطَقَ، وَعَنْ رَأْيِهِ / صَدَرَ، وَيَمِينُ هَيْبَتِهِ^(٨) ظَهَرَ، وَيَفْضَلُ قُوَّتَهُ عَلَنَ^(٩). وهو أَوَّلُ هَذَا الْأَمْرِ وَوَسَطُهُ، وَيَبْتِمُ أَمْرُهُ^(١٠) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قُلْنَا إِنْ عَقَلَ الرَّسُولُ يَدُّهُ عَلَى مُرْسِلِهِ، وَاعْتَدَالَ الْقَنَاةَ دَلِيلًا^(١١) عَلَى حِذْقِ الْمُتَّقِفِ^(١٢)، وَمَدَحُنَا^(١٣) لِلْوَزِيرِ رَاجِعًا عَلَى مَنْ اخْتَارَهُ، [وَأَنَّ تَصْوِيبَ ظَنِّ الْمُتَقَرِّسِ

(١) نواجم الفتنة: نواجم الابتلاء والامتحان والاختبار. (اللسان: فتن).

(٢) ما بين المعقوفين من أبي ملحم ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٦.

(٣) في أبي ملحم ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٦: بهذا.

(٤) ساقطة من أبي ملحم وهارون.

(٥) القطب: الحديدية القائمة التي تدور عليها الرحى ومركبته في وسط حجر الرحى السفلي. (اللسان: قطب).

(٦) في أبي ملحم ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٦: الذي عليه تدور.

(٧) ما بين المعقوفين من أبي ملحم ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٦.

(٨) في أبي ملحم ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٦: نقيته.

(٩) في أبي ملحم ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٦: نهض.

(١٠) ساقطة من أبي ملحم وهارون.

(١١) في هارون ١ / ٣٠٦: يدل.

(١٢) حذق المتقف: الذي يقوم الشيء المعوج في الزمام. (اللسان: تقف).

(١٣) في أبي ملحم ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٦: ومديحك.

فيه، ومدىنا له غير راجع إلى وزيره والمحتدى على مثال^(١)، بل علم الناس [أن]^(٢) الحظ الأكبر والنصيب الأوفر^(٣) للامر دون المطيع، وللمعلم دون القائل؛ لأن السبب^(٤) في عدالة العقول^(٥)، وجيد^(٦) النظر والتحصيل أفضل^(٧) من السبب، والمتبوع خير من التابع. ألا ترى أن من مدح الأنصار فهو [للنبي ﷺ]^(٨) وللمهاجرين أمدح، [وإن لم يظهر ذكرهم في الوصف]^(٩)، قال جرير^(١٠):

* تِلْكَم قُرَيْشِي وَالْأَنْصَارُ أَنْصَارِي * (١١)

(١) ما بين المعقوفين من أبي ملحمة ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٧.

(٢) ما بين المعقوفين من هارون ١ / ٣٠٧.

(٣) ساقطة من أبي ملحمة وهارون.

(٤) في أبي ملحمة ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٧: المسبب.

(٥) ساقطة من أبي ملحمة، ووضع نقاطاً تدل على الحذف.

وفي هارون وضع نقاطاً وأشار في الحاشية بقوله (يباض في الأصل بمقدار كلمتين).

(٦) في أبي ملحمة ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٧: عند.

(٧) في أبي ملحمة ص ٢٢٠: فاضل.

(٨) ما بين المعقوفين من أبي ملحمة ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٧.

(٩) ما بين المعقوفين من أبي ملحمة ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٧.

(١٠) جرير: أبو حزره، ابن عطية الخطفي، الشاعر الأموي، ولد سنة (٢٨هـ)، ولد ومات في البصرة، توفي سنة (١١٠هـ).

(انظر: ابن العماد، شذرات الذهب: ١ / ٢٤٩، والأصفهاني، الأغاني: ٨ / ٢٢٩، والزركلي،

الأعلام: ٢ / ١١٩).

(١١) البيت في ديوان جرير ص ٣٨١، وصدرة:

إن الذين اجتروا مجداً ومكرمة

وورد في رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون: ١ / ٣٠٧، والكامل للمبرد تحقيق

عبد الحميد الهنداوي: ٢ / ٤١.

وقال رؤبئة:

* وَمَنْ عَلَا الْمِنْبَرَ لِي وَالْمِنْبَرَ * (١)

وقد جمع الله لأمير المؤمنين^(٢) كَرَمَ العِرْقِ^(٣)، وَصَلَّاحَ الْمَنْشَأِ، وَالبُعْدَ^(٤) مِنْ إِثَارِ الهَوَى، وما رأينا فعلا^(٥) أشبه بأخلاق، ولا أخلاقاً أشبه بأعراق، مِنْ أفعالِهِ بأخلاقِهِ، وَأخلاقِهِ بأعراقِهِ.

وما عسى أَنْ أقولَ لِمَنْ أقرنَ^(٦) عَقْلَهُ لِطَبِيعَتِهِ، وَانْتَصَفَ عَزْمَهُ مِنْ شَهْوَتِهِ^(٧)، وَكَانَ عَمَلُهُ فَوْقَ^(٨) عِلْمِهِ، وَحِلْمُهُ^(٩) غَامِراً لِخِصْمِهِ.

فَنَسْأَلُ^(١٠) اللهَ الَّذِي أَسْعَدَنَا^(١١) بِخِلَافَتِهِ، [أَنْ]^(١٢) يَمُنَّ عَلَيْنَا بِطَوْلِ بَقَائِهِ، وَأَنْ يُحْصِنَا بِحُسْنِ نَظَرِهِ، كَمَا حَصَّنَا بِمَعْرِفَةِ حَقِّهِ، وَالاِحْتِجَاجِ لِمَلِكِهِ، وَالدَّبِّ عَنِ سُلْطَانِهِ.

(١) ورد البيت في هارون ١ / ٣٠٧، ولم يرد في ديوان رؤبئة.

(٢) ذكر عبد السلام هارون في الحاشية: «يعني الخليفة المعتصم».

انظر: الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون: ١ / ٣٠٨.

(٣) في أبي ملحم ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٧: مع كرم العروق.

(٤) في أبي ملحم ص ٢٢٠، وهارون ١ / ٣٠٧: البعد.

(٥) في أبي ملحم ص ٢٢١، وهارون ١ / ٣٠٧: وهل رأيت أفعالاً.

(٦) في أبي ملحم ص ٢٢١، وهارون ١ / ٣٠٧: أَنْ أقولَ فيمن قد قوي.

قرن: وصل. (اللسان: قرن).

(٧) في الأصل (سهوته) وما أثبت من أبي ملحم ص ٢٢١، وهارون ١ / ٣٠٧.

(٨) في هارون ١ / ٣٠٧: وفق.

(٩) في هارون ١ / ٣٠٧: عمله.

(١٠) في الأصل (نسل)، وهو تصحيف.

(١١) في أبي ملحم ص ٢٢١، وهارون ١ / ٣٠٧: أسعدنا.

(١٢) ما بين المعقوفين من هارون: ١ / ٣٠٨.

وَرُبَّمَا كَانَتْ الْكِتَابَةُ أَبْلَغَ فِي التَّعْظِيمِ، وَأَدْعَى إِلَى التَّقْدِيمِ، مِنَ الْإِفْصَاحِ [وَالشَّرْحِ] (١). وَرُبَّمَا أَبَانَ (٢) الشُّكُوتُ عَمَّا (٣) يَعَجْزُ عَنْهُ الْقَوْلُ (٤)، [وَقَدْ بَلَغَ أَقْصَى حَاجَتِهِ، وَغَايَةَ أَمْنِيَّتِهِ بِالْإِيْبَاءِ وَالْإِشَارَةِ، حَتَّى يَكُونَ تَكَالُفَ الْقَوْلِ فَصْلًا، وَالْكَلامِ خَطْلًا] (٥).

وَرُبَّمَا (٦) كَانَ اللِّسَانُ أَنْفَذَ مِنَ السُّنَانِ (٧)، وَأَقَطَعَ مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِي. [أَطَالَ اللهُ بِقَاءِكَ وَحَفَظَكَ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ، وَكَرَّمَكَ لَكَ] (٨).

[٢٣] فصل (٩)

وَرَدَّ عَلَيَّ أَسْعَدَكَ اللهُ كِتَابَكَ، تَذَكَّرْتُ فِيهِ بُرْعَكَ مِنْ شَكْوِكَ، وَتَسْتَرَيْتُنِي (١٠) فِي تَرْكِ الْكِتَابِ إِلَيْكَ، وَأَنْتَ غَافِلٌ عَمَّا جَرَّتْ بِهِ الْأَقْدَارُ، وَأَصَابَ بِهِ الدَّهْرُ، وَقَرَعَتْ بِهِ الْمُنُونُ،

(١) ما بين المعقوفين من أبي ملحَم ص ٢٢١، وهارون ١ / ٣٠٧.

(٢) في أبي ملحَم ص ٢٢١، وهارون ١ / ٣٠٧: أتى من.

(٣) في أبي ملحَم ص ٢٢١، وهارون ١ / ٣٠٧: بها.

(٤) في أبي ملحَم ص ٢٢١، وهارون ١ / ٣٠٧: القول عنه.

(٥) ما بين المعقوفين من أبي ملحَم ص ٢٢١، وهارون ١ / ٣٠٧.

(٦) في أبي ملحَم ص ٢٢١: لربما.

(٧) يقال «هو أنفذ منه لساناً، وأمضى منه سنثاً».

(انظر: حمزة بن الحسن، الدرّة الفاخرة: ص ٢٥٩، والميداني، مجمع الأمثال: ٣ / ٤١٤، واللسان: سنن).

(٨) ما بين المعقوفين من أبي ملحَم ص ٢٢١، وهارون ١ / ٣٠٨.

(٩) ورد هذا الفصل في الحاجري ص ٢٠-٢٥ بعنوان: رسالة في الرثاء والتأبين.

(١٠) في الأصل (تستزديني) وهو تصحيف، وما أثبت من الحاجري ص ٢٠.

وَطَرَقَتْ بِهِ الْحَوَادِثُ، وَلَمْ أَبْطُحْ بِكِتَابِي ^(١) عَنْكَ، أكَرَمَكَ اللَّهُ يَا أَخِي إِغْفَالًا لِحَقِّكَ، وَلَا قَلَّةَ مُنَازَعَةٍ مِنْ نَفْسِي لِمُحَاوَرَتِكَ، وَلَكِنْ شُغْلُ الْبَالِ، وَرَيْبُ الْحَدَثَانِ، وَتَقَلُّبُ الْأَزْمَانِ، فَلِذَايَ أَصْبَحْتُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ لِي عِلْقًا أَضِنُّ بِهِ إِلَّا اصْطَفَاهُ بِسَوِيٍّ أَوْ يَهْجِرَانِ

وقد هاجني على الكتابِ إليك مُعتَلِجاتُ ^(٢) الهموم، مُبْتَأً ^(٣) لك بعض ما في صدري، استراحةً المكروب، ونفثَ المصدر ^(٤)، فقد أصبحتَ رَصَدًا للمهلك ^(٥)، وبمدرجة العطب ^(٦)، وبمشرب السُّموم، وبمَحَجَّةِ الحنث ^(٧)، ومُجْتَنِي ^(٨) الموت.

وأحسبُ هلكَ أبي فلانٍ رَحْمَةً اللهُ عليه ورضوانه وأتاهُ اللهُ الرُّفْعَةَ، والشَّرَفَ الأعلى لَدَيْهِ قد نَمَى إِلَيْكَ وَبَلَغَكَ، وإنا لله وإنا إليه راجعون، تَأْدِيبًا بِأَمْرِهِ، وَتَعَرُّضًا لِمَوْعِدِهِ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وقَد رَأَيْتُ تَعْرِيفَكَ كُنْهَ خَيْرِهِ، فَافْهَمْ، رَجَمَكَ اللهُ، وَاجْتَهِدْ فِي أَنْ تَكُونَ ^(٩) السَّعِيدَ الْمَوْعُودَ بِغَيْرِهِ / .

(١) في الحاجري ص ٢٠: بكتابي.

(٢) معتلجات: اعتلج: التطم، واعتلج الهم في صدره كذلك على المثل. (اللسان: عالج).

(٣) البت: من أبت بمعنى أظهر، والبت في الحزن والغم. (اللسان: بث).

(٤) المصدر: الذي يشتكى صدره، وشبه الهموم الذي قد بُرِّحَ بها كفه، وضاق ذرعًا بها طواه، بمن أصاب صدره يا نفته. (انظر: التوحيد، البصائر والذخائر: ١ / ٤١٧، واللسان: صدر).

(٥) رَصَدًا للمهلك: للهلاك. (اللسان: هلك).

(٦) العطب: المهالك. (اللسان: عطب).

(٧) ساقطة من الحاجري.

(٨) في الحاجري ص ٢٠: ويحسي.

(٩) في الأصل (يكون) وما أثبت من الحاجري ص ٢٠.

وقد كُنْتُ عَابِتُ شَكْوَاهُ، وَفَارَقْتَهُ عِلَّتُهُ^(١) فِي غُرَّةِ شَهْرِ رَمَّضَانَ، ثُمَّ تَزَيَّدُ فِي جَهْدِ الْعِلَّةِ وَجِدَّتِيهَا، وَكَانَ الْيَأْسُ مِنْهُ وَالخَوْفُ عَلَيْهِ أَقْوَى مِنَ الرَّجَاءِ لَهُ، وَالطَّمَعُ فِي سَلَامَتِهِ. ثُمَّ انْحَدَرَتِ الْعِلَّةُ، وَأَطْمَعُ فِي الْإِفَاقَةِ، وَتَزَيَّدُ فِي الْأَطْمَاعِ، وَتَحَلَّلَ السُّقْمُ، وَشِدَّةَ الْمَرَضِ، فَاسْتَبَشَّرَ^(٢) مُؤَمَّلُوهُ الْعَافِيَةَ لَهُ بِبُرْئِهِ.

فَلَمْ يَزَلْ يَتَزَيَّدُ فِي صَلَاحِ الْحَالِ، وَرُجُوعِ الْقُوَى، حَتَّى إِذَا كَانَ^(٣) أَكَلَّ مَا اشْتَهَى، وَرَكِبَ وَمَشَى، وَخَرَجَ إِلَى الْبُسْتَانِ، وَثَابَتَ نَفْسُنَا مِنَ الْإِشْفَاقِ، وَزَالَ عَنْهُ الْقَلْتُ وَالْحِذَارُ، وَعَاوَدَهُ الْأَمَلُ وَالْإِغْتِرَارُ. وَقَالَ لِي، فِي بَعْضِ مُنَاجَاةِهِ، وَاسْتِجْلَابِهِ الْعَافِيَةَ، وَاسْتِئْذَانِهِ مُعَاوَدَةَ الصِّحَّةِ: «إِخَالْتِي^(٤) قَدْ نَجَوْتُ، وَأَرَانِي قَدْ أَقْبَلْتُ مُبْتَهَجًا مَسْرُورًا^(٥)». كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا بَلَّ مِنْ دَاءٍ بِهِ خَالَ أَنَّهُ نَجَا، وَبِهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ^(٦)

(١) في الحاجري ص ٢٠: عليه.

(٢) في الأصل (فاستبشّر)، وهو تصحيف.

وما أثبت من الحاجري ص ٢٠.

(٣) ساقطة من الحاجري.

(٤) في الحاجري ص ٢١: إخالتي.

(٥) في الحاجري ص ٢١: وأراني قد أقبلت.

(٦) بل: برأ وصح.

ورد البيت في الحيوان: ٦ / ٥٠٧، والبصائر والذخائر: ٣ / ٢٥٥، وجمهرة اللغة: ١ / ٣٧ مادة بلل، ومقاييس اللغة: ١ / ١٨٩، وابن السكيت، إصلاح المنطق: ٢١٣، وابن الوردی، تاريخ ابن الوردی: ١ / ١٩٧، وأساس البلاغة: ٥٢ مادة بلل، وتاج العروس: مادة بلل، والصحاح: مادة بلل، واللسان: مادة بلل، دون نسبة.

على أنه يَرَحُّهُ اللهُ في ذلك كِمْدُ اللَّوْنِ، نَحِيفُ الْجِسْمِ، مُضْطَرَبُ الْمِزَاجِ، مُتَعَبِّرٌ
 عن الاعتدال، وهو مَعَ ذلك يَخْرُجُ إلى مَسْجِدِهِ، وَيَجْلِسُ بِنِيفَانِهِ. ثُمَّ تَغَيَّرَتْ بِهِ الْعِلَّةُ،
 فَدَخَلْتُ^(١) عَلَيْهِ؛ فَإِذَا نَفْسُهُ قَوِيَةٌ، وَطَبِيعَتُهُ جَيِّدَةٌ، وَعِلَّتُهُ غَيْرُ مُنْكَرَةٍ، فَسَأَلْتُهُ فَرَدًّا
 جَوَابَ فَسِيحِ الْأَمَلِ^(٢)، قَوِيَّ الرَّجَاءِ، بَغَيْرِ انْكِسَافٍ بَالٍ، وَلَا وَجَلٍ مِنْ وَشَكٍ اِرْتِحَالٍ،
 فَظَلَّ^(٣) يَوْمَهُ ذَلِكَ عَلَى حَالِهِ مِنَ الصَّلَاحِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا بِسِوَاكِهِ فَاسْتَنَّ بِهِ، فَيِّنَا/ هُوَ
 يُمِرُّ السُّوَاكَ عَلَى نَفْسِهِ؛ أَنْكَرَتْ أُمُّهُ صَعْفَ يَدِهِ، فَقَالَتْ: «مَالِكُ؟». فَقَالَ: «مَا أُدْرِي إِيَّايَ
 لِمُنْكَرٍ نَفْسِي، بَادِرُونِي بِالنُّزُولِ». فَبَوَدِرَ بِهِ فَلَمَّا صَارَ عَلَى الدَّرَجِ مُنْحَدِرًا عَلَى قَدَمَيْهِ، عَنَّ
 لَهُ الْمَوْتُ مُطِيلًا، وَطَرَقَهُ مَا كَانَ يَهْرُبُ مِنْهُ طَوِيلًا، وَفَاجَأَهُ الَّذِي رَاغَ مِنْهُ مُجْتَهِدًا وَبَعَثَهُ مَا
 لَمْ يَجِدْ عَنْهُ مَوْتِيًّا. فَسَقَطَ سَقَطَةً لَمْ يَكُنْ^(٤) بَعْدَهَا إِقَالَةً، فَشَخَّصَ لَهَا بَصْرَهُ، وَاضْطَرَبَتْ
 جَوَارِحُهُ، وَاحْتُمِلَ إِلَى قَرَارٍ مَنَزَلَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْهَائِلَةِ، لَا يَسْمَعُ الدُّعَاءَ، وَلَا يَحْفَلُ
 بِالْبُكَاءِ، [وَلَا يَرُدُّ الْجَوَابَ]^(٥)، وَلَا يَعْأُ بِالْأَحْبَابِ، فَدَخَلْتُ^(٦) عَلَيْهِ وَهُوَ كَمَا قَالَ
 الشَّاعِرُ^(٧):

وَيُنَادُونَهُ وَقَدْ صَمَّ عَنْهُمْ
 مَا الَّذِي عَاقَ أَنْ تُحْيِرَ جَوَابَا
 ثُمَّ قَالُوا وَلِلنِّسَاءِ نَحِيبُ
 أَيُّهَا الْمَقُولُ الْخَطِيبُ الْأَرِيبُ

(١) في الحاجري ص ٢١: قد دخلت.

(٢) في الحاجري ص ٢١: الأجل.

(٣) في الحاجري ص ٢١: وظل.

(٤) في الحاجري ص ٢١: تكن.

(٥) ما بين المعقوفين من الحاجري ص ٢١.

(٦) في الحاجري ص ٢١: قد دخلت.

(٧) هو مطيع بن إياس.

فَبُعِثَ إِلَى أَهْلِ الطَّبِّ وَالْمَعْرِفَةِ، فَأَتَوْا فَرَأَوْا حَالًا فَأَتَتْ التَّلَافِي، وَخَرَجَتْ مِنَ الْعِلَاجِ، وَسَبَبَتِ الْاسْتِدْرَاكَ، فَعَلَّلُوهُمْ وَانصَرَفُوا، وَلَمْ يَقْضُوا فِيهِ قَضَاءً.

وهو في ذلك مشغولٌ بجهدِ نفسه، وكربِ غيره، وتزعيه وشدةِ نفسه. والموتُ يقبضه ويبسطه كالثوبِ عندَ الطيِّ والنشرِ، صريعاً مستسلياً، أسيراً، مُنخِذاً، قد خذله الولدُ والوالد، والحميمُ والصديق، فأكثرُ ما عندهم الحسرةُ والتلَّهفُ، والاستيكانةُ^(١) والنشيجُ^(٢)، فَمَكَثَ يَوْمَهُ ذَلِكَ /، ثُمَّ حُمَّ حُمَّى مُدْفِيَةٍ^(٣)، وفاظَ في آخِرِهَا^(٤)، وَوَرَدَ حَيْثُ وَعِدَ، وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، فَعَجَّوْا وَضَجَّوْا، وَهَتَفُوا وَوَلَّوْا، جَهْدَ لَعْمَرِكَ قَلِيلُ الرَّدِّ: * وَكُنْ يُرْجَعُ الْمَوْتَى حَنِينُ الْمَاتِمِ *^(٥)

فِيَا لِلَّهِ مُنْجَبِطًا مَا أَعْصَى وَأَطْرَى، وَأَيُّ قَتَى رَحَلَ عَنَّا، كَمَا قَالَ الْهَنْدَلِيُّ:
فِرَاقٌ كَقَيْضِ السُّنِّ فَالصَّبْرَ إِنَّهُ لَكُلُّ أَنْاسٍ عَشْرَةٌ وَجُبُورٌ^(٦)

(١) الاستيكانة: الخضوع والذل. (اللسان: سكن).

(٢) النشيج: ترديد الصوت في الصدر دون إخراجه. (اللسان: نشج).

(٣) مدفية: دَفَفَ عَلَى الْجِرْحِ: أَجْهَزَ عَلَيْهِ، وَمُدْفِيَةٌ: مَهْلِكَةٌ قَاتِلَةٌ. (اللسان: دَفَفَ).

(٤) فاظ: خرجت روحه ومات. يقال: فاظت نفسه، وفاظ الميت نفسه، وأفاظ الله تعالى نفسه.

(انظر: معاطي بن زكريا، الجليس الصالح: ٢ / ١١٩، اللسان: فيظ).

(٥) عجز البيت للفرزدق، وصدرة:

فَمَا ابْنَاكَ إِلَّا مِنْ بَنِي النَّاسِ فَاصْبِرِي

ورد البيت في ديوان الفرزدق: ٢ / ٢٠٦، والكامل للمبرد (تحقيق عبد الحميد المنداوي):

١ / ٢٩٠، والمبرد، التعازي والمرائي: ص ٢٠١، ٨٠، وحامسة البحري: ص ١٥٦.

(٦) البيت لأبي ذؤيب الهنلي، ورد عند: الأونبي، سمط اللالك: ٢ / ٦٥٦، والصحاح: مادة قِضْ،

واللسان: مادة قِضْ.

ثُمَّ دَخَلْنَا لِنُعَسِّلَهُ وَهُوَ شَلُوعٌ عَلَى سَرِيرِهِ^(١)، طَرِيحٌ عَلَى مُغْتَسِلِهِ، لَقِيَ لَوَجْهَهُ^(٢)،
تَقَلَّبَهُ الرَّجَالُ بِأَكْمُهَا ظَهْرًا لَبَنًا، كَمَا قَالَ^(٣):

رَقَّعُونِي وَقَالُوا أَيُّهَا رَجُلِي وَأَدْرَجُونِي كَأَنِّي طَيٌّ مَخْرَاقِ
قَدْ رَجَلُونِي وَمَا رُجِلْتُ مِنْ شَعْبٍ وَالْبَسُونِي ثِيَابًا غَيْرَ أَخْلَاقِ

ثُمَّ أَخْرَجَ وَاللَّهُ مِنْ طَارِفِهِ^(٤) وَتَلِيدِهِ^(٥) صِفْرًا، وَلَوْ رَدَّوهُ مَا كَانَ لَهُ فِيهِ غَنَى، وَلَا
قُبْلَ عَنْهُ فِدَاءً. ثُمَّ أُدْرِجَ فِي لِقَائِهِ، وَحُمِلَ عَلَى نَعِيشِهِ، يَنْقُلُهُ إِخْوَانُهُ وَخُلَصَاؤُهُ^(٦)،
وَأَجْبَاؤُهُ وَأَصْفِيَاؤُهُ، وَأَنَا أَحَدُهُمْ، يَا أَبَا مُحَمَّدٍ. فَمَا رَأَيْتُكَ كَذَلِكَ الْمُنْتَظَرِ مَنْظَرًا، وَلَوْ اعْتَبَرَ
بِهِ النَّاسُ جَمِيعًا لَكَانَ عِنْدِي غَنَى^(٧)، فَكَيْفَ بِنَا وَنَحْنُ أَهْلُ خَاصَّتِهِ وَمَوَدَّتِهِ.

وَلَوْ رَأَيْتَ أُمَّهُ الْيَائِسَةَ مَرْفُوعَةَ الْحِجَابِ، ظَاهِرَةً لِلرِّجَالِ، قَدْ عَزَّهَا الْجَرْعُ فَمَا
أَبْقَى، وَرَمَاهَا فَمَا أَشْوَى^(٨)، وَجَلَّ الْحَطْبُ عَنْ^(٩) أَنْ يَتَعَزَّى، حَيْرِي نُكْلِي أُمَّ وَاحِدٍ،

(١) شلو على سريره: مرفوع على سريره. (اللسان: شلا).

(٢) لقي لوجهه: الملقى على وجهه هو انه. (اللسان: لقا).

(٣) البيتان ليزيد بن خذاق العبدي: شاعر جاهلي كان معاصراً للعمرو بن هند.

في الأصل (كأنني) بدل (كأنني)، (ورجلوني) بدل (قد رجلوني)، (لبسوني) بدل (البسوني).

رجلوني: سرحوا شعري. الشعث: الشعر المتلبد. مخرق: المتديل يلف ليضرب به والجمع

مخارق. ورد البيتان في بهجة المجالس: ٢ / ٣٢٠، والعقد الفريد: ٣ / ٢٤٠، وسمط اللالي:

٢ / ٧١٣، وعيون الأخبار: ٢ / ٣٣٢.

(٤) الطارف: المال المستحدث. (اللسان: طرف).

(٥) التليد: المال القديم الأصلي الذي يورث عن الآباء. (اللسان: تلد).

(٦) في الحاجري ص ٢٢: وخلصانه. خلصاؤه: المخلصون له. (اللسان: خلص).

(٧) في الحاجري ص ٢٢: عني.

(٨) رمى فما أشوى: أي ما أصاب مقتله. (انظر: الثعالي، فقه اللغة: ص ١٨٥، واللسان: شوي).

(٩) ساقطة من الحاجري.

ومَفْجُوعَةٌ فاقِدٌ؛ لَأَنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ كَأَنَّ مِنَ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَيْهَا حُنُوءًا، وَالطَّفِيفُ بِهَا بَرًّا، حَتَّى لَوْ عَدَدْتُهُ لَمَلَأَ الْكِتَابَ، وَلَمَّا اسْتَكْبَرَ مَعَهُ بَرٌّ طَلَّقَ^(١) بِنَ حَبِيبِ^(٢)، وَلَا مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ السَّجَّادِ^(٣) بِأَبِيهِ.

ولو رأيت حُرْمَةَ اللَّائِي كَانَ يَسْتَرْهَنَ، مِنْ جَارِيَةِ نَفِيسَةٍ، وَأُمَّ^(٤) مَحْبُوسَةٍ، وَحُرْمَةَ مَقْصُورَةٍ، قَدْ هَتَكَنَ أَسْتَارَهُنَّ، وَبَدَّتْ خُدَامَهُنَّ^(٥)؛ كَقَوْمٍ حَلَّ بِهِمُ السَّبَاءَ، وَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ^(٦)، كَمَا قَالَ^(٧):

(١) في الحاجري ص ٢٣: طارق.

(٢) طلق بن حبيب: العنزي، بصري زاهد كبير، كان صالحاً عابداً، شديد البر بأته، طيب الصوت في القرآن، وهو ثقة، توفي سنة (١٠٠ هـ).

(انظر: ابن سعد، كتاب الطبقات: ٩/ ٢٢٦، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٤٨٣، والمزي، تهذيب الكمال: ١٣/ ٤٥١، والذهبي، ميزان الاعتدال: ٣/ ٤٧١).

(٣) محمد بن طلحة السجّاد: محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو، وأبوه طلحة من العشرة المبشرين بالجنة، كان محمداً عابداً زاهداً، ولد في حياة الرسول، ولقب بالسجّاد لعبادته، قتل شاباً.

(انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣١٩، وابن سعد، الطبقات: ٧/ ٥٦، وابن عساکر، تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٦٨، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ١٣٨).

(٤) في الحاجري ص ٢٣: وأمه.

(٥) خدامهن: جمع خدمه وهو الخللخال. (اللسان: خدم).

(٦) الجلاء: الخروج من البلد. (اللسان: جلا).

(٧) هو ربيع بن زياد العبسي، أحد دهاة العرب وشجعانهم وروؤسانهم في الجاهلية والإسلام، له شعر جيد، اتصل بالثعمان بن المنذر، وناداه مدة، توفي سنة (٣٠ ق هـ).

(انظر: الزركلي، الأعلام: ٥/ ٢٦١).

قد كُنَّ يَجْبَانُ الْوَجُوهَ تَسْتَرًا فالآن حين بَرَزْنَ لِلنُّظَارِ^(١)

ولو رأيت ابنته وبها ذلُّ اليمِّم، وخشوعُ الاستِكانة، مُبَدَّلَةٌ^(٢) غير^(٣) مَصُونَةٌ، مكشوفةٌ غيرٌ مَحْجُوبَةٌ، ظَاهِرَةٌ الرَّجْهِ وَالْقَدَمَيْنِ.

ولو رأيت أباه وأنَّ دُمُوعَهُ مُرَاقَةٌ، وَإِنَّ يَدَيْهِ^(٤) لَتَرَعَدُ كَأَنَّ بِهِ أَفْكَلا^(٥) مِنْ شِدَّةِ الْجَرْعِ. فَأَمَّا عِلَّةُ قَلْبِهِ، وَنَارُ صَدْرِهِ؛ فَلَا أَحْسِبُهَا تَطْفَأُ غَايِرَ الْأَيَّامِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِلوَلَدِ لَكَانَ لِلْكِفَايَةِ^(٦) وَالْحَرَمِ فِي أَمْرِهِ، وَالصَّبَايَةِ وَالرِّبِّ بِهِ.

ولو رأيت ابنه لَرَأَيْتَ عِبْرَةً لَا تَرْفَأُ، وَدُمُوعًا لَا تَغِيضُ، سَخِينِ الْعَيْنِ، حَرَانِ الصَّدْرِ، فَانْتَضَّ الدَّمْعَةُ، مَسْلُوبِ الصَّبْرِ، مَا يُجَابِسُ^(٧) دُمُوعَهُ، وَلَا يَتَجَلَّدُ لِلشَّامِتِينَ.

ولو رأيت نُدْمَاءَهُ^(٨) وَمُؤَمِّلِيهِ حَيَارِي لَا يَدْرُونَ عَلَى أَيِّ خِلَالِهِ يَأْسَفُونَ؛ أَعْلَى /

(١) ورد البيت في جمهرة اللغة: ٣ / ٢٠٢ مائة بدأ، والخصائص (تحقيق عبد الحميد الهنداوي): ٢ / ٢٩٩، وابن نباته، مطلع الفوائد ومجمع الفرائد: ص ١٣٦، والأصفهاني، التنبية على حدوث التصحيف: ص ٨١، والمبرد، الفاضل في اللغة والأدب: ص ١١٢، وجمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: ١ / ٤٨٧، ومراة الجنان: ١ / ٣٢٨، والمعجم المفصل في شواهد العربية: ٣ / ٤١٧ وفيه: (فاليوم حين بدون للنظار).

(٢) متبذلة: التي تخلع ثيابها نتيجة اليمِّم. (اللسان: بذل).

(٣) في الأصل (عن) وهو تصحيف، والتصويب من حاشية الأصل.

(٤) في الحاجري ص ٢٣: يده.

(٥) أفكلاً: الرعدة من برد أو خوف. (اللسان: أفكل).

(٦) في الحاجري ص ٢٣: للاقائه.

(٧) في الحاجري ص ٢٣: يخالس.

(٨) في الحاجري ص ٢٤: ندماء.

حُسْنِ عَشْرَتِهِ وَكَرَمِ مَجْلِسِهِ، أَمْ عَلَى طَيْبِ خُلُقِهِ وَصِدْقِ صَفَائِهِ، أَمْ عَلَى نَجْدِيَّتِهِ وَشَهَامِيَّتِهِ، أَمْ عَلَى مُدَارَاتِهِ وَتَوَدُّدِهِ^(١)، أَمْ عَلَى عِلْمِهِ وَأَدَبِهِ^(٢)؟

وَمَا رَأَيْتُ سَرِيرًا شَيْعَهُ مِنَ الْمَتْرَحِمِ^(٣) وَالْبَاكِي، وَالْمُتَفَجِّعِ وَالِدَّاعِي، وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُتَنَبِّئِ مَا صَحِبَهُ، حَتَّى لَسَهَّلَ^(٤) عَلَى بَعْضِ الْحَزَنِ، مَا سَمِعْتُ مِنْ حُسْنِ الشَّنَاءِ، وَطَيْبِ الشَّنَاءِ؛ فَمِنْ بَالِكٍ عَلَى شَبَابِهِ وَنِضَارَةِ لَوْنِهِ، وَبِجَمَالِ وَجْهِهِ، وَامْتِلَاءِ جِسْمِهِ، وَحَدَائِثِ سِنِّهِ، وَمِنْ مُلَبَّسٍ^(٥) بِالْحَتِينِ، مَكْرُوبٍ بِالْأَسْفِ، مُسَجِّى^(٦) بِالْعُصَّةِ، غَعَّاصٍ بِسُرْعَةِ الْإِخْتِرَامِ، وَمُعَاجِلَةٍ الْمُنِيَّةِ.

وَمَا سَمِعْتُ مُرَاجِعًا خَيْرَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي مِثْلِ سِنِّهِ، أَجْمَعَ لِكُلِّ مَكْرُمَةٍ، وَأَخَذَ لِكُلِّ صَالِحَةٍ، وَأَضَمَّ لِكُلِّ شَارِدَةٍ، وَأَحْفَظَ لِكُلِّ ضَائِعَةٍ، وَأَرَعَى لِكُلِّ مُهْمَلَةٍ، وَأَضْبَطَ لِكُلِّ مُنْفَلِتَةٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْبَوَارِعِ وَالْفَوَاضِلِ، وَالْأَفْعَالِ النَّفَائِسِ الْجَسِيمَةِ مِنْهُ. وَكَذَلِكَ كَانَ رِجْمَهُ اللَّهُ، فَمَضَى.

كَأَنَّ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا مَقَالًا فَتَشَبَّهْتُ إِلَى قَوْلِهِ الْأَسْمَاعُ وَهِيَ رَوَاغِمٌ^(٧) ثُمَّ وُضِعَ سَرِيرُهُ

(١) في الحاجري ص ٢٤: ومروءته.

(٢) في الحاجري ص ٢٤: أم على حلمه ومودته وأدبه.

(٣) في الأصل (الترحم) وهو تصحيف، وما أثبت من الحاجري ص ٢٤.

(٤) في الحاجري ص ٢٤: أسهل.

(٥) في الحاجري ص ٢٤: ملئت.

(٦) في الحاجري ص ٢٤: مشجى.

(٧) ورد البيت في المعجم المفصل في شواهد العربية: ٤٧٣ / ٣.

يَفْنَاءِ مَسْجِدِ الْوَصِيِّ^(١)؛ فَصَلَّى عَلَيْهِ جَعْفَرُ بْنُ الْقَاسِمِ^(٢)، وَمَنْ حَضَرَهُ مِنَ النَّسَاكِ
وَالْعُبَادِ وَالْأَشْرَافِ، تَحْفَظُهُ مُعَلَّلٌ غَيْرٌ وَاحِدَةٌ، أَصْغَرُهَا الرَّحْمَةُ لَهُ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِنَعْيِهِ إِلَى
حُفْرَتِهِ خَوَارِ/ ^(٣)العود، قَلِيلَ الْإِمْتِنَاعِ، كَمَا قَالَ^(٤):

خُذَانِي فَجُرَّانِي بِبُرْدِي إِلَيْكُمَا فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا^(٥)

ثُمَّ نُصِدَ عَلَيْهِ اللَّبْنُ، وَسُدَّتْ خِلَالُهُ^(٦)، وَأَهْيَلُ مِنْ جَوَانِيهِ التُّرَابُ، بَعَيْنِ
الشَّفِيقِ، وَحَبَّةِ^(٧) الْوَادِ، وَمَسْرَةَ الصَّدِيقِ، وَحَضْرَ الْوَامِقِ. ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ وَدَّعُوهُ
وَانصَرَفُوا، وَقَالَ قَائِلُهُمْ: حَتَّى مَتَى تَقْفُوا^(٨). وَأَنَا أَقُولُ قَوْلًا أُخْرِجُ مِنَ النَّوْحِ بِهِ، وَلَا
أَخْشَى الْكُذِبَ مِنَ الْإِغْرَاقِ فِيهِ.

(١) مسجد الوصي: هو المسجد الذي بُني من جرائد النخل، والوصي هو علي بن أبي طالب.
(اللسان: وصي).

(٢) جعفر بن القاسم: ابن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي، ولي إمارة البصرة للواتق، وكان
فصيحا خطيبا.

(انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات: ٩٦/١١، والسيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ١٤ / ٥٩).
(٣) الخوار: الضعيف. (اللسان: خور).

(٤) هو مالك بن الرِّيب، المازني التميمي، شاعر أموي من المبدعين، توفي سنة (٦٩ هـ).
(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢١٢، والأصفهاني، الأغاني: ٢٢ / ٤٦٤، والزركلي،
الأعلام: ٥ / ٢٦١).

(٥) ورد البيت في العقد الفريد: ٣ / ٢٤٣، وأمالى الزبيدي: ص ٤١، وجمع الجواهر: ص ١٦٤،
وجمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: ٢ / ٧٦٢.

(٦) خلاله: قُرْجُهُ. (اللسان: خلل).

(٧) في الحاجري ص ٢٤: ومحنة.

(٨) في الحاجري ص ٢٥: تقف.

لئن كَانَتِ الْمَنَايَا جَعَلْتَهُ غَرَضًا لِلانْتِضَالِ^(١)، لَقَدْ جَعَلَ الْقِيَمَةَ غَرَضًا لِصَالِحِ
الْأَعْمَالِ. وَلئن أَصْبَحَ شَمْلُهُ مَبْدَأًا مُقْتَسِمًا^(٢)، لَقَدْ أَصْبَحَ شَمْلُ حَمْدِهِ بِمَجْمُوعًا. وَلئن كَانَ
ابْتَكَّرَ^(٣) الإِزْعَاجَ؛ لَقَدْ ابْتَكَّرَ الْهِمَمَ الرَّفِيعَةَ بِالانْتِهَازِ وَالانْتِدَارِ. وَلئن شُهِرَ مَوْتُهُ فِي
الْمِصْرِ؛ لَقَدْ شُهِرَتِ مَكَارِمُهُ فِي الْجَمْعِ.

وَلئن خَفِيَ جِسْمُهُ فِي التُّرْبِ^(٤)، لَقَدْ خَفِيَ نَظِيرُهُ فِي الْأَرْضِ. وَلئن اعْتَبَطَهُ
الْمَوْتُ^(٥)؛ لَقَدْ كَانَ وَدَّهُ لِصَدِيقِهِ غَضًّا. وَلئن وَابَّهَ الْمَوْتُ مُغَافِصًا^(٦)؛ لَقَدْ وَابَّ الْمَعَالِي
مُفْتَرِّسًا. وَلئن انْقَطَعَ اثْرُنَا عَنْ زِيَارَتِهِ، لَقَدْ بَقِيَ عِنْدَنَا مِنْ آثِرِ نِعْمَتِهِ. وَلئن كَانَ عَلَى
قَلْبِ الصَّدِيقِ خَفِيفًا، لَقَدْ كَانَ عَلَى كَاهِلِ عَدُوِّهِ ثَقِيلًا. وَلئن خَرِبَتْ مَجَالِسُنَا مِنْ شَخْصِهِ،
لَقَدْ عَمَرَتْ قُلُوبُنَا بِذِكْرِهِ. وَلئن انْقَطَعَتْ مَسَائِلُنَا لَهُ مَا انْقَطَعَتْ / [مَسَائِلُنَا فِيهِ]^(٧).

وقيل: «مَنْ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَعْبُودٌ، وَمَنْ كَانَ يَوْمُهُ خَيْرًا مِنْ عَدِيهِ فَهُوَ مَفْتُونٌ،
وَمَنْ كَانَ غَدُهُ خَيْرًا مِنْ يَوْمِهِ فَذَاكَ السَّعِيدُ الْمَغْبُوطُ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ الشَّاعِرُ^(٨):

(١) غَرَضًا لِلانْتِضَالِ: لِلزَّمِيِّ. (اللسان: نضل).

(٢) فِي الْحَاجِرِيِّ ص ٢٥: مُقْتَسِمًا.

(٣) فِي الْحَاجِرِيِّ ص ٢٥: ابْتَكَّرَهُ.

(٤) فِي الْحَاجِرِيِّ ص ٢٥: التراب.

(٥) اعْتَبَطَهُ الْمَوْتُ: مَاتَ شَابًا. (اللسان: عبط).

(٦) مُغَافِصًا: أَخَذَهُ عَلَى غَرَّةٍ فَرَكِبَهُ بِمَسَاءَةٍ. (اللسان: غفص).

(٧) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفِينَ مِنَ الْحَاجِرِيِّ ص ٢٥.

(٨) هُوَ زِيَادُ الْأَعْجَمِ. أَبُو سَلِيمٍ، مَوْلَى عَبْدِ الْقَيْسِ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ، جَزَلَ الشَّعْرَ، فَصَبِحَ
الْأَلْفَاظَ، كَانَتْ فِي لِسَانِهِ عِجْمَةٌ فَلَقَّبَ بِالْأَعْجَمِ، كَانَ هِجَاءً، تَوَفِيَ سَنَةَ (١٠٠ هـ).

(انظر: الذهبي، العبر: ٩٣/١، والأصفهاني، الأغاني: ٢٥٥/١٥، والزركلي، الأعلام: ٥٤/٣).

وَرَدَّ الْبَيْتَانَ فِي رِسَائِلِ الْجَاهِظِ، (تَحْقِيقُ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ): ١/١٤٠ (خير) بدل (سدت)، =

رَأَيْتَكَ أَمْسٍ سُدَّتْ بَنِي مَعَدُ
وَأَنْتَ غَدًا تَزِيدُ الضَّعْفَ خَيْرًا
وَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسٍ
كَذَاكَ تَزِيدُ سَادَةَ عَبْدِ شَمْسٍ

وقال آخر [في معن^(١)] (٢):

أَنْتَ امْرُؤٌ هُمَّكَ الْمَعَالِي
وَأَنْتَ مِنْ وَائِلٍ صَمِيمٍ
وَدَلُّوْ مَعْرُوفِكَ الرَّيْعُ
كَالْقَلْبِ تُحْنِي لَهُ الضُّلُوعُ
فِي كُلِّ عَامٍ تَزِيدُ خَيْرًا
يُشِيعُهُ عَنْكَ مَنْ يُشِيعُ

[٢٤] فصل (٣)

ولعمري إنَّ الذي أقولُ في أسماءِ آبائكم^(٤)، وكُنَّاكُمْ وكُنِيْ آبَائِكُمْ

= وفي فصول مختارة، اختيار عيد الله بن حسان بلا نسبة (خير) بدل (سدت)، وزهر الآداب: ٥٥٢/٢، والعقد الفريد: ١١٠/٢، وخلاصة الذهب المسبوك: ص ٣٦، والمؤتلف والمختلف للآمدني: ص ١٠، واللسان: مادة أمس).

(١) معن بن زائدة الشيباني، أبو الوليد، من أشهر أجواد العرب، أدرك العصرين الأموي والعباسي، دافع عن المنصور يوم الهاشمية عندما ثار عليه جماعة من خراسان، ولاء المنصور اليمن، توفي سنة (١٥١ هـ).

(انظر: الذهبي، العبر: ١/١٦٦، والزركلي، الأعلام ٧/٢٧٣).

(٢) ما بين المعقوفين من عيد الله ١/٩٨، وهارون ١/١٤٠.

وردت الأبيات في عيد الله بلا نسبة، وفي رسائل الجاحظ (تحقيق عبد السلام هارون): ١/١٤٠ بلا نسبة.

(٣) وردت الفقرة الأولى من هذا الفصل في هارون: ٤/٢٢٠ بعنوان: رسالته في استتجاز الوعد، والمورد: ص ١٩٣ بعنوان: فصل من صدر رسالته في استتجاز الوعد.

(٤) في هارون ٤/٢٢٠، والمورد ص ١٩٣: وأظهر في أسماءكم وأسماء آبائكم.

وأجدادكم^(١)، من بُرهانِ الفأل^(٢) [الحسن]^(٣)، ونفي طيرةِ السوء^(٤)، ما [جمع]^(٥) لكم به صنوف الأمل، وصرف إليكم وجوه المطالب، فاجتمع فيه ظاهر القوام^(٦)، وبراعة الجمال، والبشر عند اللقاء، ولين الكنف للخلطاء، وقلة البدخ بالمرتبة الرفيعة، والزيادة في الإنصاف عند النعمة الحادثة^(٧).

هذا إلى صدق اللهجة، وإنجاز العدة^(٨)، واحتمال الكَلِّ، والنهوض بالشقل، والطريقة المستقيمة، وقلة التكفي في الأخلاق، والتلون في المعاملة، واستطراف الأصدقاء، وملائة الندماء.

فصرتُ على أي حال صادفوكم، وعلى أي سبيل ألفوكم، لا يلقونهم، إلا بما يستبشرون به، ويسكنون إليه، ويتحابون عنده. فجعلوا وعدكم من أكبر الوعد، وعقدكم من أكرم العقد، وأطباعكم أصح من الإنجاز.

(١) في هارون / ٤ / ٢٢٠، والمورد ص ١٩٣: وفي كتابكم وكنى إخوانكم.

(٢) الفأل: لا يرذ المرید عما يريد، إنما يقوي شئته ويسر مهجته.

(انظر: الحصري، زهر الآداب: ٢ / ٤٩٤).

(٣) ما بين المعقوفين من هارون: ٤ / ٢٢٠، والمورد: ١٩٣.

(٤) في هارون / ٤ / ٢٢٠، والمورد ص ١٩٣: ونفى الطيرة السيئة.

طيرة السوء: مضادة للفأل، وكانت العرب ترجع إلى ما تمضيها، وكان الذي يهيم بشيء إذا رأى ما يتطير منه رجع عنه.

(انظر: الحصري، زهر الآداب: ٢ / ٤٩٣ - ٤٩٤، واللسان: طير).

(٥) ما بين المعقوفين من هارون: ٤ / ٢٢٠، والمورد: ١٩٣.

(٦) في هارون / ٤ / ٢٢٠، والمورد ص ١٩٣: فاجتمع فيكم تمام القوام.

(٧) إلى هنا انتهاء ما ورد في هارون والمورد.

(٨) إنجاز العدة: ما أعد لأمر يحدث مثل الأهبة. (اللسان: عدو).

[٢٥] فصل (١)

وقد عَلِمَ الْمُتَصَفِّحُونَ أَنَّكُمْ تُؤَسُّونَ فِي مَوْضِعِ الْيَاسِ، وَتُطِيعُونَ فِي مَوْضِعِ (٣) الإطاع (٣)، وَتُضَمَّنُونَ فِي مَوْضِعِ الضَّمَانِ. وَتَعْلَمُونَ كَيْفَ تُسْتَبْقَى النِّعْمَةُ، وَكَيْفَ الشُّكْرُ عَلَى أَدَاءِ حَقِّهَا بِالْبِشْرِ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ، وَقَلَّةِ التَّضَجُّرِ عِنْدَ الْمَعَاوَدَةِ.

وَتَوْكِيدُ الضَّمَانِ عِنْدَ الْعِدَّةِ، وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ، وَيَكُونُ النَّجْحُ الْمُعْجَلُ عِنْدَ سُؤَالِ السَّائِلِ، أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ الْعُذْرِ الْمُصَدَّقِ/. وَتَرَوْنَ أَنَّ حَقَّهُ عَلَيْكُمْ فِي بَدَلِ وَجْهِهِ أَكْثَرُ مِنْ حَقِّكُمْ عَلَيْهِ فِي تَحْقِيقِ أَمَلِهِ فِيكُمْ.

وَتَعْلَمُونَ أَنَّ الْأُمُورَ عِنْدَكُمْ مَوْزُونَةٌ مُعَدَّلَةٌ مُحْصَلَةٌ. هَذَا مَعَ الصَّوْلَةِ وَالتَّصْمِيمِ فِي مَكَانِ التَّصْمِيمِ، وَالتَّقِيَّةِ إِذَا كَانَتْ التَّقِيَّةَ أَحْزَمَ، وَالصَّفْحِ إِذَا كَانَ الصَّفْحُ أَكْرَمَ، وَالرَّحْمَةِ لِمَنْ اسْتَرْجَمَ، وَالعِقَابِ لِمَنْ صَمَّمُ، وَالمَعْرِفَةِ [يَفْرُقُ] (٤) مَا بَيْنَ اعْتِزَامِ العَمْرِ (٥)، وَاعْتِزَامِ المُسْتَبْصِرِ، وَفَصْلِ (٦) مَا بَيْنَ اعْتِزَامِ الشُّجَاعِ البَطْلِ، وَبَيْنَ إِقْدَامِ الجَاهِلِ المُتَهَوِّرِ.

[٢٦] فصل (٧)

وقد عَلِمَ النَّاسُ بِهَا (٨) شَاهِدُوهُ مِنْكُمْ، وَعَايَنُوهُ مِنْ تَدْبِيرِكُمْ، وَعَرَفُوهُ مِنْ

(١) ورد هذا الفصل في هارون: ٤ / ٢٢٠ بعنوان: من رسالته في استنجاز الوعد.

(٢) في هارون ٤ / ٢٢٠: مواضع.

(٣) في هارون ٤ / ٢٢٠: الضمان.

(٤) ما بين المعقوفين من هارون: ٤ / ٢٢٠.

(٥) اعتزام الغمر: الرجل الذي لا تجرته له بحرب ولا أمر ولم تحنكه التجارب. (اللسان: غمر).

(٦) في الأصل (فضل) وهو تصحيف، وما أثبت من هارون: ٤ / ٢٢٠.

(٧) هذا الفصل تابع لما قبله، ورد الفصل في هارون ٤ / ٢٢٠ بعنوان: من رسالته في استنجاز

الوعد: ٤ / ٢٢٠ - ٢٢٢.

(٨) في الأصل (ما) وما أثبت من هارون: ٤ / ٢٢٠.

تَصَرَّفَ حَالًا يَكْتُمُ، آتَى لَمْ أَتَزِيدْ لَكُمْ، وَلَمْ أَتَكَلَّفْ فِيكُمْ مَا لَيْسَ عِنْدَكُمْ، وَخَيْرُ الْمَدْحِ مَا وَافَقَ حَالَ الْمَمْدُوحِ، وَأَصْدَقُ الْكِتَابِ^(١) مَا شَاكَلَ مَذَاهِبَ الْمُوصُوفِ، وَشَهِدَ لَهُ الْعِيَانُ الْقَاهِرُ، وَالْحَبْرُ الْمُتَظَاهِرُ.

وَمَتَى خَالَفَ هَذِهِ الصِّفَةَ^(٢) صَرَّ الْمَادِحُ، وَلَمْ يَنْفَعِ الْمَمْدُوحُ. هَذَا إِلَى الثَّبَاتِ عَلَى الْعَهْدِ، وَإِحْكَامِ الْعَقْدِ، مَعَ الْوَفَاءِ الْعَجِيبِ، وَالرَّأْيِ الْمُصِيبِ /، وَإِتْمَامِ ذَلِكَ وَكَمَالِهِ، وَسَنَاوِهِ، وَبَهَاوِهِ، كَثْرَةُ الشُّهُودِ لَكُمْ، وَاجْتِمَاعُ النَّاسِ عَلَى ذَلِكَ فِيكُمْ. وَمَنْ يَقْبَلُ^(٣) فِي نَفْسِهِ مَدِيحًا لَا يَعْرِفُهُ، كَانَ كَمَنْ مَدَحَ نَفْسَهُ. وَمَنْ أَثَابَ الْكَذَّابِينَ عَلَى كَذِبِهِمْ كَانَ شَرِيكَهُمْ فِي إِثْمِهِمْ، وَتَشْقِيْقَهُمْ فِي سُخْفِهِمْ، بَلْ كَانَ الْمُحْتَقِبُ^(٤) لِكَثْرَةِ جَهْلِهِ^(٥)، وَالْمُحْتَمِلُ لِعَظِيمِ وِزْرِهِ^(٦)؛ إِذْ كَانَ الْمُثِيبَ عَلَيْهِ، وَالذَّاعِيَ لَهُ^(٧).

مَعَادَ اللَّهِ أَنْ نَقُولَ إِلَّا مَعْرُوفًا غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَنُصِيفَ إِلَّا صَاحِبًا غَيْرَ مَدْخُولٍ، أَوْ نَكُونَ بِمَنْ يَتَوَدَّدُ الْكِرَامَ بِالْمَلُوقِ، وَيَتَّخِمْ عَلَى أَهْلِ الْأَقْدَارِ بِالتَّرْتِيدِ^(٨)، شَرَّهَا إِلَى مَنَالِ^(٩)، وَجِرْصًا عَلَى تَقْرِيْبِ، فَأَبْعَدَ اللَّهُ الْحِرْصَ وَالْجَسَعَ^(١٠)، وَأَخْزَى اللَّهُ الشَّرَّ وَالطَّمَعَ.

(١) هكذا في الأصل، وحقها أن تكون الصفات لتناسب الموصوف، وهي في هارون ٤ / ٢٢١: الصفات.

(٢) في هارون ٤ / ٢٢١: القضية.

(٣) في هارون ٤ / ٢٢١: قبل.

(٤) المحتقب: الحامل. (اللسان: حقب).

(٥) في هارون ٤ / ٢٢١: لكثيره مع إسقاط جهله.

(٦) في هارون ٤ / ٢٢١: المحتمل لوزره.

(٧) في هارون ٤ / ٢٢١: إليه.

(٨) ساقطة من هارون.

(٩) في هارون ٤ / ٢٢٢: مال.

(١٠) ساقطة من هارون.

[٢٧] فصل (١)

ولو^(٢) لم يَكُنْ فيكم من خِصَالِ الْحَرِيَّةِ، وَخِلَالِ النَّفْسِ الْأَيَّةِ، إِلَّا أَنْتُمْ لَا تَدِينُونَ بِالنَّفَاقِ، وَلَا تَعْتَدِرُونَ^(٣) بِالْكَذِبِ، وَلَا تَسْتَعْمِلُونَ الْمَوَارِبَةَ^(٤) فِي مَوْضِعِ الْأَسْتِيَانَةِ^(٥)، وَبِحَيْثُ مُجِبِّ السَّلَامَةِ. وَلَا يَكُونُ حَظُّ الْأَحْرَارِ مِنْكُمْ^(٦) / الْمَوَاعِيدَ صِرْفًا، وَلَا تُتَكَلَّمُونَ عَلَى مَلَالَةٍ^(٧) الطَّالِبِ، وَلَا عَلَى عَجْزِ الرَّائِبِ، وَاسْتِفْرَاحِ مَجْهُودِ الْأَمَلِ^(٨)، إِذَا اسْتَفِيدَتْ أَيَّامُهُ، وَعَجَزَتْ نَفَقَتُهُ، وَمَاتَتْ أَسَابُهُ.

بَلْ يُعَجَّلُونَ^(٩) لَهُمْ رَاحَةَ الْيَاسِ^(١٠) عِنْدَ تَعَذُّرِ الْأُمُورِ عَلَيْكُمْ، وَتَحْقِيقِ أَطْمَاعِهِمْ عِنْدَ إِمْكَانِ الْأُمُورِ لَكُمْ، بَلْ تُلَقِّنُونَ الشَّفِيعَ الْبَطِيَّ، وَتَبْسُطُونَ السَّائِلَ الْغَمِيَّ^(١١)، وَتُعْنَفُونَ مَنْ يَلْبَسُ أَثْوَابَ الْغَدْرِ.

وَأَحَبُّ الْإِخْوَانِ إِلَيْكُمْ مَنْ نَبَّهَكُمْ عِنْدَ مَوْضِعِ التَّفْصِيرِ، وَعَدَلَكُمْ عِنْدَ سُوءِ

(١) هذا الفصل تابع لما قبله، هارون ٤ / ٢٢٥ بعنوان: من رسالة استتجاز الوعد.

(٢) في هارون ٤ / ٢٢٥: والله لو.

(٣) في هارون ٤ / ٢٢٥: ولا تعذون.

(٤) المواربة: المداهاة والمخاتلة. (اللسان: ورب).

(٥) في هارون ٤ / ٢٢٥: الاستقامة.

(٦) ساقطة من هارون.

(٧) ملالة: الشيء الذي برمت به. (اللسان: ملل).

(٨) جملة «واستفراح مجهود الأمل» ساقطة من هارون.

(٩) في هارون ٤ / ٢٢٥: تعجلون.

(١٠) في هارون ٤ / ٢٢٥: الراحة.

(١١) يسطون السائل الغمي: البسطة: السعة والزيادة. (اللسان: بسط).

التَّضْيِيعِ، ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْدَ هَذَا، حِسَانُ الْجُسُومِ، بَلْ قَدْ قَارَنَ^(١) حُسْنَ الْوَجْهِ، وَحُسْنَ الْجِسْمِ كَرَمِ الضَّرِيْبَةِ^(٢)، وَشَرَفِ الْعِرْقِ، وَأَعْيَانِ^(٣) الْأَعْرَاقِ الْكَرِيْمَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الشَّرِيْفَةِ.

إِذَا اسْتَجْمَعَتْ هَذَا الْاسْتِجْمَاعِ، وَاقْتَرَنَتْ هَذَا الْاقْتِرَانَ، كَانَ أَنْتُمْ لِلنُّعْمَةِ، وَأَبْرَعٍ لِلْفَضِيْلَةِ، وَكَانَتْ الْوَسِيْلَةُ نَحْوَهَا أَقْرَبَ^(٤)، وَالْأَسْبَابُ أَمْتَنَ.

[٢٨] فَصْل (٥)

قَدْ اتَّفَقَ لَكُمْ الْأَعْرَاقُ الْكَرِيْمَةُ^(٦)، وَالْعَادَاتُ الْجَسِيْمَةُ، حَادِثٌ يَشْهَدُ لِقَادِمِ^(٧)، وَطَارِفٍ يَدُلُّ عَلَى تَالِدٍ. فَإِنْ كَانَ الرَّئِيسُ، إِنَّمَا كَبُرَ بِالْحَسَبِ^(٨)، فَالْحَسَبُ ثَاقِبٌ، وَالْمَجْدُ رَاسِخٌ.

وَإِنْ كَانَ الشَّأْنُ فِي صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ^(٩)، وَفِي الْقِدَمِ وَالرِّيَاسَةِ، وَفِي^(١٠) خَلْفِ

(١) فِي هَارُونَ ٤ / ٢٢٥: قَارَنَ.

قَانَ: زَانَ. (اللسان: قين).

(٢) كَرَمِ الضَّرِيْبَةِ: السَّجِيَّةُ وَالطَّيْبَةُ. (اللسان: ضرب).

(٣) فِي الْأَصْلِ (أَعْيَانٌ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَمَا أُثْبِتَ مِنْ هَارُونَ ٤ / ٢٢٥.

(٤) فِي هَارُونَ ٤ / ٢٢٥: أَسْهَلٌ.

(٥) وَرَدَّ هَذَا الْفَصْلُ فِي هَارُونَ ٤ / ٢٢٣ بِعَنْوَانٍ: مِنْ رِسَالَتِهِ فِي اسْتِجْمَاعِ الْوَعْدِ.

(٦) فِي هَارُونَ ٤ / ٢٢٣: بَعْدَ أَنْ يَتَوَافَى إِلَيْهِ مَعَانِي الْكِرْمِ بِالْأَعْرَاقِ الْكَرِيْمَةِ.

(٧) فِي الْأَصْلِ (قَادِمٌ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَمَا أُثْبِتَ مِنْ هَارُونَ ٤ / ٢٢٣.

حَادِثٌ: الْحَدِيثُ نَقِيضُ الْقَدِيمِ. (اللسان: حدث).

مَتَقَادِمٌ: الْقَدِيمُ. (اللسان: قدم).

(٨) الْحَسَبُ: الْمَالُ وَالْكَرْمُ، وَالشَّرْفُ الثَّابِتُ فِي الْأَبَاءِ. (اللسان: حسب).

(٩) فِي هَارُونَ ٤ / ٢٢٣: الْكَلَامُ.

(١٠) فِي الْأَصْلِ (فِي) وَمَا أُثْبِتَ مِنْ هَارُونَ ٤ / ٢٢٣.

يَأْتِرُهُ^(١) عَنِ سَلَفِ^(٢)، آخِرُ يَتَلَقَى عَنْ أَوْلٍ، فَلَكُمْ فِيهِ مَا لَا يَدْهَبُ عَنْهُ جَاهِلٌ^(٣)، وَلَا يَسْتَطِيعُ جَحْدَهُ مُعَانِدٌ.

[٢٩] فصل^(٤)

وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَسْتَحْبِبُونَ أَنْ يَسْمَعَ الْبَاغِي^(٥) يَا وَاجِدٌ^(٦)، وَالْمَرِيضُ يَا سَالِمٌ^(٧)، وَالْمُتَشَوِّقُ يَا قَادِمٌ^(٨). وَأَسَاؤُكُمْ وَكُنَاكُم بَيْنَ فَرَجٍ وَنُجْحٍ، وَسَلَامَةٌ^(٩) وَفَضْلٌ. وَوَجُوهُكُمْ وَفَقَّ أَسْمَائِكُمْ. وَأَخْلَاقُكُمْ وَفَقَّ أَعْرَاقِكُمْ، فَلَمْ يَضْرِبِ التَّفَاوُثُ فِيكُمْ بِنَصِيبٍ، وَلَا شَرَعَ فِيكُمْ بِحَظٍّ^(١٠).

(١) في الأصل (ثائر) ولا وجه لها، وما أثبت من هارون ٤ / ٢٢٣.

(٢) الخلف: الولد الصالح يبقى بعد الإنسان. (اللسان: خلف).

السلف: الجماعة المتقدمون من الآباء والأقارب. (اللسان: سلف).

(٣) في هارون ٤ / ٢٢٣: جاحد.

(٤) ورد هذا الفصل في هارون ٤ / ٢٢٣ بعنوان من رسالته في استنجاز الوعد.

(٥) الباغي: الذي يخرج على الإمام.

(انظر: ابن بابويه القمي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٤٣٨١/١٠٠٣م)، معاني

الأخبار، (تحقيق محمد مهدي السيد حسن الخراسان)، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف،

١٩٧١م: ١ / ٢٠٥).

(٦) واجد: الذي يجد ما يقضي به دينه. (اللسان: وجد).

(٧) يا سالم: من السلامة والعافية. (اللسان: سلم).

(٨) ابتداء ما جاء في هارون ٤ / ٢٢٣.

(٩) في هارون ٤ / ٢٢٣: بني سلامة.

(١٠) ساقطة من هارون.

[٣٠] فصل^(١)

وَبَعْدُ^(٢)؛ فَإِنِّي [قَدْ]^(٣) تَصَفَّحْتُ أَخْلَاقَكَ، وَتَذَكَّرْتُ^(٤) أَعْرَاقَكَ^(٥)،
 وَتَأَمَّلْتُ^(٦) شَيْمَكَ، وَوَزَّيْتُكَ فَعَرَفْتُ مِقْدَارَكَ، وَقَوْمَتَكَ فَعَلِمْتُ قِيَمَتَكَ،
 فَوَجَدْتُكَ قَدْ نَاهَزْتَ الْكَمَالَ، وَأَوْفَيْتَ عَلَى التَّمَامِ، وَتَوَقَّلْتُ^(٧) فِي دَرَجِ الْفَضَائِلِ،
 وَكِدْتِ تَكُونُ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ، وَقَارِبَتِ أَنْ تُلْفِي / عَدِيمَ النَّظِيرِ^(٨)، لَا يَطْمَعُ
 فَاضِلُّ أَنْ يَفُوقَكَ^(٩)، وَلَا يَأْنِفُ شَرِيفٌ أَنْ يَقْصُرَ دُونَكَ، وَلَا يَجْحَشُ عَالِمٌ أَنْ يَأْخُذَ
 عَنْكَ.

(١) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ١ / ٩٧ بعنوان: رسالة في كتابان السرّ وحفظ اللسان، وهارون:
 ١ / ١٣٩، بعنوان: كتاب كتابان السرّ وحفظ اللسان، والحاجري: ص ١٩٨ بعنوان: رسالة في
 كتابان السرّ وحفظ اللسان.

(٢) في عبيد الله ١ / ٩٧، وهارون ١ / ١٣٩: أما بعد.

(٣) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص ٩٧ / ١، وهارون ١ / ١٣٩.

(٤) في عبيد الله ١ / ٩٧، وهارون ١ / ١٣٩، والحاجري ص ١٩٨: تلبرت.

(٥) الأعراق: الشرف، والذي له عرق في الكرم. (اللسان: عرق).

(٦) في الأصل (وأملت) وهو تصحيف.

وما أثبت من عبيد الله ١ / ٩٧، وهارون ١ / ١٣٩، والحاجري ص ١٩٨.

(٧) التوقل: الصعود، وقيل الإسراع في الصعود. (اللسان: وقل).

(٨) في الأصل (النظر). وما أثبت من عبيد الله ١ / ٩٧، والحاجري ص ١٩٨.

(٩) في عبيد الله ١ / ٩٧، وهارون ١ / ١٣٩، والحاجري ص ١٩٨: يفوتك.

[٣١] فصل (١)

قد عَرَفْتُكَ [أكرمك الله] (٢) في أيامِ الحِدَاثَةِ، وَحَيْثُ سُلْطَانُ اللّٰهِو (٣) المَخْلُقِ (٤)
 للأعراض، أَغْلَبْتُ عَلَى نُظْرَاتِكَ (٥). وَسُكْرُ الشَّبَابِ وَالْجِدَّةِ (٦) الْمُتَحِفِّينَ (٧) لِلدِّينِ وَالْمُرُوَّةِ،
 يَسْتَوْلِي (٨) عَلَى لِدَاتِكَ (٩). وَاخْتَبِرْتَ (١٠) أَنْتَ وَهُمْ يَبْسِطُ الْقُدْرَةَ (١١)، وَهَمِّيَا الْحِدَاثَةَ،
 وَطَوْلِ (١٢) الْجِدَّةِ (١٣)، مَعَ مَا تَقَدَّمْتَهُمْ فِيهِ (١٤) مِنَ الْوَسَامَةِ فِي الصُّورَةِ، وَالْجَمَالِ فِي الْهَيْئَةِ.

- (١) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ٦٩ / ١ - ٧١ بعنوان: رسالة المعاش والمعاد أو الأخلاق المحمودة
 والمذمومة كتب بها إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد، وهارون: ٤ / ٦٩ - ٧٢ بعنوان:
 رسالة المعاش والمعاد أو الأخلاق المحمودة والمذمومة كتب بها إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن
 أبي دؤاد، والحاجري ص ١٢٢ - ١٢٥ بعنوان: رسالة المعاد والمعاش.
- (٢) ما بين العقوفين من عبيد الله ص ١ / ٦٩، وهارون: ٤ / ٦٩، والحاجري ص ١٢٢.
- (٣) في هارون ٤ / ٦٩: الهوى.
- (٤) في هارون ٤ / ٦٩: المخلط.
- (٥) في عبيد الله ١ / ٦٩: نظراتك.
- (٦) الجدة: الغنى.
- (٧) المتحيفين: تحيفت الشيء أي نقصته.
- (٨) في عبيد الله ١ / ٦٩، وهارون ٤ / ٦٩، والحاجري ص ١٢٢: مستول.
- (٩) لداتك: أترابك الذين ولدوا معك. (اللسان: ترب).
- (١٠) في عبيد الله ١ / ٦٩، والحاجري ص ١٢٢: فاخترت.
- وفي هارون ٤ / ٧٠: ففقتهم.
- (١١) في عبيد الله ١ / ٦٩، وهارون ٤ / ٧٠، والحاجري ص ١٢٢: ببسطة المقدره.
- (١٢) في هارون ٤ / ٧٠: فضل.
- (١٣) في هارون ٤ / ٧٠: الجلة.
- الحدة: النشاط والسرعة في الأمور. (اللسان: حدد).
- (١٤) في هارون ٤ / ٧٠: به.

وهذه كلها^(١) أسباب تكاثر توجيب^(٢) الانقياد للهوى، ولجج المهالك^(٣)، التي لا يسلم منها إلا المنقطع القرين، في صحّة الفطرة، وكمال العقل. فاستعبدهم الشهوات حتى أعطوها أزيمة أديانهم، وسلطوها على ثروعتهم^(٤)، وأباحوا أعراضهم، فألت بأكثرهم الحال إلى ذلّ العدم، وفقد عزّ الغنى في العاجل، مع الندامة الطويلة، والحسرة في الأجل.

وخرجت نسيج وحدك، أو حدياً^(٥) في نفسك، حكمت وكيل الله عندك وهو/ عقلك على هواك، وألقت [إليه]^(٦) أزيمة أمرِك، فسلك بك طرق^(٧) السلامة، وأسلمك إلى العاقبة^(٨) المحمودة، وبلغ بك من نيل اللذات إلى^(٩) أكثر مما بلغوا، وصرفك من صنوف الشهوات^(١٠) في أكثر مما تصرفوا، وربط عليك من نعم الله التي خولك^(١١) ما

(١) ساقطة من هارون.

(٢) في هارون ٤ / ٧٠: أن توجب.

(٣) في عبيد الله ١ / ٦٩، والحاجري ص ١٢٢: ولجج من المهالك.

وهارون ٤ / ٧٠: تلجج في المهالك.

(٤) في عبيد الله ١ / ٦٩، وهارون ٤ / ٧٠، والحاجري ص ١٢٢: مروءاتهم.

(٥) أو حدياً: جعل واحد زمانه. (اللسان: وحد).

(٦) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٧) في عبيد الله ١ / ٧٠، وهارون ٤ / ٧٠، والحاجري ص ١٢٣: طريق.

(٨) في الأصل (العاقبة).

وما أثبت من عبيد الله ١ / ٧٠، وهارون ٤ / ٧٠، والحاجري ص ١٢٣.

(٩) ساقطة من عبيد الله والحاجري.

(١٠) في عبيد الله ١ / ٧٠، وهارون ٤ / ٧١، والحاجري ص ١٢٣: النعم.

(١١) في الأصل (خولوك) وهو تصحيف.

وما أثبت من عبيد الله ١ / ٧٠، وهارون ٤ / ٧١، والحاجري ص ١٢٣.

أطلقه من أيديهم، إيثار اللّهُو وتسليطهم الهوى [على أنفسهم]^(١)، فخاص بهم تلك اللّجج^(٢)، واستنقذك من تلك المعاطب، فأخرجك سليم الدين [واقر]^(٣) المروءة، نقي العرض، كثير الثراء^(٤) من^(٥) الجدة^(٦)، وذلك سبيل من كان ميّله إلى [الله]^(٧) أكثر من ميّله إلى هواه.

قلّم أزل أبقاك الله^(٨) في أحوالك كلّها، بقضيتك عارفاً، ولك بِنعمة^(٩) الله عندك غابطاً، أرى ظواهر أمورك المحمودّة، فدعوني إلى الانقطاع إليك، وأسأل عن بواطن أحوالك، فتريدي رغبة في الاتّصال بك، ارتياداً مني لموضع الخيرة في الأخوة، والتماساً مني^(١٠) لإصابتة المصطفى^(١١) في المودّة، وتخييراً لمستودع الرجاء في النابتة.

فلتاً محصتك^(١٢) الخبرة، وكشفك^(١٣) الايتلاء عن المحمّدة، وقصّت لك

(١) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص ١ / ٧٠، وهارون: ٤ / ٧١، والحاجري ص ١٢٣.

(٢) في عبيد الله ١ / ٧٠: فخاص لهم سبيل تلك اللجج.

(٣) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص ١ / ٧٠، وهارون: ٤ / ٧١، والحاجري ص ١٢٣.

(٤) في هارون ٤ / ٧١: الشراء.

(٥) في عبيد الله ١ / ٧٠، وهارون ٤ / ٧١: بين.

(٦) في الحاجري ص ١٢٣: كثير البر آمن الجدة.

(٧) في الأصل (لبي) وما أثبت من عبيد الله ١ / ٧٠، وهارون ٤ / ٧١.

(٨) الجملة المعترضة ساقطة من الحاجري.

(٩) في عبيد الله ١ / ٧٠، وهارون ٤ / ٧١، والحاجري ص ١٢٣: بنعم.

(١٠) ساقطة من عبيد الله وهارون.

(١١) في عبيد الله ١ / ٧٠، وهارون ٤ / ٧١، والحاجري ص ١٢٣: الاصفاء.

(١٢) في الأصل (محضتك) وما أثبت من هارون ٤ / ٧١.

(١٣) في هارون ٤ / ٧١: كشف.

التَّجَارِبُ بِالْتَّمَدِّمَةِ، وَشَهَدَتْ لَكَ قُلُوبُ الْعَامَّةِ بِالْقَبُولِ وَالْمَحَبَّةِ، وَقَطَعَ اللَّهُ عُنْدَ مَنْ
كَانَ يَطْلُبُ الْإِتِّصَالَ بِكَ؛ طَلَبْتُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَالْإِتِّصَالَ بِحَيْلِكَ، وَمَتَّ^(١) بِحُرْمَةِ
الْأَدَبِ وَذِمَامِ كَرَمِكَ.

فَكَانَ^(٢) مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدِي أَنْ جَعَلَ أَبَا فُلَانٍ^(٣) حَفِظَهُ اللَّهُ وَسِيَلَتِي إِلَيْكَ،
فَوَجَدْتُ الْمَطْلَبَ سَهْلًا، وَالْمَرَامَ^(٤) تَحْمُودًا، وَقَضَيْتَ^(٥) لِي مَا يَجُورُ الْأَمْنِيَّةَ، وَيُقَرِّبُ^(٦)
الْأَمَلَ. فَوَصَلَتْ إِخَاتِي بِمَوَدَّتِكَ، وَخَلَطْتَنِي بِنَفْسِكَ، وَأَسَمْتَنِي^(٧) فِي مَرَامِي دَوِي
الْحَاصَةِ بِكَ، تَفَضُّلاً لَا مُجَازَاةَ، وَتَطَوُّلاً لَا مُكَافَاةَ، فَأَمِنْتُ الْخَطُوبَ، وَاعْتَلَيْتُ عَلَى
الزَّمانِ؛ فَاتَّخَذْتُكَ^(٨) لِلْأَحْدَاثِ عُدَّةً، وَمِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ حِصْنًا مَنِيَعًا.

فَلَمَّا حُزْتُ^(٩) الْمُؤَانَسَةَ، وَتَقَلَّبْتُ مِنْ فَضْلِكَ فِي صُنُوفِ النِّعْمَةِ، وَزَادَ بَصْرِي فِي
مَذَاهِبِكَ^(١٠) فِي السَّرُورِ وَالْحَبْرَةِ^(١١)؛ أَزِدْتُ خِبْرَةَ الْمَشَاهِدَةِ، فَبَلَوْتُ^(١٢) أَخْلَاقَكَ،

(١) في الحاجري ص ١٢٤: تمت. مت: تقربت إليك. (اللسان: مت).

(٢) في هارون ٧٢ / ٤، والحاجري ص ١٢٤: وكان.

(٣) أبو فلان مجهول.

في عبيد الله ٧٠ / ١، وهارون ٧٢ / ٤، والحاجري ص ١٢٤: أبو عبد الله. وقال هارون في
الحاشية: الظاهر أنه أبو عبد الله أحمد بن أبي داود.

(٤) في عبيد الله ٧٠ / ١، وهارون ٧٢ / ٤، والحاجري ص ١٢٤: المراد.

(٥) في عبيد الله ٧٠ / ١، وهارون ٧٢ / ٤، والحاجري ص ١٢٤: وأفضيت.

(٦) في عبيد الله ٧٠ / ١، وهارون ٧٢ / ٤، والحاجري ص ١٢٤: ووفوت.

(٧) أسمتني: من سامت الإبل بمعنى رَعَت، والمقصود هنا جعله على أمور الحاقصة. (اللسان: سوم).

(٨) في هارون ٧٢ / ٤، والحاجري ص ١٢٤: واتخذتك.

(٩) في هارون ٧٢ / ٤: جرت.

(١٠) في هارون ٧٢ / ٤، والحاجري ص ١٢٤: زاد تصرفي في مواهبك.

(١١) الحبرة: السرور. (اللسان: حبر).

(١٢) بلوت: اخترت. (اللسان: بلا).

وَامْتَحَنَتْ شَيْمَكَ، وَعَجَمَتْ^(١) مَذَاهِبَكَ عَلَى حِينِ غَفْلَاتِكَ، وَفِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَقُلُّ فِيهَا تَحَفُّظُكَ، أَرَأَيْتَ^(٢) حَرَكَاتِكَ، وَأَرَأَيْتَ^(٣) مَخْرَجَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، وَأَرَأَيْتَ^(٤) مِنْ اسْتِصْغَارِكَ لِعَظِيمِ النِّعْمَةِ^(٥) الَّتِي تَنْتَعِمُ بِهَا، وَاسْتِكْثَارِكَ^(٦) لِقَلِيلِ الشُّكْرِ / مِنْ شَاكِرِيكَ؛ مَا أَعْرِفُ بِهِ مَا^(٧) قَدْ بَلَّوْتُ مِنْ غَيْرِكَ، وَمَا قَدْ شَهِدْتُ بِهِ لِي^(٨) التَّجَارِبُ. أَنْ ذَلِكَ مِنْكَ غَيْرُ تَكْلُفٍ^(٩)، هَيْهَاتَ مَا يَكَادُ ذُو التَّكْلُفِ يَخْفَى^(١٠) عَلَى الْغِيَابَةِ. فَكَيْفَ عَلَى مِثْلِي مِنَ الْمُتَصَفِّحِينَ؟

(١١) فَرَزَادَتْنِي الْمُوَاسَّئَةُ فِيكَ رَغْبَةً، وَطَوَّلُ الْعِشْرَةِ لَكَ حُبَّةً، وَامْتِحَانُ أَفَاعِيلِكَ لَكَ تَفْضِيلًا^(١٢)، وَبِطَاعَتِكَ دِينُونَ^(١٣).

وَكَانَ تَمَامَ شُكْرِي لِزَيِّ وَبِي كُلِّ نِعْمَةٍ، وَالْمُبْتَدِئِي بِكُلِّ إِحْسَانٍ، الشُّكْرَ لَكَ، وَالْقِيَامَ بِمُكَافَأَتِكَ، بِمَا أَمَكَّنَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي؛ لِأَنَّ اللَّهَ [تَبَارَكَ وَتَعَالَى]^(١٤) نَظَّمَ الشُّكْرَ لَهُ

(١) عجمت: امتحنت. (اللسان: عجم).

(٢) في عبيد الله ١ / ٧١، وهارون ٤ / ٧٢، والحاجري ص ١٢٤: أراعي.

(٣) في عبيد الله ١ / ٧١، وهارون ٤ / ٧٢، والحاجري ص ١٢٤: أراقب.

(٤) في عبيد الله ١ / ٧١، وهارون ٤ / ٧٢: فأرى.

(٥) في عبيد الله ١ / ٧١، وهارون ٤ / ٧٢: النعم.

(٦) في عبيد الله ١ / ٧١: استكثر.

(٧) في عبيد الله ١ / ٧١، وهارون ٤ / ٧٢، والحاجري ص ١٢٤: وبها.

(٨) في عبيد الله ١ / ٧١، وهارون ٤ / ٧٢، والحاجري ص ١٢٤: لي به.

(٩) جملة (أَنَّ ذَلِكَ مِنْكَ غَيْرُ تَكْلُفٍ) ساقطة من عبيد الله.

(١٠) في عبيد الله ١ / ٧١: أَنْ يَخْفَى.

(١١) انتهاء ما جاء في هارون وما تبقى غير موجود.

(١٢) في عبيد الله ١ / ٧١: وامتحاني أفاعيلك تفضيلاً.

(١٣) دينونة: عادة. (اللسان: دين).

(١٤) ما بين المعرفين من عبيد الله ص ٧١ / ١، وساقطة من الحاجري.

بِالشُّكْرِ لِدَوِي^(١) النُّعْمِ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَبْنُ إِلا^(٢) أَنْ يَقْبَلَهَا مَعًا^(٣)؛ لِأَنَّ أَحَدَهُمَا دَلِيلٌ عَلَى
الْآخِرِ وَمَوْصُولٌ^(٤) بِهِ، فَمَنْ صَبَّحَ شُكْرَ ذِي نِعْمَةٍ [مِنْ الْخَلْقِ]^(٥)، فَأَمَرَ اللَّهُ ضَيْعًا،
وَبَشَّادَتِهِ^(٦) اسْتَحْفَ^(٧).

لقد جاءَ بذلكَ الحَقِيرُ عن الطَّاهِرِ الصَّادِقِ عليه السلام^(٨): «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ
يَشْكُرِ اللَّهَ»^(٩).

ولَعَمْرِي إِنْ ذَلِكَ لَمَوْجُودٌ فِي الْفِطْرَةِ، قائِمٌ فِي الْعَقْلِ؛ أَنْ مَنْ كَفَرَ بِنِعْمِ الْخَلْقِ،
كَانَ لِنِعْمِ اللَّهِ أَكْفَرُ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ يُعْطَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْكَفَلَةِ وَالْمَشَقَّةِ وَثَقَلِ^(١٠) الْعَطِيَّةِ
عَلَى الْقُلُوبِ، وَاللَّهُ يُعْطِي بِلَا كُفْلَةٍ. وَلِهَذَا الْعِلَّةُ جَمَعَ بَيْنَ الشُّكْرِ / لَهُ، وَالشُّكْرِ لِدَوِي
النُّعْمِ مِنْ خَلْقِهِ.

(١) فِي عِيدِ اللَّهِ ٧١ / ١: لَدِي.

(٢) سَاقِطَةٌ مِنْ عِيدِ اللَّهِ وَالْحَاجِرِيِّ.

(٣) فِي عِيدِ اللَّهِ ٧١ / ١: إِلا مَعًا.

(٤) فِي عِيدِ اللَّهِ ٧١ / ١: وَمَوْصُولٌ.

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْتَرِفِينَ مِنْ عِيدِ اللَّهِ ص ٧١ / ١، وَالْحَاجِرِيِّ ص ١٢٥.

(٦) فِي عِيدِ اللَّهِ ٧١ / ١: وَبَشَّادَتِهِ.

(٧) إِلَى هُنَا انْتِهَاءُ مَا وَرَدَ فِي الْحَاجِرِيِّ.

(٨) فِي عِيدِ اللَّهِ ص ٧١ / ١: «فَقَالَ عليه السلام».

(٩) الْحَدِيثُ «التَّحَدَّثَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرًا، وَتَرَكَهَا كَفْرًا، وَمَنْ لَا يَشْكُرُ الْقَلِيلَ لَا يَشْكُرُ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَا
يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ، وَالْجَاعِعةُ بَرَكَة، وَالْفَرَقَة عَذَابٌ».

(انظر: الْمُتَمَيِّزُ الْمُهَنْدِيُّ، كَنْزُ الْعَمَالِ: ٣ / ٢٥٥، الْحَدِيثُ رَقْم ٦٤١٨، وَالْمُهَيْمِيُّ، مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ:

٨ / ٣٣١، الْحَدِيثُ رَقْم ١٣٦٣٩).

(١٠) فِي عِيدِ اللَّهِ ٧١ / ١: وَثَقَلِ.

فَلَمَّا وَجَبَتْ عَلَيَّ الْحُجَّةُ بِشُكْرِكَ، وَقُطِعَ عُذْرِي فِي مُكَافَاتِكَ، اعْتَرَفْتُ بِالتَّقْصِيرِ
عَنْ [تَقْصِي] ^(١) بَعْضِ ذَلِكَ؛ إِلَّا آتِي [بَسَطْتُ لِسَانِي] ^(٢) بِتَقْرِيطِكَ وَنَشْرِ حَامِسِيكَ،
مَوْصُولٌ ذَلِكَ عِنْدِي ^(٣) لِأَذَانِ ^(٤) السَّامِعِينَ، بِالاعْتِرَافِ بِالْعَجْزِ عَنِ إِحْصَائِهَا.

وقد روي عن النبي ^(٥) ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أُوْدِعَ عُرْفًا فَلْيَشْكُرْهُ، فَإِنْ لَمْ يُمَكِّنْهُ
فَلْيَنْشُرْهُ، فَإِذَا نَشَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِذَا كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ» ^(٦).

[٣٢] فصل ^(٧)

[وَأَنْتَ] ^(٨) وَاللَّهِ تَعَلَّمَ عِلْمَ الاضْطِرَارِ ^(٩)، وَعِلْمَ الاختِيَارِ ^(١٠) [وَعِلْمَ

(١) ما بين المعقوفين من عيد الله ص ١ / ٧١.

(٢) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل. جملة «إلا آتيت بسطت لساني» ساقطة من عيد الله.

(٣) في عيد الله ١ / ٧١: مني.

(٤) في عيد الله ١ / ٧١: عند.

(٥) في عيد الله ١ / ٧١: عن رسول الله.

(٦) الحديث «من أولي معروفاً فليذكره، فمن ذكره فقد شكره، ومن كتبه فقد كفره».

(انظر: المتقي الهندي، كنز العمال: ٦ / ٤٦٥، الحديث رقم ١٦٥٧١، والهيتمي، مجمع الزوائد:

٨ / ٣٣٢، الحديث رقم ١٣٦٤٢).

(٧) ورد الفصل في هارون: ٣ / ١٠٠ بعنوان: رسالة الترييح والتدوير، ويلا: ص ٧١، والمبرد:

ص ٤٨ - ٤٩، ٨٦ - ٨٧ بعنوان: رسالة الترييح والتدوير.

(٨) ما بين المعقوفين من هارون: ٣ / ١٠٠، والمبرد: ص ٨٦.

(٩) الاضطرار: الاحتياج إلى الشيء وقد اضطر إليه. (اللسان: ضرر).

(١٠) جاء في البصائر والذخائر «من الاضطرار يكون الاختيار، وليس من الاختيار أن يكون

الاضطرار، وكان الاضطرار موجباً للاختيار في كونه اختياراً، وليس الاختيار موجباً للاضطرار

في كونه اضطراراً، لأن الاضطرار من سنخ العالم وسوسه، والاختيار من حشو العالم وغروسه».

(انظر: التوحيد، البصائر والذخائر: ٣ / ١٥٢).

الأخبار^(١)، أني لم أر أنفذ^(٢) عقلاً^(٣)، وأظهرَ حَزْمًا^(٤)، والطفَ كَيْدًا، وأكثرَ عِلْمًا، وأوزَنَ حِلْمًا، وأخفَّ روحًا، وأكرمَ عَيْنًا، وأقلَّ عَيْبًا^(٥)، وأحسنَ قَدْرًا^(٦)، وأبعدَ غَوْرًا، وأجملَ وَجْهًا، وأنصحَ طرفًا، وأكثرَ مُلْحًا^(٧)، وأضحكَ سِنًا^(٨)، وأنطقَ لِسَانًا، وأحسنَ بَيَانًا، وأوضحَ بُرْهَانًا^(٩)، وأجهرَ جَهَارَةً، وأتمَّ إشارَةَ منك^(١٠).

فَلَا تَعَجَب أَيُّهَا السَّامِعُ؛ فَإِنِّي أَصِفُهُ لَكَ فِي الْجُمْلَةِ وَالتَّفَارِيقِ؛ فَأَمَّا فِي التَّفَارِيقِ، فَكَأَنَّ عُنُقَهُ إِبْرِيْقُ فِضَّةٍ، وَقَدَمَهُ لِسَانُ حَيَّةٍ، وَكَأَنَّ عَيْنَهُ مَآوِيَةٌ، وَيَطْنُهُ قِبطِيَّةٌ، وَسَاقُهُ / بَرْدِيَّةٌ، وَلِسَانُهُ وَرَقَّةٌ، وَأَنْفُهُ حَدُّ سَيْفٍ، وَكَأَنَّ حَاجِبَهُ خُطٌّ بِقَلَمٍ، وَكَأَنَّ لَوْنَهُ الذَّهَبُ، وَكَأَنَّ عَوَارِضَهُ الْبَرْدُ^(١١). وَكَأَنَّ فَمَهُ خَاتَمٌ، وَجَبِيئَتُهُ هِلَالٌ. وَكَأَنَّ وَجْهَهُ دِينَارٌ هِرْقَلِي^(١٢). فَأَمَّا فِي الْجُمْلَةِ، فَكَأَنَّهُ الشَّمْسُ، وَكَأَنَّهُ الْقَمَرُ، وَكَأَنَّهُ دَارَةٌ

(١) ما بين المعقوفين من هارون: ٣ / ١٠٠، ويلا ص ٧١، والمبرد: ٨٦.

(٢) في بيلا ص ٧١: أشد.

(٣) جملة (أنى لم أر أنفذ عقلاً) ساقطة من هارون ويلا والمبرد.

(٤) في هارون ٣ / ١٠٠: أظهر منك عزماً.

والمبرد ص ٨٦: أظهر منك حرباً.

(٥) في هارون ٣ / ١٠٠: أقل غثاً.

والمبرد ص ٨٦: وأقل غشاً.

(٦) في هارون ٣ / ١٠٠، والمبرد ص ٨٦: أحسن قَدْرًا.

(٧) المِلْح: الملاحه. (اللِّسَان: ملح)..

(٨) جملة (وأضحك سناً) ساقطة من هارون ويلا والمبرد.

(٩) جملة (وأوضح برهاناً) ساقطة من هارون ويلا والمبرد.

(١٠) في هارون ٣ / ١٠٠، والمبرد ص ٨٦: وأحسن شارة.

(١١) البرد: حب الغمام أو السحاب. (اللِّسَان: برد).

(١٢) دينار هرقلي: المقتال من الذهب يسمى دينارًا، والدينار هرقلي ذهبه من أحسن الذهب، وكان

يضرب المثل بجمال الدينانير المرقلية، وهرقل ملك الروم أول من ضرب الدينانير المنسوبة إليه. =

القَمَر^(١)، وكأنه المُشْتَرِي، وكأنه الزُّهْرَةُ^(٢) والدُّرَّة، وكأنه عَمَامَة، وكأنه صَفِيحَةٌ^(٣) يمانية، وسَيْفٌ هِنْدَوَانِي^(٤)، وكأنه رُمُحٌ رُدَيْنِي^(٥)، وكأنه غُصْنٌ بَان^(٦)، وكأنه قَضِيبٌ خَيْرَان^(٧)، وكأنه جَدَلَةٌ عِنَان^(٨)، وكأنه خُوَطٌ^(٩) بَان، وكأنه خُرْصٌ آس^(١٠)، وكأنه جَان^(١١)^(١٢).

= (انظر: الأب أنستاس الكرملِي، رسائل في النُقُود العربيَّة والإسلاميَّة وعلم التَمِيَّات: ص ٣٠، ١٧٧).

(١) دارة القمر: التي حول القمر، وهي الهالة. (اللِّسَان: دور).

(٢) الزُّهْرَة: نور كلِّ نبات، وقيل هو النُّور الأبيض. (اللِّسَان: زهر).

(٣) الصَّفِيحَة: السيوف العريضة. (اللِّسَان: صفح).

(٤) سيف هندواني: مصنوع في بلاد الهند، والهند مدينة في جزيرة العرب تُنسب إليها السيوف. (اللِّسَان: هند).

(٥) رمح رديني: الرَّمح المنسوب لإمرأة يقال لها ردينة. (اللِّسَان: ردن).

(٦) غصنبان: البان: شجر يسمو ويطول في استواء، وله هذب شديد الخضرة، وثمرتها تشبه قرون اللوبيا إلا أن خضرتها شديدة، وهنا دلالة على طول المدوح. (اللِّسَان: بين).

(٧) الخيزران: نبات لين القضبان أملس العيدان. (اللِّسَان: خزر).

(٨) عنان: جبل. (اللِّسَان: عنن).

(٩) الخووط: الغصن الناعم. (اللِّسَان: خووط).

(١٠) خرص: غصن. (اللِّسَان: خرص).

آس: ضرب من الرِّياحين وخضرتة دائمة أبدًا. (اللِّسَان: أسس).

(١١) جان: حية كحلاء العينين تضرب إلى الصَّفرة، لا تؤذي، تعيش في بيوت النَّاس. (اللِّسَان: جنن).

وردت هذه الفقرة في هارون ٣/ ٦٤، وبيلا ص ٢١، والمبرد ص ٤٨ - ٤٩ كالتالي: «والناس وإن قالوا في الحسن: كأنه طاقة ربحان، أو خووط آس، وكأنه قضيب خيزران، وكأنه غصن بان، وكأنه رمح رديني، وكأنه صفيحة بيان، وكأنه سيف هندواني، وكأنه جان، وكأنه جدل عنان، فقد قالوا: كأنه المشتري، وكأنه وجهه دينار هرقلتي، وما هو إلا البحر، وما هو إلا الغيث. وكأنه الشمس، وكأنها دارة القمر، وكأنها الزهرة، وكأنها درة، وكأنها غمامة، وكأنها مهامة».

(١٢) إلى هنا انتهاء ما جاء في هارون والمبرد.

هذا مَبْلُغٌ ما قَسَمَ اللهُ له من المَحَبَّةِ، وَمَنَحَه من المِقَّةِ^(١)، وألْبَسَه من الجِمالِ، وسَلَّمَه من المَدَمَّةِ، وقد والله عافى اللهُ بك، وابتلى وأنعَمَ وانتقم، فترجى لِمَن زهدَ فيكَ، وسُقياً لِمَن رَغِبَ فيكَ، والوَيْلُ لِمَن جهَلَ فَضْلَكَ، بل الوَيْلُ لِمَن أنكَرَ قَدْرَكَ.

[٣٣] فصل^(٢)

كَيْفَ يَقَعُ الاستِغْثالُ على مَن هو أَرْقُ من النَّسيمِ، وأخْفُ/ من الهِواءِ، وأدْقُ مَسْلَكًا من النَّارِ، وأعدْبُ من المِاءِ الزُّلالِ. وهو مَعْدِنُ الفِطْنَةِ، وَيَبْغُ المَعْرِفَةَ، ومُسْتَبْطُ الذِّكَاءِ، وداهيةُ الدَّهْيَاءِ.

وَمَن لا يَقُولُ قَطُّ بعدَ مُحاصِمَتِهِ، وطولِ مُنازَعَتِهِ: لو كُنْتُ قُلْتُ كذا لكانَ أمثَلُ، وكو لم أكن قُلْتُ كذا لكانَ أَفْضَلَ، وَمَن تَتَجَلَّى له أو أخِرُ حُجَّتِهِ مع أوَّلِ حِوَاطِرِهِ، وَمَن لا تَرَأَى مَوارِدَهُ على وَزَنِ مَصادِرِهِ، وأخِرُ فِكرِهِ كأوَّلِ بَداهَتِهِ.

وكَيْفَ يَجْهَلُ مواضِعَ الاستِغْثالِ مِن مواضِعِ الاستِخْفافِ^(٣)، مَن يُعْرِفُ بالتَّجْرِيةِ، وَمَن قد جَمَعَ الفِخامَةَ والحِلاوَةَ والنُّسُكَ والفُتوَةَ والظُّرْفَ، وَمَن يُعْطِي الانقباضَ^(٤) نَصيبَهُ الأوفَرَ، كما يُعْطِي الاستِرسالَ حَقَّهُ الموطَّأَ، ويُعْطِي صَديقَهُ النَّافِلَةَ، ولا يَسأَلُهُ الفَرِيضَةَ؛ ولذَلِكَ يَسْتَحِقُّ كُلُّ تَفْضُلٍ في الحَلْقِ والحُلُقِ، وفي العَزيمَةِ والفَضْلِ.

(١) المِقَّة: الحب. (اللسان: مقه).

(٢) ورد هذا الفصل في هذه الدراسة ص ١٢٥.

(٣) من قوله «كيف يقع الاستغثال على من هو أرق من النسيم...» إلى قوله «عن مواضع الاستخفاف» وردت في ص ١٢٦ من هذا الكتاب وهي من الفقرات التي تكررت.

(٤) الانقباض: سرعة الانكماش. (اللسان: قبض).

[٣٤] فصل (١)

فَأَمَّا التَّعَجُّبُ مِنْ مَنَاقِبِكَ (٢)، فَقَدْ نَسَخَهُ تَوَاتُرُهَا (٣)، فَصَارَتْ كَالشَّيْءِ الْقَدِيمِ، قَدْ بُيِّ بِه (٤)، لَا كَالْبَدِيعِ (٥) يُتَعَجَّبُ مِنْه. وَأَمَّا مَا يَجِدُّتُ لَكَ وَلَا نَخْلُو مِنْه؛ إِذْ كُنَّا نَعْتَدُّ بِسَعَادَةٍ/ جَدِّكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ لَا يَكْذِبُ الْمُثْنِي عَلَيْكَ.

[٣٥] فصل (٦)

وَأَمَّا ذِكْرُ فَضَائِلِ الْإِدِّكَ، وَأَبَاكَ الَّذِي أَشْرَقَ بِفَضْلِهِ قَلْبِي إِشْرَاقًا، وَسَقَطَ الشُّكُّ فِيهِ عَن نَفْسِي، فَإِنِّي لَوْ وَصَلْتُ بِالسُّنَنِ الْبَشَرِ لِذِكْرِهِ، لَتَنَاهَى فِي الْفِرَاقِ مِنَ الشَّنَاءِ عَلَيْهِ، فَأَنَا مُرْتَطِمٌ (٧) فِي جَهِّ بَحْرِ التَّقْصِيرِ عَنِ كُنْهِهِ (٨)، وَلَيْسَ إِقْرَارِي بِهَا أَقْرَرْتُ بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَن دَرْكِ بُلُوغِهِ، بِهَانِعِي مِنَ تَتَابُعِ الْإِطْنَابِ فِيهِ بِقَدْرِ طَاقَتِي، وَاجْتِهَادِي مِنْ نَشْرِ مَنَاقِبِهِ.

وَكَيْفَ وَإِنِّي السَّبِيلُ إِلَى تَفْضِيلِهِ بِالكَرَمِ، وَلَسْتُ رَائِيَا مَنَزِلَةَ فَضْلِ أَنْسِبُهَا إِلَيْهِ، إِلَّا وَجَدْتُهَا فِي الْفَضْلِ دُونَهُ، وَوَجَدْتَنِي مُدْبِدْبًا حَيْرَانَ بَيْنَ مَسَالِكِ فَضَائِلِهِ، وَلَا أَنَا نَائِلٌ صِفَةً بَاهِرٍ فَضْلِهِ، وَلَا طَيِّبَةً نَفْسِي عَنِ الْإِمْسَاكِ عَن تَقْرِيطِ فِيهِ.

(١) هذا الفصل جديد لم ينشر من قبل.

(٢) مناقبك: أخلاقك. (اللسان: نقب).

(٣) نسخه: النسخ هو أن تزايل أمرا كان من قبل يعمل به ثم تنسخه لحادث غيره. (اللسان: نسخ).

تواترها: تتابعها. (اللسان: وتر).

(٤) بئى به: فخر به. (اللسان: بأي).

(٥) البديع: المحدث والنبتدع. (اللسان: بدع).

(٦) هذا الفصل جديد لم ينشر من قبل.

(٧) مرتطم: أي أوحله في أمر لا يخرج منه. (اللسان: رطم).

(٨) الكنه: جوهر الشيء. (اللسان: كنه).

فَلَمَّا مِيلْتُ الرَّأْيَ بَيْنَ النُّكُوصِ^(١) عَن مَدْيِهِ، وَبَيْنَ التَّشْجِعِ الَّذِي لَا تَوْضِعُ
الْكُتُبُ إِلَّا بِهِ، أَحْبَبْتُ أَنْ أَحَلِّي كِتَابِي مِنْ كَلِمَاتٍ أَمْتَمَّ بِهِنَّ مَنَاقِبَهُ، وَإِنْ كُنْتُ مُقْصِرًا عَن
كُنْهَ فَضَائِلِهِ.

وماذا عسى أن أقول فيمن تنازعني متناظرات محاسنه؛ حتى بقيت لا أدري
بإدي معنى منها أبداً؛ من / صفة مع خوف أن لا يقع قولي من سامعه مواقع التصديق؛
إذ كنت واصفاً من لا يمكنهم في الأوس وجود مثله، وأين؟ ولا أين لهم أن يجدوا
نظيره، وهو الذي تسربل^(٢) النهي، وارتدى بالتقي، وتعطف^(٣) بالحجى، واتترز
بالحكيم، وتترج بالوقار، وتطبع بالوجود، وتنبل في المجد، واغتدى بالكرم، ووشح
باللب، وحكم بالفصل، ونطق بالعدل، ورسخ في الفضل؛ فها هو الحياء منحدر من
أيسرة وجهه، وأغصان الدمامة مشتملة على أعطاف شائله، وساء السخاء مطيرة من
فروج أنامله، ولألى العلم متناثرة من بلاغات منطقه؛ تراه متبساً عن سن المؤدة،
وقلبه بك بعين الرأفة والرحمة. ليست له دون النزاهة بهمة^(٤)، ولا في عين المسألة
رغبة، تسامى عن اللذات بالصيانة، وتعطل عن الشهوات بالزهادة.

واشتمل بكل مكرمة فأصبح نسيج وحده، لا يقرن به نظير، ولا يعرف له
شبيه. قد لقي كل خلاف بضده، وأعد لكل داء دواءه، وليس لكل دهر لياسه، ووضع
لكل أمر موضعه، وفتح أقال المشكلات بحقائق البيان، وكشف أغاليط الجدال
ببراهين الحجج، وأوضح مشاهبات الفلسفة بدلائل الحكمة. مفهم إذا قال، فهم إذا

(١) النكوص: الإحجام والرجوع عن الأمر. (اللسان: نكص).

(٢) تسربل: لبس. (اللسان: سربل).

(٣) تعطف: ارتدى. (اللسان: عطف).

(٤) بهمة: مستبهمة من الكلام، أي مغلق. (اللسان: بهم).

سَمِعَ، يَسْبِقُ بِالْفَهْمِ السَّمْعَ، حَتَّى كَأَنَّ فَهْمَهُ سَمِعُهُ. إِنْ خَاطَبَهُ أَحَدٌ بَعِيرٍ مَا فِي قَلْبِهِ اسْتَدَلَّ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِهِ بِظَاهِرِ حَرَكَاتِهِ.

قَدْ قَيَّدَ الْكَلَامَ بِالْبِشْرِ، وَنَجَرَ^(١) عَادِيَةَ اللَّوْمِ بِالتَّنْذُرِ، وَتَأَمَّلَ أَحَادِيثَ عَدَدَ وَاسْتَقْبَلَ صَوْلَةَ الْقُدْرَةِ، وَسَطَوَةَ الْإِعْهَارِ بِنَجَايَةِ الرَّأْيِ، وَإِشَارِ الثَّبْتِ، وَعَارَضَ خَوَاطِرَ السَّوِّءِ بِالنَّظَرِ الثَّاقِبِ، وَأَيَّقَنَ بِمَا بَقِيَ لَهُ مِنَ الذِّكْرِ، وَيُحَرِّزُهُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ، وَيُسَبِّغُ لَهُ مِنَ الشُّكْرِ.

فَأَيُّ غَايَةٍ فِي الْعِلْمِ لَمْ يَأْتِ عَلَيْهَا، أَمْ أَيُّ مَتْرَلَةٍ فَضَّلَ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا، أَمْ أَيُّ مَرْتَبَةٍ مُرْوَعَةٍ لَمْ يَبْلُغْهَا، أَمْ أَيُّ دَرَجَةٍ مَدَحَ لَمْ يَبْلُغْهَا، أَمْ أَيُّ مَزِيَّةٍ قَصَّرَ عَنْهَا، أَمْ أَيُّ أَحَدَوْنَةٍ صَدِيقٍ لَمْ تُسَبِّبْ إِلَيْهِ، أَمْ أَيُّ خُطْئَةٍ فَضَّلَ لَمْ يَفِ بِهَا، أَمْ أَيُّ جَادَّةٍ بَرٌّ لَمْ يَسْلُكْهَا، أَمْ أَيُّ عَطِيَّةٍ خَيْرٍ مَنَعَهَا؟

وَهُوَ الَّذِي عَرَفَ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَاسْتَشَعَرَ خِيفَتَهُ، وَاعْتَصَمَ بِطَاعَتِهِ، فَتَزَهَّدَ فِي النَّفْسِ مِنَ الْمَنَاعِ، وَرَضِيَ مِنَ الْأَقْوَاتِ بِالْمَسْكِ^(٢)، وَحَالَفَ الْعَفَافَ، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ، وَاجْتَرَأَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْكِبَاءِ، وَارْتَوَى بِالظَّمَاءِ، وَقَمَعَ الْهَوَى، وَأَثَرَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَمَلَكَ الْغَيْظَ وَكَطَمَهُ، وَلَفَظَ الْحِرْصَ وَكَعَمَهُ^(٣)، هُوَ بِأَمْرِ أَصْغَرٍ وَلَدَيْهِ، أَعْنَى مِنْهُ بِخَاصَّةِ نَفْسِهِ، إِنْ أَوْعَرُوا بِهِ أَسْهَلَ، وَإِنْ تَصَعَّبُوا لَهُ تَدَلَّلَ، وَإِنْ خَشِنُوا عَلَيْهِ لَانَ، وَإِنْ شَاغَبُوهُ سَكَنَ. يَتَكَلَّمُ وَكَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ غَيْرُهُ فِي سُكُونِ حَرَكَتِهِ، وَهُدُوءِ جَوَارِحِهِ، وَلِينِ كَتْفِهِ، وَانْخِفَاضِ جَنَاحِهِ، وَأَصَالَةِ عَقْلِهِ.

(١) نجر: ضرب. (اللسان: نجر).

(٢) المسك: ما يمسك الأبدان من الطعام والشراب. (اللسان: مسك).

(٣) الكعم: شيء يُجْعَلُ عَلَى فَمِ الْبَعِيرِ وَيُسَدُّ بِهِ فَوْهَ فِي مِجَاجِهِ لِئَلَّا يَبْعُضَ أَوْ يَأْكُلَ. (اللسان: كعم).

فأَحَدُ الْمُنْعَمِ عَلَيَّ بِرُؤْيَتِهِ الَّتِي قَدْ كَانَ إِفْرَاطَ الشُّرُورِ بِهَا يُنْعَضُ عَلَيَّ مَا أَوْقَعَ مِنْ حَادِثٍ تَوَدِيْعِي إِيَّاهُ، وَفِرَاقِي لَهُ، وَتَحَوُّفِي كَوْنَ الْفَجِيعَةِ بِهِ، وَلَا زَالَ مِنْ تَرَاحِي عُمُرِهِ وَمُهَلَّةِ بَقَائِهِ، وَتَنْفِيْسِ أَجَلِهِ، وَدَرَكِ أَمَلِهِ فِي صِلَاحِ عَمَلِهِ، وَمُطَاطَلَةِ الْإَيَّامِ بِهِ، فِي سَلَامَةِ رُوحِهِ وَبَدَنِهِ، إِلَى انْقِضَاءِ النَّهْرِ، وَمُرَافَقَةِ الصَّالِحِينَ فِي جَنَّتِهِ، الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ.

وَلَا زَالَ رَخِي الْبَالِ، كَثِيرَ الصَّدِيقِ، قَلِيلَ الْعَدُوِّ، سَلِيمَ الدِّينِ، نَقِي الْعِرْضِ، مَحْمُودَ الْفِعَالِ، جَمِيلَ الْأَحْدُوثِ، فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، وَوَصَلَ لَهُ الْكِرَامَةُ الْعَاجِلَةَ، بِالنُّعْمَةِ الْآجِلَةَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَلَّغَنِي مُدَّةَ زَمَانِهِ، وَقَرَّبَ مَكَانِي مِنْ مَكَانِهِ، وَجَعَلَنِي مِنْ إِخْوَانِهِ وَأَعْوَانِهِ، وَأَوْقَعَ نَاطِرِي عَلَى شَخِصِهِ، وَأَمَسَّ كَفِّي بِكَفِّهِ، وَأَصَارَنِي فِي الْمُنَاسِينِ بِهِ، وَالْمُنَاسِفِينَ عَلَيْهِ، وَالْمُقْتَبِسِينَ مِنْهُ، وَالْأَخِذِينَ عَنْهُ.

فَأَنَا الَّذِي تَرَأَيْتُ فِي دِينِي تَبَاشِيرَ السَّعَادَةِ، وَتَعَجَّلْتُ فِي دُنْيَايَ هَذِهِ الْأَمْنِيَةَ، وَقَدْ أَشْبَهْتَ أَبْقَاكَ اللَّهُ [شَيْخَكَ] ^(١) فِي خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ، وَفِعْلِهِ وَعَزْمِهِ، مَعَ الشَّهَادَةِ الْكَامِلَةِ، وَالنَّفْسِ النَّامَةِ. وَمَرَجِعُ الْأَفْعَالِ إِلَى الطَّبَائِعِ. وَمَدَارُ الطَّبَائِعِ عَلَى جُودَةِ النَّفْسِ، وَقُوَّةِ الْمَنَةِ، وَبِهَاتِمِ الْعَزِيمَةِ، وَتَقْدُ الْبَصِيرَةِ.

[٣٦] فَصْل (٢)

اعْلَمْ أَنَّ الْمَدْحَ لَا يَكُونُ مَدْحًا حَتَّى يَكُونَ صِدْقًا، وَلَا يَكُونُ صِدْقًا حَتَّى يَكُونَ حَقًّا، وَلَا يَكُونُ نَافِعًا حَتَّى يَكُونَ مَحْفُوظًا مَدْرُوسًا، مُوْتَقًّا مُقْبُولًا، وَلَا يَلْتَزِقُ بِالْمَدْحِ،

(١) ما بين المعرفين من حاشية الأصل.

(٢) ورد هذا الفصل في البرصان والعرجان: ص ٢٠٢ - ٢٠٧، والدروبي: ص ٧٥ - ١٠٠.

وَلَا يَلْتَجِمُ بِالْمَذْكَورِ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُ مَوَافِقًا، وَبِهِ لَائِقًا، وَلَا يَكُونُ أَيْضًا تَامًا كَامِلًا، وَلِكُلِّ
خِصَالِ الْخَيْرِ جَامِعًا، حَتَّىٰ تَكُونَ مَنَاقِبُ الْمَدْحِ لِعُيُونِ النَّاسِ ظَاهِرَةً، وَخِصَالُ
الْمُصَوِّفِ لِعُقُولِهِمْ مُتَجَلِيَةً.

وَمَتَىٰ كَانَ فَضْلُ الْمَرْءِ مُسْتَنْبَطًا، وَمَعْنَىٰ كَرَمِهِ مُسْتَخْرَجًا، احْتَوِيلَ التَّوْبِيلُ فِيهِ،
وَجَازَ فِيهِ الْاِخْتِلَافُ/، وَغَرِقَ فِي الْخُصُومَةِ، وَاسْتَهْلَكْتُهُ الْمَجَادِبَاتُ^(١)، وَاحْتِيجَ فِي
شُهُودِهِ إِلَى الْمَسْأَلَةِ، وَفِي مُدْعِيهِ إِلَى نَفْيِ الطَّلَبَةِ. وَأَسْتُ وَاجِدًا ذَلِكَ إِلَّا فِيهِ، وَلَا قَادِرًا
عَلَيْهِ إِلَّا عِنْدَهُ؛ فَإِنَّ فَضْلَهُ قَدْ فَهَرَ الْمُعَانِدَ، وَغَمَرَ الْحَاسِدَ، وَاضْطَرَّ الْغَنِي إِلَى مَعْرِفَتِهِ،
وَالْبَكِيءُ^(٢) إِلَى حُسْنِ وَصْفِهِ.

كَانَ النَّابِتِيُّ يَذُمُّهُ، فَإِذَا ذُكِرَ ذَلِكَ الْخَارِجِي أَعَانَهُ، وَإِنْ فَوَّضَ إِلَى الرَّافِضِيِّ صَوَّبَ
رَأْيَهُ، وَإِنْ مَالَ إِلَى الْحَاسِدِ الْجَمَاعِيِّ يُبَايِعُهُ. فَلَمَّا أَوْسَعَهُمْ خَيْرًا، وَمَلَأَ صُدُورَهُمْ شُرُورًا،
وَعَمَّ الْأَفَاقَ نَفْعُهُ، وَشَاعَ فِي النَّاسِ رِفْدُهُ، وَصَارَ عَائِبُهُ لَا يَجِدُ مُسْتَمِعًا، وَالْمُسْتَمِيعُ لَا يَجِدُ
عَائِبًا، قَطَعَهُمُ الْيَأْسُ، وَأَمَاتَ خَوَاطِرَهُمْ ظُهُورُ الْفَضْلِ، وَصَارَ الذَّامُ مَادِحًا، وَالصَّامِتُ
نَاطِقًا، وَالسَّخِيطُ رَاضِيًا، وَالنَّاهِي دَاعِيًا، وَالَّذِي كَانَ يَحْسِدُهُ صَارَ يَغْبِطُهُ، وَالَّذِي كَانَ
يَعْدُو عَلَيْهِ [صَارَ]^(٣) يَعْدُو مَعَهُ، ثُمَّ صَارَ إِحْسَانُهُ عِلَّةَ حُبِّهِ، وَحُبُّهُ عِلَّةَ لَاسْتِحْسَانِهِ
قَوْلُهُ.

فَلَمَّا غَلَبَ الْحَقُّ وَظَهَرَ الْحُكْمُ، وَصَارَ الْبَاطِلُ مَسْتَوْرًا، وَلِسَانُ الْحَقِّ مَبْسُوطًا، لَمْ

(١) المجاذبات: المنازعات. (اللسان: جذب).

(٢) البكيء: هو الذي قلَّ كلامه خِلْقَةً (أي انقطع)، ويكنى الرجل: لم يصيب حاجته. (اللسان:
بكاء).

(٣) ما بين المعرفين زيادة يقتضيها السياق ساقطة من البرصان والعرجان والدروبي.

يَقَ عَلَى ظَهْرِهَا حَاطِبٌ مِصْقَعٌ، وَلَا شَاعِرٌ مُفْلِقٌ^(١)، وَلَا عَابِدٌ مُحِبٌّ^(٢)، وَلَا فَقِيهٌ مُقَدَّمٌ، وَلَا رَئِيسٌ مُقَدَّرٌ، وَلَا مُعَلِّمٌ / مُرْشِدٌ، وَلَا رَئِضٌ^(٣) مُسْتَرَشِدٌ، وَلَا بَكِيٌّ مُفْجِعٌ^(٤)، وَلَا حَاطِلٌ^(٥) مُهْدِرٌ، وَلَا جَاهِلٌ غَيْبِيٌّ، وَلَا عَاقِلٌ ذَكِّيٌّ، وَلَا خَاصِيٌّ وَلَا عَامِيٌّ، إِلَّا وَهُوَ مُقَرَّرٌ لِحَقِّهِ، نَاطِقٌ بِفَضْلِهِ، مُجْتَهِدٌ فِي وَصْفِهِ، مُرْتَعِبٌ إِلَى اللَّهِ فِي طَوْلِ بَقَائِهِ، وَدَوَامِ نِعْمَانِهِ.

وَكَيْفَ لَا يَعْدِلُ جَمِيعَ أَهْلِ عَصْرِهِ مَنْ هَذَا صِفَةٌ قَدْرِهِ، وَكَيْفَ لَا يَفِي بِالْجَمِيعِ مَنْ هَذَا أَتْرُهُ فِي الْجَمِيعِ، وَكَيْفَ لَا يَعْدِلُ جَمِيعَهُمْ، وَيَفِي بِأَكْثَرِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَى ظَهْرِهَا أَحَدٌ يَتَوَقَّعُ الْفَرَجَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِ، وَلَا يَسْتَرْحِقُ إِلَّا إِلَى ذِكْرِهِ، [وَلَا]^(٦) يَرْجُو النَّجْحَ إِلَّا عَلَى يَدَيْهِ، وَلَا يَفْرَعُ فِي الْمِهْمِ إِلَّا إِلَيْهِ، وَكَيْفَ وَلَيْسَ عَلَى ظَهْرِهَا يَدٌ بَاسِطَةٌ بِالْحَيْرِ إِلَّا يَدُهُ، وَلَا لِسَانٌ يُشِيرُ بِالْعُرْفِ إِلَّا لِسَانُهُ، وَلَا مَالٌ مَوْهُوبٌ إِلَّا مَالُهُ، وَلَا جَاءٌ مَبْدُولٌ إِلَّا جَاهُهُ.

وَقَدْ كَانَ الْجَوْدُ يَتَنَاقَسُ فِيهِ، وَالْمَعْرُوفُ يَتَسَابِقُ إِلَيْهِ، وَكَانَ التَّبَارِي لَهُمْ عَوْنًا، وَحُبُّ التَّغَالِبِ لَهُمْ رِفْدًا، وَشُكْرُ الرَّجَالِ لَهُمْ بَاعِثًا، وَخَوْفُ الدَّمِّ لَهُمْ رَادِعًا، وَمَأْثُورُ الْحَدِيثِ لَهُمْ زَاجِرًا، وَ^(٧) هُمْ الْيَوْمَ فِي زَمَانٍ قَدْ تَحَلَّى أَهْلُهُ مِنَ الْمُبَارَاةِ وَالتَّسَابِقِ إِلَيْهِ، بَلْ قَدْ زَهَدُوا فِيهِ، وَأَضْرَبُوا عَنْهُ، وَأَجْمَعُوا عَلَى تَرْكِهِ، وَتَوَاصَوْا / أَنْ يَسْمَعَ أُنَيْتَهُ، فَمَا قَالَ

(١) مفلق: مجيد، يجيء بالعجائب في شعره. (اللسان: فلق).

(٢) محبت: المتواضع والحاشع. (اللسان: حبت).

(٣) الرئض: الذي لا يحسن تدبيراً. (اللسان: روض).

(٤) مفجم: هو الذي يفحم خصمه، أما المفجم هو العتي. (اللسان: فحم).

(٥) حطل: كلام فاسد مضطرب. (اللسان: حطل).

(٦) ما بين المعرفين زيادة يقتضيها السياق ساقطة من البرصان والعرجان والدروبي.

(٧) من هنا ابتداء ما جاء في الدروبي ص ٧٦.

حَسَّ^(١)؛ حَتَّى ذَلَّوْهُ عَلَى مَوْضِعٍ نَصَلِ قَدْ كَانَ بَقِيَ فِي سَاقِهِ، فَلَمَّا وُضِعَ الدَّهْقُ^(٢) عَلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، أَنَّ أَيْنَ الْكِرَامِ.

وهو الذي قال في ابن الأَشتِثِ^(٣): «عَلَبَ عَلَى النَّصْرِ، فَغَلَبَ عَلَى الصَّبْرِ، خَرَجَ كَرِيًّا، وَقُتِلَ كَرِيًّا»^(٤).

وَنَظَرَ يَوْمًا الْحَرِيْشُ بِنُ هِلَالٍ^(٥) إِلَى وَادِ الْمُهَلَّبِ وَالِي سَدَاتِهِمْ فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ،

(١) حَسَّ: رأى. (اللَّسَان: حَسَس).

(٢) فِي الْأَصْلِ (الدَّهْن) وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَمَا أُثْبِتَ مِنَ الدَّرَوِيِّ ص ٧٦. الدَّهْقُ: خَشْبَتَانِ يُعَمَّزُ بِهِمَا السَّاقُ. (اللَّسَان: دَهَق).

(٣) ابن الأَشتِثِ: عبد الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّد بن الأَشتِثِ بن قَيْس الكَنْدِي، بعثه الحَجَّاجُ عَلَى سَجِسْتَانَ، فَتَارَ هُنَاكَ، وَقَاتَلَ الحَجَّاجَ فِيهِ وَقَعَةَ دَيْرِ الحِجَاكِمِ، تُوُفِّيَ سَنَةَ (٨٤ هـ). (انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ٣٧ / ٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥ / ١٩١، والذهبي، العبر: ١ / ٦٨، ١٤٩، والنووي، تهذيب الأسماء واللغات: ص ١٩٩ - ٢٠٠).

(٤) قال أحمد بن عمر بن رُسته في الأَعْلَاقِ النَّفِيسَةِ ص ٢٢٩: «أَعْرَقَ النَّاسُ فِي الْغَدْرِ عبد الرَّحْمَنِ ابن مُحَمَّد بن الأَشتِثِ بن قَيْس بن معدي كَرِبَ، غَدَرَ بِالحَجَّاجِ قَتْلًا غَادِرًا، وَجَاءَ فِي لَطَائِفِ المَعَارِفِ ص ٦٩-٧٠: تَحْتَ عِنْوَانِ «أَعْرَقَ النَّاسُ فِي الْغَدْرِ»: «عبد الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّد بن الأَشتِثِ بن قَيْس بن معدي كَرِبَ، فَإِنَّ عبد الرَّحْمَنِ غَدَرَ بِالحَجَّاجِ بن يُوْسُفَ لَمَّا وُلَاهُ البِلَادَ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ وَوَاقَعَهُ رُزْمًا ثَمَانِينَ وَقَعَةً، وَكَانَتْ أَخْرَاجَهَا بِدَائِرَةِ السُّوءِ عَلَيْهِ الَّتِي قَتَلَ فِيهَا» وَتَحَدَّثَ تَحْتَ العِنْوَانِ نَفْسَهُ عَنِ غَدْرِ وَالده وَجَدَه.

(٥) فِي الْأَصْلِ (الجريش بن هذيل)، وهو تحريف.

الجريش بن هلال: أبو قدامة، السعدي القريني، كان من فرسان بني تميم وسيد من ساداتها، فارس شجاع داهية، وشاعر فصيح، قاتل الخوارج إلى جانب المهلب، وله أيام بخراسان.

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ١ / ٧٢١، ابن حجر، الإصابة: ٢ / ١٧٧، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣ / ٣١٠، ٣١٥، وابن دريد، الانتشاق: ص ٢٥٧، والمبرد، نسب عدنان وقحطان: ص ٢٦).

فقال: «لولا شَفَقَةُ أيهم عليهم ما احتاج إلينا». وقال بعضُ الناس: «ما يخافُ آلُ المُهَلَّبِ إلا الله».

وهم قومٌ ليسَ في الأرضِ مثلهم، لم يقفْ مُهَلَّبِي قَطُّ إلا على زَرَادٍ^(١) أو وَرَاقٍ^(٢)، وبذلك أوصى المُهَلَّبُ، وجرت به العادة.

ولم تُرَ أُمَّةٌ قَطُّ من إمانهم في حوضِ كِإماءِ العَرَبِ عندنا، ولا غلاماً قَطُّ مع الصَّبيان. ولا قال مُهَلَّبِي قَطُّ: فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ، وأنا وأنا^(٣)، حتى إذا استوى على ظهْرِ قَرَسِه رأيتَ أمراً يَجَلَعُ القَلْبَ، وَيَجُوزُ الوَصْفَ^(٤)، ولم يُكَلِّمُوا مُنْهَزِماً، ولا زاروه^(٥)، ولا قَضُوا له حقاً، حتى يموتَ وَحِشَّةً وَكَمَدًا.

وليسَ في الأرضِ مع هذه الشَّدَّةِ والصَّرَامَةِ والشَّكِيمَةِ أحسنُ جِوازاً مِنْهُمْ، لم يَسألوا نازِلًا فيهِمْ «قَطُّ يَمُنُّ أنت؟»، إن كانَ عَرَبِيًّا أَمْسَكُوا عَن ذِكْرِ جَمِيعِ العَرَبِ، ما كانَ حاضِراً، مخافةً أن يسوءَه بعضُ ما يكونُ مِنْهُمْ. يتَواصَوْنَ بالصَّبْرِ، ويُدَرِّسُونَ أولادَهُمْ/ أشعارَ الحَرْبِ، ويُجِرونَ^(٦) على مَنْ يُعَلِّمُهُم الكِتَابَةَ، ويُعَلِّمُوهُمْ ما تَرَبَّأَتْ مِنْهُمْ، والأشعارَ التي قَبِلَتْ فيهِمْ، كما يُعَلِّمُوهُمْ الشَّهْدَ.

والبيوتاتُ [في الإسلام] ^(٧) ثلاثة ^(٨):

(١) زراد: صانع الزرد، وهي الحلق التي تصنع منها الدرع. (اللسان: زرد).

(٢) وراق: الذي حرفته الوراق، وهو الذي يورق ويكتب. (اللسان: ورق).

(٣) في الدروري ص ٧٦: ولا أنا وأنا.

(٤) في الدروري ص ٧٦: الصف.

(٥) في الدروري ص ٧٦: زاروه.

(٦) يجرون: يدفعون المال بانتظام. (اللسان: جري).

(٧) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٨) كانت العرب تعد البيوتات المشهورة بالكبر والشرف من القبائل؛ بعد بيت هاشم بن عبد مناف

في فريش ثلاثة بيوتات: بيت آل حذيفة بن بدر الفزاري: بيت قيس، وبيت آل زرارعة بن عدس =

بَيْتُ الْمَسَامِعَةِ^(١) فِي رَيْبَعَةِ^(٢)، ثُمَّ فِي بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ^(٤)، وَبَيْتُ مُسْلِمِ بْنِ عَمْرٍو^(٥) فِي قَيْسِ عَيْلَانَ^(٦).

= الدارميين: بيت تميم، وبيت آل ذي الجذيين ابن عبد الله بن همام: بيت شبيان، وبيت الدثيان من بني الحارث بن كعب: بيت اليمن، أما كندة فلا يُعدّون من أهل البيوتات، إنّما كانوا ملوكًا. (انظر: البغدادي، خزائن الأدب: ٦ / ٣٨٤، وابن رشيق، العمدة: ٢ / ٢٠٩).

(١) المسامعة: أبناء مسمع بن مالك، من بني عبّاد بن ضبعة بن قيس بن ثعلبة، من قبيلة بكر بن وائل. (انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٣٢٠، وابن حديد، جمهرة اللّغة: ص ٢٨٩، والمبرد، نسب عدنان وقحطان: ص ٢٣).

(٢) ربيعة: من أكبر قبائل العرب، جدّها ربيعة بن نزار، من العدنانية، نسله بنو أسد ووائل. (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢٩٢، وعمر رضا كحّالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ٢ / ٤٢٠).

(٣) ساقطة من الدروبي.

(٤) قيس بن ثعلبة: بطن عظيم من بكر بن وائل، من العدنانية، وهم بنو قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صععب بن علي بن بكر بن وائل، كانوا من أشهر قبائل العرب.

(انظر: ابن حديد، الاشتقاق: ص ٣١٢، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٣١٤).

(٥) مسلم بن عمرو: الباهلي، من قيس عيلان، سيد شجاع داهية فصيح، قائد عربي، والد القائد تقيّة بن مسلم الباهلي، كان من المقرّبين عند معاوية، وكان يقوم بسفاراته الخاصة، توفي فيها سنة (٧٢ هـ).

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٥ / ١٦٦، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣ / ٢٨٠-٢٨١، ٢٩٠).

(٦) قيس عيلان: ابن مضر بن نزار، من عدنان، جدّ جاهلي، بنوه قبائل كثيرة منها هوازن وخطفان وفهم وباهلة، قال رسول الله ﷺ رحم الله قيساً، فقيل: يا رسول الله ترحم على قيس؟ قال: نعم، إنّهُ كان على دين آيينا إسماعيل بن إبراهيم خليل الله، يا قيس حيّ يمناً، يا يمن حيّ قيساً، أنّ قيس فرسان الله في الأرض.

(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ١٠، ٢٤٣، والزركلي، الأعلام: ٥ / ٢٠٧).

ثُمَّ فِي بَاهِلَةَ^(١)، وَبَيْتُ الْمُهَلَّبِ فِي الْأَزْدِ^(٢)، ثُمَّ عَتَيْكَ^(٣). وَلَمْ يَبْلُغْ بَيْتُ الْجَارُودِ^(٤)، وَبَيْتُ بَنِي بَدْرِ^(٥) فِي الْإِسْلَامِ مَا بَلَغَتْهُ هَذِهِ الْبُيُوتِ، وَلَمْ تُكُنْ رِيًّا^(٦) مِثْلَ الْمُهَلَّبِ.

(١) باهلة: قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان، من العدنانية، وهم بنو سعد مائة بن مالك، كانوا يقطنون باليامة، ومن مشاهدتهم يوم جيلة.

(انظر: عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ١ / ٦٠، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢٤٥).

(٢) أزد: من أعظم قبائل العرب وأشهرها، تنسب إلى الأزد بن غوث بن نبت بن مالك بن كهلان، من القحطانية، ينقسمون إلى: أزد عُمان وأزد السراة وأزد شنوءة، ومن نسلهم قبائل غسان وخزاعة وأسلم والأوس والخزرج.

(انظر: عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ١ / ١٥، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٣٣٠).

(٣) عتيك: من أبناء الأزد ابن عمران بن عمرو، من أزد بن غوث، ومن بطون العتيك: آل المهلب، وآل بُغَامِ بْنِ الْحَارِثِ. (انظر: ابن دريد، الاشتقاق: ص ١٣٧، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٣٦٧، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣ / ٣٧٥).

(٤) الجارود: أبو غياث، بشر بن محمود بن حنش بن المعلّ، سيد بني عبد القيس، من أسد ربيعة، وفد على الرسول وأسلم، وصارت له مكانة عالية في صدر الإسلام، سكن البصرة، وتوفي سنة (٢٠هـ).

(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢٩٦).

(٥) بدر: بطن من فزارة من قيس عيلان، من العدنانية كانت فيهم رئاسة بني فزارة في الجاهلية، يرأسون جميع غطفان، وتدين لهم قيس، ومنهم بنو حليفة ومالك وعوف.

(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢٥٦، وعمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ١ / ٦٨).

(٦) ساقطة من الدروبي.

وكانَ قَيْسُ بنُ عاصِمٍ ^(١) أَعْدَرَ النَّاسِ ^(٢)، وَأَبْخَلَهُمْ، أَسْرَهُ عَبَّادُ بنُ مَرثِدِ بنِ عمرو بنِ مرثدٍ ^(٣)، وَسَمَى أُمَّهُ يَوْمَ أَبْرَقَ الكِبْرِيتَ ^(٤)، فَمَنْ عَلَيْهِمْ وَرَثَتُهُمْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ، فَأَحْقَرَهُمْ ^(٥) وَلَمْ يَشْكُرْ يَدَهُ، وَكَانَ يُسَمَّى الكَذَّابَ ^(٦).

(١) قيس بن عاصم: أبو علي، ابن سنان المقرئ، أحد أمراء العرب، سيد بني تميم، كان فارساً شجاعاً وشاعراً واشتهر وساد في الجاهلية، وهو ممن حرّم الخمر على نفسه، أدرك الإسلام وأسلم، صحب النبي وعتّم بعده، استعمله النبي على صدقات قومه، نزل البصرة أواخر أيامه، يضرب به المثل في الحلم، له أخبار كثيرة في الحلم والمروءة، توفي سنة (٢٠ هـ).
(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٤ / ٤١١، وابن حجر الأصباه: ص ٤٨٣، والأصفهاني، الأغاني: ١٤ / ٣١٠)

(٢) يقال في المثل «أعدر من قيس بن عاصم».

(انظر: الميداني، مجمع الأمثال: ٢ / ٤٢٩، والزحشري، المستقصى في الأمثال: ١ / ٢٥٩، والعسكري، جمهرة الأمثال: ٢ / ٨٧، وحزرة الأصفهاني، الدرّة الفاخرة: ص ١٨٦).

(٣) ذُكر في نسب عدنان وقحطان: رهب المرائد، وهم آل مرثد، ومنهم عبادة بن مرثد بن عمرو بن مرثد، وهو زوج أخت طرفة، أسره قيس بن عاصم وسمى أمه وأخته يوم أبرق الكبريت، ثم من عليهم فأطلقهم بغير فداء.

(انظر: ابن حزم، جمهرة رسائل العرب: ص ٣٢٠، والمبرد، نسب عدنان وقحطان: ص ٢٦، والأصفهاني، الأغاني: ١٤ / ٣١٢).

(٤) في الأصل (الكثيب) وهو تصحيف.

أبرق الكبريت: موضع كان به يوم من أيام العرب. (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٦٩ / ١).

(٥) في الدررهيّ ص ٧٦: فاحقره.

أخضرهم: منعهم وأجارهم. (اللسان: خفر).

(٦) يقال في المثل «أكذب من قيس بن عاصم».

(انظر: الميداني، مجمع الأمثال: ٢ / ١٦٩، والزحشري، المستقصى في الأمثال: ١ / ٢٩٣، والأصفهاني، الأغاني: ١٤ / ٣١٣، والعسكري، جمهرة الأمثال: ٣ / ٧٢، وحزرة الأصفهاني، الدرّة الفاخرة: ص ٢٠٦).

وفي ذلك يقول زيد الخيل^(١):

فلست بوقاف^(٢) إذا الخيل أحجمت ولست بكذاب كقيس بن عاصم^(٣)

وكان أيضاً يُلقَّب العرّ^(٤)، وكان يُقال له من البدع^(٥)، والبدع المتلَطِّخُ بخثرته.
وغدَرَ بجارٍ له. وجاورَه ليتعزَّزَ خاز^(٦)، فأقبلَ يضربُه، وشربَ كحمره، وقد سكير، وهو
يقول^(٧):

وتاجر فاجرٍ جاءَ الإلهُ به كأنَّ عُثونَه^(٨) أذنانُ أجمال^(٩)

(١) زيد الخيل: أبو مُكَنَّف، ابن مهلهل بن زيد بن منهب، من طيء، جاهلي مخضرم، أدرك الإسلام وأسلم، وحسن إسلامه، أثنى عليه رسول الله وسماه زيد الخير، كان شاعراً محسناً، خطيباً لساناً، شجاعاً، كان موصوفاً بالكرم، وله مهاجاة مع كعب بن زهير.

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢ / ٣٧٦، ابن حجر، الإصابة: ٢ / ٥١٣، وابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ١٧٤، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢٢١، ٤٠٣، والبغدادي، خزنة الأدب: ٥ / ٣٨٠، وابن عساکر، تهذيب تاريخ دمشق: ٦ / ٣٦).

(٢) في مجمع الأمثال ٣ / ٧٢: بزّار.

(٣) ورد البيت في مجمع الأمثال: ٣ / ٧٢، وجمهرة الأمثال: ٢ / ١٧٤، والمستقصى في الأمثال: ١ / ٢٩٣، والأغاني: ١٤ / ٣١٣.

(٤) في الدروريّ ص ٧٩: الغر.

العر: الأجر. (اللسان: عرر).

(٥) في الأصل (البدع) وهو تصحيف. وما أثبت من الدروريّ ص ٧٩.

(٦) في الدروريّ ص ٧٩: ليتقدر.

(٧) هو قيس بن عاصم.

(٨) عُثونُه: ما نبت على الذقن وأسفله من الشعر. (اللسان: عثن).

(٩) ورد البيت في جمهرة الأمثال: ٢ / ٨٧، ومجمع الأمثال: ٢ / ٦٥، والكمال للمبرد (تحقيق عبد الحميد الهنداوي): ٢ / ١٩٧، والذرة الفاخرة: ص ١٨٦، والعقد القريد: ٦ / ٣٤٦، والمستقصى في الأمثال: ١ / ٢٥٩، وابن قتيبة، الأشربة: ص ٢٥، والأغاني: ١٤ / ٣٠٣، ٣١٠.

وَسَكِرَ فَوَتَّبَ عَلَىٰ ابْنَتِهِ فَافْتَضَّهَا^(١)، فَلَمَّا أَصْبَحَ آلا الْأَيْشَرَبِ^(٢) الْحَمْرُ^(٣)، فَتَعَىٰ
عَلَيْهِ ذَلِكَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ^(٤)، فَقَالَ / :

مَجْوسِيَّةٌ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ^(٥) وَيَتَهَيَّي
إِلَىٰ بِنْتِ قَيْسِ عَدْرَاهَا وَفُجُورِهَا^(٦)

وهذا الشعر مثل قول أوس بن حجر:

والفارسيَّةُ فيهم غير مُنْكَرِه
فكُلُّهُمُ لِأَيِّهِ ضَمِيرٌ سَلِفٌ^(٧)

(١) انظر الخبر في البداية والنهاية: ٨ / ٣٩٩، والأشربة لابن قتيبة: ص ٢٥ - ٢٦، والأغاني: ١٤ / ٣٠٣ - ٣٠٩.

(٢) في الدروري ص ٨٠: آلى أن لا يشرب.

(٣) في أمالي القاضي: ١ / ٢٩٤ «وقيس بن عاصم ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية».

(٤) مالك بن نويرة: أبو حنظلة، ابن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع، كان فارساً شاعراً، من أرداف الملوك في الجاهلية، وكانت به خيلاء، أدرك الإسلام وأسلم، وولاه الرسول على صدقات قومه بني يربوع، ولما صارت الخلافة إلى أبي بكر اضطرب مالك في أموال الصدقات وقرتها، وارتد عن الإسلام، فتوجه إليه خالد بن الوليد وقبض عليه وقتله في حروب الردة سنة (١٢هـ).
(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٥ / ٤٨، وابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ٢٣٢، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ١٩٣، ٢٢٤، والمرزباني، معجم الشعراء: ص ٢٥٩، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٦ / ١٣، والأصفهاني، الأغاني: ١٥ / ١٩٩).

(٥) سعد بن زيد: مائة بني تميم، ولد على عهد الرسول، وروى عن عمر بن الخطاب، وتوفي آخر أيام عبد الملك بن مروان. (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢ / ٤٣٧، ابن حجر، الإصابة: ٣ / ٥٢، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢٠٧، ٢١٣).

(٦) ورد البيت في الأنوار والمحاسن: ١ / ٩٥.

(٧) الضيزن: الذي يزاحم أباه في امرأته، الفارسية: عنى بها الملة الفارسية (المجوسية)، السلف: الرجالن يتزوجان الأختين.

ورد البيت في ديوان أوس بن حجر: ص ٧٥، والبيان والتبيين: ٣ / ١٦١، والبطلوسي، =

وقال أبو عبيدة: قال قيس بن عاصم: «وأدت بتاً في الجاهلية، فلكاتني أسمع صوتها يابه يابه»^(١). وأراد أن يند بتاً له أخرى فأخذها منه جد الفرزدق صعصعة بن ناجية^(٢).

ورَووا أنه ارتدَّ عن الإسلام^(٣)، وكان على الصدقات^(٤)، فعمد إلى ما قبض فقسَّمه في الرِّدَّة بين بني منقر، وكان يَجو أبا بكر وعمرَ والمهاجرين والأنصار لرضي الله عنهم، فقال^(٥):

حَبَوْتُ بِمَا صَدَّقْتُ فِي الْعَامِ مِتْقَرًا وَأَيَّاسْتُ مِنْهَا كُلَّ أَطْلَسَ طَامِعٍ^(٦)

= الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: ٣/ ٢٣٣، وجمهرة اللغة: ٣/ ٤ مادة ضزن، ومقاييس اللغة: ٣/ ٤٠٠، وتاج العروس: مادة ضزن، والصحاح: مادة ضزن، واللسان: مادة ضزن.

(١) انظر خبر وأده لابته في الأغاني: ١٤ / ٣٠٠.

(٢) صعصعة بن ناجية: ابن عقال بن سفيان بن مجاشع، من تميم، من الأشراف في الجاهلية والإسلام، وفد على النبي ﷺ وأسلم، وصار صحابياً، كان يشتري البنت ممن يريد وأدها، فأحياساً وتسمين مؤرودة إلى زمن النبي، توفي بعد (٩هـ)، وهو جد الفرزدق وفيه قال:

وجدي الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد، فلم يواد

(انظر: ابن حجر، الإصابة: ٣/ ٣٤٧، والمزي، تهذيب الكمال: ١٣ / ١٧٥، والبغدادي، خزنة الأدب: ٩/ ١١٦، والصفدي، الوافي بالوفيات: ١٦/ ١٧٩، والأصفهاني، الأغاني: ٢١/ ١٨٣).

(٣) انظر خبر ارتداده عن الإسلام وإيائه بسجاح في الأغاني: ١٤ / ٣١٢.

(٤) ولي قيس بن عاصم صدقات بني معاص. (انظر: الأصفهاني، الأغاني: ١٤ / ٣٠٤).

(٥) ما بين المعقوفين من الدرر ص ٨١.

(٦) أطلس طامع: الذئب الأمعط. (اللسان: طلس).

ورد البيت في مجمع الأمثال: ٢/ ٦٦، والذرة الفاخرة: ص ١٨٦، والمستضي في الأمثال: ١/ ٢٥٩،

وجمهرة الأمثال: ٢/ ٨٧، والأغاني: ١٤ / ٣٠٤.

ولما تَنَبَّات سَجَاحُ الْيَرْبُوعِيَّةِ^(١)؛ آمَنَ بِهَا قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ، وَخَرَجَ مَعَهَا إِلَى الْيَمَامَةِ^(٢)، إِلَى مُسَيْلِمَةَ^(٣)، فَأَمَّنَ بِهِ أَيْضًا، وَصَدَّقَهُ، وَكَانَ مِنْ شَهِدِ نِكَاحِ مُسَيْلِمَةَ بِسَجَاحِ^(٤).

وَتَزَعُمُ تَمِيمٌ، مَعَ هَذَا كُلَّهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَمَّا رَأَى قَيْسًا: «هَذَا سَيِّدُ أَهْلِ الْوَبَرِ»^(٥). فَإِنْ كَانُوا قَدْ صَدَّقُوا عَلَى قَيْسٍ، وَصَدَّقُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ^(٦) فِيهِ، فَهُمْ شَرُّ

(١) سجاح: أم صادر، بنت أوس بن حريز بن أسامة بن العنبر بن يربوع، التميمية، كانت شاعرة أدبية، عارفة بالأخبار، رقيقة الشأن في قومها، تزوجها مسيلمة الكذاب، وتنبأت معه، وعادت بعد قتله إلى الإسلام وحسن إسلامها، وعاشت إلى خلافة معاوية.
(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢٢٦، وابن قتيبة، المعارف: ص ٤٠٥، والزركلي، الأعلام: ٣ / ٧٨).

(٢) اليمامة: مدينة في الرياض، فتحها خالد بن الوليد وقتل مسيلمة الكذاب سنة (١٢هـ) وكانت تسمى قديمًا جَوًّا، وهي من أحسن بلاد الله أرضًا، وأكبرها خيرًا وشجرًا ونخلًا.
(انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٥ / ٤٤٢، والبلاذري، فتوح البلدان: ص ٩٧).
(٣) في الأصل (مسيلة) وهو تصحيف.

مسيلمة: أبو ثمامة، مسيلمة بن حبيب الحنفي، من أهل اليمامة، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة، وصنع أسجاعاً عارض فيها القرآن بزعمه، وقد قوي باليمامة بعد وفاة الرسول، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد في جيش لمقارعتة، فانتصر جيش المسلمين وقتل مسيلمة وأتباعه.
(انظر: الياقيني، مرآة الجنان: ١ / ٩٦، وابن قتيبة، المعارف: ص ٤٠٥).

(٤) انظر خبر تنبؤ سجاح ومسيلمة وارتدادهم عن الإسلام وزواجها في (التبئية والإشراف ص ٢٤٨، وابن أعمش الكوفي، كتاب الفتوح: ١ / ٢٧).

(٥) انظر تسمية قيس بن عاصم بسيد أهل الوبر.
(الجاحظ، البيان والتبيين: ٢ / ٢٣، وابن كثير، البداية والنهاية: ٨ / ٣٩٩، ونشوان الحميري، الحور العين: ص ١١٦، والحصري، زهر الآداب: ١ / ٩، والأصفهاني، الأغاني: ١٤ / ٣٠٣).
(٦) في التروبي ص ٨٢: الكلام.

الأشرار، إذ كَانَ قَيْسٌ شَرَّ الْخَلْقِ؛ إذ كَانَ مِنْ صِفَاتِهِ: الْكُذْبُ وَالْعَدْرُ وَاللُّؤْمُ وَالْفُجُورُ وَالسَّفَهَ، فإِذَا كَانَ قَيْسٌ شَرَّ الْخَلْقِ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَنْ قَيْسٌ سَيِّدُهُ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ^(١)، قَدْ قَالَ مَا حَكَوْا؟

وَكَانَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ^(٢) رَجُلًا مَا لَوْ عَدَدْتَهُ لَكَ مِنَ الطَّيِّسِ وَالسُّخْفِ، وَاللَّفْظِ الْفَاحِشِ، وَاللَّفْظِ الْقَبِيحِ السَّاقِطِ، ثُمَّ كَتَبَتْهُ وَجَمَعَتْهُ، ثُمَّ قَرَأَتْهُ مَنْظُومًا مَجْمُوعًا، يُجَيِّلُ إِلَيْكَ أَنَّهُ كَانَ سَفِيهَاً، فَضْلًا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوْسَاطِ النَّاسِ.

وَأَدَعَتْ تَمِيمٌ^(٣) أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ السَّلَامَةَ، وَيَكْرَهُ الْفِتْنَةَ، وَالَّذِي ظَهَرَ لِلْعُمَيَّوْنَ مِنْ أَمْرِهِ، وَجَيَّلَى لِأَهْلِ الرَّأْيِ، وَالَّذِي يَقْضِي بِهِ الْعَاقِلَ، يَنْدُلُّ عَلَى الْوَهْنِ وَالْعَجْزِ، وَعَلَى الْحَقُوفِ وَالِاسْتِسْلَامِ. وَكَيْفَ لَهُمْ أَنْ يَصِفُوا الْأَحْنَفَ بِالْوَرَعِ وَالتَّوْقِي، وَالْأَحْنَفُ رَأْسُ كُلِّ فِتْنَةٍ، وَقَائِدُ كُلِّ ضَلَالَةٍ.

فَهَلَا تَوَرَّعَ عَنِ الْإِعْرَاءِ بِالزُّبَيْرِ^(٤)، حَتَّى قَتَلَهُ مَنْ قَتَلَهُ^(٥)، بِسَبَبِ كَلَامِهِ وَتَهَجِيئِهِ،

(١) ساقطة من الدرر.

(٢) الأحنف بن قيس: أبو بحر، الضحاك، وقيل صخر، بن معاوية بن حصين، الأمير العالم، كان سيّد تميم، أسلم في حياة النبي، كان ثقة مأموناً، مات في إمرة مصعب بن الزبير على العراق، سنة (٦٧هـ) وقيل (٧٢هـ).

(انظر: ابن العماد، شذرات الذهب: ٥ / ١١٩، وابن الأثير، أسد الغابة: ١ / ١٧٨، ابن حجر، الإصابة: ١ / ٣٣١، والذهبي، العبر: ١ / ٥٨، وابن عساکر، تهذيب تاريخ دمشق: ٧ / ١٣-٢٧).

(٣) في الدرر ص ٨٣: قيس.

(٤) الزبير: أبو عبد الله، الزبير بن العوام، حواري الرسول وابن عمته، أحد الستة أهل الشورى، أحد المبشرين بالجنة، وأول من سل سيفه في سبيل الله، قتله ابن جرهم سنة (٣٦هـ).

(انظر: ابن حجر، الإصابة: ٢ / ٤٥٧، وابن العماد، شذرات الذهب: ١ / ٧٣، والذهبي، العبر: ١ / ٢٧، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٦).

(٥) قتله عمرو بن جرهم. خبر قتل الزبير في تاريخ الأمم والملوك: ٢ / ٥٧٧، والأخبار الطوال: ص ٢١٣، والفتوح: ٢ / ٤٧١، ومراة الجنان: ١ / ١٣١-١٣٢.

وعلى أنه لم يُغْرَبْ به إلا وهو ماضٍ إلى أهله، تاركٌ لأعدائه. وإنَّ في انقطاعه إلى مُصْعَب، وعونه له، وفي تَرْكِهِ مَعُونَةً عَلَيَّ، وفي تَبْطُّطِهِ عن طَلْحَةَ^(١) والزُّبَيْرِ وعائِشَةَ، دَلِيلٌ على أنه لم يَكُنْ صَاحِبَ دِينٍ.

ولو كَانَ صَاحِبَ وَرَعٍ وَنَظَرٍ لَاعْتَقَدَ رَأْيَهُ على النَّاسِ يَوْمَ الْأَزَارِقَةِ^(٢)، وَلَمْ يَتَمَشَّ إلى المَهْلَبِ يَسْأَلُهُ ذلكَ، بل إذا كَانَ يَوْمَ هَيْجٍ^(٣) وَعَصَبِيَّةٍ، وَحَرْبٍ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ رَئِيسٌ مَتَّبِعٌ، وَإِذَا كَانَ دِفَاعٌ عَنِ الحُرْمَةِ والحَرِيمِ، وَحَرْبٌ هُدًى، فَهُوَ تَابِعٌ مَعْمُورٌ.

وهو الذي نَمِيَ في قَوْمِهِ^(٤) ليعينَ / عُثْمَانَ وَيَنْصُرَهُ، ثُمَّ أَطَاعَ عائِشَةَ، وَتَرَكَ رَأْيَهُ والَّذِي قَدِمَ لَهُ، وَفَارَقَ عَلِيًّا، بَعْدَ أَنْ عَدَرَ بِطَلْحَةَ والزُّبَيْرِ، وَبَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمَا صَفْقَتَهُ، خَذَلَهَا وَعائِشَةَ، وَهَمَّ جِرَائُهُ، وَفِي مِصْرِهِ وَحَرِيمِهِ. وَكَانَ إِيَّاسُ بْنُ الجَوْنِ^(٥) يَحْلِفُ بِاللَّهِ وَبِالْعِتْقِ لَمَّا قَتَلَ الزُّبَيْرَ غَيْرُهُ.

(١) طلحة: أبو محمد، طلحة بن عبيد الله بن عثمان التميمي القرشي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، ويقال له: طلحة الجود، وطلحة الخير، وطلحة الفياض، وكل ذلك لقبه به رسول الله، شهد أحداً وثبت مع رسول الله وشهد الخندق، قتل سنة (٣٧هـ) ودفن بالبصرة. (انظر: الذَّهَبِيُّ، سير أعلام النبلاء: ٣ / ١٥، والذَّهَبِيُّ، العبر: ١ / ٣٧).

(٢) يوم الأزارقة: هو اليوم الذي هزم فيه المهلب أتباع نافع بن الأزرق الحنفي، وشتتهم في وقعة دولاب بالأهواز سنة (٦٥هـ).

(انظر: ابن أعمش الكوفي، الفتح: ٧ / ١٧ - ٢٨ / ٥ / ١٧٧).

(٣) يوم هيج: يوم إثارة للقتال والشر. (اللسان هيج).

(٤) نمي في قومه: ارتفع شأنه. (اللسان: نمي).

(٥) إِيَّاسُ بْنُ الجَوْنِ: ابن قتادة العبشمي، انحاز والده للزبير بن العوام.

(انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٣ / ٤١).

وكانَ يَرى التَّحَكِيمَ، وعلَى ذلك قَدِمَ البَصْرَةَ معِ مِسرَ بنِ فَذَكِي^(١) وَسَعِيدِ بنِ قَيْسِ الهَمْدَانِي^(٢)، أَحِي المَهَلْبِ لأمه. وقد كانَ يَطْعَنُ علَى الحَكَمَيْنِ، وأبَى أَنْ يُسَوِّدَ اسْمَهُ. وقالَ في مَجْلِسِهِ، وَذَكَرَ قَطْرِيًّا^(٣): «إنَّه^(٤) أبا نَعَامَةَ^(٥)، إنْ رَكِبَ بَنَاتِ شَحَاحِ^(٦)، وَبَنَاتِ أَعْوَجِ^(٧)، وَتَعَشَى بِأَرْضِ، وَتَعَدَى بِأُخْرَى، طَالَ أمرُهُ؛ لِيَبْلُغَ ذلكَ الرَّاْيُ قَطْرِيًّا فَيَسْتَعْمِلَهُ.

(١) مسر بن فذكي: ابن أعبد بن أسعد بن منقر التميمي، كان في عسكر علي، كان أبوه فارس بن سعد في الجاهلية.

(انظر: الذهبي، العبر: ١/ ٣٢، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ١١٦، ونصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص ٥٦٠، ٥٧٢، ٥٨٨).

(٢) في الأصل (الحدادي) وهو تصحيف.

سعيد بن قيس الهمداني: ابن زيد بن حرب، من همدان، فارس من الذهاة الأجواد، من سلالة ملوك همدان، كان خاصاً للإمام علي بن أبي طالب، وكان إليه أمر همدان بالعراق، توفي سنة (٥٥٠هـ).

(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٤٣٦، والزركلي، الأعلام: ٣/ ١٠٠).

(٣) قطري بن الفجاءة: جموعة بن مازي التميمي المازني، أحد زعماء الخوارج وخطبائهم، كانت له كتيبان: كنية في السلم هي أبو محمد، وكنية في الحرب هي أبو نعام، له خطبة طويلة مشهورة، البطل المشهور، حارب الحجاج نيف عشرة سنة، إلى أن حاربه سفيان بن الأبرد وانتصر عليه وقتله سنة (٧٩هـ)، وحمل رأسه إلى الحجاج.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ٢٣٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٦٧، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/ ٩٣).

(٤) في الدروري ص ٨٥: إيه، إن.

(٥) كنية قطري بن الفجاءة.

(٦) بنات شحاح: البقال. (انظر: ابن الأثير، المصنع: ص ٢١٤، واللسان: شحج).

(٧) بنات أعوج: الخيول، وهي فرس مشهورة لكندة، ويقال لها أيضاً بنات صهال. (اللسان: عوج).

فإن كانَ إنَّها قالَ ذلكَ لأنَّه كانَ خارجياً أزرقياً، مثلَ قَطْرِي، فهذا. وإن كانَ إنَّها أرادَ أن يَكِيدَ المُهَلَّبَ حَسَداً وَبَغياً، وعامَّةَ جُنْدِه، وأصحابه وَبَنِي عَمِّه، فهذا عَجيب!

وقال لامرأةٍ مِنْ قَوْمِه أَنْتِ بِمِجْمَرَةٍ^(١)، وقالت: «ضَع هذه نَحْتَكَ»، حينَ أَبْطأ عَن مُناهِضَةِ الأزد؛ لِتَوَيْخِه بِذلك: «اسْتُ المِراة أَحَقُّ بِالْمِجْمَرَةِ».

وَبَرَّرَ لِمِلاطِمَةَ^(٢) زَيْدِ بْنِ جَبَلَةَ^(٣)، فقِيلَ له في ذلك، فقال: «ذلكَ لآتي قد عَلِمْتُ حِيلَه»، فكانَ عُدْرُه أَعْجَبَ مِنْ فِعْلِه.

وقالَ لِلْحُتَاتِ^(٤) وهو يَنازِعُه: «أَتَكَلَّمُنِي يا أَدْر^(٥)»، فَكَشَفَ الحُتَاتُ عَن رُؤْيِه ثُمَّ قالَ: «أَسأَلُكُمْ إلا نَظَرْتُمْ؛ لِتَعْرِفُوا كَذِبَه، كما سَمِعْتُمْ سَفَهَه».

(١) المِجْمَرَةُ: التي يوضع فيها الجمر مع الذُّخْنَة وقد اجتمعا بها. (اللِّسان: حجر).

(٢) المِلاطِمَةُ: ضرب الخد باليد. (اللِّسان: لطم).

(٣) زيد بن جبلة: ابن زيد بن رؤاس التميمي كان شريفاً في قومه، وكان فصيحاً حكيماً ذاهية، قال عنه الأحنف بن قيس: «كان يعلمنا في الجاهلية المروءة»، من سادات العرب في الجاهلية، وأعيان البصرة في الإسلام، من زعماء الوفود عند عمر بن الخطاب، وقد وفد على معاوية في الشام، اختاره عبد الله بن عامر والياً على شرطة البصرة فأبى.
(انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١ / ٣٥١).

(٤) الحُتَات: ابن يزيد بن علقمة التميمي المجاشعي، أحد سادات تميم في الجاهلية والإسلام، وفد على الرسول في وفد تميم، أخى الرسول بينه وبين معاوية، فمات في خلافته فورثه بالأخوة، ووفد على معاوية.

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ١ / ٦٨٧، ابن حجر، الإصابة: ٢ / ٢٥، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢٣١، وابن دريد، الاشتقاق: ص ٢٤١).

(٥) الأدرَة: فتق في إحدى الخصيتين. (اللِّسان: أدر).

فَقَالَ غِيلَانُ بْنُ خَرَشَةَ الصَّبِيِّ^(١): «أَمَا^(٢) تَرَىٰ بِأَسَاءٍ؟» فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ: «مَا لَكُمْ لَعَنَكُمْ اللَّهُ، كُلُّ^(٣) فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَتَبَاعُ فِي الْإِسْلَامِ»، يَعْنِي ضَبَّةَ^(٤) لَبْنِي تَمِيمٍ.
 وَقَالَ لَامِرَاتِهِ: «أَنْتِ طَالِقٌ عَدَدَ النُّجُومِ». وَقِيلَ لَهُ فِي زِيرَاءَ^(٥) جَارِيَتِهِ، وَكَانَ لَا يَزِي^(٦) بِهَا شَيْئًا، وَكَانَ يُطِيعُهَا، وَمِنْ أَجْلِهَا قَالَ النَّاسُ: «هَاجَتِ زِيرَاءُ»، فَقَالَ: «كَيْفَ لَا أُطِيعُ مَنْ لِي إِلَيْهِ كُلُّ يَوْمٍ حَاجَةٌ؟»
 وَوَضَعَ رَجُلٌ نَاسًا^(٧) مِنْ السُّقْمَاءِ أَنْ يَلْطِمَ سَيِّدَ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَتَى الْأَحْنَفَ فَلَطَمَهُ،

(١) غيلان بن خرشة: ابن عمرو ضرار الصَّبِيِّ، سيد بني ضَبَّةَ بالبصرة، كان من البلغاء، وكان أحد أصحاب أبي موسى الأشعري، سكن البصرة، وكان ممن آمن بسجاح اليربوعية وصدقها.
 (انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢٠٤، وابن دريد، الاشتقاق: ص ١٩٤، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٢٧١، ٦٠٤).

(٢) في الأصل (ما نرى) وهو تصحيف.

(٣) كَلٌّ: الكَلْلُ هو الرَّجُلُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ. (اللِّسَانُ: كَلَل).

(٤) ضَبَّةٌ: من العدنانية، بنو ضَبَّةَ بن أد بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانت منازلهم بجوار بني تميم.

(انظر: عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ٢/ ٦٦١).

(٥) في الدروري ص ٨٨: زيراء.

زيراء: جارية الأحنف بن قيس، وكان لها مطيعًا، وكان إذا أراد حربًا قال الناس «قد غضبت زيراء».

(انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار: ٢/ ٧٥، وابن قتيبة، المعارف: ص ٤٢٤، وابن نباتة، سرح العيون: ص ١٠٦).

(٦) يزي: يقابل أويساوي. (اللِّسَانُ: وَزِي).

(٧) ساقطة من الدروري.

واضع: اتفق في أمر ما. (اللِّسَانُ: وَضِع).

فَلَمَّا فَعَلَ قَالَ لَهُ: «لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا، إِنَّمَا وَاضَعُوكَ عَلَى أَنْ تَلَطِّمَ سَيِّدَ بَنِي تَمِيمٍ، وَهُوَ جَارِيَةٌ ابْنُ قُدَامَةَ»^(١)، فَأَتَاهُ الرَّجُلُ فَلَطَّمَهُ، فَأَخَذَهُ جَارِيَةٌ فَقَطَّعَ يَدَهُ، وَذَلِكَ كَانَ أَرَادَ.

وَكَانَ فِيمَنْ زَفَّ سَجَاحَ إِلَى مُسَيْلَمَةَ. وَحَسَدَ ابْنُ إِبَاسِ بْنِ قَتَادَةَ^(٢) لِقِيَامِهِ بِالْحِمَاةِ^(٣)، وَأَرَادَ أَنْ يُجَوِّهَا إِلَيْهِ، وَكَانَ هَوَىٰ دَخَلَهُ فِيهَا، حَتَّىٰ هَجَاهُ إِبَاسٌ هِجَاءً كَثِيرًا.

كَانَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ مِنَ الْأَشْرَافِ، وَمِنَ السَّادَةِ، مِمَّنْ قَدَّمَتَهُ الْعَشَائِرُ طَوْعًا، وَرَأْسَتَهُ الْحُقَفَاءُ اخْتِيَارًا، وَيَحْفَظُ النَّاسُ كَلَامَهُ، [وَدَوَّنُوا أَلْفَاظَهُ، وَاقْتَبَسُوا عِلْمَهُ]^(٤) وَصَرَّبُوا بِهِ الْمَثَلَ، وَأَفْسَوْا ذِكْرَهُ بِالْحِلْمِ^(٥).

^(٦) وَفِي طَوْلٍ مَا مَدَّحَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَةَ الصَّالِحِينَ مِنَ الْأَسْمَاءِ^(٧) الْكَرِيمَةِ، وَوَصَفَهُمْ

(١) جارية بن قدامة: ابن زهير بن الحصين بن زراح بن أبي سعد بن ربيعة بن محرق، من سادات تميم في الجاهلية والإسلام.

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ١ / ٥٠٢، ابن حجر، الإصابة: ١ / ٥٥٥، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢٢١، وابن دريد، الاشتقاق: ص ٢٥٣، والثعالبي، نوار القلوب: ص ١٦٢).

(٢) إياس بن قَتَادَةَ: ابن أوفى بن عتبة بن عميرة بن عبشمس المجاشعي، ابن أخت الأحنف، وهو الذي حمل دِيَاتَ الْأَزْدِ أَيَّامَ حَرْبِ مَسْعُودَ وَعَبْدَةَ بْنِ الطَّيِّبِ، كَانَ عَلَىٰ شَرْطَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ أَيَّامَ قِيَامِهِ بِالْبَصْرَةِ، ثُمَّ صَارَ مِنْ صَحَابَةِ الْمَنْصُورِ، كَانَتْ تَرْبِطُهُ بِخَالِهِ الْأَحْنَفِ عِلَاقَةً سَيِّئَةً، اعْتَزَلَ النَّاسُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ.

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ١ / ٣٤٠، ابن حجر، الإصابة: ١ / ٣١٣، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢١٥).

(٣) الحِمَاةُ: الدِّيَّةُ وَالْغَرَامَةُ الَّتِي يَدْفَعُهَا قَوْمٌ عَنِ قَوْمٍ. (اللِّسَانُ: حَمَلٌ).

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْتَقِينَ مِنَ الْبَرْصَانِ وَالْعَرَجَانِ ص ٢٠٢، وَالدَّرَوِيِّ: ص ٨٨.

(٥) فِي الْأَصْلِ (بِالْعِلْمِ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَمَا أَثْبَتَ مِنَ الدَّرَوِيِّ ص ٨٨.

(٦) قَوْلُهُ «وَفِي طَوْلٍ مَا مَدَّحَ اللَّهُ...» ابْتِدَاءً مَا جَاءَ فِي الْبَرْصَانِ وَالْعَرَجَانِ.

(٧) فِي الْبَرْصَانِ وَالْعَرَجَانِ ص ٢٠٢: بِالْأَسْمَاءِ.

به من الخِصالِ الشَّرِيفَةِ^(١)، لَمْ يَمْدَحْهُمْ بَشِيءٍ أَكْثَرَ^(٢) مِنْ ذِكْرِهِ [لَهُمْ]^(٣) بِالْحِلْمِ، وَقَدْ وَصَفَ النَّاسُ بِالْحِلْمِ عَادًا فِي الْجُمْلَةِ^(٤)، وَلَمْ نَجِدْ ذَلِكَ إِلَّا فِي مَوْضِعَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ^(٥).

وَذَكَرُوا فِي الْأَشْعَارِ^(٦) حِلْمَ لُقْمَانَ^(٧)، وَلَقِيمَ بْنِ لُقْمَانَ^(٨)، وَقَدْ ذَكَرُوا حِلْمَ/^(٩) قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ، وَمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ^(١٠)، وَحِصْنَ بْنِ حُدَيْفَةَ^(١١)، وَزُرَّارَةَ بْنَ

(١) في البرصان والعرجان ص ٢٠٢: ووصفهم بالخِصال الشريفة.

(٢) في الذروبي ص ٨٨: أقل.

(٣) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان ص ٢٠٢.

(٤) ساقطة من البرصان والعرجان.

(٥) في البرصان والعرجان ص ٢٠٢: ولم نجد ذلك في القرآن إلا في موضعين. ذكر الحلم في القرآن أولاً في صفة إبراهيم ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]، وثانياً في صفة شعيب عليه السلام ﴿إِنَّكَ لَأَتَّكَفِلُكَ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، واستدرك عبد السلام هارون موضعاً ثالثاً في صفة اسماعيل عليه السلام ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِقَتْلِهِ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

(انظر: الجاحظ، البرصان والعرجان: ص ٢٠٢، الحاشية ١، والذروبي، ص ٨٨، حاشية ٢٦٠).

(٦) في البرصان والعرجان ص ٢٠٢: الشعر.

(٧) لقمان: ابن عاد الأكبر بن ملطاط، من بني وائل من حمير، كان يوصف بالبيان والخطابة والحكمة والذهاء، معتر جاهلي قديم، ملك من ملوك حمير، يلقب بالزرائش الأكبر، زعم أصحاب الأساطير أنه عاش عمر سبعة سنين، وهو غير لقمان الحكيم.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ٢٤٤، والثعالبي، ثمار القلوب: ص ٨٩، ٣٠٧، والسجستاني،

المعتمرون والوصايا: ص ٤).

(٨) لقيم: هو ابن لقمان بن عاد. (انظر: الثعالبي، ثمار القلوب: ص ٨٩).

(٩) ساقطة من البرصان والعرجان.

(١٠) من قوله «وحصن بن حذيفة..» إلى قوله «..حاجب بن زرارة» ساقطة من البرصان والعرجان.

(١١) حصن بن حذيفة: أبو عبيدة، ابن بدر الغطفاني، أدرك النبي، ثم ارتد، وعاد إلى الإسلام على

يد أبي بكر الصديق.

عُدَس^(١)، وحاجِبَ بنِ زُرَّازَةَ^(٢)، ورجالاً كَثِيرًا^(٣)، ما رأينا أَحَدًا مِنَّا دَكَّرْنَا حَظِيَّ بِذِكْرِ
الْحِلْمِ كَمَا حَظِيَّ بِهِ الْأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ^(٤)، ولا رأينا هذا الاسمَ التَّرَقُّ والتَّحَمَّ وظَهَرَ عَلَى
الْأَلْسِنَةِ^(٥)، كما رأيناها نَبِيًّا لِلأَحْنَفِ بنِ قَيْسٍ.

ثُمَّ^(٦) كَانَ مع ذَلِكَ رَئِيسًا فِي أَكْثَرِ تِلْكَ الْفِتَنِ، فَلَمَّ نَرَّ حَالَهُ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ،
وَعِنْدَ النُّسَاكِ وَالْمُتَأَكِّفِ، وَعِنْدَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْمُلُوكِ الْمُتَعَلِّينَ، وَلا حَالَهُ فِي حَيَاتِهِ،
وَلا حَالَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، مُسْتَوِينَ^(٧).

= (انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢ / ٩١، وابن دريد، الاشتقاق: ص ٢٨٤، وابن حزم،
جمهرة رسائل العرب: ص ٢٥٦، وابن سعيد، نشوة الطرب: ٢ / ٥٥٢).

(١) زُرَّازَةُ بنِ عُدَسٍ: ابن زيد بن عبد الله بن دارم، جد جاهلي، بنوه بطن من بني دارم، كان حكيماً
من قضاة تميم.

(انظر: ابن دريد، الاشتقاق: ص ٢٣٥، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢٣٢، وابن
سعيد، نشوة الطرب: ١ / ٤٥٠).

(٢) حاجب بن زُرَّازَةَ: ابن عدس الدارمي التميمي، من سادات العرب في الجاهلية، من رؤساء
جبله، أدرك الإسلام وأسلم، حضر يوم شعب جبلة، رهن قومه عند كسرى على مال عظيم،
ووفى به، من رهط الفرزدق، وكثيراً ما افتخر به، توفي سنة (٣ هـ).

(انظر: ابن سعيد، نشوة الطرب: ١ / ٤٥٠، والصَّفدي، الغيث المسجم: ٢ / ٣٤٦، والزركلي،
الأعلام: ٢ / ١٥٣).

(٣) فِي الْبَرِصَانِ وَالْعَرِجَانِ ص ٢٠٢: وَرِجَالًا كَثِيرًا.

(٤) عِبَارَةٌ «مَا رَأَيْنَا... حَظِيَّ بِهِ الْأَحْنَفُ بنِ قَيْسٍ» سَاقِطَةٌ مِنَ الْبَرِصَانِ وَالْعَرِجَانِ.

(٥) فِي الْبَرِصَانِ وَالْعَرِجَانِ ص ٢٠٢: الْأَلْسِنِ.

(٦) سَاقِطَةٌ مِنَ الْبَرِصَانِ وَالْعَرِجَانِ.

(٧) جَاءَ فِي الْأَصْلِ قَبْلَ مُسْتَوِينَ «وَلا» وَلا وَجْهَ لَهَا.

فِي الْبَرِصَانِ وَالْعَرِجَانِ ص ٢٠٢: مُسْتَوِيًا.

فَيَبْغِي أَنْ يَكُونَ قَدْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ دَعْوَةٌ، وَقَالَ فِيهِ خَيْرًا، كَمَا قَدْ رَوَاهُ وَذَكَرُوهُ، أَوْ يَكُونَ قَدْ أَضْمَرَ^(١) مِنْ^(٢) حُسْنِ النِّيَّةِ، وَمِنْ شِدَّةِ الْإِخْلَاصِ، مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ نُظَرَائِهِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ كَانَ أَحْلَمَ النَّاسِ، وَكَانَ^(٣) الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٤) حَلِيمَ^(٥) الْبَطْحَاءِ^(٦)، قُلْنَا: إِنَّ الْأَحْفَفَ كَانَ الْحِلْمُ سَيِّدَ عَمَلِهِ، فَبَانَ حِلْمُهُ^(٧) مِنْ سَائِرِ أَعْمَالِهِ.

(١) في البرصان والعرجان ص ٢٠٢: أو كان قد ظهر منه.

(٢) ساقطة من الدرر.

(٣) في البرصان والعرجان ص ٢٠٣: كذلك.

(٤) العباس بن عبد المطلب: أبو الفضل، ابن هاشم بن عبد مناف، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، جد الخلفاء العباسيين، قال الرسول في وصفه: «هذا بقية آبائي»، وهو عمه، كان سديداً الرأي، واسع العقل، مولعاً باعتناق العميد، كارهاً للزرق، وكانت له سقاية الحجاج وعمارة المسجد الحرام، أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه، وإمام بمكة يكتب إلى رسول الله ﷺ أخبار المشركين، ثم هاجر إلى المدينة شهد وقعة حنين، وكان ممن ثبت حين انهزم الناس، وشهد فتح مكة، وعمي في آخر عمره، وكان إذا مر بعمر في أيام خلافته ترجل عمر إجلالاً له، توفي سنة (٣٢هـ).

(انظر: ابن حجر، الإصابة: ٣ / ٥١١، والصفدي، الوافي بالوفيات: ١٦ / ٣٦٠، والطبري،

تاريخ الأمم والملوك: ١ / ١٥٨، ١٥٩).

(٥) في الأصل (ظليم) وهو تصحيف.

(٦) عبارة «حليم البطحاء» ساقطة من البرصان والعرجان.

البطحاء: المقصود مكة المكرمة.

(انظر: السندوبي، رسائل الجاحظ: ص ٧٦، ٨٤، والحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص ٥٢،

والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣ / ١٠٨٣، واللسان: بطح).

(٧) ساقطة من البرصان والعرجان.

وَعَمَّاسِنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَخِصَالُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ
كَانَتْ مُتَكَافِئَةً مُتَسَاوِيَةً، كُلُّ خِصَلَةٍ مِنْهَا تَنْتَصِفُ مِنْ صَاحِبَتِهَا^(١)، وَكَأَمَّا^(٢) كَمَا قَالَ
الشَّاعِرُ^(٣):

جَاءَتْ تَهَضُّ الْأَرْضِ أَيَّ هَضُّ
تَدْفَعُ مِنْهَا بَعْضَهَا بِبَعْضٍ /
مِثْلَ الْعَذَارَى شِمْنَ عَيْنَ الْمُغْضَى^(٤)

وَإِذَا كَانَتْ الْخِصَالُ كَذَلِكَ، لَمْ تَغْلِبْ عَلَى صَاحِبِهَا^(٥) اسْمٌ دُونَ اسْمٍ، وَرَجَعَ
الْأَمْرُ فِيهَا إِلَى أَنْ يُسَمَّى سَيِّدًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْجَامِعَةِ. فَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ
صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَالْتِسْمِيَةُ [لَهُمْ]^(٦) بِالرَّسَالَةِ^(٧)، وَالنُّبُوَّةُ تَأْتِي عَلَى الْغَايَاتِ،
وَتَحْجُوزُ^(٨) النُّهَيَاتِ.

(١) في البرصان والعرجان ص ٢٠٣: أختها.

(٢) في الأصل (وكانه).

في البرصان والعرجان ص ٢٠٣: وكانت.

(٣) هو ركاض الذبيري. والبيت في اللسان مادة هضض:

جاءت تهض المشي - أي هضض - يدفع عنها بعضها عن بعض

(٤) شمن عين المغضي: استلكنها. (اللسان: شمن).

(٥) في البرصان والعرجان ص ٢٠٣: صاحبه.

(٦) ما بين المعقوفين من الذرويي ص ٩٣.

(٧) عبارة «من الأسماء الجامعة... التسمية لهم بالرسالة» ساقطة من البرصان والعرجان.

(٨) في الأصل (تحوز) وهو تصحيف.

وقالوا^(١): «كَانَ الْأَحْنَفُ أَحْتَفَ مِنْ رِجْلَيْهِ جَمِيعًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا بَيْضَةُ وَاحِدَةٍ، وَكَانَ قَدْ ضُرِبَ عَلَى رَأْسِهِ بِخُرَّاسَانَ، فَهَامَتْ^(٢) إِحْدَى عَيْنَيْهِ»^(٣).

وقال الخثبات: «إِنَّكَ لَصَّيْلٌ، وَإِنَّ أَمَّكَ لَوْرَهَاءُ»^(٤)،^(٥). وقال الحسن^(٦): «وُلِدَ الْأَحْنَفُ مُرْتَقٍ^(٧) حِتَارِ الْإِسْتِ»^(٨)، حَتَّى فُتِقَ^(٩) وَعَوَّلِجَ^(١٠).

فإن كانت هذه الخصال كذبًا وباطلاً، فإننا لا نشك أن الحسد الذي قد^(١١) أخرج من أعدائه هذه الأمور، لم يكن إلا على نعمة سابقة غامرة، وإلا على خصال عالية^(١٢) فاضلة، ثم لم يضره ذلك، ولا وضع منه، ولا زادته الأيام إلا رفعةً والحالات إلا رياسةً.

(١) ساقطة من البرصان والعرجان.

(٢) هامت: كثر ماؤها وبرزت. (اللسان: موه).

(٣) ورد القول في البيان والتبيين: ١ / ٥٠، ولطائف المعارف: ص ١٠٥، ومرح العيون: ص ١٠٥، والمعارف: ص ٥٨٦.

(٤) في الأصل (وإنك لورهاء) وهو تصحيف، وما أثبت من البرصان والعرجان ص ٢٠٣. ورهاء: حمقاء. (اللسان: وره).

(٥) ورد القول في البيان والتبيين: ١ / ٥٠.

(٦) في الدروري ص ٩٥: أبو الحسن.

(٧) في الأصل (من شق) وما أثبت من حاشية الأصل.

مرتق: الرتق ضد الفتق، وهو إلحام الفتق وإصلاحه. (اللسان: رتق).

(٨) حتار الإست: أطراف جلدتها، وهو حروف القبر. (اللسان: حتر).

(٩) فتق: شق. (اللسان: فتق).

(١٠) انظر الخبر في المعارف: ص ٤٢٣.

(١١) ساقطة من البرصان والعرجان.

(١٢) في البرصان والعرجان ص ٢٠٥: عالية.

وإن كانت هذه الخصال قد كانت فيه، وكانت معروفة، فلم تُنقص من قدره غرزة^(١)، ولا فسخت^(٢) من معاقد رثاسته عُقدة، فليعلم الطاعن عليه أنه يُريد^(٣) أن يطمس عين الشمس، ويُرَدُّ هبوب الريح.

وكان الأحنف^(٤) آيين الناس في كل حال، وأخطبهم في يوم محفل^(٥)، والمصنع^(٦) وفي يوم أنسٍ / واسترسال، وهو صاحب الزحوف^(٧) بخراسان^(٨)، وقد انغمس بيديه^(٩) في حومة الحرب ثلاث مرّات، وقال^(١٠):

إن على كل رئيس حقا أن يحضب الصعدة أو تندقا^(١١)

(١) في البرصان والعرجان ص ٢٠٥، والدروبي ص ٩٥: عروة.

(٢) في البرصان والعرجان ص ٢٠٥: فتحت.

(٣) في البرصان والعرجان ص ٢٠٥: إنها يريد.

(٤) ساقطة من البرصان والعرجان.

(٥) في البرصان والعرجان ص ٢٠٥: حفل.

(٦) في الأصل (يصنع) دون إعجام، وهو تصحيف، وما أثبت من البرصان والعرجان ص ٢٠٥.

المصنع: ما فيه مستلمح. (اللسان: صنع).

(٧) في البرصان والعرجان ص ٢٠٥: الراية.

(٨) انظر عبارة «الأحنف» صاحب الزحوف في خراسان: في عيون الأخبار: ١ / ٢٦٧.

(٩) في البرصان والعرجان ص ٢٠٥: وقد انغمس دون يديه.

(١٠) في البرصان والعرجان ص ٢٠٥: وهو يقول. هو الأحنف بن قيس.

(١١) كان الأحنف في سرية فسمع صوتاً في جوف الليل فانطلق يقول هذا البيت. الصعدة: القناة.

ورد البيت في عيون الأخبار: ١ / ٢٦٨، والمعارف لابن قتيبة: ص ٤٢٥، وسير أعلام النبلاء:

٥ / ١٢٢، وشرح العيون: ص ١٠٨، والبرصان والعرجان: ص ٢٠٥، واللسان مادة صعد.

وسارَ تحتَ لِوائِهِ الأقرعُ بنُ حابسٍ^(١)، وكانَ واليَهُ على الجوزجان^(٢)، ومَشى معَ جَنارَتِهِ مُصعَبُ بنُ الزُّبَيرِ^(٣) بِغَيرِ جِذاءٍ ولا رِداءٍ^(٤)، معَ عِلمِهِ بِما قالَ النَّاسُ في شأنِهِ، وفي شأنِ ابنِ جُرموزٍ^(٥).

(١) الأقرع بن حابس: ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، التميمي، صحابي من سادات العرب في الجاهلية، وكان حكماً في الجاهلية، قدم على رسول الله في وفد من بني دارم، فأسلموا، وشهد حنيناً وفتح مكة والطائف، وسكن المدينة، كان من المؤلفة قلوبهم، ورحل إلى دومة الجندل في خلافة أبي بكر، وكان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعهم، واستشهد بالجوزجان سنة (٣١هـ).

(٢) الجوزجان: اسم كورة واسعة من كُور بلخ بخراسان، وهي بين مرو الروذ وبلخ، فتحت الجوزجان سنة (٣٣هـ).

(٣) مصعب بن الزبير: أبو عيسى وقيل أبو عبد الله، ابن العوام القرشي الأسدي، أمير العراقيين، كان فارساً شجاعاً وسيماً، بايعه أهل البصرة بالخلافة، وكان يسمى من سخائه آية النحل، قتل سنة (٧٢هـ) وله أربعون سنة.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥ / ١٥٩، والنعمي، العبر: ١ / ٥٩، ١١٣).

(٤) انظر الخبر في الكامل، ت محمد الدالي: ٣ / ١٤٥٦.

(٥) عمرو بن جرموز: ابن قيس بن الذئبال بن ربيعة بن كعب، قتل الزبير بن العوام، وقدم على علي ابن أبي طالب وأخبره بقتله للزبير، فقال له علي: «أبشر بالنار» سمعت رسول الله يقول «بشر قاتل ابن صفيّة بالنار».

(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢٢١، والبغدادي، خزنة الأدب: ٤ / ٢١٩، وابن دريد، الاشتقاق: ص ٢٥٣).

وهو الذي قال لَمَّا طَمِعَ [فيه] ^(١) عَبْدُ الْمَلِكِ لِلجَفْوَةِ التي كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُصْعَبٍ، وَجَرَدَ إِلَيْهِ رَسُولًا، قَالَ الرَّسُولُ: «أَبْلِغْ صَاحِبِكَ [إنه] ^(٢) إنْ لَمْ يَغْزُنَا لَمْ نَغْزِهِ، وَإِنْ أَتَانَا لَمْ نُقَاتِلْهُ». فَعِنْدَهَا قَوِيَّ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي نَفْسِهِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَوَاضُعِهِ، وَحُسْنِ نِيَّتِهِ، وَعَلَى أَنَّهُ يُعَمُّ ^(٣) بِالرَّأْيِ وَلَا يُحْصِصُ، مَا رَوَاهُ مِنْ شَأْنِ الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ لَهُ: «يَا أَبَا بَحْرٍ ^(٤)، مَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ الْمَقْصُورَةِ ^(٥)؟»، قَالَ: «فَأَنْتَ مَا يَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ ^(٦)؟»، قَالَ: «أَلَا أُنْزِلُكَ»، قَالَ: «فَلَذَلِكَ لَا أَدْخُلُهَا».

وَتَكَلَّمَ النَّاسُ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فِي تَوْكِيدِ الْبَيْعَةِ لِزَيْدٍ ^(٧)، وَالْأَحْنَفُ سَاكِنٌ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: «لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ يَا أَبَا بَحْرٍ؟»، فَقَالَ: «أَخَافُكَ إِنْ صَدَقْتُكَ، وَأَخَافُ اللَّهَ إِنْ كَذَّبْتُكَ» ^(٨).

وَأَطْرَفِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَزِيدُ بَنَ مُعَاوِيَةَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ، فَلَمَّا خَرَجَ مَعَ النَّاسِ أَقْبَلَ عَلَى الْأَحْنَفِ، فَقَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا ^(٩) قُلْتُ الَّذِي قُلْتَهُ رَغْبَةً أَوْ رَهْبَةً، فَإِنَّهُ [مَا

(١) ما بين المعقوفين من الدررقي ص ٩٧.

(٢) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٣) في البرصان والعرجان ص ٢٠٦: لم يعم، ولا وجه لها.

(٤) ساقطة من البرصان والعرجان.

أبو بحر: هي كنية الأحنف بن قيس.

(٥) المقصورة: الدار الواسعة التي لا يدخلها سوى الرجال. (اللسان: قصر).

(٦) في البرصان والعرجان ص ٢٠٦: من دخولها.

(٧) في البرصان والعرجان ص ٢٠٦: في توكيد بيعة يزيد.

(٨) جاء الخبر في البيان والتبيين: ١ / ١٤٥، ومراة الجنان: ١ / ١٧٨، والعقد الفريد: ٢ / ٤٤٩، ٤ /

٢٣١، وزهر الأكم: ٣ / ١٦.

(٩) في البرصان والعرجان ص ٢٠٦: وإن.

عَلِمْتُ^(١) لَكُنَا، وَأَنَّ ابْنَ لَكَذَا^(٢)، فَقَالَ لَهُ الْأَحْتَفُ: «اسْكُتْ، فَإِنَّ ذَا الْوَجْهَيْنِ / لَا يَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا»^(٣).

وَشَهِدَ مُصْعَبًا يَوْمًا، وَهُوَ يُوَبِّخُ رَجُلًا وَيُقَرِّعُهُ، وَيَقُولُ: «أَبْلَغَنِي عَنْ قَوْلِكَ^(٤) الثَّقَّةَ، وَأَبْلَغَنِي عَنكَ الثَّقَّةَ»، فَقَالَ لَهُ^(٥): «كَلَّا [أَيُّهَا الْأَمِيرُ]^(٦) أَنْ الثَّقَّةَ لَا يُبْلَغُ».

وَهَذَا الَّذِي كَتَبْتُ لَكَ قَلِيلٌ [مِنْ كَثِيرٍ]^(٧)، فَلَقَدْ جَاءَتِ الْأَخْبَارُ^(٨) عَن بِلَاغَةِ لِسَانِهِ، وَعَن كَثِيرٍ مَعُونَتِهِ^(٩)، بِهَا لَا يُحْصَى، وَأَيْمًا أَرَدْتُ أَنْ تَعْرِفَ حُسْنَ نِيَّتِهِ.

وَقَدْ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١٠)، إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ^(١١): «يَا

(١) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٢) في البرصان والعرجان ص ٢٠٦: «فإنه ما علمت للذي..... وإن ابنه ما علمت للذي.....».

(٣) جاء الخبر في الكامل، تحقيق محمد الدالي: ١ / ٦٦، و امرأة الجنان: ١ / ١٧٨، وزهر الأكم: ٣، ١٦، والثعالبي، الإعجاز والإيجاز: ص ٢٨.

(٤) في البرصان والعرجان ص ٢٠٧: ابلغني عنك.

(٥) المقصود الاحتف.

(٦) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان: ص ٢٠٧، والذروبي ص ٩٨.

(٧) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان: ص ٢٠٧، والذروبي: ص ٩٩.

(٨) في البرصان والعرجان ص ٢٠٧: ولم ترد الأخبار.

(٩) في البرصان والعرجان ص ٢٠٧، والذروبي ص ٩٩: وعن كبر معرفته.

(١٠) ساقطة من البرصان والعرجان.

(١١) سعد بن أبي وقاص: أبو إسحاق، سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف الأمير القرشي المكي، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، روى عن النبي، أمه حمنة بنت سفيان بن أمية، أسلم وهو ابن (١٧) سنة، توفي في سنة (٥٥ هـ) وكان ابن (٨٢) سنة.

(انظر: ابن حجر، الإصابة: ٣ / ٦١، والنهي، سير أعلام النبلاء: ٣ / ٥٨، وابن عساکر، تهذيب تاريخ دمشق: ٦ / ٩٥).

سعد، يا^(١) سعد بن وهيب، إن الله إذا أحبَّ عبداً حبَّبه إلى خلقه، فاعتبر منزلة من الله بمنزلة من الناس، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما لك عند الناس^(٢)»^(٣).

فَنَحْنُ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي صَارَتْ لِلأَحَنَفِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ^(٤) الإسلام من قلبه. وهو الذي لما دَخَلَ في الوَفْدِ على مُسْلِمَةَ الكَذَّابِ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ لَهُ بَعْضُ رُؤَسَاءِ القَوْمِ: «كَيْفَ رَأَيْتَهُ؟»، قَالَ: «وَالله مَا هُوَ بِنَبِيِّ صَادِقٍ، وَلَا بِمُتَّبِعِي^(٥) حَازِقٍ»^(٦).

وهو الذي لما وَفَدَ على عُمَرَ، وَتَنَازَعُوا الكَلَامَ عِنْدَهُ، أَمَسَكَ حَتَّى كَانَ عُمَرُ هُوَ الَّذِي اسْتَنْطَقَهُ^(٧)، وَخَصَّ القَوْمَ بِالكَلَامِ عُمَرَ^(٨)، وَذَكَرُوا لِسانَ أَنفُسِهِمْ. وَتَكَلَّمَ الأَحَنَفُ عَمَّنْ غَابَ عَن مَجْلِسِهِمْ، فَتَكَلَّمَ فِي مَصْلَحَةِ العِبَادِ وَالبِلَادِ/.

[٣٧] فصل^(٩)

رَعَمَتِ آتِي اسْرِقُ الأَلْفَاظِ، وَأَتَجَلُّ الكَلَامِ، وَكَيْفَ وَأَنَا ابْنُ البَلَاغَةِ، وَأَنَا تَرِبُ^(١٠)

(١) ساقطة من البرصان والعرجان.

(٢) في البرصان والعرجان ص ٢٠٧: «واعلم أن ما لك عند الله مثل ما لك عندك».

(٣) انظر القول في البيان والتبيين: ١ / ١٧٨.

(٤) في البرصان والعرجان ص ٢٠٧: لمنزلة.

(٥) في البرصان والعرجان ص ٢٠٧: ولا متبني.

(٦) عبارة «ما هو بنبي صادق ولا بعنتي حاذق» وردت في (الميداني، مجمع الأمثال: ٤ / ٦٥).

(٧) في البرصان والعرجان ص ٢٠٧: كان عمر هو المستنطق له الكلام.

(٨) ساقطة من الدروري.

(٩) ورد هذا الفصل عند الدروري: ص ١٠٠ - ١٠٥.

وقد سبق هذا فصل من سطين: رأيتك أبفاك الله قد كرهت قربي وهويت بعدي، واستقلت

روحي، واستطلت عمري، وأيام مقامي.

(١٠) ترب: المثل والملازم. (اللسان: ترب).

الكتابة، وأنا جهيد^(١) الكلام، ونقاد المعاني، وأنا ابن لسان الحمرة^(٢)، وأنا ابن دغفل العلامة^(٣).

قد والله خرّجت عليك من الكمين، ومن سرب^(٤) الزبا^(٥)، وعرّفتك في نهر الحيرة، ودهدأت بكم^(٦) في قلّة^(٧) قاف^(٨)، فابتغ في السماء سلماً، أو في الأرض مهرباً، هيهاتاً.

(١) جهيد: نقاد خبير. (اللسان: جهيد).

(٢) ابن لسان الحمرة: عبد الله بن حصن بن ربيعة بن صغير بن كلاب، أعرابي من بني تيم الله بن ثعلبة، كان من علماء زمانه، قال عنه ابن قتيبة «كان أنسب العرب وأعظمهم بصرأ»، وهو الذي قال: «نلت العلم بلسان سؤول وقلب عقول»، وفي الأمثال قولهم (أنسب من لسان الحمرة). (انظر: ابن دريد، الاشتقاق: ص ٢١٣، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٣١٥، وابن قتيبة، المعارف: ص ٥٣٥، والميداني، مجمع الأمثال: ٣/٣٩٦، والبغدادي، خزنة الأدب: ٦/٣٧٣).

(٣) دغفل العلامة: دغفل بن حنظلة الشيباني، وهو نسبة علامة، قال أن العلم أربعة: «أفة، ونكدأ، وإضاعة، واستجاعة؛ فأفته التسيان، ونكده الكذب، وإضاعته وضعه في غير موضعه، واستجاعته أنك لا تشبع منه» (الجاحظ، البيان والتبيين: ١/١٨٧)، ويقال في المثل (أنسب من دغفل) (الميداني، مجمع الأمثال: ٣/٣٩٦)، أدرك الرسول ولم يسمع منه، غرق يوم دولاب في قتال الخوارج سنة (٦٥ هـ).

(انظر: ابن سعد، كتاب الطبقات: ٩/١٤٠، والمزني، تهذيب الكمال: ٨/٤٨٦، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٣١٩، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/٨٦).

(٤) في الدرر^(٥) ص ١٠١: بين، وأشار في الحاشية إلى أنها غير واضحة في الأصل. السرب: الطريق. (اللسان: سرب).

(٥) الزبا: جمع زبية، وهي الزبابة لا يعلوها ماء. (اللسان: زب).

(٦) في الدرر^(٥) ص ١٠١: «رد يا هذا بابك»، وأشار في الحاشية إلى أن أداة النداء زيادة يقتضيهما السياق. دهدأت: قذف الحجارة من أعلى إلى أسفل دحرجة. (اللسان: دهده).

(٧) قلّة: قمة الجبل. (اللسان: قلل).

(٨) قاف: اسم جبل عظيم، قيل إنه أصل الجبال كلها وهو محيط بالنداء، وهو من زبرجدة خضراء، وقيل إنه قريب من السماء، وإن وراءه عوالم وخلائق لا يعلمها.

(ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٤/٢٩٨، والدميري، حياة الحيوان: ٢/٣١٥).

أنا السَّمُّ السَّارِي، وَالْأَسَدُ الضَّارِي^(١)، وَالْمَوْتُ الْغَادِي، وَأَنَا الدَّاءُ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ، وَأَنَا حَدُّ السَّيْفِ الْقَاطِعِ، وَطَبْعُ الْمُدِيَّةِ^(٢)، وَأَنَا صَاحِبُ تَقَاطِيعِ^(٣)، وَصِنَاعَتِي جَوْدَةٌ الْحِطُّ، وَصِنَاعَتُكَ جَوْدَةُ الْمَحْوِ. وَأَنَا عَالِمٌ، وَأَنْتَ جَاهِلٌ. وَأَنَا أَقُولُ بِالسُّنَّةِ، وَأَنْتَ تَقُولُ بِالشُّبْهَةِ. وَأَنَا أَجْمَعُ، وَأَنْتَ تُفَرِّقُ، وَأَنَا نَبِيلٌ، وَأَنْتَ ذَمِيمٌ. وَأَنَا رَكِينٌ^(٤)، وَأَنْتَ عَجُولٌ. وَأَنَا حَلِيمٌ، وَأَنْتَ سَفِيهٌ. وَأَنَا أَكْبَرُ^(٥) لِنَفْسِي، وَأَقِيمُ أَوْدَ^(٦) غَيْرِي، وَأَنْتَ تَعَجِزُ عَن تَفْسِيكَ. وَأَنَا مِنْطِقِي، وَأَنْتَ سَكَيْتَ. وَأَنَا فِي إِقْبَالِ، وَأَنْتَ فِي إِدْبَارِ.

وَأَنْتَ أَسُّ^(٧) الْحِطُّ، وَمَعْدِنُ اللَّحْنِ، وَتَبَوُّعُ الشُّخْفِ، وَمُسْتَبْطُ الْخَرْقِ^(٨)، وَعَيْنُ الْعِي^(٩)، لَيْسَ لَكَ يَوْمَ مَشْهُودٌ^(١٠)، إِلَّا وَقَدْ عُدَّ فِيهِ^(١١) مِنْ سَقَطَاتِكَ، وَأُحْصِيَ فِيهِ^(١٢) مِنْ فَلَاتَاتِكَ أَكْثَرَ مِنْ قَطْرِ^(١٣) السَّمَاءِ، وَنَبَاتِ الْأَرْضِ، وَرَمَلِ عَالِجٍ/ ^(١٤).

(١) الضَّارِي: المعتاد إسمالة الدماء. (اللسان: ضري).

(٢) طبع المدية: ختم السكين. (اللسان: طبع).

(٣) صاحب تقاطيع: صاحب قد حسن. (اللسان: قطع).

(٤) ركين: وقور، رزين بين الركائز. (اللسان: ركن).

(٥) في الدروري ص ١٠٢: أعدو.

(٦) أود: اعوجاج. (اللسان: أود).

(٧) أس: أساس. (اللسان: أسس).

(٨) الخرق: الغباوة والحمق. (اللسان: خرق).

(٩) العي: فساد اللسان. (اللسان: عي).

(١٠) في الدروري ص ١٠٢: مشهود.

(١١) ساقطة من الدروري.

(١٢) ساقطة من الدروري.

(١٣) في الدروري ص ١٠٣: مطر.

(١٤) العالج: موضع بالبادية فيه تجمع الرمال. (اللسان: عالج).

إني [والله بمن] ^(١) أَلَيْ ^(٢)، غَيْرَ فَاخِر. لئن أنسا الله في أجلي، وأرى في عمري،
لأخذنك أخذ الليث للثعلب، والصقر للأرنب، ولأدمغن ^(٣) رأسك كما تدمغ رأس
الحية، ولأخطفن روحك كما يخطف البازي ^(٤) حشاش ^(٥) الطير، ولأستاصلنك كما
تستاصل الشاقة ^(٦)، ولأخذن منك بالمخنق ^(٧)، ولأغمزنك غمزة، أجمع بها الأطباء ^(٨)
بين قصرتيك ^(٩)، ولأطحننك طحن الرحن، ولأضغظنك ضغظ القبر، ولأدعنك ^(١٠)
خمرة ثمرة ^(١١).

تكلنك أمك، ليس يُنجيك مني معقل، ولا مغار ^(١٢)، ولا قعر بحر، ولا رأس

(١) ما بين المعرفين من الدرر ص ١٠٣.

(٢) أَلَيْ: أحلف. (اللسان: ألي).

(٣) أدمغن: الدمغ هو الشج حتى تبلغ الشجة الدماغ. (اللسان: دمغ).

(٤) البازي: جنس من الصقور الصغيرة والمتوسطة، تميل أجنحتها إلى القصر، وأرجلها وأذناها إلى الطول.

(٥) حشاش: حياة الحيوان: ١ / ١٠٦.

(٥) حشاش: بقية الروح. (اللسان: حشش).

(٦) الشاقة: ورم يخرج في اليد والقدم، والشاقة تكوي فتذهب. (اللسان: شاف).

(٧) المخنق: موضع الخنق من الرقبة. (اللسان: خنق).

(٨) في الدرر ص ١٠٣: الأطباء، ولا وجه لها.

والأطباء: جمع طبي، وهو ندي البقرة. (اللسان: طبي).

(٩) في الدرر ص ١٠٣: قصرتك.

قصرتك: القصران هما ضلعان يليان الترقوتين. (اللسان: قصر).

(١٠) في الدرر ص ١٠٣: لأجعلنك.

(١١) في الدرر ص ١٠٣: خمرة.

خمرة: منقوعة حتى تصبح كالحساء. (اللسان: مرث).

(١٢) المغار: البيوت المنحوتة من الصخر. (اللسان: غور).

طَوْد، وَلَا حُسَيْنِي^(١)، وَلَا سَهْلٌ وَلَا جَبَلٌ، وَابْسَ يُنْجِيكَ إِلَّا الْمَوْضِعُ الَّذِي مِنْهُ خُلِقْتَ، وَمِنْهُ خَرَجْتَ.

فَإِنْ احْتَرَزْتَ احْتِرَازَ الصَّبِّ فِي جُحْرِهِ، وَالضَّبِيعِ فِي وِجَارِهَا^(٢)، أَمِنْتَ مَعَرَّتِي^(٣)، وَإِنْ أَبَيْتَ^(٤) فَأَنْتَ أَوَّلُ هَالِكٍ، قَدْ هَيَّبَتْ أَسَدًا خَائِدِرًا^(٥)، وَضَرَيْتَ ذُنْبًا عَادِيًا^(٦)، لَا يَقْصِرُ دُونَ تَهَشِّ عِظَامِكَ، وَهَيْضِ^(٧) جَنَاحِكَ.

هَيْبَتِكَ^(٨) أُمَّكَ، خَدَعَكَ شَيْطَانُكَ، وَمَتَّكَ نَفْسُكَ، وَضَلَّ حِلْمُكَ؛ إِذَا لَا تَكُونُ فِي مَسْكِ الرِّجَالِ^(٩)، وَتَوَازُنِ الْأَبْطَالِ. وَاللَّهُ مَا فِيكَ مَوْضِعُ هِجَاءٍ، وَلَا تَحُلُّ سَبِّ، وَإِنَّ الدَّلِيلَ لَمَنْ هَجَا أَمْثَالَكَ، وَنَازَلَ أَشْبَاهَكَ. وَقَيِّحُ أَنْ أْفِيدَ فِي مِثْلِكَ طُرًّا^(١٠)، وَمَا مِثْلُكَ إِلَّا كَمَا قَالَ جَرِيرٌ:

وَكُنْتُ إِذَا حَلَلْتُ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتُ بِخِزْيَةٍ، وَتَرَكْتُ عَارًا/ (١١)

(١) الحسيني: الجبل العالي. (اللسان: حيي).

(٢) وِجَار الضبيع: جُحْرها. (اللسان: وجر).

(٣) في الدروري ص ١٠٤: غوري.

معرتي: أذاي. (اللسان: عرر)

(٤) في الدروري ص ١٠٤: وإن أبيت إلا.

(٥) خادرا: رابضاً في خدره. (اللسان: خدر).

(٦) ضريت ذنباً عادياً: الذئب الظالم الذي يفترس الناس. (اللسان: عدا).

(٧) هيض: كسر. (اللسان: هيض).

(٨) هيبتك: ثكلتك. (اللسان: هيل).

(٩) مَسْك الرجال: الصلاة والوزن. (اللسان: مسك).

(١٠) في الأصل (طنزا) وهو تصحيف. وما أثبت من الدروري ص ١٠٤.

الطر: الحاشية من الورقة. (اللسان: طرر).

(١١) ورد البيت في ديوان جرير ص ٣٤٢، وثمار القلوب: ص ٦٣٦ (نزلت بدار)، وشذرات

[٣٨] فصل (١)

جُعِلْتُ فِدَاكَ، قَرَأْتُ كِتَابَكَ فَلَمْ أَشْكُ أَنَّهُ (٢) جَوْنَةٌ (٣) عَطَّارٌ، وَأَنَّهُ حَانَوْتُ (٤)
بِرَّازٍ (٥)، وَأَنَّهُ تَابَوْتُ لَأَلٍ، وَأَنَّهُ مَعِدِنُ الْإِبْرِيزِ (٦)، وَأَنَّهُ الْأَصْلُ وَسَائِرُ الْعُلُومِ الْقَرَعُ، وَأَنَّهُ
أَدَمُ الْكُتُبِ، وَإِبْرَاهِيمُ الْأَدَبِ، بَلْ لَمْ أَشْكُ فِي أَنَّكَ قَدْ أَوْتَيْتَ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ.
فِيَا عَقِيدَ (٧) الْفَلَكَ، وَفِيَا قُوَّةَ الْهَيُولَى (٨)، وَفِيَا أَسَنَّ مِنْ لُبْدٍ (٩)، مَنْ هَذَا الَّذِي لَا

= الذهب / ١ / ٣٣٧، ولباب الآداب: ص ٣٧، وزهر الآداب: ١ / ٣٢٢، وريع الأبرار: ١ / ٧١،
واللسان مادة (خزا)، والمعجم المفصل لشواهد العربية ٣ / ٧٦.

(١) ورد هذا الفصل عند التروبي: ص ١٠٥ - ١١١.

(٢) في التروبي ص ١٠٥: أنه في.

(٣) جونة: سلة مستديرة مغشاه أدماً تكون مع العطارين ويعد منها الطيب ويجرز. (اللسان: جون).

(٤) حانوت: دكان. (اللسان: حنت).

(٥) برزاز: بائع الثياب. (انظر: الثعالي، فقه اللغة: ص ٢٧٨، واللسان: برز).

(٦) الإبريز: الذهب الخالص. (اللسان: برز).

(٧) عقيد: حليف. (اللسان: عقد).

(٨) الهیولی: مادة الشيء التي تصنع منها.

(انظر: التهاتوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ٤ / ٧١، ونشوان الحميري، الحور العين: ص ١٣٧).

(٩) لبدي: اسم آخر نسر من نسور لقمان بن عاد، سماه بذلك لأن لبدي بقي ولا يموت كاللبدي من الرجال اللازم لرحله، وكان كلما مات واحد اتخذ مكانه نسر آخر، فعمر سابعها زمناً طويلاً (اللسان: لبدي)، ويقال في المثل «أكبر من لبدي» وأيضاً «أني أبد على لبدي». قال النابغة:

أضحى خلاءً وأضحى أهلها احتملوا
أخسني عليها الذي أخسني على لبدي

(انظر: ابن قتيبة، المعارف: ص ٦٢٧، والميداني، مجمع الأمثال: ٣ / ٧٣).

يَسْرُهُ أَنْ تَكُونَ الشَّمْسَ أَوْ (١) القَمَرَ، أَوْ النَّارَ أَوْ (٢) الثَّلْجَ، أَوْ بُرْجًا مِنَ البُرُوجِ، أَوْ قِطْعَةً مِنَ الغَيْمِ، أَوْ تَكُونَ المَجْرَةَ بِأَسْرِهَا، أَوْ مِكيَالًا مِنَ المَاءِ، أَوْ مِقْدَارًا مِنَ الهَوَاءِ. فَسُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، ثُمَّ سُبْحَانَ اللهِ، كَأَنَّكَ تَعْرِفُ مِنْ بَحْرِ، أَوْ وَقَعْتَ (٣) عَلَى مَطْمُورَةَ (٤).

هذا والله العِلمُ لا ما أَلْفَهُ صَخْرٌ صَاحِبٌ سُلَيْمَانَ (٥)، ولا ما نَسَقَتْهُ سَحْرَةٌ بِأَبِيلِ (٦)، ولا ما وَصَعَهُ أَرِسْطاطَالِيسُ (٧). هذا والله العِلمُ لا ما جَاءَ بِهِ مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابِ، وَطَلْحَةُ (٨) المُرْتَابِ (٩). هذا العِلمُ لا مَحَارِقُ العُرَافِ، وَتَزَاوِيقُ الكُتَّانِ، بَلْ تَبْطُلُ فِيهِ رُقَى الهِنْدِ،

(١) في الدروبي ص ١٠٦: ولا.

(٢) في الدروبي ص ١٠٦: و.

(٣) في الدروبي ص ١٠٦: وقت.

(٤) المطمورة: الحفرة تحت الأرض هي خفيًا يطعم فيه الطعام والمال. (اللسان: طمر).

(٥) صخر صاحب سليمان: هو جني، وانظر قصته مع سليمان في سراج الملوك: ٦٤٢ / ٢.

(٦) بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحلة، ينسب إليها السحر، أول من نزلها وعمرها هو نوح عليه السلام.

(ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٣٠٩ / ١).

(٧) أرسطاطاليس: ابن نيقوماخس بن ماخازن، كان أبوه متطبيباً لأبي الاسكندر، وهو من تلامذة أفلاطون، وعن رأيه كان الاسكندر يمضي الأمور، لقب بالمعلم الأول، لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية، توفي في أواخر أيام الاسكندر.

(انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١ / ٦١، والتدبير، الفهرست: ص ٣٠٧، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: ص ٧٤، وابن نباتة، سرح العيون: ص ٢١٠ - ٢١٢، وابن فضل العمري، مسالك الإبصار: ٩ / ٢١ - ٢٣، والقفطي، تاريخ الحكماء: ٢١).

(٨) في الدروبي ص ١٠٦: طليحة.

(٩) طليحة بن خويلد: الأسدي، تنبأ في خلافة أبي بكر، وكان قد ارتد عن الإسلام، تغلب عليه خالد بن الوليد سنة (١١ هـ)، وعاد طليحة إلى الإسلام، وحسن إسلامه، وكان يُعدُّ بالف فارس، استشهد بنهاوند سنة (٢١ هـ).

وَيَضِلُّ عَنْهُ السَّمُّ الْمَجْهَزُ^(١)، وَيَقْصُرُ عَنْهُ، لُعَابُ الْأَفَاعِي، فَتَقَرُّ لَهُ التَّفَانِثُ فِي الْعُقَدِ^(٢).
فَيَا لَهَا عَدَاوَةٌ مَا أَبْعَدَ غَوْرَهَا، وَيَا لَهَا مُعَانِدَةٌ مَا أَوْخَمَ^(٣) عَاقِبَتَهَا. وَاللَّهُ لَوْ دَبَّرَهَا
السَّقَّاحُ^(٤) عَلَى مَرَوَانَ^(٥)، وَأَبُو جَعْفَرٍ^(٦) عَلَى أَبِي مُسْلِمٍ^(٧)، أَوْ الْمَأْمُونُ^(٨) عَلَى الْمَخْلُوعِ^(٩)،

= (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٣ / ٩٤، ابن حجر، الإصابة: ٣ / ٤٤٠، وابن العماد، شذرات الذهب: ١ / ٥٢، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ١٩٦، وابن عساکر، تهذيب تاريخ دمشق: ٧ / ٩٣).

(١) السم المجهز: السريع القتل. (اللسان: جهز).

(٢) إشارة إلى الآية ﴿وَمِنْ مَكْرٍ النَّفَقَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤].

(٣) أوخم: أسوأ عاقبة. (اللسان: وخم).

(٤) السقحاح: أبو العباس، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله، أول خلفاء الدولة العباسية، ولد سنة (١٠٤هـ)، وقام بدعوته أبو مسلم الخراساني، بويع بالخلافة سنة (١٣٢هـ)، كان جواداً، فصيحاً، عالماً، توفي سنة (١٣٦هـ).

(انظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول: ص ٢٠٦ - ٢٠٨).

(٥) مروان: مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، الخليفة الأموي، كان بطلاً شجاعاً داهيةً، ولد سنة (٧٢هـ) كان أديباً بليغاً، بويع بالخلافة سنة (١٢٧هـ)، قتل سنة (١٣٢هـ) وانتهت خلافة بني أمية.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦ / ٣٠٧).

(٦) أبو جعفر: أبو جعفر المنصور، الخليفة العباسي.

(٧) أبو مسلم: عبد الرحمن بن مسلم الخراساني، قائد مشهور، ولد سنة (١٠٠هـ)، صاحب الدعوة، وقام بتأسيس الدولة العباسية، قتل أبو جعفر المنصور سنة (١٣٧هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦ / ٢٨٧، والذهبي، ميزان الاعتدال: ٢ / ٥٩٠).

(٨) المأمون: أبو العباس، عبد الله بن هارون الرشيد، الخليفة العباسي.

(٩) المخلوع: أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد، الهاشمي العباسي، أمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور، ولد سنة (١٧١هـ)، كان ذا قوة وشجاعة، وأدب وفصاحة، توفي سنة (١٩٨هـ). =

أو الْمُعْتَصِمُ^(١) عَلَى بَابِكَ^(٢)، أَوْ الْمُعْتَزُّ^(٣) عَلَى الْمُسْتَعِينِ^(٤)، لَكَانَ ذَلِكَ مِنْ تَدْبِيرِهِمْ بَارِدًا، وَمِنْ حِيلِهِمْ بَدِيعًا.

وَلَوْ دَبَّرَهَا الْفَرَزْدَقُ عَلَى جَرِيرٍ، وَالْأَخْطَلُ^(٥) عَلَى الرَّاعِي^(٦)، وَحَمَادٌ^(٧) عَلَى

= (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٨ / ٢١٣، والذهبي، العبر: ١ / ٢٥٤، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٥ / ١٠٧).

(١) المعتصم: أبو إسحاق، محمد بن هارون الرشيد، الخليفة العباسي.

(٢) بابك: هو بابك الخرمي.

(٣) المعتز: أبو عبد الله، محمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن هارون الرشيد، ولد سنة (٢٣٢هـ)، كانت دولته مستضعفة مع الأتراك، وتجمع الأتراك لخلعه، مات سنة (٢٥٥هـ) وهو ابن (٢٣) سنة.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠ / ٣٦٣، وابن العماد، شذرات الذهب: ٢ / ١٣٠، والصفدي، الوافي بالوفيات: ٢ / ٢٩١، والذهبي، العبر: ١ / ٣٦٥).

(٤) المستعين: أبو العباس محمد بن أحمد بن المعتصم بن هارون الرشيد، الخليفة، ولد سنة (٢٢١هـ) ويبيع سنة (٢٤٨هـ)، اختلت الخلافة بولايته واضطرت الأمور، خلع نفسه سنة (٢٥٢هـ) ثم قُتل في السنة نفسها.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠ / ٥٩، والذهبي، العبر: ١ / ٣٦٠).

(٥) الأخطل: أبو مالك، غياث بن غوث، النصراني، من بني تغلب، مدح بني أمية، شاعر مشهور، ومات قبل (١١٠هـ).

(انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ٣٥٤، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥ / ٤٧٤).

(٦) الراعي: عبيد الله بن الحصين بن جندل بن قطن بن ربيعة بن نمير، لقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل والرعاة في شعره، شاعر فحل مشهور من شعراء الإسلام، كان أمور، امتدح عبد الملك بمروان، وهو من أهل البصرة، عاصر جريراً والفرزدق، توفي سنة (٩٠هـ).

(انظر: والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥ / ٤٨٠، والدارقطني، المؤلف والمختلف: ص ١٢٢).

(٧) حماد: حماد بن عمر من أهل الكوفة، مولى لبني سؤابة بن عامر بن صعصعة، كان معلماً وشاعراً، =

بَشَار^(١)، لَكَانَ مِنْ مَكَائِدِهِمْ شَاذًا غَرِيبًا:

مَا صَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهْجَوْتَهَا أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ^(٢)

هل يَضُرُّ الْقَمَرَ نُبَاحُ الْكَلْبِ؟ أَمْ هَلْ يُزَعِزُّ النُّخْلَةَ سُقُوطُ الْبَعُوضَةِ عَلَيْهَا؟
فَلَا أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتِ، وَلَا عَفَا عَنْكَ إِنْ عَفَوْتَ، أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي
مِنْقَرٍ^(٣):

فَمَا بَقِيََا عَلَيَّ تَرَكَمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِ^(٤)

= رُمِي بِالزُّنْدَقَةِ، مِنْ مَخْضَرَمِي الدُّوَلَتَيْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ، كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَشَارِ بْنِ بَرْدٍ مَهَاجَاةٌ فَاحِشَةٌ، قُتِلَ سَنَةَ (١٦١ هـ) عَلَى الزُّنْدَقَةِ.

(انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ٥٦٤، والدارقطني، الموثلف والمختلف: ص ١٥٧، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٧ / ١٢٢).

(١) بَشَارٌ: أَبُو مَعَاذٍ، بَشَارِ بْنِ بَرْدٍ، مَاتَ سَنَةَ (١٦٧ هـ) وَبَلَغَ التَّسْعِينَ.

(انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ٥٥٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٧ / ٢٢، والأصفهاني، الأغاني: ٣ / ٩١).

(٢) الْبَيْتُ لِلْفَرَزْدَقِ فِي دِيْوَانِهِ، دَارٌ صَادِرٌ وَدَارٌ بِيْرُوتٌ، بِيْرُوتٌ، ١٩٦٦ م: ٢ / ٣٤٤. تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ: تَقَابَلَا تَغْلِبَ وَائِلٌ: قَوْمُ الْأَخْطَلِ، وَرَدَ الْبَيْتُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّيْبِيْنِ: ٣ / ١٥٧، وَالْحَيَوَانَ: ١ / ١٣، ٣١٨، وَرِسَائِلُ الْجَاهِظِ، تَحْقِيقُ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ: ١ / ٣٦٩، وَالشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ: ص ١٥٢، وَخِزَانَةُ الْأَدَبِ: ٦ / ٩، وَعَيُونُ الْأَخْبَارِ: ٢ / ٦٥، وَزَهْرُ الْأَدَابِ: ١ / ٢٧.

(٣) أَخُو بَنِي مِنْقَرٍ: هُوَ اللَّعِينُ الْمَنْقَرِيُّ، مَنَازِلُ بِنِ أَمْعَزِ الْمَنْقَرِيِّ.

(٤) وَرَدَ الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ مَادَةَ (صَرَدٌ) وَ(نَبَلٌ) وَ(بَقِيَ)، وَخِزَانَةُ الْأَدَبِ: ٣ / ٢٠٨، وَالْقَلْعِيُّ، تَهْذِيبُ الرِّيَاسَةِ وَتَرْتِيبُ السِّيَاسَةِ: ص ٣٤٠، وَخِلَاصَةُ الذَّهَبِ الْمَسْبُوكِ: ص ١٦٢، وَالْمَحَاسِنُ وَالْمَسَاوِي: ص ٥١١، وَأَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ص ٤٨ وَ٤٥١، وَتَاجُ الْعُرُوسِ: مَادَةُ صَرَدٍ، وَالصَّحَاحُ: مَادَةُ بَقِي.

احذر البغي؛ فإنَّ مَصْرَعَهُ وَخِيم، وَأَتَى الْكَلَامَ^(١)؛ فَإِنَّ مَرَعَاهُ وَيِيل، وَإِيَّاكَ أَنْ
تَعْرِضَ لِجُرِيرٍ إِذَا هَجَا، وَلِلْفَرَزْدَقِ إِذَا فَعَّرَ، وَهَرِثَمَةَ^(٢) إِذَا دَبَّرَ، وَلِقَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ^(٣) إِذَا
مَكَرَ، وَلِطَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ^(٤) إِذَا صَالَ^(٥).

وعليك الجادة، فإنه خيرٌ لك، ودَع بُنَيَاتِ الطَّرِيقِ^(٦)، فإنه أمثلٌ لك، ودَع ما

(١) في الدروري ص ١٠٩: الكمال.

(٢) هرثمة: هرثمة بن أعين بن نصر الجبلي، أمير من القادة الشجعان والذهاء، قائد عباسي، ولاء
الرشيد مصر سنة (١٧٨هـ) ثم إفريقية لإخضاع عصاتها فهابه أهلها وأصلح أمورها، ثم عقد
له على خراسان، ثم قاد الجيوش للمأمون، توفي سنة (٢٠٠هـ) في مرو.

(انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٥٠٤، والكندي، الولاية والقضاة: ص ١٠٥).

(٣) قيس بن زهير: أبو هند، ابن رواحة العبسي، أمير عبس وبطلها، وأحد السادة القادة في غرب
العراق، كان داهية أديباً، شاعراً شجاعاً خطيباً، كان يلقب بقيس الرأي؛ لجودة رأيه، وهو
صاحب داحس التي راهن عليها حذيفة بن بدر صاحب الغبراء، توفي سنة (١٠هـ).
(انظر: الزركلي، الأعلام: ٥ / ٢٠٦).

(٤) طاهر بن الحسين: ابن طلحة الخزاعي بن مصعب بن زريق الأمير، من كبار رجال دولة بني
العباس، كان أديباً شجاعاً حكيماً، عالماً مفوهاً شاعراً، هو الذي وطّد الأمر للمأمون، وهو
الذي قتل الأمين، وعقد البيعة للمأمون، ولاء المأمون شرطة بغداد ثم خراسان، لقب بذي
اليمينين لأنه ضرب رجلاً فقدّه نصفين، وكانت الضربة بشاله، وقيل لأن المأمون كتب إليه
«يمينك يمين أمير المؤمنين وشمالك يمين»، وقيل لأنه ولي العراق وخراسان، حاول اقتطاع
خراسان لكنّه مات قبل ذلك سنة (٢٠٧هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١ / ٤٢٧).

(٥) صال: وثب. (اللسان: صول).

(٦) بنَيَاتِ الطَّرِيقِ: الطرق الصغار تشعب من الجادة. (اللسان: بني).

وهو مثل يضرب عند أمر الرجل أن يقصد معظم الشان ويدع صغار الأمور.

(انظر: اليوسي، زهر الأكم: ٢ / ١٩١، الميداني، مجمع الأمثال: ١ / ٤٧٣، والقالي، الأمالي:

١ / ٢٣٢).

كُنتَ مِنْهُ، وَعَلَيْكَ بِهَا لَا بُدَّ مِنْهُ، فَإِنَّ فِيهَا أوردُهُ عَلَيْكَ شُغْلًا شَاغِلًا.

قد جَمَعْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا لَا تَسْتَعْبُ بِهِ إِنْ غَفَلْتَ، وَلَا تَتَعَطَّ بِهِ إِنْ فَهِمْتَ،
وَحَلَمْتُ عَلَيْكَ رَأْيِي، وَحَيَوْتُكَ بِهَا حَبَوْتُ بِهِ أَحْسَنَ إِخْوَانِي، وَقَضَيْتُ حَقَّكَ بِهَا
أَشْبَهَكَ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ كُنتَ لِإِيَّاهُ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيَّ مَنْ أَنْتَ غَيْرُهُ.

[٣٩] فصل (١)

رَأَيْتُكَ أَبَاكَ اللَّهُ قَدْ كَرِهَتْ قُرْبِي، وَهَوَيْتَ بُعْدِي، وَاسْتَقَلَّتْ رُوحِي وَنَفْسِي،
وَاسْتَطَلَّتْ عُمْرِي، وَأَيَّامَ مُقَامِي^(٢)، فَأَيُّ شَيْءٍ أَبْقَيْتَ لِلْعَدُوِّ الْمُكَاشِفِ، وَالْمُنَافِقِ^(٣)
الْمُلَاطِفِ، وَلِلْمُتَعَمِّدِ الْمُجْرِمِ، [وَلِلْقَادِرِ الْمُدْبِرِ]^(٤)؟ وَلَمَنْ^(٥) عَاقَبَ عَلَى الصَّغِيرِ بِعُقُوبَةِ
الْكَبِيرِ، وَعَلَى الْهَفْوَةِ بِعُقُوبَةِ الْإِصْرَارِ، وَعَلَى الْحَقْطِ بِعُقُوبَةِ الْعَمْدِ، وَعَلَى مَعْصِيَةِ الْمُسِيرِ^(٦)
بِعُقُوبَةِ مَعْصِيَةِ^(٧) الْمَعْلَنِ^(٨)؟

(١) ورد هذا الفصل مكرراً في الأصل.

وردت بعض فقر هذا الفصل عند هارون: ٤ / ٨٤-٨٦ بعنوان: رسالة الجد والهزل، وعبيد الله:
١ / ١٦٦ - ١٦٨ بعنوان: رسالة في الجد والهزل، والحاجري: ص ٩٦-١٠٣ بعنوان: رسالة
الجد والهزل.

(٢) من بداية هذا الفصل إلى هنا ساقطة من هارون.

(٣) في هارون ٤ / ٨٤: وللموافق.

(٤) ما بين المقوفين من هارون: ٤ / ٨٤.

(٥) في هارون ٤ / ٨٤: ومن.

(٦) في هارون ٤ / ٨٤: المستر.

(٧) ساقطة من هارون.

(٨) من بداية هذا الفصل إلى قوله «... بعقوبة معصية المعلن» ساقطة من عبيد الله.

ولا أعلمُ ناراَ أبلغُ في إحراقِ أهلِها من نارِ الغَيْظِ، ولا حَرَكَةَ أنقَصُ^(١) لقوى الأبدانِ من طَلَبِ الطَّوائِلِ^(٢)، [مع قَلَّةِ الهدوءِ، والجهلِ بنافعِ الجِهامِ، وإعطاءِ الحالاتِ أقسامها من التَّنْديبِ]^(٣).

ولا أعرفُ^(٤) تِجَارَةَ أكثرِ خُسراناَ، ولا أخفُ ميزاناَ، من عداوَةِ العاقلِ العالمِ، وإطلاقِ لِسَانِ الجَلِيسِ المُدْخِلِ^(٥)، والشُّعاريِّ^(٦) دونَ الدُّنَّارِ^(٧)، والخاصِّ دونَ العامِّ.

وبعد^(٨)، فانتَ على يقينٍ من مَوَاقِعِ ألمِ الغَيْظِ، والنَّيْظِ عَذابِ، ولَرَبِّياً زادَ التَّسْفِي في الغَيْظِ ولم يُنْقِصْ منه، ولَسْتُ على يقينٍ من نُفُوذِ سَهْمِكَ في صَيْدِكَ، كما أيقنْتُ بمَوْضِعِ الغَيْظِ من صَدْرِكَ. والحازِمُ لا يَجْتَلِبُ شِفَاءَ غَيْظِهِ باجْتِلابِ صَعْفِهِ، ولا يُسَدُّ إلاَّ والعَرَضُ مُحْكِنٌ، والغايَةُ قَرِيْبَةٌ، ولا يَهْرُبُ والهَرْبُ مَعْجِزٌ.

والغَضْبُ أبْقاكَ اللهُ في طِباعِ شَيْطانِ، والهوى مُتَصَوِّرٌ في صوْرَةِ امرَأةٍ. ولا يُبْصِرُ مَساقِطَ العَيْبِ، ومَوَاقِعَ السَّرْفِ/، إلاَّ كُلُّ مُعْتَدِلِ الطَّباعِ، ومُعْتَدِلِ الأخْلاطِ^(٩)، ومُسْتَوِيِّ الأسبابِ.

(١) في هارون ٤ / ٨٤، وعبيد الله ١ / ١٦٦: أنقص.

(٢) الطوائِل: الثأر. (اللسان: طول).

(٣) ما بين المعرفين من هارون: ٤ / ٨٤، وعبيد الله ١ / ١٦٦.

(٤) في هارون ٤ / ٨٥، وعبيد الله ١ / ١٦٦: أعلم.

(٥) في هارون ٤ / ٨٥، وعبيد الله ١ / ١٦٦: والمداخل.

المداخل: المباطن. (اللسان: دخل).

(٦) الشُّعاري: ما ولي شعر جسد الإنسان دون غيره من الثياب. (اللسان شعر).

(٧) الدُّنَّار: ما كان من الثياب فوق الشعار. (اللسان: دثر).

(٨) من قوله «وبعد...» إلى قوله «... ومستوي الأسباب» ساقطة من هارون.

(٩) الأخلاط: جمع خلط، الأمزجة. (اللسان: خلط).

جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ هَذَا الْحُزْنَ^(١) وَإِنْ كَانَ قَاتِلًا؛ فَإِنَّهُ دَاءٌ مُمَاطِلٌ، وَسُقْمَةٌ سَقَمٌ مُطَاوِلٌ، وَمَعَهُ مِنَ التَّمَهِيلِ^(٢) بِقَدْرِ قِسْطِهِ مَنَانَةٌ الْمِرَّةِ السَّوْدَاءِ^(٣). وداءُ الغَيْظِ سَفِيَةٌ طَائِشٌ^(٤)، وَعَجْوَلٌ فَحَاشٍ، يَعْجِزُ^(٥) عَنِ التَّوْبَةِ، وَيَقْتَطِعُ عَنِ الْوَصِيَّةِ^(٦)، وَمَعَهُ مِنَ الْخَرْقِ بِقَدْرِ قِسْطِهِ مِنَ التَّهَابِ الْمِرَّةِ الْحَمْرَاءِ. وَالْعَجْوَلُ يُحْطِئُ وَإِنْ ظَفِرَ، فَكَيْفَ إِذَا أَخْفَقَ؟ عَلَى أَنْ إِخْفَاقَهُ لَا يَزِيدُ فِي حَقِيقَةِ خَطْئِهِ، كَمَا أَنَّ ظَفْرَهُ لَا يُنْقِصُ مِنْ مِقْدَارِ زَلِكِهِ. وَاللَّهُ لَوْ كُنْتُ أَحْتَلْتُ^(٨) عَلَى مَوْتِ الْمُعْتَصِمِ، وَغَضِبْتُ لِمَصْرَعِ الْأَفْشِينِ^(٩)،

(١) في هارون ٤ / ٨٦، وعبيد الله ١ / ١٦٧: أن داء الحزن.

(٢) في هارون ٤ / ٨٦، وعبيد الله ١ / ١٦٧: التمهيل.

(٣) المرة السوداء: مرة غير طبيعية تسمى بالسوداء المحترقة، وبالسوداء الاحترافية، وهي من الأخلاط بالدم.

(٤) (التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ٤ / ١٢٢، والخوازمي، مفاتيح العلوم: ص ١٠٦).

(٥) في هارون ٤ / ٨٦، وعبيد الله ١ / ١٦٧: طائش.

(٦) في هارون ٤ / ٨٦، وعبيد الله ١ / ١٦٧: يعجل.

(٧) في هارون ٤ / ٨٦، وعبيد الله ١ / ١٦٧: يقطع دون الوصية.

(٨) من هنا إلى نهاية الفصل ساقطة من هارون، باستثناء فقرة سيتم الإشارة إليها.

(٩) في عبيد الله ١ / ١٦٨: أعنت.

(٩) الأفشين: أبو الحسن، حيدر بن كاوس، أصله من أشروسنة، من قواد جيش المعتصم، وهو الذي قضى على بابك الخرمي وحركه، كان طاغية وأتهم بالحياة، ثمرد على المعتصم فقتله المعتصم وصلبه سنة (٢٢٦ هـ).

(انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥ / ٢٠٩ - ٢٧٢، والمسعودي، التنبيه والاشراف:

ص ٣٠٦، وابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: ١ / ٢١٣، وابن العبري، تاريخ مختصر الدول:

٢٤٢، وابن ظافر، أخبار الدولة المنقطعة: ٢ / ٣٥١، والنويري، نهاية الأرب: ٢٢ / ٢٥٨،

والكندي، الولاية والقضاة: ص ١٤٣).

وَأَسْتَجَبْتُ لِلذِّكِّ الْأَفْرَقِ^(١)، وَأَحْبَبْتُ صَالِحَ بَنِ حُنَيْنٍ^(٢)، وَأَخْرَجْتُكَ^(٣) إِلَى الرِّيشِ^(٤)،
وَكَانَ الشَّيْخُ^(٥) صَدِيقِي، وَالْفَارِسِيُّ^(٦) مِنْ شِيعَتِي، وَرَفَسْتُ^(٧) حَمْرَةَ^(٨) رَفْسَةً شَدِيدَةً،

(١) في عيد الله ١ / ١٦٨: الأبيض الأفرق.

الذِّكِّ الْأَفْرَقِ: الأفرق المرفوق العرف، كانت العامة في زمن الجاحظ يتبركون بالذِّكِّ
الأبيض الأفرق، ويزعمون أنه يطرد الشيطان من البيت.
(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٢ / ٢٠٧).

(٢) في الأصل جبير.

صالح بن حنين: ذكره الجاحظ في البخلاء، ويفهم من الخبر أنه كان من البخلاء البقضاء
التقلأ، وكان نديماً من ندماء صالح بن الرشيد، وكان مضحكاً سخيفاً بارداً النادرة.
(انظر: رسائل الجاحظ، عبد السلام هارون: ١ / ٢٣٦، الحاشية: رقم ٢).

(٣) في عيد الله ١ / ١٦٨: وأحوجتك.

(٤) حاتم الريش: من ندماء صالح بن الرشيد. (انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٦ / ١٠٤).

(٥) الشَّيْخُ: معقل بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام وأسلم، وهو
شاعر مجيد وهو من طبقة لييد والنابغة، كان أرجز النَّاسِ عَلَى البديعة، ولقب بالشَّيْخِ، توفي سنة
(٢٢٢هـ).

(انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ٢١٥، والدارقطني، المؤلف والمختلف: ص ١٣٨).

(٦) الفارسي: هو سلمان الفارسي، أبو عبد الله، سلمان الخير، مولى رسول الله، أصله من فارس،
توفي في المدائن في ولاية عمر سنة (٣٥هـ).

(انظر: النووي، تهذيب الأسماء والصفات: ص ٣٣).

(٧) الرفس: ضرب الرجل في صدره بالرَّجْلِ. (اللسان: رفس).

(٨) حمزة: أبو عمارة، ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، القرشي الهاشمي المكي، الإمام
الضَّرْغام، أسد الله، عم الرسول وأخوه في الرضاعة، وهو سيّد الشهداء، توفي سنة (٣ هـ) في
غزوة أحد، قتله عبداً أسود يدعى وحشي، وحمل كبده إلى هند في نذر نذرته حين قتل أباه يوم
بدر، وقيل أن النِّيلَما رأى حمزة قتيلاً بكى، ولما رأى ما مثل به شهق.

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢ / ٢٠١، ابن حجر، الإصابة: ٢ / ٣٦، ١٠٩، والذهبي، سير

أعلام النبلاء: ٣ / ١١٠، والذهبي، العبر: ١ / ٦).

وَرَكَلْتُ عُمَرَ رَكْلَةً صَعْبَةً، لَكَانَ مَا رَكَبْتَنِي بِهِ سَرَفًا، لَكُنْتُ فِي هَذَا الْعِقَابِ مُعْتَدِيًا.

جُعِلْتُ فِدَاكَ، لَا تَتَعَرَّضْ لِعِدَاوَةِ عُقَلَاءِ الرَّجَالِ، وَلِضَغِينَةِ حُفَاظِ الْمَثَالِبِ^(١)،
وَلِلِّسَانِ مَنْ قَدْ عَرَفَ الْقَصْدَ. وَكُلُّ ذَنْبٍ كَانَ سَبَبَهُ الدَّالَّةُ^(٢)، وَضِيقُ صَدْرٍ، وَعُلُوُّ
طَبَاعٍ، وَجِدَّةٌ مُرَارٌ، أَوْ مِنْ جِهَةِ الْغَلْظِ فِي الْمَقَادِيرِ، أَوْ مِنْ طَرِيقِ فَرِطِ الْأَنْفَةِ^(٣)، وَغَلِيَّةِ
طَبَاعِ الْحَمِيَّةِ. فَإِذَا كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ هَذَا الشَّكْلِ، وَعَلَى هَذِهِ الْأَسْبَابِ، وَفِي هَذِهِ
الْمَجَارِي، فَلَيْسَ يَقِفُ عَلَيْهَا كَرِيمٌ، وَلَا يَلْتَمِثُ لَفْتَهَا حَلِيمٌ، وَمِنْ الْعَدَلِ الْمَحْضِ.
وَالْإِنصَافِ الصَّحِيحِ، أَنْ تُحْطَّ مِنَ الْحَسُودِ نِصْفَ عِقَابِهِ، وَأَنْ تَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى بَعْضِ
مِقْدَارِهِ؛ لِأَنَّ أَلْمَ حَسَدِهِ لَكَ قَدْ كَفَاكَ مِنْهُ شَطْرَ غَيْظِكَ عَلَيْهِ.

فَأَمَّا الْوَادُ فَلَا تَعْرِضْ لَهُ الْبَيْتَةَ، وَلَا تَلْتَمِثُ [لِيهِ]^(٤) لَفْتَةً، وَلَوْ أَتَى عَلَى الْحَرِثِ
وَالنَّسْلِ، وَجَنَى عَلَى الرُّوحِ وَالْقَلْبِ، وَلَا تَعْتَرَّ بِقَوْلِهِ إِيَّيَّيْ وَادٍ، وَانظُرْ أَنْتَ فِي حَدِيثِهِ،
وَالِي تَحَارِجِ لَفْظِهِ، وَفِي لَحْنِ قَوْلِهِ.

جُعِلْتُ فِدَاكَ، لَيْسَ يَوْمِي مِنْكَ وَاحِدًا، وَأَنَا فِي عِقَابِكَ وَاحِدٌ، وَلَيْسَ يُنَجِّنِي
مِنْكَ مَعْقِلٌ وَعَلٍ^(٥)، وَلَا مَغَارُ سُبُعٍ، وَلَا قَعْرُ بَحْرٍ، وَلَا رَأْسُ طُودٍ، وَلَا حُسَيْنِي، وَلَا
دَعْلٌ وَلَا وَحْلٌ، وَلَا لَتَقُ^(٦)، وَلَا بَعَقُ^(٧)، وَلَا مَغَارَةٌ وَلَا مَطْمُورَةٌ.

وَلَا وَاللَّهِ إِنَّ بِي قُوَّةً عَلَى الشُّعْبَانِ، فَكَيْفَ التَّيْنِ، وَلَا عَلَى الْقِرَّةِ^(٨) فَكَيْفَ

(١) إِلَى هُنَا انْتِهَاء مَا وَرَدَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِاسْتِثْنَاءِ قِرَّةٍ سَيَمُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا لِاحْتِقَابِ الْمَثَالِبِ: الْعِيُوبِ.
(اللسان: ثلب).

(٢) الدَّالَّةُ: المَثَلَةُ. (اللسان: دلل).

(٣) الأنفة: هو ما لا يصيبه الضميم. (اللسان: أنف).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيهما السياق.

(٥) الوعل: تيس الجبل. (اللسان: وعل).

(٦) لتق: اللزج المتبل. (اللسان: لتق).

(٧) بعق: مندفع بالماء، وهو السيل الدفّاع. (اللسان: بعق).

(٨) القرة: الضفدعة. (الدميري: حياة الحيوان الكبرى: ٢ / ٧٦).

الأصله^(١). اعفني من جبه المهلب، ثم أقلني من أي قتلة شئت. إن احترست منك، ألفت نفسي كذا شديدا، وعمّا طويلا، وطال اغترابي لآتي، وتعرّضت للعدوّ، وتحترست للسباع. وإن استرسلت إليك، لم تر أن تقتلني إلا شرّ قتلة وآلها، ولم تُعدّ بني إلا بأشدّ النقم وأطولها/. ولو أزدت لاخرت الكليل على المرفف، والتطويل على التدقيق، حتى كآني عملت عليك شاه مات^(٢)، أو أكلت عشرة، وأطعمتك واجدة.

^(٣) لقد جمع هذا التدبير لطافة الشخص، ويعدّ الغور، ودقة المسلك^(٤)، والله لو دبرها الإسكندر^(٥) على دارا بن دارا^(٦)، أو استخرجها^(٧) المهلب على سفيان بن

(١) الأصل: الحية العظيمة، وهي حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم تثب على الفارس فقتله. (اللسان: أصل، والدميري: حياة الحيوان الكبرى: ١ / ٢٨).

(٢) هذا في لعبة الشطرنج.

(٣) من هنا ابتداء ما ورد في الحاجري.

(٤) انظر القول في الحيوان: ١ / ٣٣٦. يقال: دبت إليه دويبة النهر، وذلك حين أرادوا لطافة المدخل ودقة المسلك.

(٥) الاسكندر: هو الاسكندر المقدوني، لقب بذى القرنين، ولكنه ليس المذكور في القرآن، عندما توفي كان عمره (٣٦) سنة، وكان ملكه (١٦) سنة.

(انظر: حمزة الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء: ص ٣٩، وابن الوردى، تاريخ ابن الوردى: ١ / ٦٢، وابن الزحيف، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمى اللوائح الندية بالحدائق الوردية: ١ / ١٨٩).

(٦) دارا بن دارا: كان دارا يتقاضى إتاوة على من بالمغرب من قبط وبربر، ومن بالشمال من الروم والصقلب، ومن بالشام وفلسطين من الجرامقة والجراجمة، فلما استولى الاسكندر على الملك وورد عليه من قبل دارا من يتقاضاه الإتاوة، قال: قولوا له أن الدجاجة التي كانت لي الآن تبيض قد انقطعت عن البيض، وصار ذلك سببا لالتحام الشر بين دارا والاسكندر حتى قُتل فيه دارا.

(انظر: حمزة الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء: ص ٣٨، وابن قتيبة، المعارف: ص ٦٥٣، والدينوري، الأخبار الطوال: ص ٧٢ - ٧٤، وابن هذيل، عين الأدب والسياسة: ص ١٧٠).

(٧) في الحاجري ص ٩٦: واستخرجها.

الأبرد^(١)، وفتحت على هرثمة^(٢) في مكيدة خازم بن خزيمة^(٣). ولو دبرها لقيم بن لقمان على لقمان بن عاد، وأدعاها^(٤) قيس بن زهير على حصن بن حذيفة، وتوجهت^(٥) لكتهان بن أسد على دهاة قریش، كان^(٦) ذلك من تدبيرهم نادراً بديعاً، وشاذاً غريباً^(٧). وإثنا لترتفع عن قصير^(٨) في كيد الزباء^(٩)، وعن جذيمة^(١٠) في

(١) سفيان بن الأبرد: ابن أبي أمارة بن قابوس بن سفيان، الأصم الكلبى، من قواد بني أمية. (انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٤٥٧).

(٢) هرثمة بن أعين.

(٣) خازم بن خزيمة: ابن عبد الله بن حنظلة بن مطلق بن صخر بن نeshل، صاحب شرطة بني العباس، ولي خراسان وعمان، ومات ببغداد في خلافة أبي جعفر المنصور.

(٤) انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢٣٠، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٣٠٩، ٣١ (٤) في الأصل (أدعاها) وهو تصحيف. وما أثبت من حاشية الأصل. في الحاجري ص ٩٦: ولو أدعاها. (اللسان: راغ).

(٥) في الحاجري ص ٩٦: ولو توجهت.

(٦) في الحاجري ص ٩٦: لقد كان.

(٧) في الحاجري ص ٩٦: وكان في مكائدهم شاذاً غريباً.

(٨) قصير: ابن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن نهاره، كان صاحب جذيمة الأبرش ومن خلصائه، وكان صاحب رأي ودهاء، وهو أحد رجال القصة المشهورة في انتقام عمرو بن عدي من الزباء في الجاهلية.

(انظر: البغدادي، خزائن الأدب: ٧/ ٢٩٣، والزركلي، الأعلام: ٥/ ١٩٩).

(٩) الزباء: بنت عمرو بن الطرب بن حسان بن أذينة بن التمديع، كانت من أحزم النساء، صاحبة تدمر، وملكة الشام والجزيرة، كانت غزيرة المعارف، بديعة الجمال، مولعة بالصيد والقنص، تحسن أكثر اللغات الشائعة في عصرها، وليت تدمر بعد مقتل والدها، وطرقت الرومان وحاربتهم، وامتد حكمها من الفرات إلى بحر الروم، ومن صحراء العرب إلى آسية الصغرى، توفيت سنة (٣٥٨ ق.هـ).

(انظر: ابن سعيدي، نشوة الطرب: ١/ ٥٨ - ٦٠، وابن نباتة، سرح العيون: ص ٨٤ - ٨٥).

(١٠) جذيمة: ابن مالك بن فهم بن عمرو بن الأزدي، كان ثاني ملوك الحيرة، وأول ملوكها أبوه =

مِشَاوَرَةَ^(١) قَاصِرِ^(٢)، وَتَدِيقِ^(٣) عَلَى ابْنِ الْعَاصِ^(٤)، وَتَعْمُصُ عَلَى ابْنِ هِنْدِ^(٥)، وَيَكْبُلُ^(٦)

= مالك بن فهم، جاهلي، عاش عمراً طويلاً، وهو أول من غزا بالجيش المنظمة، وأول من عملت له المجانيق للحرب من ملوك العرب، سمي الوصاح؛ لوضوح ما كان به أي برص، وكذلك يسمّى الأبرش، كان من أفضل الملوك رأياً، وأشدّهم نكابةً.

(انظر: البغدادي، خزنة الأدب: ٧/ ٢٩٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٦/ ١٨).

(١) في الأصل (مساورة) وهو تصحيف.

(٢) قام جذيمة الأبرش بقتل عمرو بن الظرب، وبعد أن تملكّت الزّباء ابنته، قرّرت أن تأخذ بثأر أبيها، وأشارت أختها عليها أن تعلمه برغبتها بالزّواج منه، وبعد أن نظفر به تقتله، فكتبت إليه بذلك، فشاور جذيمة أصحابه، ووافقوه، إلا قصير وقال: «هذا رأي فاتر، وغدر حاضر»، ولم يوافق جذيمة، ولكن جذيمة رحل إليها، فلما دخل عليها أمرت بقطع عروق ذراعه، ونزف دمًا إلى أن مات، فاحتال قصير وابن أخت جذيمة واسمه عمرو بن عدي حتّى دخل قصير قصر الزّباء، وعرف خططها، وهم عمرو بقتلها، فامتصّت سماً قاتلاً من خاتمها، وقالت: «بيدي لا بيدي عمرو».

(انظر: البغدادي، خزنة الأدب: ٧/ ٢٩٣ ٢٩٥).

(٣) في الحاجري ص ٩٦: وما إخالها إلا وتدق. في الأصل (ندق) وهو تصحيف.

(٤) ابن العاص: أبو عبد الله، عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، فاتح مصر، ولد سنة (٥٠ ق. هـ) وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرّأي والحزم والمكيدة فيهم، كان في الجاهليّة من الأشداء على الإسلام، أسلم في هدنة الحديبية، ولاه النبي ﷺ إمرة جيش ذات السلاسل، ثم كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشّام في زمن عمر، وهو الذي افتتح قسرين، ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، كان مع معاوية، فولاه معاوية على مصر سنة (٣٨ هـ) وكان عمر بن الخطاب إذا رأى رجلاً يتلجلج في كلامه قال: «خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحدا»، توفي سنة (٤٣ هـ).

(انظر: الزّركلي، الأعلام: ٥/ ٧٩).

(٥) ابن هند: هو معاوية بن أبي سفيان.

(٦) يكبل: يضعف. (اللّسان: كلل).

عَنْهَا أَخُو ثَقِيف^(١)، وَيَسْتَسَلِمُ لَهَا ابْنُ سُمَيَّةَ^(٢)، هَذَا [وَاللَّهِ] ^(٣) التَّدْبِيرَ لَا تَحَارِقُ العُرَافَ^(٤)، وَتَزَاوِيرِ الكُتَّانِ^(٥)، وَتَهَاوِيلِ الجَانِّ^(٦)، وَلَا مَا سَجَّاهَا^(٧) صَاحِبُ الدِّينِ، بَلْ تَضِلُّ فِيهَا رُفَى الهِنْدِ، وَتَقْرُبُهَا^(٨) سَحْرَةَ بَابِلَ.

وَلَوْ كُنْتَ إِذَا أَرَدْتَ مَا أَرَدْتَ، وَحَاوَلْتَ مَا حَاوَلْتَ، وَقَعْتَ^(٩) قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِالمُؤَانَسَةِ^(١٠)، ثُمَّ أَعْمَلْتَ الحِرْمَانَ، ثُمَّ صَرَّحْتَ بِالجُفُوءِ، ثُمَّ أَمَرْتَ بِالحِجَابِ، ثُمَّ صَرَّمْتَ الحَبْلَ^(١١)، لَكُنْتُ وَاحِدًا مِمَّنْ يَصْبِرُ [أَوْ يَجْزِعُ]^(١٢)، وَلَكِنْ فُجَاءَتْ الحَوَادِثُ،

(١) أخو ثقيف: هو الحجاج بن يوسف الثقفي.

(٢) ابن سمية: زياد بن أبيه، وأمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي، ولد سنة (١هـ)، ألحقه معاوية ابن أبي سفيان بنسبه سنة (٤٤هـ) أبوه عبيد الرومي، وقيل أبو سفيان، ولي البصرة والكوفة، أمير من دماء القادة الفاتحين، من أهل الطائف، أدرك النبي ﷺ ولم يره، توفي سنة (٥٣هـ).

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢ / ٣٣٦، والبغدادي، خزنة الأدب: ٦ / ٤٩، والذهبي، العبر: ١ / ٤١، والنووي، تهذيب الأسماء: ص ٢٨٧).

(٣) ما بين المعقوفين من الحاجري ص ٩٦.

(٤) مخاريق: الأكاذيب المختلفة. (اللسان: حرق).

العُراف: جمع عُرَافٍ وهو الكاهن. (اللسان: عرف).

(٥) في الحاجري ص ٩٦: وتزاوير الكاهن.

(٦) في الحاجري ص ٩٦: وتهاويل الحاوي.

(٧) في الحاجري ص ٩٦: يتسجها.

(٨) في الحاجري ص ٩٦: وتقربها.

(٩) في الحاجري ص ٩٦: رفعت.

(١٠) جاء بعد هذه العبارة في الحاجري ص ٩٦: «ثم أبيت المواكلة، ثم قطعت البر، ثم أذنت مع العامة».

(١١) جاء بعد هذه العبارة في الحاجري ص ٩٦: «ثم عاديت واقتصدت، ثم من بعد ذلك كله أسرفت واعتديت».

(١٢) ما بين المعقوفين من الحاجري ص ٩٦.

وَبَعَثَاتِ الْبَلَاءِ، لَا يَقُومُ لَهَا الْحَجَرُ الْقَاسِي، وَلَا الْجَبَلُ / الرَّاسِي، [فَلَمْ تَدَعْ غَايَةَ فِي صَرْفِ مَا بَيْنَ طَبَقَاتِ التَّعْذِيبِ إِلَّا آتَيْتَ عَلَيْهَا، وَلَا فُضُولَ مَا بَيْنَ قِوَاصِمِ الظَّهِيرِ إِلَّا بَلَّغْتَهَا] ^(١) فَقَدْ مُتُّ الْآنَ. وَمَنْ يَعِيشُ فَقَدْ قَتَلَنِي ^(٢)، وَمَنْ الْآنَ تُعَاشِرُ.

وَاللَّهُ لَوْ أَنْتَجْتُ فِي كُلِّ عَامٍ أَلْفَ شَيْدِيزٍ ^(٣)، وَأَحْبَلْتُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَرْبَعَةَ أَلْفِ زَيْرَبٍ ^(٤)، وَأَحْبَلْتُ ^(٥) ابْنَ الْقُرِّ ^(٦) مَعَ إِفْرَاطِ الشَّبَقِ، لَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَقْتُلَنَا هَذِهِ الْقِتْلَةَ ^(٧)، وَلَوْ اقْتَصَرْتَ مَعَ الْعُقُوبَةِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَكَانَ أَمْثَلًا ^(٨).

فَلَا تَقِفْ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ - بَعْدَ مَضِيكِ ^(٩) التَّجَاسَا لِلْعَفْوِ عَنِّي، وَلَا تُقْصِرْ فِي ^(١٠)

= وجاء بعد هذه العبارة «فلعلني كنت أعيش بالرفق، وأتبلغ بحشاشة النفس، وأعلل نفسي بالطمع الكاذب».

(١) ما بين المعقوفين من الحاجري ص ٩٧.

(٢) عبارة «من يعيش فقد قتلني» ساقطة من الحاجري.

(٣) شيديز: اسم فرس لكسرى أبرويز، وكان لا يشبهه فرس. (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٣١٩ / ٢).

(٤) الزيرب: القطيع من بقر الوحش. (اللسان: رب).

(٥) في الحاجري ص ٩٨: واحتلت.

(٦) في الحاجري ص ٩٨: الفر. ابن القر: ابن القروجة أو القروج. (اللسان: قرر).

(٧) في الحاجري ص ٩٨: «لما كان ينبغي لك أن تعاملنا بهذه المعاملة ولا كان ينبغي أن تقتلنا هذه القتلة».

(٨) في الحاجري ص ٩٨: «ولو اقتصرنا من العقوبة على شيء دون شيء لكان أعدل، ولو عفوت البتة لكان أمثل».

(٩) في الحاجري ص ٩٩: بعد مضيك في عقابي.

(١٠) في الحاجري ص ٩٩: عن.

إفراطِكَ مِنْ طَرِيقِ الرَّحْمَةِ لِي، لَكِنْ ^(١) قَفِ وَقْفَةً مَنْ يَتَّبِعُهُمُ الْعَضْبَ عَلَى عَقْلِهِ، وَالشَّيْطَانَ عَلَى دِينِهِ، وَتَعَلَّمَ أَنْ لِلْعَقْلِ خُصُومًا، وَلِلكُرْمِ أَعْدَاءَ، أَوْ مِنَ النُّصْفَةِ ^(٢) أَنْ تَتَّصِفَ لِعَقْلِكَ مِنْ خَصْمِهِ، وَلِكُرْمِكَ ^(٣) مِنْ عَدُوِّهِ، وَتُمْسِكَ إِمْسَاكَ مَنْ لَا يُبْرئِ نَفْسَهُ مِنَ الْهَوَى، وَلَا [يُبْرئِ] ^(٤) الْهَوَى مِنْ الْخَطَا، وَلَا تُنْكِرْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَزَلْ، وَلَا لِعَقْلِكَ أَنْ يَهْفُو، فَقَدْ زَلَّ آدَمُ وَهَفَا، وَقَدْ عَصَى وَغَوَى، وَغَرَّهَ عَدُوُّهُ، وَخَدَعَهُ خَصْمُهُ، وَعَيْبَ بِاخْتِلَالِ عَزَمِهِ، وَسُكُونِ قَلْبِهِ، إِلَى خِلَافِ ثِقَّتِهِ.

هَذَا وَقَدْ خَلَقَهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَهُ دَارًا آمِنَةً، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ، وَرَفَعَ فَوْقَ الْعَالَمِينَ دَرَجَتَهُ، وَعَلَّمَهُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، بِجَمِيعِ الْمَعَانِي.

هَذَا وَآدَمُ هُوَ الشَّجَرَةُ وَأَنْتَ الشَّمْرَةُ، وَهُوَ سَهَاوِي وَأَنْتَ أَرْضِي، وَهُوَ الْأَصْلُ وَأَنْتَ الْفَرْعُ، وَالْأَصْلُ أَحَقُّ بِالْقُوَّةِ، وَالْفَرْعُ / أَوْلَى بِالضَّعْفِ، فَلَسْتُ أَسْأَلُكَ إِلَّا رَبِّمَا تَسْكُنُ [إِلَيْكَ نَفْسُكَ] ^(٥)، وَبِرْتَدُّ إِلَيْكَ ذَهْنُكَ، وَحَتَّى تَوَازِنَ بَيْنَ شِفَاءِ الْغَيْظِ، وَالِاتِّفَاعِ بِثَوَابِ الْعَفْوِ.

جُعِلْتُ فِدَاكَ، اَعْلَمْ أَنِّي قَدْ أَحْصَيْتُ جَمِيعَ سَبَابِ التَّعَادِي، وَحَصَلْتُ جَمِيعَ عِلَلِ التَّضَاغُنِ، إِلَّا عِلَّةَ عِدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ؛ فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ مَجَازَهَا ^(٦) فِي الْجُمْلَةِ، وَلَا

(١) فِي الْحَاجِرِيِّ ص ٩٩: وَلَكِنْ.

(٢) فِي الْحَاجِرِيِّ ص ٩٩: وَأَنْ مِنَ النُّصْفِ.

(٣) فِي الْحَاجِرِيِّ ص ١٠٠: وَتَتَّصِفُ لِكُرْمِكَ.

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْتَرِفِينَ مِنَ الْحَاجِرِيِّ ص ١٠٠.

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْتَرِفِينَ مِنَ الْحَاجِرِيِّ ص ١٠١.

(٦) فِي الْحَاجِرِيِّ ص ١٠٢: إِلَّا مَجَازَهَا.

أَحَقَّ خَاصَّتِهَا عَلَى التَّحْصِيلِ، وَعَلَى [كُلِّ] ^(١)حَالٍ؛ فَقَدْ عَرَفْتُهَا مِنْ طَرِيقِ الْجُمْلَةِ، وَأَنَّ
جُمْلَتَهَا ^(٢)مِنْ طَرِيقِ التَّفْضُلِ.

فَأَمَّا هَذَا التَّجَنِّي فَلَمْ أَعْرِفْهُ فِي عَامٍ وَلَا خَاصٍّ ^(٣). وَلَكِنْ اشْتَدَّ تَعَجُّبِي مِنْكَ الْيَوْمَ
وَأَنَا بِفَرَّغَانَةَ ^(٤)، وَأَنْتَ بِالْأَنْدَلُسِ. وَأَنَا صَاحِبُ الْكَلَامِ، وَأَنْتَ صَاحِبُ نِتَاجِ.
وَصِنَاعَتِكَ جَوْدَةُ الْحَطِّ، وَصِنَاعَتِي جَوْدَةُ الْمَحْوِ. وَأَنْتَ كَاتِبٌ [وَأَنَا] ^(٥)أُمِّي، وَأَنْتَ
خَرَاஜِي ^(٦)، [وَأَنَا] ^(٧)عَشْرِي ^(٨)، وَأَنْتَ زَرْعِي ^(٩)، وَأَنَا نَخْلِي ^(١٠). فَلَوْ كُنْتُ مِنْ تَمِيمٍ،
وَكُنْتُ ^(١١)مِنْ بَكْرِ ^(١٢)، كَانَ لَكَ فِي الْعِدَاوَةِ ^(١٣)سَبَبٌ، وَإِلَى الْمُنَافَسَةِ سُلَّمٌ.

(١) ما بين المعقوفين من الحاجري ص ١٠٢.

(٢) في الحاجري ص ١٠٢: جهلتها.

(٣) في الحاجري ص ١٠٢: ولا خاص ولا عام.

(٤) فرغانة: مدينة وكورة واسعة بها وراء النهر، كثيرة الخير، بها الجبال الممتدة، مليئة بالأعشاب
والجوز والفتق والتفاح وسائر الفواكه، والورد والبنفسج وأنواع الرياحين.
(انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٤ / ٢٥٣).

(٥) ما بين المعقوفين من الحاجري ص ١٠٣.

(٦) خراجي: الذي يدفع خراج أرضه التي تؤخذ عنوة. (اللسان: خرج).

(٧) ما بين المعقوفين من الحاجري: ص ١٠٣.

(٨) عشري: الذي يدفع العشر عن أرضه. (اللسان: عشر).

(٩) زرعِي: الذي يزرع القمح والحبوب والخضار. (اللسان: زرع).

(١٠) نخلي: زارع النخيل. (اللسان: نخل).

(١١) في الأصل (كنت) والواو لازمة هنا.

(١٢) في الحاجري ص ١٠٣: «فلو كنت إذ كنت من بكر كنت من تميم».

(١٣) في الحاجري ص ١٠٣: كان لك إلى العداوة.

أَنْتِ^(١) أَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ^(٢) شَاعِرٌ، وَأَنَا رَاوِيَةٌ. وَأَنْتِ طَوِيلٌ، وَأَنَا قَصِيرٌ. وَأَنْتِ
 أَصْلَعٌ، وَأَنَا أَنْزَعٌ^(٣). وَأَنْتِ صَاحِبُ بَرَاذِينٍ، وَأَنَا صَاحِبُ حَمِيرٍ. وَأَنْتِ رَكِينٌ^(٤)، وَأَنَا
 عَجُولٌ. وَأَنْتِ تُدَبِّرُ لِنَفْسِكَ^(٥)، وَتُقِيمُ أَوْدَ غَيْرِكَ، وَتَتَّسِعُ لِجَمِيعِ الرَّعِيَةِ، وَتَبْلُغُ بِتَدْبِيرِكَ
 أَقْصَى الْأُمَّةِ، وَأَنَا أَعْجَزُ عَنِ تَدْبِيرِي^(٦) وَتَدْبِيرِ أُمَّتِي وَعَبْدِي. [وَأَنْتِ مَلِكٌ، وَأَنَا
 سَوَاقَةٌ^(٧)]^(٨). وَأَنْتِ مُنْعَمٌ، وَأَنَا شَاكِرٌ^(٩). وَأَنْتِ مُصْطَبِعٌ، وَأَنَا صَنِيعَةٌ. وَأَنْتِ تَفْعَلُ،
 وَأَنَا أَصِفُ. وَأَنْتِ مُقَدَّمٌ/^(١٠)، وَأَنَا تَابِعٌ. وَأَنْتِ إِذَا نَارَظْتَ الرَّجَالَ، وَنَاهَضْتَ
 الْأَكْفَاءَ، لَمْ تَقُلْ بَعْدَ فَرَاغِكَ، وَانْقِطَاعِ كَلَامِكَ؛ لَوْ كُنْتُ قُلْتُ [كَذَا]^(١١) لَكَانَ أَجُودَ،
 وَلَوْ تَرَكْتُ [قَوْلَ كَذَا]^(١٢) لَكَانَ أَحْسَنَ. وَأَمْضَيْتِ الْأُمُورَ عَلَى حَقَائِقِهَا، وَسَلَّمْتَ
 إِلَيْهَا أَقَاسِطَهَا^(١٣) عَلَى مَقَادِيرِ حُقُوقِهَا، فَلَمْ تَنْدَمْ بَعْدَ قَوْلٍ، وَلَمْ تَأْسَفَ بَعْدَ سُكُوتٍ،

(١) هذه الفقرة وردت في عبيد الله ص ١ / ١٨٧، وهارون: ٤ / ٨٩.

(٢) في عبيد الله ١ / ١٨٧، وهارون ٤ / ٨٩، والحاجري ص ١٠٣: أبقاك الله.

(٣) في الأصل (أقرع) وما أثبت من هارون ٤ / ٨٩، والحاجري ص ١٠٣.

التزع: هو انحسار مقدم شعر الرأس عن جانبي الجبهة. (اللسان: تزع).

(٤) ركين: وقور ورزين. (اللسان: ركن).

(٥) في هارون ٤ / ٨٩: نفسك.

(٦) في عبيد الله ١ / ١٨٧: عن نفسي.

(٧) سوقة: العامة. (اللسان: سوق).

(٨) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص ١ / ١٨٧، والحاجري ص ١٠٣.

(٩) في هارون ٤ / ٨٩: «وأنت منعم وأنا شاكر، وأنت ملك وأنا سوقة».

(١٠) في هارون ٤ / ٨٩: وأنت متقدم.

(١١) ما بين المعقوفين من هارون: ٤ / ٩٠، والحاجري ص ١٠٣.

(١٢) ما بين المعقوفين من هارون: ٤ / ٩٠، والحاجري ص ١٠٣.

(١٣) في هارون ٤ / ٩٠، والحاجري ص ١٠٣: أقساطها.

وأنا وإن حَكَمْتُ^(١) نَدِمْتُ، وإن جَارَيْتُ هَرَبْتُ^(٢)، ورأيتُ كُلَّهُ دَبْرِي^(٣). وأنتَ في^(٤)
الشُّطْرَنْجِ زَيْرَب^(٥)، وأنا في الشُّطْرَنْجِ لا أَحَدَ^(٦).

أنتَ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ تُرِيدُ أَنْ تَتَعَلَّمَ بِي عُقُوبَةَ الأَعْدَاءِ، لا والله لَكَأَنَّكَ وَقَعْتَ
عَلَى مَطْمُورَةٍ، أو ظَفِرْتَ بِرَأْسِ خَاقَانَ^(٧).

جُعِلْتُ فِدَاكَ، مِزَاجُ أَخْلَاطِكَ هو الحِجَّةُ، واعتِدَالُ طِبَائِعِكَ هو النِّهَايَةُ،
وَطَبِيعَتُكَ هي المُسْتَكِبَّةُ. وَرَعَمْتُ أَنْ مَنَظَرُكَ يُعْنِي عَن مَحَبَّرِكَ، وَأَنْ أَوْلَكَ بِمَحْكِي عَن
أَخْرِكَ، وَشَدَدْتُ عَلَيَّ شِدَّةَ المَهِرِ الأَرِنِ^(٨)، وَتَسَّرَعْتُ إِلَيَّ تَسَّرَعَ الغَيْرُ التَّرِيقِ^(٩)،
وَأَلْحَحْتُ لِالحَاحِ اللُّجُوجِ^(١٠) الحَقِيقِ^(١١).

(١) في الأصل (حملت).

وما أثبت من هارون ٤ / ٩٠، والحاجري ص ١٠٣.

(٢) في الحاجري ص ١٠٣: أبدعت.

(٣) دبري: الرأي الدبيري: الذي يعمن النظر فيه ويكون بعد فوات الحاجة أو الأمر. (اللسان: دبر).

(٤) في الحاجري ص ١٠٣: وأنت تعد.

(٥) لم أجده له ترجمة، لعله ممن شهروا بلعبة الشطرنج.

(٦) من «رأيت كل دبري... الشطرنج لا أحد» ساقطة من هارون. إلى هنا انتهى ما ما جاء في
الحاجري والباقي غير موجود.

(٧) يقال (جاء برأس خاقان)، وخاقان هذا كان ملكاً من ملوك الروم خرج من ناحية باب الأبواب،

وظهر على أرمينية، وقتل الجراح بن عبد الله عامل هشام بن عبد الملك، وغلظت نكايته في تلك

البلاد، فبعث هشام إليه سعيد بن عمرو الحرشي، فأوقع سعيد بخاقان، ففرض جمعه واجتر

رأسه وبعث به إلى هشام، فعظم أثره في المسلمين، ففخر بذلك حتى ضرب به المثل.

(انظر: الميداني، مجمع الأمثال: ١ / ٣٠٢).

(٨) الأرن: النشيط. (اللسان: أرن).

(٩) التزق: الخفة والطيء وكثرة الكلام. (اللسان: تزق).

(١٠) اللجوج: المتبادي في الخصومة. (اللسان: لجج).

(١١) الحنق: شدة الاغتيال. (اللسان: حنق).

وقد تَقَدَّمتِ إِلَى التَّجْرِيبَةِ أَنْ الحَدِيدَ لَا يَكُونُ حَقُودًا، فَصَدَّتْ عَلَى رَأْسِي إِلَى المُنْتَحِنِ فَافْسَدَتْهُ، وَإِلَى الطَّبَائِعِ المَعْتَدِلَةِ فَتَقَضَّتْهَا، وَإِلَى القَضَايَا الصَّحِيحَةِ فَرَدَدَتْهَا، وَأَنْتَ لَوْ مَشَيْتِ الحَيَلَاءِ، وَحَقَّرْتِ العُظْمَاءِ، وَأَرْعَمْتِ الشُّعْرَاءِ، وَأَعْطَيْتِ الحُطْبَاءِ، لِيَكُونَ القَوْلُ مِنْهُم مَوْصُولًا غَيْرَ مَقْطُوعٍ /، وَمَبْسُوطًا غَيْرَ مَقْصُورٍ، لَكُنْتَ بَعْدُ مُقْصِرًا فِي أَمْرِ نَفْسِكَ مُفْرِطًا.

[٤٠] فصل (١)

سَأَلْتُ أَبَاكَ اللهُ أَنْ أَصِفَ لَكَ فُلَانًا، وَاعْلَمْ^(١) أَنِّي دَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ صَخِيمِ قَدَمٍ، غَلِيظِ اللُّسَانِ، غَلِيظِ المَعَانِي، عَلَيْهِ مِنَ الكَلَامِ أَمْدُ المَوْنَةِ، وَفِي مَعَانِيهِ اخْتِلَافٌ. لَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ يُوَاتِي صَاحِبَهُ وَلَا يُعَاوَنُهُ، بَلْ لَا يُتَارَكُهُ وَيُسَالَهُ حَتَّى يَرَى إِرَادَتَهُ فِي شَيْءٍ، وَلِسَانُهُ فِي شَيْءٍ، وَحَتَّى يُظَنَّ أَنَّ كَلَامَهُ كَلَامٌ مَحْمُومٌ أَوْ مَحْمُورٌ، وَإِنْ كَانَ وَاحِدٌ مِنْ هَذَا يَقْطَعُ نِظَامَ المَعَانِي، وَيَجْلِطُ بَيْنَ الأَسْفَلِ والأَعَالِي.

وَكَنْتُ كَاتِبِي رَجُلٌ مِنَ النِّظَارَةِ، وَكَانَ يُظَنُّ الظَّنَّ، ثُمَّ يُقَيِّسُ عَلَيْهِ، وَيَنْسَى أَنْ بَدَأَ أَمْرَهُ إِنَّمَا كَانَ ظَنًّا، فَإِذَا اطَّرَدَ لَهُ وَاتَّسَقَ جَزَمَ عَلَيْهِ، وَحَكَاهُ عَلَى صَاحِبِهِ المُسْتَبِيرِ حِكَايَةً^(٢) فِي صِحَّةِ مَعْنَاهُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «لَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ»، وَكَانَ كَلَامُهُ إِذَا خَرَجَ مَخْرَجَ الشَّهَادَةِ القَاطِعَةِ، لَمْ يَشْكُ السَّامِعُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَحْكِي ذَلِكَ عَنِ سَمَاعٍ قَدْ امْتَحَنَهُ، وَمُعَايَنَةٍ قَدْ قَهَّرَهَا.

وَرَأَيْتُهُ يَزْعُمُ أَنَّ مُنْكَرًا أَفْضَلَ مِنْ نَكِيرٍ، وَأَنَّ يَاجُوجَ أَشْرَفُ مِنْ مَاجُوجَ، وَأَنَّ

(١) ورد هذا الفصل عند الدروري: ص ١١١ - ١١٦.

(٢) في الدروري ص ١١١: فاعلم.

(٣) في الدروري ص ١١٢: على صاحبه حكاية المستبصر.

هاروتَ خَيْرٌ^(١) مِن مَّارُوتَ^(٢)، حَتَّى زَعَمَ أَنَّ الْجَانِبَ^(٣) الْأَيْمَنَ أَفْضَلُ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ، وَاعْتَلَّ بِأَنَّ الْكَيْدَ لِلشَّقِ الْأَيْمَنِ، فَقُلْتُ لَهُ: «فَإِنَّ الطُّحَالَ لِلشَّقِّ / الْأَيْسَرِ»، فَقَالَ: «الْكَيْدُ أَرْفَعُ مَنَزَلَةً مِنَ الطُّحَالِ»، فَقُلْتُ: «فَإِنَّ الْفُؤَادَ الَّذِي هُوَ سَيِّدُ الْأَعْضَاءِ مُرَكَّبُهُ^(٤) فِي الْجَوْفِ مِمَّا يَلِي الْيَسَارِ دُونَ الْيَمِينِ، فَهَذِهِ فَضِيلَةٌ^(٥) لِلْيَسَارِ عَلَى الْيَمِينِ»، فَانْقَطَعَ، وَخَرَجْتُ عَنْهُ.

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى مَنَزِلِي وَرَدَّتْ لَهُ عَلَيَّ رُقْعَةٌ مَكْتُوبٌ عَلَى عُنْوَانِهَا: «هَذِهِ مَسَائِلُ مِنْ فِقْرِ الْحِكْمَةِ وَمَكْتُونِ عِلْمِ الْفَلَسَفَةِ»، فَفَكَّكْتُهَا^(٦) وَإِذَا فِيهَا: «خَبَرْنَا عَنْ تَعَادِي الْأَضْدَادِ، وَحَرَكَاتِ الْكَوْنِ وَالْفَسَادِ، إِذَا اسْتَحْوَذَتْ^(٧) عَلَى الْأَجْرَامِ الْجِسْمِيَّةِ^(٨)،

(١) فِي الدَّرَوِيِّ ص ١١٣: أَفْضَلُ.

(٢) هَارُوتَ وَمَارُوتَ: ذُكِرَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة ١٠٢]، مَلَكَانِ كَانَا يُعَلِّمَانِ النَّاسَ السِّحْرَ، قَالَ قَيْسُ بْنُ الْمُلُوحِ: وَهَارُوتَ لَا تَقِي مِنْ جَوْيِ الْحَبِّ وَمَارُوتَ فَاجَاهُ الْبِلَاءِ الْمُصْطَمِّ

(انظر: الدميري، حياة الحيوان الكبرى: ٢ / ٢٦٣، والثعالبي، ثمار القلوب: ص ٦٧، ديوان قيس بن الملوح: ص ٧٣).

(٣) فِي الْأَصْلِ (الْحَاجِبِ)، وَمَا أُثْبِتُ مِنَ الدَّرَوِيِّ ص ١١٣ لِمُوَافَقَةِ السِّيَاقِ.

(٤) فِي الدَّرَوِيِّ ص ١١٣: مُرَكَّبِ.

(٥) فِي الْأَصْلِ (قَضِيهِ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ. وَمَا أُثْبِتُ مِنَ الدَّرَوِيِّ ص ١١٣.

(٦) فِي الْأَصْلِ (فَنَكَّكْتُهُ)، وَهُوَ خَطَأٌ لِأَنَّ رُقْعَةً مُؤَنَّثَةٌ.

وَمَا أُثْبِتُ مِنَ الدَّرَوِيِّ ص ١١٣.

(٧) فِي الْأَصْلِ (اسْتَحْرَرَتْ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ. وَمَا أُثْبِتُ مِنَ الدَّرَوِيِّ ص ١١٣.

(٨) الْأَجْرَامُ الْجِسْمِيَّةُ: الْأَجْرَامُ جَمْعُ جَرْمٍ، يُطْلَقُ عَلَى الْفَلَكَ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَجْسَامِ الصَّافِيَةِ كَالْكَوَاكِبِ، وَالْجِسْمُ يُطْلَقُ عَلَى مَا تَحْتَ الْفَلَكَ مِنَ الْعُنَاصِرِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَجْرَامِ وَالْأَجْسَامِ إِلَّا فِي الْإِطْلَاقِ.

(الأحمد نكري، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: ١ / ٤٠).

فَتَلَاثَتِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ^(١)، هَلْ تَكُونُ^(٢) لِلْحَرَكَاتِ العُنْصُرِيَّةِ^(٣) أَعْرَاضٌ بَدَنِيَّةٌ، أَوْ جَوَاهِرٌ وَهْمِيَّةٌ، أَوْ أَعْيَانٌ عَقْلِيَّةٌ؟

وَحَبَّرْنَا^(٤) عَنِ اسْتِقْصَاتِ^(٥) الأَجْسَامِ، وَاصْطِكَاكِ^(٦) تَضَامُنِ الأَرْكَانِ: هَلْ تَدْخُلُ فِي الفِقْدَانِ، وَتَخْرُجُ مِنْ بَابِ الإِمْكَانِ؟

وَحَبَّرْنَا عَنِ الحَرَكَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ^(٧)، وَالصُّوَرِ الهَيُولَائِيَّةِ^(٨)، وَهَلْ هِيَ خَارِجَةٌ مِنْ بَابِ الإِمْكَانِ، أَوْ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الكَيَانِ؟

وَحَبَّرْنَا عَنِ تَلَاثِي شَبِيهِ الفِقْدَانِيَّةِ: هَلْ يُحْصَى بِالحَوَاصِّ الكَيَانِيَّةِ، أَوْ يُحَدُّ بِالحُدُودِ الطَّبِيعِيَّةِ؟

(١) القوى الطبيعية: مبدأ الحركة على نهج واحد من غير إرادة، كالقوة المدبرة لبدن الإنسان من غير إرادة ولا شعور.

(انظر: التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون: ٢ / ١١٢٧).

(٢) في الأصل (يكون)، وهو خطأ لأن الحركات مؤنثة.

(٣) الحركات العنصرية: أصل الحسب. (اللسان: عنصر).

(٤) في الدرر: ص ١١٤؛ وأخبرنا.

(٥) في الدرر: ١١٣: استقصاءات.

استقصات: الاسطقس: الشيء البسيط الذي منه يتركب المركب كالحجارة. (الخوارزمي، مفاتيح العلوم: ص ٨٢).

(٦) اصطكاك: صك الشيء مع الآخر. (اللسان صك).

(٧) الحركات الطبيعية: انتقال الأجسام من مكان إلى مكان آخر.

(التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون: ١ / ٤٦٢).

(٨) الصور الهيولائية: الصور الجسمية الطبيعية الجوهرية الممتدة في الجهات.

(الأحمد نكري، دستور العلماء: ٢ / ٤٧٩).

وَحَبَّرْنَا عَنْ فِقْدَانِ الْوُجْدَانِ، وَامْتِنَاعِ عَدَمِ الْإِمْكَانِ: هَلْ يَدْخُلُ فِي بَابِ الْجِسْمِ الْكِيَانِي، أَمْ فِي الْعَرَضِ الْكِيَانِي؟

وَحَبَّرْنَا عَنْ تَلَاثِي الشَّيْبِ وَيُطْلَانِ عَدَمِ الْإَيْنِيَّةِ^(١): هَلْ تَكُونُ صُورَتُهُ عَلَى مَا أَدْرَكَتِ الْحَوَاسُ الْحَمْسُ، أَوْ عَلَى مَا بَاشَرَهُ / الْحَيُّ النَّاطِقُ بِاللَّمْسِ؟

وَحَبَّرْنَا عَنِ اللَّذِّدِ^(٢) الْجَدَلِيَّةِ، وَالْحَقَاقِقِ الْكِيَلِيَّةِ^(٣)، وَالصَّنَائِعِ الرَّهْبَانِيَّةِ، مِنْ عِلْمِ الْفَلَسَفَاتِ، وَالسَّوَائِرِ الْمُسْتَوْبَاتِ^(٤)، هَلْ^(٥) لَهَا أَشْخَاصٌ ثَابِتَةٌ، وَأَعْيَانٌ مُتَأَمِّلَةٌ؟

وَحَبَّرْنَا عَنِ النَّوَامِيسِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ، هَلْ لَهَا أَسْرَارٌ طَبِيعِيَّةٌ، أَوْ رُسُومٌ عَقْلِيَّةٌ؟

فَلَمَّا وَرَدَتْ عَلَيَّ وَنَظَرْتُ فِيهَا، عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَبَأَتْ لَهُ هَذَا الْكَلَامُ إِلَّا بِخِذْلَانِ اللَّهِ [تَعَالَى]^(٦)، وَأَنَّ أَحَدًا^(٧) مِنْ أَهْلِ إِقْلِيمِ بَابِلَ لَا يَطَّرِدُ هَاجِسِهِ مِنَ الْكَلَامِ الْمُحَالِ مَا لَهُ، وَأَيَقَنْتُ بِأَنَّهُ قَدْ نَسِيَ أَنَّهُ أَنْفَذَ إِلَيَّ الرَّقْعَةَ، وَأَنَّهُ لَا يَذْكُرُ شَيْئًا مِمَّا كُتِبَ.

(١) الأينية: الانتقال من مكان إلى مكان تدريجياً وتسمى النقلة، والانتقال من كم إلى كم آخر تدريجياً تسمى الكمية، والانتقال من كيفية إلى كيفية أخرى تدريجياً وتسمى الكيفية، وقد تكون وصفية في أن يكون للشيء حركة على الاستدارة.

(انظر: التهاوتي، كشاف اصطلاحات الفنون: ١ / ٤٦٨).

(٢) اللدد: الخصومة الشديدة مع الميل عن الحق. (اللسان للدد).

(٣) هكذا في الأصل ولعلها الكليّة من مصطلحات الفلاسفة.

(٤) في الدرر ص ١١٥: المسنونات.

(٥) في الدرر ص ١١٥: فهل.

(٦) ما بين المعقوفين من الدرر ص ١١٥.

(٧) في الأصل (لهذا)، وما أثبت من الدرر ص ١١٥.

فَرَجَعْتُ عَلَيْهِ سَائِلًا، وَالتَّمَسْتُ مِنْهُ الإِجَابَةَ عَنْهَا، فَوَقَعَ تَحْتِ كُلِّ مَسْأَلَةٍ بِمَا قَدْ كَتَبْتُ لَكَ مِنْهَا: «مَسَأَلَتُكَ هَذِهِ لَهَا وَجْهَانِ، فَإِنْ أَرَدْتَ مِنْ بَابِ التَّغْيِيرِ^(١) فَلَا، وَإِنْ أَرَدْتَ مِنْ بَابِ التَّصْوِيرِ^(٢) فَنَعَمْ، آخِرُ جَوَابِ هَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَمْرَيْنِ^(٣): فَإِنْ أَرَدْتَ إِثْبَاتَهُ^(٤) مِنْ بَابِ تَضَامُنِ التَّغَايِرِ^(٥) فَمُحَالٌ، وَإِنْ أَرَدْتَ إِثْبَاتَهُ عَنْ طَرِيقِ وَجْدَانِ غَيْبَتِهِ بِالْمَقَائِسِ فَنَعَمْ.

آخِرُ جَوَابِ هَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَمْرَيْنِ: إِنْ أَرَدْتَ مِنْ طَرِيقِ التَّقَارُبِ فِي حَالِ تَلَاشِي الْعَقْلِ^(٦)، فَهَذَا كَلَامٌ يَسْتَحِيلُ، وَإِنْ أَرَدْتَ مِنْ طَرِيقِ فَقْدَانِ وَجْدَانِ عَدَمِ الإِمْكَانِ فَصَحِيحٌ/.

[٤١] فصل^(٧)

وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ لِطَلْبِ الْمَنَافِعِ، وَإِثَارِ الْفَوَادِ، وَأَعَانْنَا عَلَى دَرْكِ النُّجْحِ، بِلَطِيفِ الصُّنْعِ، وَجَعَلْنَا مِمَّنْ لَا يَفْئَاةً^(٨) عَنْ حُسْنِ الْإِخْتِيَارِ، وَلَا يُثْنِيهِ عَنْ حَزْمِ الرَّأْيِ، الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ الْعَجْزَةِ^(٩)، وَمُرَاقِبَةَ الْجَهْلَةِ، وَمُحَادَرَةَ الْحَسَدَةِ.

(١) فِي الدَّرْوَبِيِّ ص ١١٦: التَّيْقِنُ.

(٢) فِي الدَّرْوَبِيِّ ص ١١٦: التَّصَوُّرُ.

(٣) عِبَارَةٌ (آخِرُ جَوَابِ... أَمْرَيْنِ) سَاقِطَةٌ مِنَ الدَّرْوَبِيِّ.

(٤) سَاقِطَةٌ مِنَ الدَّرْوَبِيِّ.

(٥) فِي الدَّرْوَبِيِّ ص ١١٦: الْمَغَايِرُ.

(٦) فِي الدَّرْوَبِيِّ ص ١١٦: الْفَعْلُ.

(٧) وَرَدَ الْفَصْلُ عِنْدَ الدَّرْوَبِيِّ: ص ١١٦ - ١١٨.

(٨) يَفْئَاةٌ: يَكْسِرُ غَضَبَهُ وَيَسْكُتُهُ. (اللسان: فئأ).

(٩) فِي الدَّرْوَبِيِّ ص ١١٦: الْفَجْرَةُ.

قَرَأْتُ كِتَابَكَ قَرَأْتُهُ^(١) كِتَابَ رَجُلٍ قَدْ تَمَكَّنَ فِي قَلْبِهِ الصَّوَابُ عِنْدَ نَفْسِهِ، وَاسْتَمَرَّ فِي وَهْمِهِ الْهُدَى فِي ظَنِّهِ، وَاطَّرَدَ لَهُ نِظَامُ الْقَوْلِ، فَصَالَ^(٢) بِهِ صَوْلَةَ الْمُحَقِّقِ^(٣)، وَأَقْدَمَ مَعَهُ^(٤) إِقْدَامَ الْمُغَالِبِ، وَاقْتَدَرَ اقْتِدَارَ الْعَالِمِ.

وَلَوْ انْتَهَمْتَ نَظْرَكَ، فَاسْتَرَيْتَ بِتَسْوِيلِ النَّفْسِ، وَغُرُورِ الشَّيْطَانِ، وَاسْتَمْسَكَتَ بِعُرْوَةِ الْحُجَّةِ، وَاحْتَرَسْتَ مِنْ اسْتِحْوَاذِ الشُّبُهَةِ، كُنْتَ قَدْ هُدَيْتَ لِرُشْدِكَ، وَبُسِّرْتَ لِنَيْلِ بُغْيَتِكَ، وَاللَّهُ الْمَوْقُوعُ.

ذَكَرْتَ أَنَّ اللَّهَ خَصَّ بِالْمُعَاتَبَةِ أَوْلِي الْأَلْبَابِ، وَخَاطَبَ بِالِاحْتِجَاجِ أَهْلَ الْعُقُولِ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي حِكْمَةِ الْحَكِيمِ أَنْ يُعَاتَبَ مَنْ لَا يَعِي فَهْمَهُ، وَلَا يَحِيحِي قَلْبُهُ، وَلَا يُلْقِي السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ^(٥)، فَيَذْهَبَ الْعِتَابُ لَعْوَا، وَتَطْيِشَ الْحُجَّةُ صَفْحَا، وَأَنَّى لَمْ أَكُنْ عِنْدَكَ مِمَّنْ يُوَثِّقُ بِعَقْلِهِ، وَيُرْجِي فَهْمَهُ، لَمْ يَضِعِ الْقَوْلُ فِي مُعَاتَبَتِي، وَيَهْجُنُ الرَّأْيُ بِمُخَاطَبَتِي.

فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَيْذُرُ فِي الْأَرْضِ الَّتِي لَا تُنْبِتُ، وَلَا يَغْرِسُ الشَّجَرَ الَّذِي لَا يُثْمِرُ، وَلَا هُوَ أَنْ لَمْ يُثْمِرْ لَا يُسْتَفْعَ بِهِ وَبَعُودِهِ وَوَرَقِهِ، فَيَكُونُ فِيهَا عِيْوَضٌ مِنَ الثَّمَرِ سِوَا^(٦). وَالْحِكْمَاءُ عَلَى مُحْكَمٍ / أَقْوَالِهِمْ أَشْعُ مِنْهُمْ عَلَى غَرَسِ الشَّجَرِ.

وَمُقَدَّرُ الْاسْتِحْقَاقِ مَنَسُوبٌ إِلَى التَّطْوِيلِ وَالِاسْتِحْسَانِ، وَأَفْضَلُ الْقَوْلِ عَلَى

(١) فِي التَّرْوِيحِ ص ١١٦: وَجَدْتُ.

(٢) فِي التَّرْوِيحِ ص ١١٧: وَصَالَ.

(٣) فِي التَّرْوِيحِ ص ١١٧: الْمُحَقِّقِ.

(٤) فِي التَّرْوِيحِ ص ١١٧: حَقٌّ.

(٥) إِشَارَةٌ إِلَى الْآيَةِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ن: ٣٧].

(٦) سِوَا: عَلَامَاتُ. (اللِّسَانُ: سَوْمٌ).

مقدارِ الحاجةِ إلى الهدرِ حصولٌ على السُّخفِ، ومردودٌ إلى سوءِ الرّويةِ والتّقديرِ، ومُكتسَبٌ به عاجِلُ الضّررِ، وأجلُ العقابِ.

فقد قالت الحكماء، وروي في الآثار من حميد الصّمت^(١)، وذمّ الهدر، وفُضولِ القول، ما لا يدفعه عالم، ولا يرذّه إلا جاهل. فوقع الذمّ^(٢) على فُضولِ القولِ دونَ أصوله، وعلى ما يفضّل منه على المقدار، ويُجاوِزُ حدَّ الاتّيفاعِ.

[٤٢] فصل^(٣)

وَهَبَ اللهُ لَكَ حُسْنَ الاسْتِيعَ، وَأَشْعَرَ قَلْبَكَ حُسْنَ^(٤) التَّثْبِيتِ، وَجَعَلَ أَحْسَنَ الْأُمُورِ فِي عَيْنِكَ^(٥)، وَأَجْلَاهَا^(٦) فِي صَدْرِكَ، وَأَبْقَاهَا أَتْرًا عَلَيْكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ، عَلِمًا تَقِيْدُهُ^(٧)، وَضَالًا تُرْشِدُهُ، وَبَابًا مِنَ الْحَيْرِ تَفْتَحُهُ.

وَأَعَادَكَ مِنَ التَّكْلُفِ، وَعَصَمَكَ مِنَ التَّلَوْنِ، وَبَغَّضَ إِلَيْكَ اللَّجَاجَ، وَكَرَّهَ إِلَيْكَ الاسْتِيْدَادَ، وَنَزَّهَكَ عَنِ الْفُضُولِ، وَعَرَّفَكَ سُوءَ عَاقِبَةِ الْمِرَاءِ.

(١) كان الرسول طويل الصّمت، دائم السكوت، يتكلّم بجموع الكلم، لا فضل ولا تقصير، وكان يبيغض الثرثارين المشدقين.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ١ / ١٨٥، وعبيد الله بن حسان، فصول مختارة: ٤ / ١١٣،

والبستي، روضة العقلاء: ص ٦٠).

(٢) في الدرر^١ ص ١١٨: فوقع القول الذم.

(٣) ورد هذا الفصل في البرصان والعرجان: ص ١ - ٥.

(٤) في البرصان والعرجان ص ١: حب.

(٥) في البرصان والعرجان ص ١: عينيك.

(٦) في الأصل (وأحلاها).

أجلاها: من الجلاء والوضوح. (اللسان: جلا).

(٧) في البرصان والعرجان ص ١: تفيده.

وَجَعَلَكَ مِمَّنْ يَجْعَلُ مَحَاسِبَهُ نَفْسَهُ صِنَاعَةً^(١)، يَعْتَدُّهَا^(٢)، وَيَعْقِدُ حَالِيَهُ عُقْدَةً يُرْجِعُ إِلَيْهَا، حَتَّى تَخْرُجَ أَعْمَالُكَ مَقْسُومَةً مُحْصَلَةً، وَالْفَاظُكَ مَوْزُونَةً مُعَدَّلَةً^(٣)، وَمَعَانِيكَ مُصَفَاةً مُهَدَّبَةً، وَمَخَارِجُ أُمُورِكَ مَقْبُولَةٌ مُجَيَّبَةٌ^(٤).

فَإِنَّكَ^(٥) مَتَى كُنْتَ كَذَلِكَ، كَانَتْ رِقَّتُكَ عَلَى الْجَاهِلِ الْغَيْبِيِّ /، بِقَدْرِ غِلْظَتِكَ عَلَى الْمُعَانِدِ الذَّكِيِّ، وَبِحُبِّ الْجَمَاعَةِ بِقَدْرِ بُغْضِكَ لِلْفُرْقَةِ، وَتَرَعُّبُ فِي الْاسْتِخَارَةِ وَالْاسْتِشَارَةِ، بِقَدْرِ زُهْدِكَ فِي الْاسْتِبْدَادِ وَاللَّجَاجَةِ.

وَيَبْدَأُ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا لَا يَسَعُ جِهْلَهُ [قَبْلَ التَّطَوُّعِ بِمَا يَسَعُ جِهْلَهُ]^(٦). وَلَا تَلْتَمِسَ الْفُرُوعَ إِلَّا بَعْدَ إِحْكَامِ الْأَصُولِ، وَلَا تَنْظُرْ فِي الطَّرْفِ وَالْغَرَائِبِ، وَتُؤْذِرُ رِوَايَةَ الْمَلْحِ وَالنَّوَادِرِ، وَكُلُّ مَا خَفَّ عَلَى قَلْبِ الْفَرَاغِ، وَأُذُنِ^(٧) أَسْمَاعِ الْأَغْمَارِ، إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْعَمُودِ^(٨)، وَالْبَصْرِ بِمَا يَثْلُمُ^(٩) ذَلِكَ^(١٠) الْعَمُودِ.

(١) في البرصان والعرجان ص ٣: فاجعل محاسبة نفسك صناعة.

(٢) في الأصل (ويعتقدها) ولا وجه لوجود الواو.

(٣) في البرصان والعرجان ص ٣: معدلة.

(٤) في البرصان والعرجان ص ٣: مهذبة.

(٥) ساقطة من البرصان والعرجان.

(٦) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان: ص ٣.

(٧) في البرصان والعرجان ص ٣: وراق.

(٨) في الأصل (العود) وهو تصحيف، وما أثبت من البرصان والعرجان ص ٣.

(٩) يثلم: يكسر حرفه. (اللسان: ثلم).

(١٠) في البرصان والعرجان ص ٣: من ذلك.

وأنا أحتزرك اللجاج والتأنيب^(١)، وأرغب إلى الله [لك]^(٢) في السلامة من البلوى^(٣) والتزديد، ومن الاستطراف والتكلف، فإن الإفراط^(٤) في اللجاج لا يكون إلا من خلل في القوة، وإلا من نقصان [قد دخل على]^(٥) التمكن، واللجوج في معنى المغلوب، والمتصرف في معنى الغالب والمتكفي، لا^(٦) يكون إلا والعقدة منحلة، والنفس منقوصة، ثم لا بد أن يتصل ضعف المنة بقلّة المعرفة^(٧)، ومتى نقصت المعرفة ولم تكن المنّة فاضلة، كان الفاعل إما لجوجاً متأيباً^(٨)، وإما ذا بدوات^(٩) متلوثاً.

فاعرف ففضل ما بين التصرف والتلون^(١٠)، وليس الاعتراض^(١١) من صفة اللجاج [وقد يكون الاعتراض محموداً ومذموماً، ولا يكون اللجاج]^(١٢) إلا مذموماً. والتلون أن تكون سرعة رجوعه عن الصواب، كسرعة رجوعه عن الخطأ واللجاج،

(١) التأييب: التهافت في الشر والإسراع إليه. (اللسان: تبع).

(٢) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان: ص ٤.

(٣) في البرصان والعرجان ص ٤: التلون.

(٤) ساقطة من البرصان والعرجان.

(٥) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان: ص ٤.

(٦) في البرصان والعرجان ص ٤: ولا.

(٧) في الأصل (ثم لا يصل إلا ضعف المنّة بقلّة المعرفة) والعبارة قلقة، وما أثبت من البرصان والعرجان ص ٤.

(٨) في البرصان والعرجان ص ٤: مسارعاً.

(٩) بدوات: ذو آراء تظهر له فيختار بعضها ويسقط بعضها. (اللسان: بدا).

(١٠) التلون: عدم الثبات على خلق واحد. (اللسان: لون).

(١١) في الأصل (الاعتزام) وهو خطأ، وما أثبت من البرصان والعرجان ص ٤، وجاء قبلها (يوجد) ولا وجه لها.

(١٢) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان: ص ٤.

وَأَنْ يَكُونَ ثَبَاتٌ عَزَمَهُ عَلَى إِمضَاءِ الْحَطَأِ الصَّارِ، كَتَبَاتٍ^(١) عَزَمَهُ عَلَى إِمضَاءِ^(٢) الصَّوَابِ النَّافِعِ.

وَالذُّهُوْلُ عَنِ الْعَوَاقِبِ مَقْرُونٌ بِاللَّجَاجِ، وَضَعْفُ الْعُقْدَةِ مَقْرُونٌ بِالْبَدَوَاتِ. قِيلَ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ: مَنْ أَسْوَأَ النَّاسِ حَالاً؟ قَالَ: مَنْ لَا يَتَّقِي بِأَحَدٍ لِسُوِّ ظَنِّهِ، وَلَا يَتَّقِي بِهِ أَحَدًا لِسُوِّ فِعْلِهِ وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْحَطَّابِ: «لَنْ تَنْتَفِعَ بِعَقْلِ الرَّجُلِ حَتَّى تَنْتَفِعَ بِظَنِّهِ»^(٣). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ^(٤): «صَوَابُ الظَّنِّ الْبَابُ الْأَكْبَرُ مِنَ الْفِرَاسَةِ».

وَقَالَ بَلْعَاءُ^(٥):

وَأَبْغَى صَوَابَ الظَّنِّ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا طَاشَ ظَنُّ الْمَرْءِ طَاشَتْ مَقَادِرُهُ^(٦)

وَلَيْسَ سُوءُ الظَّنِّ فِي الْجُمْلَةِ بِمَذْمُومٍ^(٧)، وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِالْمَحْمُودِ، وَإِنَّمَا

(١) في البرصان والعرجان ص ٥: كتبت.

(٢) في الأصل (القضا) وهو تصحيف، وما أثبت من البرصان والعرجان ص ٥.

(٣) ورد القول في الحيوان: ٣ / ٥٩.

(٤) محمد بن حرب: الهلالي، من أعلام متكلمي الخوارج، وكان من البلغاء الأبياء، وكتب للأمين، روى الجاحظ عنه في البيان.

(انظر: النديم، الفهرست: ص ٢٥٨، ١٨٢).

(٥) بلعاء: بن قيس، رأس بني كنانة في أكثر حروبهم ومغازيمهم، وهو شاعر محسن، كان أبرص، قال له قائل: «ما هذا بك يا بلعاء؟ فقال: سيف الله جلا»، مات قبل يوم الحرية.

(انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار: ٤ / ٦٣، وابن قتيبة، المعارف: ص ٥٨٠، والجاحظ، البرصان والعرجان: ص ٣٢، ١٥٥، ٣١٢، والأمدي، المؤلف والمختلف: ص ١٥٠).

(٦) ورد البيت في الحيوان: ٣ / ٦١، وزهر الآداب: ١ / ٦٤، والمؤلف والمختلف للأمدي: ص ١٥٠.

(٧) في البرصان والعرجان ص ٥: بالمدموم.

(٨) في البرصان والعرجان ص ٥: بحسن.

المحمودُ من ذلك الصواب، لا^(١) على قدرِ الأسبابِ القويةِ والضعيفةِ.

[٤٣] فصل^(٢)

إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ^(٣)، وَنَسْأَلُكَ الْهُدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ^(٤) الْمُسْتَقِيمِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاصَّةً، وَعَلَى أَنْبِيَائِهِ عَامَّةً، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تَدْعُونَا بِالْمَحَبَّةِ^(٥) لِإِمَامٍ هَذَا الْكِتَابِ، إِلَى أَنْ نَصِلَ الصُّدُقَ بِالْكَذِبِ، وَنُدْخِلَ الْبَاطِلَ فِي تَضَاعِيفِ الْحَقِّ، وَنَتَكَبَّرَ بِقَوْلِ الزُّورِ، وَنَلْتَمِسَ تَمْويه^(٦) مَا فِيهِ بِاللَّفْظِ الْحَسَنِ، وَسَتَرَ قَيْحِهِ بِالتَّالِيفِ الْمَوْتِقِ، أَوْ نَسْتَعِينَ عَلَى إِضْحَاحِ^(٧) الْحَقِّ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَعَلَى إِضْحَاحِ الْحُجَّةِ إِلَّا بِالْحُجَّةِ، أَوْ نَسْتَحِثَّ عَلَى دِرَاسَتِهِ وَاجْتِنَابِهِ^(٨)، وَنَسْتَدْعِي إِلَى تَفْضِيلِهِ / وَالْإِشَادَةِ بِذِكْرِهِ بِالأَشْعَارِ الْمَوْلَدَةِ، وَالْأَحَادِيثِ الْمَصْنُوعَةِ، وَالْأَسَانِيدِ الْمَدْخُولَةِ، وَبِهَا لَا شَاهِدَ عَلَيْهِ إِلَّا دَعْوَى قَائِلِهِ، وَلَا مُصَدِّقَ لَهُ إِلَّا [مَنْ لَا]^(٩) يُوَثِّقُ بِمَعْرِفَتِهِ.

(١) ساقطة من البرصان والعرجان، ولا وجه لها.

(٢) ورد هذا الفصل في الحيوان: ٧ / ٥، وهو مقدمة الجزء السابع بعنوان: القول في إحساس الحيوان.

(٣) في الأصل (الرحيم) وهو تحريف.

(٤) في الحيوان ٧ / ٥: صراطك.

(٥) في الأصل (ندعو بالحنة) وهو تصحيف.

وما أثبت من الحيوان ٧ / ٥.

(٦) في الحيوان ٧ / ٥: تقوية.

(٧) في الحيوان ٧ / ٥: إفصح.

(٨) في الأصل (اجتنابه) وهو خطأ.

وما أثبت من الحيوان ٧ / ٥.

اجتنابه: اختياره. (اللسان: جبا).

(٩) ما بين المعرفين من الحيوان ٧ / ٥.

[٤٤] فصل (١)

وَنَعُوذُ^(٢) بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعِلْمِ^(٣) وَخَطَلِهِ، وَمَنِ الْإِسْهَابِ، وَتَقَحُّمِ أَهْلِهِ، وَالاعْتِيَادِ^(٤) فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ، عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ، وَالِاتِّكَالِ فِيهِمْ عَلَى الْعُدْرِ؛ [فَإِنَّ كَثِيرًا يَمُنُّ بِتِكْلَفِ قِرَاءَةِ الْكُتُبِ، وَمُدَارَسَةِ الْعِلْمِ، يَقْفُونَ مِنْ جَمِيعِ الْكُتُبِ عَلَى الْكَلِمَةِ الضَّعِيفَةِ، وَاللَّفْظَةِ السَّخِيفَةِ، وَعَلَى مَوْضِعٍ مِنَ التَّالِيفِ قَدْ عَرَّضَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ اسْتِكْرَاهِ، أَوْ نَالَهُ بَعْضُ اضْطِرَابِ]^(٥).

وقد تعرّض في الكتبِ أشياء تعرّض من سقطات الوهم^(٦)، وقلّات الضجّر، ومن خطأ التّاسخ، وسوء حفظ^(٧) المعارض، على^(٨) معنى لعلّك لو تدبّرتّه بعقلٍ غير مفسود، ونظير غير مدخول، وتصفّحته وأنت محترس من عوارض الحسد، ومن عادة التّشريح، ومن أخلاق من عسى أن يتّسع في القول بمقدار ضيق صدره، ومن يرسل لسانه إرسال الجاهل بكنه ما يكون منه.

(١) ورد هذا الفصل في الحيوان ٧ / ٥ - ٦ وهو مقدّمة الجزء السابع بعنوان: القول في إحساس أجناس الحيوان، وهو تابع للفصل السابق.

(٢) الكلام مرتبط بما قبله، وهذا الفصل تابع لما قبله في الحيوان ٧ / ٥، لكن في الأصل فصل مستقل.

(٣) في الحيوان ٧ / ٥: القول.

(٤) في الأصل (من الاعتداء) ولا وجه لوجود (من).

(٥) ما بين المعقوفين من الحيوان ٧ / ٦.

(٦) في الحيوان ٧ / ٦: أو كما يعرض في الكتب من سقطات الوهم.

(٧) في الحيوان ٧ / ٦: تحفظ.

(٨) في الأصل (وعلى) ولا وجه لوجود الواو.

ولو جعلت شغلَكَ بقليلٍ ما ترى من المذموم، شغلَكَ بكثيرٍ ما ترى من المحمود، كان ذلك أشبه بالأدبِ المرضي، [والخيم الصالح] ^(١) وأشدُّ مشاكلةً للحكمة، وأبعدَ من سلطانِ الطيشِ والعجلة، وأقربَ إلى عادةِ السلفِ وسيرةِ الأولين، وأجدَرُ أن يَهَبَ الله لك السَّلامَةَ في كُتُبِكَ والدِّفاعَ عن حُجَّتِكَ، يَوْمَ ^(٢) مُناضَلَةِ حُصُومِكَ، ومُقارَعَةِ أعدائك.

[٤٥] فصل ^(٣)

[و] ^(٤) لَيْسَ هَذَا الْكِتَابُ يَرَحْمُكَ اللهُ فِي إِجَابِ الرَّعْدِ وَالرَّعِيدِ، فَيَعَرِّضُ عَلَيْهِ / المُرْجَى، وَلَيْسَ ^(٥) هُوَ فِي تَفْضِيلِ عَلِيٍّ فَيَنْصِبُ لَهُ الْعُثْمَانِيَّةَ ^(٦)، وَلَا هُوَ فِي تَصْوِيبِ الْحَكَمَيْنِ فَيَسْخِطُهُ ^(٧) الْخَارِجِي، وَلَا هُوَ فِي تَقْدِيمِ الْاسْتِطَاعَةِ، فَيُعَارِضُهُ مِنْ مُجَالِفِ التَّقْدِيمِ ^(٨)، وَلَا هُوَ فِي تَفْضِيلِ الْبَصْرَةِ عَلَى الْكُوفَةِ، وَمَكَّةَ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَالشَّامَ عَلَى الْجَزِيرَةِ، وَلَا هُوَ ^(٩) فِي تَفْضِيلِ الْعَرَبِ عَلَى الْعَجَمِ.

(١) ما بين المعرفين من الحيوان ٧ / ٦ .

الخيم: الطبع والخلق والسجية. (اللسان: خيم).

(٢) في الأصل (ويوم) ولا وجه لوجود الواو.

(٣) ورد هذا الفصل في كتاب الحيوان: ص ٧ / ٧ - ٨، وهو تنمة ما سبق.

(٤) ما بين المعرفين من الحيوان ٧ / ٧ .

(٥) في الحيوان ٧ / ٧: ولا.

(٦) في الحيوان ٧ / ٧: ولا هو في تفضيل علي فينصب له العثماني.

(٧) في الأصل (فيسخطه) وما أثبت من الحيوان ٧ / ٧ .

(٨) جاء بعد هذه الجملة في الحيوان ٧ / ٧ ولا هو في تثبيت الأعراس فيخالقه صاحب الأجسام.

(٩) ساقطة من الحيوان.

وَعَدْنَانَ^(١) عَلَى قَحْطَانَ^(٢)، وَعَمْرٍو^(٣) عَلَى وَاصِلِ^(٤)، فَيُرَدُّ بِذَلِكَ^(٥) الْهَنْدَلِيَّ^(٦) عَلَى النَّظَامِ^(٧).

- (١) عدنان: هو من أبناء إسماعيل بن إبراهيم، وإليه يتسب معظم أهل الحجاز.
(انظر: السهيلي، الروض الأنف: ١ / ٣١، ٤٤، والزركلي، الأعلام: ٤ / ٢١٨).
- (٢) قحطان: ابن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، أصل العرب القحطانية، وأبو بطون حمير وكهلان والتبابعة واللخمين والغساسنة، وأول من لبس التاج، كان من سكان حضرموت.
(انظر: المقرئ، زهرة الأخبار: ص ٨، والسهيلي، الروض الأنف: ١ / ٤٣، ٤٥، والزركلي، الأعلام: ٥ / ١٩١).
- (٣) عمرو: أبو عثمان، عمرو بن عبيد بن باب التميمي بالولاء، شيخ المعتزلة، وأحد الزهاد المشهورين، اشتهر بزهده وعلمه، له أخبار مع المنصور العباسي، توفي بحران، ورثاه المنصور، ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه، له عدة كتب منها كتاب العدل والتوحيد، وكتاب الرد على القدرية، توفي سنة (١٤٤هـ).
(انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال: ٥ / ٣٢٩، والذهبي، العبر: ١ / ١٤٩).
- (٤) واصل: أبو حذيفة، واصل بن عطاء الغزالي، ولد سنة (٨٠هـ) كان أحد البلغاء المفوهين، لكنّه يلبغ بالراء ويبدلها غيناً، فكان لاقتداره على العربية وتوسعه في الكلام يتجنب الراء في خطابه، وهو من رؤوس المعتزلة، ومعلمهم الأول، لقب بالغزالي لجلوسه في سوق الغزاليين ليتصدق على النسوة الفقيرات، وكان يميز التلاوة بالمعنى، له مؤلف في التوحيد، وكتاب المتزلة بين المتزلتين، توفي سنة (١٣١هـ).
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦ / ٢٤٢، والذهبي، ميزان الاعتدال: ٤ / ٣٢٩، والصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٧ / ٢٤٥، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٦ / ٧).
- (٥) في الأصل (فترد ذلك)، وما أثبت من الحيوان ٧ / ٧.
- (٦) الهندي: محمد بن الهذيل البصري العلاف، صاحب التصانيف، أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطاء، طال عمره وجاوز التسعين، وتوفي سنة (٢٢٧هـ).
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٩ / ٢١٤، والذهبي، العبر: ١ / ٣٣٢).
- (٧) في الحيوان ٧ / ٧: فيرد بذلك الهذيلي على النظامي.

ولا هو في تفضيل مالك^(١) على أبي حنيفة^(٢)، ولا في تفضيل امرئ القيس^(٣) على النابغة^(٤)، وعامر بن الطفيل^(٥) على عمرو بن معديكرب^(٦)، وعبد بن

(١) مالك بن أنس: أبو عبد الله، مالك بن أنس بن مالك، شيخ الإسلام وصاحب المذهب، ولد سنة (٩٣ هـ)، من أشهر كتبه الموطأ، توفي سنة (١٧٩ هـ) وهو ابن (٨٩) سنة.
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٧ / ٣٨٢، والذهبي، العبر: ١ / ٢١٠، والمزي، تهذيب الكمال: ٢٧ / ٩١).

(٢) أبو حنيفة: النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي، صاحب المذهب الحنفي، ولد سنة (٨٠ هـ) كان ثقة في الحديث، كان يسمى الوند لكثرة صلته، توفي سنة (١٥٠ هـ).
(انظر: الذهبي، العبر: ١ / ٣١٤، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦ / ٥٢٩، والذهبي، ميزان الاعتدال: ٤ / ٢٦٥).

(٣) امرؤ القيس: أبو وهب، وقيل أبو الحارث، ابن حُجر بن عمرو الكندي، لقب بذئ القروح، من أصحاب المعلقات، توفي سنة (٨٠ ق. هـ). (انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ٥٥، والزوزني، شرح المعلقات السبع: ص ٥-٦، والبغدادي، خزنة الأدب: ١ / ٢٩٩، والأصفهاني، الأغاني: ٩ / ٥٥).

(٤) النابغة: أبو أمامة، النابغة الذبياني، زياد بن معاوية، كان شريفاً، وكان مع النعمان بن المنذر.
(انظر: الأصفهاني، الأغاني: ١١ / ٥، وابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ٩٢).

(٥) عامر بن الطفيل: ابن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، كان فارس قيس، وكان أعور عقيماً، له كنيستان؛ كنية في السلم هي أبو علي، وكنية في الحرب هي أبو عقيل، أتى النبي فقال له: تجعل لي نصف ثمار المدينة، وتجعلني ولي الأمر بعدك وأسلم؟ فقال النبي: «اللهم أكفني عامراً واهداً بني عامر»، فانصرف وطعن في طريقه ومات.

(انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ٢٢٩، والبغدادي، خزنة الأدب: ١ / ٤٧٣، والصفدي، الوافي بالوفيات: ١٦، ٣٣٠، والسجستاني، المعقرون والوصايا: ص ٧٦).

(٦) عمرو بن معد يكرب: أبو ثور، الزبيدي، من فرسان العرب المشهورين بالبأس في الجاهلية والإسلام، أدرك الإسلام وأسلم، ثم ارتد بعد وفاة الرسول، ثم عاد إلى الإسلام، ومات غازياً بنهاوند سنة (٢١ هـ).

الحصين^(١) على عبد الله بن الحر^(٢)، ولا هو في تفضيل المبرد^(٣) على ثعلب^(٤)، [ولا هو

= (انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ٢٦١، والمزني، معجم الشعراء: ص ١٥ - ١٦، والبغدادي، خزنة الأدب: ١ / ٤٣٤، وابن كثير، البداية والنهاية: ٧ / ١١٧، والأصفهاني، والأغاني: ١٥ / ١٣٧).

(١) عباد بن الحصين: أبو جهضم، ابن يزيد بن عمرو بن أوس بن حلزة بن تميم، كان فارس بني تميم، وكان شجاعاً، ولي شرطة البصرة أيام ابن الزبير، وشهد فتح (كابل) مع عبد الله بن عامر، وأدرك فتنة ابن الأشعث وهو شيخ مفلوج، ورحل إلى كابل فقتل سنة (٨٨٥هـ).
(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٢٠٧، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣ / ٣٧٢، ٤٦٧).

(٢) عبد الله بن الحر: الجعفي، قائد من قواد العرب، كان شاعراً فحلاً صالحاً عابداً، من أصحاب عثمان، خرج عن الطاعة في الكوفة، وتبعته طائفة وصلت إلى سبعمائة رجل، وعات فساداً في المدائن، وسجنه مصعب بن الزبير وأخرجه بعد شفاعته، فعاد إلى فساد، وصمد لرجال مصعب، ولما تفرق عنه أصحابه، خاف من الأسر ألقى بنفسه في الفرات، فمات غريقاً سنة (٦٨هـ).
(انظر: ابن حجر، الإصابة: ٥ / ٦٥، وابن عساکر، تهذيب تاريخ دمشق: ٧ / ٣٥٧، والزركلي، الأعلام: ٤ / ١٩٢).

(٣) المبرد: أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، ولد بالبصرة سنة (٢٠١هـ)، إمام النحو البصري، صاحب الكامل، له تصانيف كثيرة، توفي سنة (٢٨٥هـ).
(انظر: الزبيدي، طبقات النحويين والبصريين: ص ١٠٨ - ١١٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ١١ / ١٠١).

(٤) جملة «تفضيل المبرد على ثعلب» ساقطة من الحيوان.
ثعلب: أبو العباس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، إمام النحو، ولد سنة (٢٠٠هـ)، له عدة تصانيف، منها كتاب القراءات، وكتاب معاني القرآن، توفي سنة (٢٩١هـ).
(انظر: الزبيدي، طبقات النحويين والبصريين: ص ١٥٥ - ١٦٧، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ١١ / ١٠٩).

في تفضيل سيّويه على الكسائي^(١)، ولا هو في تفضيل ابن سريج^(٢) على الغريص^(٣)، ولا في تفضيل الجعدي^(٤) على القافلاي^(٥).

ولا في تفضيل حلم الأحنّف^(٦) على حلم معاوية^(٧)، ولا تفضيل علم^(٨) قتادة^(٩)

(١) ما بين المعرفين من الحيوان ٧ / ٧.

(٢) ابن سريج: أبو يحيى، عبيد الله بن سريج، مولد بن نوفل بن عبد مناف، ولد سنة (٢٠ هـ)، كان من أحسن الناس غناءً، وكان يغني مرتجلاً فأبى باللحن المتكرر، وهو من أهل مكة، وهو أول من ضرب على العود بالغناء العربي، قال عنه إبراهيم الموصلي: «ما كان ابن سريج إلا كأنه خلق من كل قلب، فهو يغني له ما يشتهي»، مات في خلافة هشام بن عبد الملك، سنة (٩٨ هـ).
(انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ١٣١، ١٥٤، والأصفهاني، الأغاني: ١٧ / ٣٢، والزركلي، الأعلام: ٤ / ١٩٤).

(٣) الغريص: أبو يزيد، عبد الملك، مولدًا من مولدي البربر، من الموالي وكان يعمل خياطاً، لقب بالغريص لجماله ونضارته فكان طريّ الوجه غض الشباب، كان من رؤساء الغناء، أخذ عن ابن سريج، من أشهر المغنّين في صدر الإسلام، ومن أحذقهم في صناعة الغناء، توفي سنة (٩٥ هـ).
(انظر: الزركلي، الأعلام: ٤ / ١٥٦، والبغدادي، خزائن الأدب: ٢ / ٨٢).

(٤) الجعدي: أبو ليل، حسان بن قيس بن عبد الله، التابعة الجعدي، وتوفي بأصبهان سنة (٥٠ هـ).
(انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ١٩٣، والأصفهاني، الأغاني: ٥ / ٥، والزركلي، الأعلام: ٥ / ٢٠٧).

(٥) جملة «ولا في تفضيل الجعدي على القافلاي» ساقطة من الحيوان. وجاء بدلاً منها ٧ / ٧: ولا في تفضيل الجعفري على العقيلي.

(٦) يقال في المثل «أحلم من الأحنّف». (انظر: الثعالبي، ثمار القلوب: ص ٨٩، والميداني، مجمع الأمثال: ١ / ٣٩٠، وأحمد الهاشمي، جواهر الأدب: ١ / ٣٢٢).

(٧) انظر كلام الجاحظ عن حلم معاوية الحيوان: ٢ / ٩٢، ورسائل الجاحظ، جمع وتحقيق عبد السلام هارون: ص ١٠٤.

(٨) ساقطة من الحيوان.

(٩) قتادة: ابن دعامة بن قتادة بن عزيز، حافظ العصر وقدوة المفسرين والمحدثين، البصري الصّير، ولد سنة (٦٠ هـ)، وكان يضرب به المثل في قوة جفظه، قيل: هو حافظ ثقة لكنّه =

على الزهري^(١)، فإن لكل صنف من هذه الأصناف شيعة^(٢)، ولكل رجل من هؤلاء الرجال جنداً^(٣) وعدداً، يُحاصمون عنهم^(٤) وسفهاؤهم والمتسرعون منهم كثير^(٥)، وعلماءهم قليل، وإنصاف علماءهم أقل.

[٤٦] فصل^(٦)

ثبتك الله بالحجة، وحصن دينك من كل شبهة، وتوفأك مسلماً، وجعلك من الشاكرين.

= مدلس، قيل كان يختم القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم كل ليلة، كان عالماً بالتفسير وباختلاف العلماء، والفقه والحفظ، توفي سنة (١١٧ هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦ / ٩٠، والذهبي، ميزان الاعتدال: ٥ / ٤٦٦، والذهبي، العبر: ١ / ١١٢، وابن خلكان، وفیات الأعيان: ٤ / ٨٥).

(١) الزهري: أبو بكر، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدني، ولد سنة (٥٠ هـ)، أحد أئمة الإسلام، وتوفي سنة (١٢٤ هـ).

(انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ٩ / ٣٤٢، وابن قتيبة، المعارف: ص ٤٧٢، والذهبي، العبر: ١ / ١٢١-١٢٢).

جمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهري، فغلب قتادة الزهري، فقيل لسليمان في ذلك، فقال: إنه فقيه مليح، فقال أحدهم: لا ولكنه تعصب للقرشية، ولانقطاعه إليهم، ولروايته فضائلهم. (انظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ١ / ١٦٧).

(٢) شيعة: قوم يجتمعون على أمر. (اللسان: شيع).

(٣) في الأصل (صدا) وهو تصحيف، وما أثبت من الحيوان ٧ / ٨.

(٤) في الأصل (ومخاصموهم) وهو تصحيف، وما أثبت من الحيوان ٧ / ٨.

(٥) في الحيوان ٧ / ٨: وسفهاؤهم المتسرعون منهم كثير.

(٦) ورد هذا الفصل عند السندوبي: ص ١٤٧ - ١٤٨ بعنوان: رسالة في خلق القرآن، وعبيد الله:

٣ / ٢١٧ ٢١٨ بعنوان: من كتابه في خلق القرآن، وهارون: ٣ / ٢٨٥ - ٢٨٧ بعنوان: من

كتابه في خلق القرآن، وأبي النصر: ص ٢٦٩ ٢٧٠.

قد أعجبتني حفظك الله استهداؤك العلم، وفهمك له، وشغفك بالإنصاف،
وميلك إليه، وتعظيمك الحق، وموالئك/فيه، ورغبتك عن التقليد، وزرايتك^(١)
عليه، ومواترة كُتُبك على بُعد دارك، وتقطع أسبابك، وصبرك إلى أوان الإمكان،
وإساحك^(٢) عند تضايق العُذر.

وفهمت [حفظك الله]^(٣) كتابك الأول، وما حشت عليه من تبادل العلم،
والتعاون على البحث، وعلى^(٤) الثحاب في الدين، والنصيحة لجميع المسلمين.

وقلت: اكتب لي كتابا تقصد فيه إلى خلجات النفس^(٥)، وإلى اصلاح^(٦)
القلوب، وإلى معتلجات الشكوك^(٧)، وخواطر الشبهات، دون الذي عليه أكثر المتكلمين
من التطويل والنظر^(٨)، ومن التعميق^(٩) والتعقيد، ومن تكلف ما لا يجب، وإضاعة ما
يجب.

وقلت: كُن كالمعلم الرقيق^(١٠)، والمعالج الشفيق الذي يعرف الداء وسببه،

(١) في الأصل (رايتك) وهو تصحيف.

(٢) في عبيد الله ٣/ ٢١٧، والتسنوبي ص ١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٥: واتساعك.

(٣) ما بين المعوقين من عبيد الله ص ٣/ ٢١٧، والتسنوبي ص ١٤٧، وهارون: ٣/ ٢٨٥، وأبي
النصر: ص ٢٦٩.

(٤) ساقطة من التسنوبي ومن عبيد الله وهارون.

(٥) في هارون ٣/ ٢٨٥: النفوس.

(٦) في عبيد الله ٣/ ٢١٧، والتسنوبي ص ١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٥، وأبي النصر ص ٢٦٩: صلاح.

(٧) معتلجات الشكوك: اعتلج الشك في صدره أي التطم واضطرب. (اللسان: علج).

(٨) ساقطة من التسنوبي وعبيد الله وهارون وأبي النصر.

(٩) في أبي النصر ص ٢٦٩: التعمق.

(١٠) في عبيد الله ٣/ ٢١٧، وهارون ٣/ ٢٨٥: الرفيق.

وَالدَّوَاءَ وَمَوْعِمَهُ، وَيَصْبِرُ عَلَى طَوْلِ الْعِلَاجِ، وَلَا يَسْأَمُ كَثْرَةَ التَّرْدَادِ.

وَقُلْتُ: اجْعَلْ تِجَارَتَكَ الَّتِي إِيَّاهَا تُؤَمِّلُ، وَصِنَاعَتَكَ الَّتِي إِيَّاهَا تُعَوِّلُ^(١) إِصْلَاحَ

الْفَاسِدِ، وَرَدَّ الشَّارِدَ.

وَقُلْتُ: وَلَا بُدَّ مِنْ اسْتِجَابِ الْأَصُولِ، وَمِنْ اسْتِيفَاءِ الْفُرُوعِ، وَمِنْ حَسْمِ كُلِّ

خَاطِرٍ^(٢)، وَقَمْعِ كُلِّ نَاجِمٍ، وَصَرْفِ كُلِّ هَاجِمٍ^(٣)، وَدَفْعِ كُلِّ شَاغِلٍ، حَتَّى تَتِمَّكَنَ^(٤)

مِنَ الْحُجَّةِ، وَتَتَهَّنَا^(٥) بِالنِّعْمَةِ، وَتَجِدَ^(٦) رَاحَةَ الْكَيْفَايَةِ، وَتُثَلِّجَ^(٧) بِبَرْدِ الْيَقِينِ، وَتُقْضَى^(٨)

إِلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ.

(١) فِي عَيْدِ اللَّهِ ٣/ ٢١٧، وَالتَّنْدَوِيّ ص ١٤٧، وَهَارُونَ ٣/ ٢٨٦، وَأَبِي النَّصْرِ ص ٢٦٩: تَعْتَمِدُ.

وَفِي أَبِي النَّصْرِ وَضِعَ ثَلَاثَ نَقَاطٍ بَعْدَهَا وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى حَذْفِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ (حَاط) وَهُوَ تَصْحِيفٌ. وَمَا أُثْبِتَ مِنْ عَيْدِ اللَّهِ ٣/ ٢١٧، وَالتَّنْدَوِيّ ص ١٤٧، وَأَبِي

النَّصْرِ ص ٢٦٩.

(٣) فِي عَيْدِ اللَّهِ ٣/ ٢١٧، وَالتَّنْدَوِيّ ص ١٤٧، وَهَارُونَ ٣/ ٢٨٦، وَأَبِي النَّصْرِ: هَاجِسٌ.

(٤) فِي الْأَصْلِ (يَتَمَكَّن) وَمَا أُثْبِتَ مِنْ عَيْدِ اللَّهِ ٣/ ٢١٧، وَهَارُونَ ٣/ ٢٨٦، وَأَبِي النَّصْرِ

ص ٢٦٩، لِأَنَّهُ فِي سِيَاقِ الْمَخَاطَبِ.

(٥) فِي الْأَصْلِ (يَتَهَنَّأ) وَمَا أُثْبِتَ مِنْ عَيْدِ اللَّهِ ٣/ ٢١٧، وَالتَّنْدَوِيّ ص ١٤٧، وَهَارُونَ ٣/ ٢٨٦.

(٦) فِي الْأَصْلِ (وَيَجِدُ) وَمَا أُثْبِتَ مِنْ عَيْدِ اللَّهِ ٣/ ٢١٧، وَالتَّنْدَوِيّ ص ١٤٧، وَهَارُونَ ٣/ ٢٨٦،

وَأَبِي النَّصْرِ ص ٢٦٩.

(٧) فِي الْأَصْلِ (وَيُثَلِّجُ) وَمَا أُثْبِتَ مِنْ عَيْدِ اللَّهِ ٣/ ٢١٧، وَالتَّنْدَوِيّ ص ١٤٧، وَهَارُونَ ٣/ ٢٨٦،

وَأَبِي النَّصْرِ ص ٢٦٩.

(٨) فِي الْأَصْلِ (وَيُقْضَى) وَمَا أُثْبِتَ مِنَ التَّنْدَوِيّ ص ١٤٧، وَهَارُونَ ٣/ ٢٨٦، وَأَبِي النَّصْرِ

ص ٢٦٩.

وَأَنَّ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَوَارِضِ الْعَجْزِ، وَلَوَاحِقِ التَّقْصِيرِ، فَالْفُرُوعُ لَنَا أَحْمَلُ^(١)،
وَالضَّرَرُ عَلَيْنَا^(٢) فِي ذَلِكَ أَيْسَرُ.

وَقُلْتُ: اِبْدَأْ بِالْأَخْفِ فَالْأَخْفَ^(٣)، وَبِكُلِّ مَا كَانَ أَتَقَى فِي السَّمْعِ، وَأَحْلَى فِي
الصَّدْرِ^(٤). وَبِالْبَابِ الَّذِي [مِنْهُ]^(٥) يُزْتَمَى الرَّيْضُ^(٦) الْمُتَكَلِّفُ، وَالْحُسُودُ^(٧) الْمُتَعَجِّرِفُ،
وَبِكُلِّ مَا كَانَ أَبْقَى عَيْنًا^(٨)، وَأَنْفَذَ كَيْدًا.

وَسَأَلْتَنِي عَنِ تَقْيِيحِ^(٩) الْاِسْتِيدَادِ، وَالْعَجَلَةِ فِي^(١٠) الْاِعْتِقَادِ، وَصِفَةِ الْاِنَاءَةِ
وَمِقْدَارِهَا، وَمُقَدَّمَاتِ الْعُلُومِ وَمُنْتَهَاهَا.

وَزَعَمْتَ أَنَّ مِنَ اللَّفْظِ مَا لَا يُفْهَمُ مَعْنَاهُ دُونَ الْإِشَارَةِ، وَدُونَ مَعْرِقَةِ الصُّورَةِ^(١١)

(١) فِي عَيْدِ اللَّهِ ٣ / ٢١٧، وَالتَّنْدَوِيِّ ص ١٤٧، وَهَارُونَ ٣ / ٢٨٦: فَالْبُرْ لَنَا أَجْمَلُ.

(٢) فِي الْأَصْلِ (وَالصُّورِ)، وَمَا أُثْبِتَ مِنَ التَّنْدَوِيِّ ص ١٤٧، وَهَارُونَ ٣ / ٢٨٦.

(٣) فِي الْأَصْلِ (بِالْاِخْوَفِ فَالْاِخْوَفِ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

فِي عَيْدِ اللَّهِ ٣ / ٢١٧، وَهَارُونَ ٣ / ٢٨٦: بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ. وَمَا أُثْبِتَ مِنَ أَبِي النُّصْرِ ص ٢٦٩.

(٤) فِي التَّنْدَوِيِّ ص ١٤٧: الصَّدُورِ.

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ مِنْ عَيْدِ اللَّهِ ص ٣ / ٢١٨، وَالتَّنْدَوِيِّ ص ١٤٧، وَهَارُونَ: ٣ / ٢٨٦، وَأَبِي
النُّصْرِ: ص ٢٧٠.

(٦) الرَّيْضُ: الْأَمْرُ الَّذِي لَمْ يُحْكَمْ تَلْبِيرُهُ. (اللسان: روض).

(٧) فِي عَيْدِ اللَّهِ ٣ / ٢١٨، وَالتَّنْدَوِيِّ ص ١٤٧، وَهَارُونَ ٣ / ٢٨٦، وَأَبِي النُّصْرِ ص ٢٧٠: الْجَسُورِ.

(٨) فِي عَيْدِ اللَّهِ ٣ / ٢١٨، وَالتَّنْدَوِيِّ ص ١٤٧، وَهَارُونَ ٣ / ٢٨٦، وَأَبِي النُّصْرِ ص ٢٧٠: أَكْثَرُ عِلْمًا.

(٩) فِي عَيْدِ اللَّهِ ٣ / ٢١٨، وَالتَّنْدَوِيِّ ص ١٤٧، وَهَارُونَ ٣ / ٢٨٦، وَأَبِي النُّصْرِ ص ٢٧٠: بِتَفْتِيحِ.

(١٠) فِي عَيْدِ اللَّهِ ٣ / ٢١٨، وَالتَّنْدَوِيِّ ص ١٤٧، وَأَبِي النُّصْرِ ص ٢٧٠: إِلَى.

(١١) فِي عَيْدِ اللَّهِ ٣ / ٢١٨، وَالتَّنْدَوِيِّ ص ١٤٨، وَهَارُونَ ٣ / ٢٨٦، وَأَبِي النُّصْرِ ص ٢٧٠: السَّبَبِ.

والهَيْئَةِ، ودُونَ إِعَادَتِهِ وتَكَرُّرِهِ^(١١)، وتَحْدِيدِهِ^(١٢) واختيارِهِ^(١٣).

وقلت: فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تُصَوِّرْ ذَلِكَ [كُلَّهُ]^(١٤) بِصُورَةٍ تُغْنِي عَنِ الْمَشَاهِدَةِ^(١٥)، وَيُكَفِّي^(١٦) بظَاهِرِهَا عَنِ الْمُرَاسَلَةِ، أَحْوَجَتْنَا إِلَى لِقَائِكَ^(١٧)، عَلَى بُعْدِ دَارِكَ، وَكَثْرَةِ أَشْغَالِكَ، وَعَلَى مَا يُخَافُ^(١٨) مِنَ الضَّيْعَةِ، وَفَسَادِ الْمَعِيشَةِ.

فَكَتَبْتُ لَكَ كِتَابًا أَجْهَدْتُ فِيهِ نَفْسِي، وَبَلَّغْتُ مِنْهُ [أَقْصَى]^(١٩) مَا يُمَكِّنُ مِثْلِي مِنْ^(٢٠) الْإِحْتِجَاجِ لِلْقُرْآنِ^(٢١)، وَالرَّذِّ عَلَى كُلِّ طَعَانٍ^(٢٢).

(١) في السندويّ ص ١٤٨، وأبي النصر ص ٢٧٠: دون إعارته وركته.

وفي عبيد الله ٢١٨ / ٣، وهارون ٢٨٦ / ٣: كثره.

(٢) في عبيد الله ٢١٨ / ٣، وهارون ٢٨٦ / ٣: تحريره.

(٣) في هارون ٢٨٦ / ٣: اختياره.

وفي أبي النصر ص ٢٧٠: واحتيازه.

(٤) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص ٢١٨ / ٣، والسندويّ ص ١٤٨، وهارون: ٢٨٧ / ٣، وأبي النصر: ص ٢٧٠.

(٥) في عبيد الله ٢١٨ / ٣، والسندويّ ص ١٤٨، وهارون ٢٨٧ / ٣، وأبي النصر ص ٢٧٠: المشافهة.

(٦) في عبيد الله ٢١٨ / ٣، وهارون ٢٨٧ / ٣: وتكفي.

(٧) في الأصل (القاليل) وهو تصحيف.

(٨) في عبيد الله ٢١٨ / ٣، وهارون ٢٨٧ / ٣: تخاف.

(٩) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص ٢١٨ / ٣، والسندويّ ص ١٤٨، وهارون: ٢٨٧ / ٣، وأبي النصر: ص ٢٧٠.

(١٠) في عبيد الله ٢١٨ / ٣، والسندويّ ص ١٤٨، وهارون ٢٨٧ / ٣، وأبي النصر ص ٢٧٠: في.

(١١) في الأصل (لكذا)، وما أثبت من السندويّ ص ١٤٨، وهارون ٢٨٧ / ٣، وأبي النصر ص ٢٧٠.

(١٢) في الأصل (كذا)، وما أثبت من السندويّ ص ١٤٨، وهارون ٢٨٧ / ٣، وأبي النصر ص ٢٧٠.

[٤٧] فصل (١)

وَقَفَكَ اللَّهُ لَطَاعَتِهِ^(٢)، وَعَصَمَكَ مِنَ الشُّبْهَةِ، وَأَفْلَجَكَ^(٣) بِالْحُجَّةِ، وَخَتَمَ لَكَ
بِالسَّعَادَةِ. عَبَّرْتَ^(٤) أَكْرَمَكَ اللَّهُ زَمَانًا^(٥)، وَأَنْتَ عِنْدِي^(٦)، لَا تُمْضِي^(٧) الْقَوْلَ إِلَّا بَعْدَ
التَّيَبُّتِ، وَلَا تُنْفِذَ^(٨) الْكِتَابَ إِلَّا بَعْدَ التَّصَفُّحِ، وَكُنْتَ حَرِيًّا بِتُهْمَةِ الْفِطَنِ^(٩)، وَجَدِيرًا أَنْ
تُمَثَّلَ لِنَفْسِكَ / غَايَةَ التَّقْرِيطِ^(١٠).

ولولا كَثْرَةُ مَنْ وَدَّ^(١١) أَيَّامَ الْبِطَالَةِ^(١٢) عَلَيْكَ، لَمَا ثَقُلَ عَلَيْكَ التَّيَبُّتُ، وَلَوْلَا طَوْلُ
إِهْمَالِ التَّحْصِيلِ^(١٣)، لَمَا [وَقَفْتَ]^(١٤) بِأَوَّلِ خَاطِرٍ، وَلَوْلَا سُوءُ الْعَادَةِ لَمَا كُنْتَ زَائِدًا

(١) ورد هذا الفصل في هارون: ٤ / ٩٦ رسالته في الوكلاء، والمورد: ص ٢١١ ٢١٢ صدر كتابه في الوكلاء.

(٢) في المورد ص ٢١١: وقفك الله للطاعة.

(٣) أفلجك: أظهرك. (اللسان: فلج).

(٤) في الأصل (عبرت) وهو تصحيف. وما أثبت من المورد ص ٢١١.

(٥) في المورد ص ٢١١: عبرت أصلحك الله زماناً.

(٦) في المورد ص ٢١١: وأنت عندي ممن.

(٧) في المورد ص ٢١١: يمضي.

(٨) في المورد ص ٢١١: يخرج.

(٩) في المورد ص ٢١١: وكنت حرياً بتهمته الرأي الفطير.

(١٠) في المورد ص ٢١١: وجديراً أن تميل بنفسك عاقبة التقريط.

(١١) في المورد ص ٢١١: مرور.

(١٢) في المورد ص ٢١١: المطالبة.

(١٣) في المورد ص ٢١١: ولولا فصر أيام التحصيل.

(١٤) ما بين المعقوفين من المورد: ص ٢١١.

النَّظَرُ^(١)، وَيَهْتِكُ^(٢) الرَّأْيَ، فَاحْتَدَرَ اعْتِرَازَ الْعُضْبَانِ^(٣)، وَتَهَوَّرَ الْأَعْهَارَ^(٤)، فَإِنَّكَ تَرَى الْعُضْبَانَ^(٥) أَسْوَأَ أَثَرًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ السَّكْرَانِ، وَلَوْلَا أَنْ نَارَ الْعَضْبِ نَجَّبُو قَبْلَ إِفَاقَةِ الْمَعْتَوَةِ، وَضَبَابِ السُّكْرِ يَنْكَشِفُ قَبْلَ انْكِشَافِ^(٦) غُرُوقِ^(٧) الْمَذَلَّةِ^(٨).

ولولا^(٩) أن حكم الظاعين خلاف حكم المقيم، وقضية المجتاز خلاف قضية اللايث^(١٠)، لكانت حال غضبان أسوأ^(١١)، ومغبة جهله أوبأ^(١٢)، على أن يحكم له الزم، والتأس له الوم. وما أكثر ما يقتحم العضبان في اليوم الواحد من المقاحم التي لا يبلغها جناية المجنون^(١٣)، وفرط حظ المصروع^(١٤) في الأيام الكثيرة^(١٥)، وقد قال بعض السلف: «أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب»^(١٦).

(١) في المورد ص ٢١١: ولولا سوء العادة لما كذبك رائد النظر.

(٢) في المورد ص ٢١٢: واتهمت.

(٣) في المورد ص ٢١٢: واعتزام العصيان.

(٤) في الأصل (الاعهار) وهو تصحيف.

(٥) في المورد ص ٢١٢: فإن العصيان.

(٦) في الأصل (انكشاف) وهو تصحيف، وما أثبت من المورد ص ٢١٢.

(٧) في المورد ص ٢١٢: غروب عقل.

(٨) المذلة: الذي ذهب عقله من شدة العشق. (اللسان: دله).

(٩) ساقطة من المورد.

(١٠) في المورد ص ٢١٢: وقضية المجتاز خلاف قضية المالكث.

(١١) في المورد ص ٢١٢: مغبة.

(١٢) أوبأ: أسرع. (اللسان: أوب).

(١٣) في المورد ص ٢١٢: «وما أكثر ما يقحم الغضب المقاحم التي لا يبلغها جناية المجنون».

(١٤) المصروع: الذي يتلوى ويستغيث. (اللسان: صرع).

(١٥) في المورد ص ٢١٢: «وفرط جهل المصروع».

(١٦) ورد القول في العقد الفريد: ٢/ ١٦٣، ٢٥٤.

وَذَكَرُوا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ^(١) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ ^(٢): «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّهَا الشَّدِيدُ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» ^(٣).

^(٤) واعلم أن الغمر لا يكون إلا عديم الألة ^(٥)، مُنْقَطِعِ المادَّة، يرى الغي رُشداً، والغلو قَصداً. فلو كُنْتَ إِذَا جَنَّبْتَ لَمْ تُعِمَّ بِالْجِنَايَةِ ^(٦)، وَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى الْقَوْلِ لَمْ تُخَلِّدْهُ فِي الْكُتُبِ، وَإِذَا خَلَّدْتَهُ لَمْ تُظْهِرِ التَّبَجُّحَ بِهِ/، وَالاسْتِبْصَارَ فِيهِ، كَانَ عِلَاجُ دَائِكَ ^(٧) أَيْسَرَ، وَكَانَتْ أَيَّامُ سُقْمِكَ أَقْصَرَ.

[فَأَخَذَ اللهُ التَّصْمِيمَ إِلا مَعَ الْحَزْمِ، وَالاعْتِزَامَ إِلا بَعْدَ التَّثَبُّتِ، وَالْعِلْمَ إِلا مَعَ الْقَرِيحَةِ الْمَحْمُودَةِ، وَالنَّظَرَ إِلا مَعَ اسْتِقْصَاءِ الرَّوِيَةِ. وَأَخْلِقْ بِمَنْ كَانَ فِي صِفَتِكَ] ^(٨)،

(١) أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي الهلالي، كناه الرسول بأبي هريرة، أسلم عام خيبر وشهداها مع الرسول، حفظ عن النبي الكثير، وكان من كبار أئمة الفتوى، توفي سنة (٥٨هـ).

(انظر: أسد الغابة: ٦/ ٣١٣، وابن حجر، الإصابة: ٧/ ٣٤٨، وابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٤٧٦، والذهبي، العبر: ٤٥، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٣٨١-٣٨٢).

(٢) الحديث في الموطأ، تحقيق لطفي الصغير، وطه علي: ص ١٤٠، رقم ١٣٧، والحديث المسند لموطأ مالك، ص ٦٣٨، الحديث رقم ٩٩٤.

(٣) من قوله «وقال بعض السلف...» إلى قوله «... الغضب» ساقطة من المورد.

(٤) ابتداء ما جاء في هارون ٤/ ٩٦، تحت عنوان «رسالة الوكلاء».

(٥) الألة: السلاح وجميع أدوات الحرب. (اللسان: ألل).

(٦) في هارون ٤/ ٩٦، والمورد ص ٢١٢: إذا جنبت لم تقم على الجناية.

(٧) في هارون ٤/ ٩٦، والمورد ص ٢١٢: كان علاج ذلك.

(٨) ما بين المعقوفين من هارون: ٤/ ٩٦، والمورد: ص ٢١٢.

وأحرِبَ بَيْنَ جَرِيٍّ عَلَى دَرِيكَ^(١)، أَنْ لَا يَكُونَ سَبَبُ تَسْرُعِهِ، وَعِلَّةُ اسْتِعْجَالِهِ^(٢) إِلَّا مِنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ.

وَجَمِيعُ الْحَقِيرِ رَاجِعٌ إِلَى سَعَةِ الصَّدْرِ؛ إِذْ كَانَ لَا بُدَّ لِلْإِنْعَامِ مِنَ الشُّكْرِ، وَالشُّكْرِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِالصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ لَا يَتِمُّ إِلَّا مَعَ سَعَةِ الصَّدْرِ^(٣)، فَقَدْ صَحَّ أَنْ سَعَةَ الصَّدْرِ أَصْلُ، وَأَنَّ^(٤) مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْحَقِيرِ فَرَعٌ.

[٤٨] فصل^(٥)

إِنَّ الْعِلْمَ^(٦) طَوْعٌ يَدُكَ^(٧)، وَالْمُتَصَرِّفُ مَعَ خَوَاطِرِكَ، وَالْمُسْتَمْلِي مِنْ بَدِيهِتِكَ، كَمَا يُسْتَمْلِي مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِكَ^(٨)، وَالْمُحْصَلُ مِنْ رُؤْيَتِكَ. وَلَكِنَّ الرَّأْيَ^(٩) أَنْ لَا تَتَّقِيَ بِهَا يَرِسْمَهُ الْقَلَمُ فِي الْحَقْلَاءِ، وَتَتَوَقَّاهُ فِي الْمَلَاءِ^(١٠).

(١) في الأصل «وأحرِبَ بَيْنَ جَرِيٍّ عَلَى دِينِكَ»، وما أثبت من هارون ٩٦ / ٤ والمورد ص ٢١٢ لمناسبة السياق.

(٢) في هارون ٩٦ / ٤، والمورد ص ٢١٢: تشخته.

(٣) قوله «إذ كان لا بد للإنعام من الشكر، والشكر لا ينال إلا بالصبر، والصبر لا يتم إلا مع سعة الصدر» ساقطة من هارون.

(٤) ساقطة من هارون.

(٥) ورد الفصل في هارون: ٩٧ - ٩٨ تحت عنوان «رسالته الوكلاء»، وهو تابع لما قبله.

(٦) في هارون ٩٧ / ٤: لعمرى أن العلم.

(٧) في الأصل (بدل) وهو تصحيف.

(٨) في هارون ٩٧ / ٤: ثمرة فكرك.

(٩) في هارون ٩٧ / ٤: الرأي لك.

(١٠) الملاء: الناس. (اللسان: ملا).

فَتَوَقَّفَ عِنْدَ الْعَادَةِ، وَأَتَمَّ النَّفْسَ ^(١) عِنْدَ الْإِسْتِرْسَالِ وَالثَّقَّةِ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
هَرْمَةَ ^(٢):

إِنَّ الْحَدِيثَ تَغَرُّ الْقَوْمَ جَلُوتَهُ ^(٣) حَتَّى يَكُونَ لَهُ عِيٌّ وَإِكْتَارٌ ^(٤)

وَيَشَسَ الشَّيْءُ الْعُجْبَ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِالْبَدِيَّةِ.

ثُمَّ ^(٥) أَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْحَالُ الَّتِي ارْتَضَيْتَهَا لِكِتَابِكَ ^(٦)؛ هِيَ مُنِيَّةٌ ^(٧) لِلْعَدْوِ،
وَتَهْزَأَةٌ ^(٨) الْحَقْصَمِ. وَمَتَى بَرَزَ ^(٩) كِتَابُكَ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ، وَأَفْرَغْتَهُ هَذَا الْإِفْرَاقَ،

(١) في الأصل (النفيس) وهو تصحيف، وما أثبت من هارون ٤ / ٩٧.

(٢) إبراهيم بن هرمه: أبو إسحاق، ابن علي بن سلمة بن عامر بن هرمه الفهري، ولد سنة (٩٠هـ)،
شاعر مجيد، عاصر جريراً، وهو أحد البلغاء من شعراء التولتين الأموية والعباسية، قال عنه
الأصمعي: أن الشعر ختم بابن هرمه، مدح أبا جعفر المنصور، وهو آخر الشعراء الذين يحتج
بهم، توفي في عهد الرشيد (١٥٢هـ).

(انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ٥٤٦، والجاحظ، البيان والتبيين: ١ / ٨٢ / والذهبي،
سير أعلام النبلاء: ٦ / ٤٠٥، والأصفهاني، الأغاني: ٤ / ٥٠٨).

(٣) في الأصل (جلوته).

جلوته: كشفته وأوضحته. (اللسان: جلا).

(٤) في الأصل (غيا وإكبارا). ورد البيت في الحيوان: ١ / ٨٨، ٤ / ٢٠٧، والبيان والتبيين: ١ /
١٤١، وأدب الدنيا والدين: ص ٢٧٠، وزهر الآداب: ١ / ١٢٢.

(٥) ساقطة من هارون.

(٦) في هارون ٤ / ٩٨: لشأنك.

(٧) في هارون ٤ / ٩٨: أمنية.

(٨) في هارون ٤ / ٩٨: وتهزة.

(٩) في هارون ٤ / ٩٨: أبرزت.

وَسَبَّكَتَهُ^(١) هَذَا السَّبِّكَ، فَلَيْسَ لَعَدُوكَ حَاجَةً إِلَى التَّكْذِيبِ^(٢) وَتَقُولُ الزُّورَ^(٣)؛ لِأَنَّكَ
قَدْ مَكَّنْتَهُ مِنْ عَرَضِكَ، وَحَكَمْتَهُ فِي نَفْسِكَ.

وَبَعْدَ، فَمَنْ يَعْجَزُ/ عَنْ عَيْبِ كِتَابِكَ^(٤) لَمْ يُحْرَسْ بِالنَّشِيبِ، وَلَمْ يُحَصَّنْ
بِالتَّصْفُحِ^(٥)، وَلَمْ يُعَبَّ لِإِعَاوَدَةِ^(٦) النَّظَرِ، وَلَمْ يُقَلَّبْ فِيهِ الطَّرْفُ مِنْ جِهَةِ^(٧) الإِشْفَاقِ
وَالْحَذَرِ.

وَكَيْفَ^(٨) يَوْفُقُ اللهُ الْوَائِقَ بِنَفْسِهِ، وَالْمُسْتَبِدَّ بِرَأْيِهِ، وَالتَّارِكَ لِأَدَبِ رَبِّهِ،
وَمَا^(٩) وَصَّى بِهِ نَبِيِّهِ، فَقَالَ^(١٠)، ﷺ، لِرَجُلٍ خَاصَمَ عِنْدَهُ رَجُلًا، فَقَالَ فِي بَعْضِ
خُصُومَتِهِ^(١١): «حَسْبِيَ اللهُ»، فَقَالَ ﷺ: «أَبَلْ مِنْ نَفْسِكَ عُدْرًا، فَإِنْ غَلَبَكَ الْأَمْرُ فَقُلْ:
حَسْبِيَ اللهُ»^(١٢).

(١) في هارون / ٤ / ٩٨: ثم سببته.

(٢) في هارون / ٤ / ٩٨: فليس بعدوك حاجة إلى التكنيب عليك.

(٣) في هارون / ٤ / ٩٨: وقول الزور فيك.

(٤) في هارون / ٤ / ٩٨: كتاب.

(٥) التصفح: النظر. (اللسان: صفح).

(٦) في هارون / ٤ / ٩٨: بالمعاودة.

(٧) في الأصل (جملة)، وما أثبت من هارون / ٤ / ٩٨.

(٨) في هارون / ٤ / ٩٨: فكيف.

(٩) في هارون / ٤ / ٩٨: ولما.

(١٠) في هارون / ٤ / ٩٨: حين قال النبي.

(١١) في هارون / ٤ / ٩٨: كلامه.

(١٢) لم اجد تخريجاً للحديث.

[٤٩] فصل (١)

ذَكَرْتَ أبقاكَ اللهُ امرَهُؤَلَاءِ الحُشْوِيَّةِ^(٢)، وَشَكَوْتَ^(٣) تَهَارُفِي بِمَا كُنْتَ أَلْقَيْتَ إِلَيَّ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَمِنْ عَوَارِفِ أَمْرِهِمْ، وَذَكَرْتَ أَنَّ الجِدَالَ يُلْقِحُ^(٤) القِتَالَ، وَأَنَّ أَوَّلَ كُلِّ عَسِيرٍ يَسِيرٌ.

وَقُلْتُ: لَوْ كُنْتُ قَمَعْتَهُ^(٥) أَوَّلَ مَا نَجَمَ، وَدَاوَيْتَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَحْكِمَ، وَتَقَدَّمْتَ فِي حَالِ المُهْلَةِ، وَأَخَذْتَ لَنَا وَلِنَفْسِكَ بِالثَّقَةِ، وَلَقَدْ كُنْتُ بِالْحَزْمِ مُطِيعًا، وَبِالطَّاعَةِ سَعِيدًا، وَبِالتَّوْفِيقِ حَقِيقًا، مَعَ خِيفَةِ المَوْتِ، وَحُسْنِ الأُحْدُوَّةِ، وَعِبِّيَّةِ القُلُوبِ، وَشُكْرِ الكِرَامِ، وَمَعَ سَلَامَةِ العَشِيرَةِ، وَسُرُورِ الطَّفَرِ، وَانْقِطَاعِ الشَّرِّ.

وَلِكِنَّكَ عَمِلْتَ بِالرَّجَاءِ^(٦)، وَتَرَكْتَ الحَقُوفَ، وَطَمِعْتَ فِي السَّلَامَةِ، وَأَغْفَلْتَ الإِسْفَاقَ، وَأَحْسَنْتَ الظَّنَّ، وَنَسَيْتَ التُّهْمَةَ، كَأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ فَسَادَ عَصْرِكَ، وَأَبْنَاءَ دَهْرِكَ، وَصَوْلَةَ اللُّثَامِ إِذَا قَدِرُوا/، وَالسَّفَلَةَ إِذَا ظَفِرُوا، وَحِقْدَ العَبْدِ عَلَى سَيِّدِهِ،

(١) ورد هذا الفصل عند الدررubi: ص ١١٨ - ١١٩.

(٢) في الدررubi ص ١١٨: الحشوة.

الحشوية: الأراذل الذين لا يعتمد عليهم من الناس، ويقصد بهم الطائفة المسماة بالحشوية، وهو لقب كان يطلق من قبل الخصوم على أهل السنة والحديث.

(انظر: التوبختي، فرق الشيعة: ص ٧، ١٥، واللسان: حني).

(٣) في الأصل (وسكوت) وهو تصحيف.

(٤) ملقح: مثبت. (اللسان: لقح).

(٥) في الدررubi ص ١١٨: منعته.

(٦) في الأصل (بالرجال) وهو تصحيف.

وَضِغْنَهُ^(١) عَلَى قَانِصِهِ^(٢)، وَالْحَائِلَ دُونَ سَهْوَتِهِ^(٣)، مَعَ اسْتِثْقَالِهِ لِلرَّقِيبِ، وَلَوْ كَانَ أَبَاهُ،
وَالْمُتَأَبِّرَ^(٤) عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ أَحَاهُ. وَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا طَالَ أَوْرَثَ^(٥) حَقْدًا، وَالْحَقْوُدُ مُرْصِدٌ
كَيْدًا، وَطَالِبُ الدَّخْلِ^(٦) وَقُورٌ.

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ أَخْفَيْتَ إِعْضَالَ الدَّاءِ^(٧)، وَإِكْدَاءَ^(٨) الدَّوَاءِ، وَتَتَابَعَ^(٩) الْقَوْمِ فِي
عَيْهِمْ، وَتَذَكَّرْهُمَا سَلَفَ إِلَيْهِمْ وَعَيْدَادَهُمْ، مَا نَلْنَا مِنْهُمْ، حَتَّى صَارَ الْمَهِينُ طَاغِيًا، وَالْحَقِيرُ
عَابِتًا، وَالْكَهَامُ^(١٠) حَدِيدًا^(١١)، وَالبَلِيدُ جَلِيدًا، وَالْجَهْوَلُ مُتَكَلِّمًا، وَالْمُتَوَقِّي مُتَوَعِّدًا.

وَقُلْتُ: وَنَحْنُ بَخِيرٌ مَا كَانَتْ النَّجْوَى قَائِمَةً، وَالْخُصُومَةُ رَاكِدَةً، وَلَمْ يُشَمَّ^(١٢)
سَيْفٌ، وَلَمْ يُرَكَّبْ سِنَانٌ^(١٣)، وَلَمْ يُوتَرَ^(١٤) قَوْسٌ، وَقَدْ اسْتَحْصَدْنَا فَكَانَ قَدْ.

(١) ضغنه: حقهده وكرهه. (اللسان: ضغن).

(٢) قانصه: صائده. (اللسان: قنص).

(٣) في التروبي ص ١١٩: شهوته.

(٤) في الأصل (المتامر) وهو تصحيف.

(٥) في التروبي ص ١١٩: ورث.

(٦) الدخل: الفساد والعيب والريية. (اللسان: دخل).

(٧) إعضال الداء: غلبته. (اللسان: عضل).

(٨) إكداء: قلة العطاء. (اللسان: كدا).

(٩) في الأصل (التتابع) وهو تصحيف، والتسياق يقتضي حذف ال التعريف.

(١٠) الكهام: الجبان. (اللسان: كههم).

(١١) حديدًا: ذو بأس. (اللسان: حدد).

(١٢) يشمم: يشهر. (اللسان شمم).

(١٣) في الأصل (سبان) وهو تصحيف.

(١٤) يوتر: يشد الوتر ليضرب به. (اللسان: وتر).

[٥٠] فصل (١)

وَفَرَطُ^(٢) الْعُجْبِ إِذَا قَارَنَ كَثْرَةَ الْجَهْلِ، وَالتَّعَرُّضُ لِلْعَيْبِ إِذَا وَافَقَ قِلَّةَ
الْاِكْتِرَاتِ، بَطَلَّتِ الْمَزَاجِرُ^(٣)، وَمَاتَتِ الْحَوَاطِرُ.

وَمَتَى تَفَاقَمَ الذَّاءُ، وَتَفَاوَتَ الْعِلَاجُ، صَارَ الْوَعِيدُ لَعْوًا وَمُطَرِّحًا^(٤)، وَالْعِقَابُ
حُكْمًا مُسْتَعْجَلًا^(٥).

وَاللِّكْبِيرُ^(٦) حَيْفُكَ اللهُ^(٧) بَابٌ لَا يُعَدُّ احْتِمَالَهُ حِلْمًا^(٨)، وَلَا الصَّبْرُ عَلَى أَهْلِهِ
حَزْمًا، وَلَا تَرَكَ عِقَابِهِمْ عَفْوًا، وَلَا التَّفَضُّلُ^(٩) عَلَيْهِمْ مَجْدًا، وَلَا التَّغَافُلُ عَنْهُمْ كَرَمًا، وَلَا
الْإِمْسَاكُ عَنْ ذَمِّهِمْ صَمْتًا.

(١) ورد لها الفصل عند هارون: ٤ / ١٦٩ - ١٧٠ رسالة في النبل والتنبيل، والمورد: ص ١٦٢ فصل
من صدر كتابه في النبل والتنبيل وذم الكبر.

(٢) في هارون ٤ / ١٦٩: وإن فرط.

في المورد ص ١٦٢: والجملة أن.

(٣) المزاجر: الردع. (اللسان: زجر).

(٤) في هارون ٤ / ١٦٩: صار الوعيد لعوًا مطرِّحًا.

وفي المورد ص ١٦٢: صار الوعيد لعوًا مطرِّحًا.

مطرِّحًا: لا حاجة لأحد فيه. (اللسان: طرح).

(٥) في هارون ٤ / ١٦٩، والمورد ص ١٦٢: مستعملًا.

(٦) في هارون ٤ / ١٦٩، والمورد ص ١٦٢: والكبر.

(٧) في هارون ٤ / ١٧٠، والمورد ص ١٦٢: أعزك الله تعالى.

(٨) في المورد ص ١٦٢: سلمًا.

(٩) في هارون ٤ / ١٧٠، والمورد ص ١٦٢: ولا الفضل.

[٥١] فصل^(١)

وقد عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ كَرُمُ قُرَيْشٍ وَسَخَاوِهَا / ، وَكَيْفَ عَقُولُهَا وَدَهَاوِهَا، وَكَيْفَ رَأْيُهَا وَذُكَاوِهَا، وَكَيْفَ سِيَاسَتُهَا وَتَدْبِيرُهَا، وَكَيْفَ ارْتِمَالُهَا^(٢) وَتَحْيِيرُهَا^(٣)، وَكَيْفَ رَجَاخَةُ أَحْلَامِهَا إِذَا حَلَفَ الْحَلِيمُ، وَجِدَّةُ أَذْهَانِهَا إِذَا كَلَّ الْحَدِيدُ^(٤)، وَكَيْفَ صَبْرُهَا عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَثَبَاتُهَا تَحْتَ اللَّوَاءِ^(٥)، وَكَيْفَ وَفَاؤُهَا إِذَا اسْتَحْسِنَ الْغَدْرُ، وَكَيْفَ جَوْدُهَا إِذَا حُبَّ الْمَالِ، وَكَيْفَ ذِكْرُهَا لِأَحَادِيثِ غَدِّ، وَقَلَّةُ صُدُودِهَا عَنِ جِهَةِ الْقَصْدِ^(٦)، وَكَيْفَ إِقْرَارُهَا بِالْحَقِّ وَصَبْرُهَا عَلَيْهِ، وَكَيْفَ وَصْفُهَا لَهُ وَدُعَاؤُهَا إِلَيْهِ، وَكَيْفَ سَمَاحَةُ أَخْلَاقِهَا، وَصَوْنُهَا أَنْفُسَهَا^(٧) لِأَعْرَاقِهَا.

وَهَلْ وَصَلُوا قَدِيمَهُمْ بِحَدِيثِهِمْ [وَطَرِفُهُمْ بِتَلِيدِهِمْ]^(٨)؟ وَهَلْ أَشْبَهَ عَلَانِيَتَهُمْ سِرَّهُمْ؟ وَفَعَلُهُمْ قَوْلَهُمْ؟ وَهَلْ سَلَامَةُ صَدْرِ أَحَدِهِمْ إِلَّا عَلَى قَدْرِ بُعْدِ غَوْرِهِ^(٩)؟ وَهَلْ عَفْلَتُهُ إِلَّا فِي وَزْنِ صَدِيقِ ظَنِّهِ؟ وَهَلْ ظَنُّهُ إِلَّا مِثْلَ يَقِينِ غَيْرِهِ^(١٠)؟

(١) ورد هذا الفصل عند الثعالبي، كتاب ثمار القلوب: ص ١٣، والحصري: ١ / ٦٣ - ٦٥، والدروي: ص ١٢٠ - ١٢٣.

(٢) في الحصري ١ / ٦٣: إيجازها.

(٣) تحجيرها: التحجير هو الإطناب، ووصف قريش أنها تحميد القول حين تشاء. (اللسان: حبر).

(٤) كل الحديد: دلالة على قوة الذهن. (اللسان: كلل).

(٥) في الحصري ١ / ٦٤: وثباتها في اللأواء.

(٦) جهة القصد: أي جهة الغرض. (اللسان: قصد).

(٧) في الدروي ص ١٢٠: نفسها. ساقطة من الحصري.

(٨) ما بين المعرفين من الحصري ١ / ٦٤.

(٩) بعد غوره: أي متعمق النظر. (اللسان: غور).

(١٠) في الحصري ١ / ٦٤: وهل ظنّه إلا يقين غيره.

بَلْ قَدْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ جَاهَلُهَا وَقَرَأُهَا، وَكَيْفَ بَهَاؤُهَا وَتَمَامُهَا^(١)، وَكَيْفَ عَقُولُهَا
وَأَنْفُسُهَا^(٢)، وَكَيْفَ تَبَاتُهَا وَجَهَارَتُهَا^(٣)، وَكَيْفَ تَفَكَّرُهَا^(٤) وَيَدَاهَتُهَا.

و^(٥) الْعَرَبُ^(٦) كَالْبَدَنِ وَقُرَيْشٌ رُوحُهَا، وَقُرَيْشٌ رُوحٌ^(٧) وَهَاشِمٌ سِرُّهَا وَلَبُّهَا^(٨)،
وَقُرَيْشٌ الْقَلْبُ وَهَاشِمٌ حَبَّةُ الْقَلْبِ^(٩)، وَقُرَيْشٌ جِلْدَةٌ مَا بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ^(١٠)، وَقُرَيْشٌ^(١١)
قِيلَةُ الْعَرَبِ، وَمَوْضِعُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، «بِأَنْبِيَاءِ»^(١٢) مِنْ كُلِّ فَئِجٍ عَمِيقٍ ﴿[الحج: ٢٧]،
وَأُوبٍ^(١٣) بَعِيدٍ^(١٤).

وَهَاشِمٌ جِلْدَةُ الْوَجْهِ كُلِّهِ^(١٥)، وَهَاشِمٌ^(١٦) مِلْحُ الْأَرْضِ، وَصَفْوَةُ الْأُمَمِ،

(١) في الحصري ١ / ٦٤: وكيف نجاهها وبهاؤها.

(٢) في الحصري ١ / ٦٤: وكيف سرورها ونجابتها.

(٣) في الحصري ١ / ٦٤: وكيف بيانها وجهارتها.

(٤) في الحصري ١ / ٦٤: تفكيرها.

(٥) ابتداء ما جاء في الثعالبي.

(٦) في الحصري ١ / ٦٥: فالعرب.

(٧) ساقطة من الثعالبي.

(٨) لبها: خالصها وخيارها. (اللسان: لب).

(٩) حبة القلب: العلقة السوداء التي تكون داخل القلب، وهي مهجته وسويداؤه. (اللسان: حبيب).

(١٠) من (وقريش القلب... العينين) ساقطة من الثعالبي.

(١١) في الثعالبي ص ١٣: وكونهم.

(١٢) في الأصل (ياتون) وهو تحريف.

(١٣) أوب: ناحية أو صوب. (اللسان: أوب).

(١٤) في الثعالبي: أوب بعيد، وفج عميق.

(١٥) من قوله «وقريش القلب...» إلى قوله «وهاشم جلدة الوجه كله» ساقطة من الحصري. وجملة

«وهاشم جلدة الوجه كله» ساقطة من الثعالبي. جاء في البيان والتبيين: ٢ / ١٣٥، ١٣٧ قال

عبد الملك بن مروان: أن الحجاج جلدة ما بين عيني، إلا أنه جلدة وجهي كله.

(١٦) في الثعالبي ص ١٣، والحصري ١ / ٦٥: وبنو هاشم.

وَعُرَّةُ^(١) الْعَرَبِ، وَلُبَابُ^(٢) الْبَشَرِ، وَمُصَاصُ^(٣) بَنِي آدَمَ^(٤)، وَزِينَةُ الدُّنْيَا، وَحَلِيُّ الْعَالَمِ، وَالسَّنَامُ^(٥) الْأَضْحَمُ، وَالكَاهِلُ الْأَعْظَمُ^(٦)، وَلُبَابُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ، وَسِرُّ كُلِّ عُنْصُرٍ شَرِيفٍ^(٧)، وَالطَّيْنَةُ الْبَيْضَاءُ، وَالْمَغْرِمُ الْمُبَارَكُ، وَالنَّصَابُ^(٨) الْوَيْثِيُّ^(٩)، وَمَعْدِنُ الْفَهْمِ، وَيَنْبُوغُ الْعِلْمِ، وَنَهْلَانُ ذُو الْمَهْضَبَاتِ فِي الْحِلْمِ، وَالسَّيْفُ الْحَسَامُ فِي الْعَزْمِ، مَعَ الْأُنَاةِ وَالْحَرَمِ، وَالصَّفْحُ عَنِ الْجُرْمِ، وَالْقِصَّةُ^(١٠) بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ^(١١)، وَالصَّفْحُ بَعْدَ الْقُدْرَةِ^(١٢).

(١) العُرَّة: المقدمة من كل شيء. (اللسان: غرر).

(٢) اللباب: الخالص المصقّى. (اللسان: لب).

(٣) مصاص: خاصة الأولاد. (اللسان: مصص، سبط).

(٤) من (وصفوة الأمم... مصاص بني آدم) ساقطة من الثعالبي والحصري.

(٥) السنام: من كل شيء أعلاه، وسنام القوم سادتهم. (اللسان: سنام).

(٦) في الأصل (الاعصم) وهو تصحيف، وما أثبت من الثعالبي ص ١٣.

(٧) في الثعالبي ص ١٣: لطيف.

(٨) النصاب: الأصل والمرجع. (اللسان: نصب).

(٩) في الدروري ص ١٢١: الواثق.

(١٠) في الأصل (القصة) وهو تصحيف. وما أثبت من الدروري ص ١٢١.

(١١) في الحصري ١ / ٦٥: القصد بعد المعرفة. وجملة «القصة بعد المعرفة» ساقطة من الثعالبي.

(١٢) في الثعالبي ص ١٣: والعفو عند المقدرة.

وفي الحصري ١ / ٦٥: والعفو بعد القدرة.

ورد مثل هذا في هارون تحت عنوان رسالة في مناقب الترك ٣ / ١٧٢ «على أن ولاء الأتراك للباب قريش، ولمصاص عبد مناف، وهم في سرّ هاشم، وهاشم العذار من خد الفرس، وعمل العقد من لبّة الكعاب، وهو الجواهر المكنون، والذهب المصقّى، وموضع المحة من البيضة، والعين في الرأس، والروح من البطن، وهم الأنف المقدم، والسنام الأكرم، والطينة البيضاء، والذرة الزهراء، والروضة الخضراء، والذهب الأحمر».

وهم الأنفُ المُقدَّم^(١) الذي به يُعطَسُ ويُشمَخُ، والعَيْنُ التي بها يُبَصَّرُ^(٢)، وكالماءِ الذي لا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ، وكالشَّمْسِ التي لا تَحْتَمِي بِكُلِّ مَكَانٍ، وكالدَّهَبِ لا يُعْرَفُ بالتَّقْصَانِ، وكالنَّجْمِ لِلْحَيْرَانِ، والْبَرْدِ^(٣) لِلظَّمَانِ.

مَنْهُمُ الثَّقَلَانُ^(٤)، والأَطْيَانُ^(٥)، والسُّبْطَانُ^(٦)، والشَّهِيدَانُ^(٧)، وأَسَدُ اللَّهِ^(٨)،

(١) في الثعالبي ص ١٣: المتقدم.

(٢) من قوله «وهم الأنف المقدم...» إلى قوله «التي يبصر بها» ساقطة من الحصري. وجملة «والعين التي يبصر بها» ساقطة من الثعالبي.

في الدروري ص ١٢٠: العين التي يبصر بها. وانظر القول في الحيوان: ١ / ٣٦٦ «قرش سنام الأرض وجبلها، وعينها التي يبصر بها، وأنفها التي بها يعطس».

(٣) في الثعالبي ص ١٣: الماء البارد.

وفي الحصري ١ / ٦٥: والبارد للظمان.

(٤) الثقلان: كتاب الله وعترة الرسول، وقد يكون الجن والإنس. (اللسان: نقل).

(٥) في الثعالبي ص ١٣: الطيآن.

الأطيآن: علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما. (الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص ٥٢).

(٦) السبطان: الحسن والحسين رضي الله عنهما. (الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص ٥٢، واللسان: سبط).

(٧) الشهيدان: حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما. (الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص ٥٢).

(٨) أسد الله: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. (الثعالبي، ثمار القلوب: ٢١، والبيهقي، المحاسن والمسائى: ص ٩٥).

وذو الجناحين^(١)، وذو قرنيهما^(٢)، وسيّد الوادي^(٣)، وساقى الحجيج^(٤)، وحليم
البطحاء^(٥)، والبحر^(٦) والحبر^(٧).

والأنصار^(٨) من نصّروهم^(٨)، والمهاجرون من هاجرو معهم أو إليهم^(٩)،
والصديق من صدّقهم، والفاروق من فرّق بين الحقّ والباطل فيهم^(١٠)،

(١) ذو الجناحين: جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. (اليهقي، المحاسن والمساوي: ص ٩٦،
والحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص ٥٢).

(٢) ساقطة من الثعاليبي.

ذو القرنين: علي بن أبي طالب رضي الله عنه. (اللسان: قرن).

(٣) سيد الوادي: عبد المطلب بن هاشم. (الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص ٥٢، والتندوبي،
رسائل الجاحظ: ص ٦٩).

(٤) ساقى الحجيج: عبد المطلب بن هاشم. (الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص ٥٢، والتندوبي،
رسائل الجاحظ: ص ٦٩).

(٥) حليم البطحاء: العباس بن عبد المطلب. (الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص ٥٢، والتندوبي،
رسائل الجاحظ: ص ٧٦).

(٦) البحر: عبد الله بن العباس. (الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص ٥٢، والتندوبي، رسائل
الجاحظ: ص ٧٦).

(٧) ساقطة من الدروبي.

الحبر: عبد الله بن العباس. (انظر: ابن ظافر، أخبار الدولة المنقطعة: ٢ / ٢٦٨، والحاجري،
مجموع رسائل الجاحظ: ص ٥٢، والتندوبي، رسائل الجاحظ: ص ٧٦).

(٨) في الثعاليبي ص ١٣: الأنصار أنصارهم.

(٩) في الحصري ١ / ٦٥: والمهاجرون من هاجرو إليهم أو معهم.

(١٠) في الثعاليبي ص ١٣: منهم.

والحواري^(١) حواريهم، وذو الشهادتين^(٢) لأنه شهد لهم^(٣).

وهاشمٌ تفخَّرَ على سائرِ النَّاسِ فخرًا عبْرًا^(٤)، بالشَّرَفِ القُراعِ^(٥)، والكَرَمِ / الصُّراعِ^(٦).

[٥٢] فصل^(٧)

أطالَ اللهُ لكَّ البَقَاءِ والعِزِّ والسَّنَاءِ والأيدِ^(٨) والعلاءِ، والفخرِ والألاءِ^(٩)،

(١) الحواري: الزبير بن العوام. (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢ / ٣٠٧، واللَّسان: حور، والثعالبي، نهار القلوب: ص ١١٢، والياضي، مرآة الجنان: ١ / ١٣١).

(٢) ذو الشهادتين: أبو عماره، الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة، فقيه، ذو الشهادتين، من كبار جيش علي، وقاتل معه، شهد أحدًا ومؤتة، من السابقين الأولين، روى عن النبي، وروى له أصحاب السنن، وسمي بذو الشهادتين لأن الرسول أجاز شهادته بشهادة رجلين، توفي سنة (٣٧ هـ). (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢ / ١٧٠، ابن حجر، الإصابة: ٢ / ٢٤٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤ / ١١٢، وابن سعد، الطبقات: ٥ / ٢٩٧، والياضي، مرآة الجنان: ١ / ١١٢).

(٣) ما تبقى من الفصل غير موجود في الثعالبي.

(٤) العبقرى: منسوب إلى عبقر، وهو صفة لكل ما بولغ في وصفه ولم يفقه شيء. (اللَّسان: عبقر).

(٥) في الأصل القاف في الأصل غير معجمة.

القراع: الخالص من كل شيء. (اللَّسان: قراع).

(٦) من قوله «وهاشم تفخر...» إلى قوله «والكرم الصراح» ساقطة من الحصري. وجاء بدل منها ١ / ٦٥: «ولا خير إلا لهم أو فيهم أو معهم، أو يضاف إليهم، وكيف لا يكرنون كذلك وفيهم رسول رب العالمين، وإمام الأولين والآخرين، ونجيب المرسلين، وخاتم النبيين، الذي لم يتم لنبي نبوة إلا بعد التصديق به والبطانة بمجيئه، الذي عمّ برسالته ما بين الحافقين، وأظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون».

(٧) ورد هذا الفصل عند الدررقي: ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٨) الأيد: القوة. (اللَّسان: أيد).

(٩) الألاء: النعم. (اللَّسان: ألاء).

وَأَسْبَغَ عَلَيْكَ النِّعْمَاءَ، وَصَرَفَ عَنْكَ اللَّأْوَاءَ^(١)، وَحَقَّقَ بِكَ الرَّجَاءَ، وَصَدَّقَ فِيكَ
الثَّنَاءَ، وَأَسْنَى لَكَ^(٢) الْعَطَاءَ، وَأَجْزَلَ لَكَ الْحِبَاءَ^(٣)، وَشَمَّخَ بِكَ الْبِنَاءَ، وَزَيَّنَ^(٤) بِكَ
الْفِنَاءَ، وَصَيَّرَنَا لَكَ الْوِقَاءَ، وَمِنَ السُّوَيْهِ الْفِدَاءَ.

مَعَ سُمُوِّ الذِّكْرِ، وَعُلُوِّ الْقَدْرِ، وَشَرَحِ الصَّدْرِ، وَشَدَّ الْأُزْرَ، وَرُسُوخِ^(٥) الْأَصْلِ،
وَيُسُوقِ الْفَرْعِ^(٦)، وَعُمُومِ النَّفْعِ، وَيَسْطِ الْيَدِ، وَكَرَمِ الْمُحْتَدِ، وَعِزِّ الْعُنْصُرِ، وَطِيبِ
الْمَغْرَسِ، وَبُعْدِ الصَّوْتِ، وَالْبَيْتِ الرَّفِيعِ، وَالْجَنَابِ الْمُرِيعِ^(٧)، وَعُصُوفِ الرِّيحِ،
وَالْحَسَبِ الزُّكِيِّ، وَالْعَدَدِ النَّامِيِّ. قَرِيرَ الْعَيْنِ، مَرْقُومَ^(٨) الْعَدَقِ^(٩)، فَائِزَ الْقِدْحِ^(١٠)،
وَافِرَ الْحِظِّ، تَامَّ الْقِسْمِ^(١١)، سَعِيدَ الْجِدِّ، مَاضِي الْجِدِّ، مَغْبُوطَ الْحَالِ، رَخِي الْبَالِ.

[٥٣] فصل (١٢)

جَبَّنَكَ اللهُ الشُّبُهَةَ، وَعَصَمَكَ مِنَ الْخَيْرَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَعْرِفَةِ نَسَبًا، وَبَيْنَ

(١) اللَّأْوَاءُ: الشَّدَّةُ وَضِيقُ الْعَيْشِ. (اللِّسَانُ: لَأْي).

(٢) فِي الدَّرَوِيِّ ص ١٢٣: عَلَيْكَ.

(٣) الْحِبَاءُ: الْعَطَاءُ. (اللِّسَانُ: حِبَا).

(٤) فِي الْأَصْلِ (رَيْن) وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٥) فِي الْأَصْلِ (رَسُوح) وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٦) بَسُوقِ الْفَرْعِ: تَمَّ طَوْلُهُ. (اللِّسَانُ: بَسُق).

(٧) فِي الدَّرَوِيِّ ص ١٢٤: الْمُنْبَعِ.

(٨) الْمَرْقُومُ: الْبَيْتُ الْوَاضِحُ. (اللِّسَانُ: رَقْم).

(٩) الْعَدَقُ: الْمَطَرُ الْكَثِيرُ الْعَامِرُ. (اللِّسَانُ: عَدَق).

(١٠) الْقِدْحُ: قِطْعَةٌ مِنْ خَشَبِ الْمَيْسِرِ وَالْأَزْلَامِ يَعْرِفُ بِهَا الْإِنْسَانُ حِفْظَهُ. (اللِّسَانُ: قَدْح).

(١١) الْقِسْمُ: الْحِظُّ وَالنَّصِيبُ. (اللِّسَانُ: قَسْم).

(١٢) هَذَا الْفَصْلُ جَدِيدٌ لَمْ يَنْشُرْ مِنْ قَبْلِ.

الصِّدْقِ سَبِيًّا، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ التَّثَبُّتَ، وَزَيَّنَ فِي عَيْنِكَ الْإِنْصَافَ، وَأَذَانَكَ حَلَاوَةً
التَّقْوَى، وَأَشَعَّرَ قَلْبَكَ عِزَّ الْحَقِّ، وَأَوْدَعَ صَدْرَكَ بَرْدَ الْيَقِينِ، وَحَادَ عَنكَ ذُلَّ الْيَأْسِ،
وَعَرَّفَكَ مَا فِي الْبَاطِلِ مِنَ الدَّلَّةِ، وَمَا فِي الْجَهْلِ مِنَ الْقِلَّةِ/.

[٥٤] فصل (١)

وَهَبَ اللَّهُ لَكَ السَّلَامَةَ، وَخَتَمَ لَكَ بِالسَّعَادَةِ، وَأَعَزَّكَ بِالْحَقِّ، وَجَمَّلَكَ بِالْبِشْرِ،
وَجَعَلَ لَدُنْكَ فِي الْعِلْمِ، وَوَفَّقَكَ لِلْعَمَلِ بِهِ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ الْإِنْصَافَ، وَأَعَادَكَ مِنْ
الرَّغْبَةِ عَنْهُ، وَعَرَّفَكَ جَمِيعَ مَصَالِحِكَ، وَكَفَّاكَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ كُلِّ مَا شَغَلَكَ عَنْ أَمْرِ
آخِرَتِكَ، حَتَّى لَا يُنْقِصَ طِبَاعَكَ كَدُّ^(٢) الطَّلَبِ، وَلَا يُوهِنَ^(٣) قَوَاكُ ذُلُّ الطَّمَعِ، وَلَا
يَجْمَلُكَ الْفَقْرُ عَلَى الْحِرْصِ، وَلَا يَجْمَلُكَ الْحِرْصُ عَلَى لُؤْمِ الْمَكْسَبِ، وَلَا يَجْمَلُكَ لُؤْمُ
الْمَكْسَبِ عَلَى مُخَالَفَةِ الرَّبِّ.

وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْمَلَكَ بِمَنْ يَعْرِفُ لِلْحَقِّ قَدْرَهُ، وَلِلْعِلْمِ حَقَّهُ، حَتَّى يَخْفَ عَلَيْكَ مِنْهُ
كُلُّ ثَقِيلٍ، وَيَتَيَسَّرَ لَكَ^(٤) كُلُّ عَسِيرٍ، وَحَتَّى لَا تَأْلَفَ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا تُوَالِيَ إِلَّا فِيهِ، وَحَتَّى
تَصِيرَ مِنْ جِهَابِلَةِ الْمَعَانِي، وَمِنْ نَقَادِ الْأَلْفَاظِ، وَمِنَ الْعَارِفِينَ بِمُسْتَهْيِ دَوَائِهِ، وَمَوْضِعِ
دَوَائِهِ، حَتَّى تَعْرِفَ جَوَاهِرَ الْكَلَامِ، وَأَشْيَاخَ الْعُلُومِ، وَعَوَاقِبَ الْمَقَالَاتِ، وَعَوَارِضَ
الشُّبُهَاتِ، وَتَقْطَعُ^(٥) الْمُقَدَّمَاتِ، وَالْفَرْقَ الَّذِي بَيْنَ الدَّلِيلِ، وَمَا أَشْبَهَ الدَّلِيلِ.

(١) ورد هذا الفصل عند الدررubi: ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) في الدررubi ص ١٢٤: كل.

(٣) في الدررubi ص ١٢٤: يوهين.

(٤) ساقطة من الدررubi.

(٥) في الدررubi ص ١٢٥: مظلم.

[٥٥] فصل (١)

وَهَبَ اللهُ لَكَ الْإِنصَافَ، وَأَعَادَكَ مِنَ الظُّلْمِ، وَبَاعَدَكَ مِنَ التَّكْلِيفِ، وَعَصَمَكَ مِنَ التَّلَوُّنِ، وَبَغَضَ إِلَيْكَ اللَّجَاجَ، وَكَرَّهَ/إِلَيْكَ الْإِسْتِدَادَ، وَنَزَّهَكَ (٢) عَنِ الْفُضُولِ، وَعَرَّفَكَ سُوءَ عَاقِبَةِ الْمِرَاءِ (٣).

[٥٦] فصل (١)

وَهَبَ اللهُ لَكَ الْإِنصَافَ، وَأَعَادَكَ مِنَ الظُّلْمِ (٥)، وَشَرَحَ صَدْرَكَ بِالْمُنَاصِحَةِ (٦)، وَجَنَّبَكَ الْبِدْءَ (٧)، وَبَغَضَ إِلَيْكَ الْمُعَانَدَةَ، وَأَهْمَكَ الْقَصْدَ.

[٥٧] فصل (٨)

وَهَبَ اللهُ لَكَ السَّلَامَةَ وَالْغَنِيمَةَ، وَخَتَمَ لَكَ بِالسَّعَادَةِ، وَأَعَزَّكَ بِالْحَقِّ، وَجَعَلَ لَكَ مِنْ عَقْلِكَ وَإِعْظَا، وَرِقِيًّا مِنْ نَفْسِكَ سَامِعًا وَمُطِيعًا (٩)، وَجَعَلَ لَكَ مَعَ حَزْمِكَ

(١) ورد هذا الفصل عند الدروري: ص ١٢٥.

(٢) نزّهك: أبعدك عن السوء. (اللسان: نزّه).

(٣) المراء: الجدل. (اللسان: مرا).

(٤) ورد هذا الفصل عند الدروري: ص ١٢٥.

(٥) جملة «وأعادك من الظلم» ساقطة من الدروري.

(٦) المناصحة: نقيض الغش. (اللسان: نصح).

(٧) البداء: الفحش، والكلام القبيح. (اللسان: بدأ).

(٨) ورد هذا الفصل في الدروري: ص ١٢٦.

(٩) في الدروري ص ١٢٦: سامعًا مطيعًا.

نَصِيًّا مِنَ التَّوَكُّلِ، وَمَعَ تَوَكُّلِكَ حَظًّا مِنَ التَّخَيَّرِ^(١)، حَتَّى تَقْبَلَ إِذْنَهُ فِي الْحَذَرِ^(٢)،
وَتُطِيعَ أَمْرَهُ فِي التَّوَكُّلِ^(٣).

[٥٨] فصل^(٤)

أَصْحَبَكَ اللهُ الْعِزَّ^(٥)، وَجَنَّبَكَ الْأَذَى، وَخَتَمَ لَكَ بِالْفَوْزِ^(٦)، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ
الْعِلْمَ، وَزَيَّنَ فِي عَيْنِكَ الْحَقَّ، وَرَغَّبَكَ فِي الْإِقْرَارِ بِهِ، وَسَهَّلَ عَلَيْكَ الرَّجُوعَ إِلَيْهِ،
وَبَغَضَ إِلَيْكَ الْبِدْعَ، وَكَفَّفَاكَ مَوَارِدَ الْفِتَنِ^(٧)، وَزَادَكَ بَصِيرَةً فِي الْحَيْرِ، وَرَغْبَةً فِي صَالِحِ
الْأَدَابِ^(٨)، وَكَرِيمَ الْأَخْلَاقِ.

[٥٩] فصل^(٩)

أَعَادَكَ اللهُ مِنَ الْحَيْرَةِ^(١٠) فِي الدِّينِ، وَالرَّغْبَةَ عَنِ مِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ^(١١)، وَجَعَلَكَ

(١) التَّخَيَّرُ: الاصطفاء. (اللسان: خير).

(٢) الحذر: التحرز. (اللسان: حذر).

(٣) التوكل: إظهار العجز، والاعتماد على غيرك. (اللسان: وكل).

(٤) ورد هذا الفصل عند الدروري: ص ١٢٦.

(٥) العز: الرفعة. (اللسان: عزز).

(٦) ختم لك بالفوز: النجاة من الشر والظفر بالخير. (اللسان: فوز).

(٧) موارد: المناهل والطرق. (اللسان: ورد).

(٨) الفتن: الابتلاء والمحن. (اللسان: فتن).

(٩) في الدروري ص ١٢٦: الأدب.

(١٠) ورد هذا الفصل عند الدروري: ص ١٢٦ - ١٢٧.

(١١) الحيرة: التَّخَيَّرُ، وعدم الاهتداء إلى السبيل. (اللسان: حير).

(١٢) الرَّغْبَةُ: ترك الشيء متعمداً. (اللسان: رغب).

ملة المسلمين: الشريعة والدين. (اللسان: ملل).

مَنْ يَقْبَلِ الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ، وَيَسْتَنْبِطُهُ مِنْ مَعْدِنِهِ^(١)، وَيَسْتَدِلُّ عَلَى مَجْهُولِ الْأَشْيَاءِ بِمَعْلُومِهَا، وَعَلَى لَطِيفِهَا بِجَلِيلِهَا، وَكَانَ رَادِعًا لِعَقْلِكَ عَنِ التَّكْلِيفِ لِعِلْمٍ مَا لَا تُدْرِكُهُ.

[٦٠] فصل^(٢)

وَفَقَّكَ اللَّهُ لِلطَّاعَةِ، وَعَصَمَكَ مِنَ الشُّبْهَةِ، وَأَفْلَجَكَ^(٣) بِالْحُجَّةِ، وَجَعَلَكَ مِمَّنْ يَتَّعِظُ بِغَيْرِهِ، وَلَا يُعْطِي السَّلَامَةَ مِنْ نَفْسِهِ، وَقَرَنَ^(٤) بِمَنْطِقِكَ^(٥) الصَّوَابَ، وَبِفِكَرِكَ التَّوْفِيقَ.

[٦١] فصل^(٦)

زَيَّنَكَ اللَّهُ بِالتَّوْفِيقِ^(٧)، وَكَفَّاكَ الْمُهَمَّ مِنْ أَمْرِ الْأَخِيرَةِ وَالْأُولَى، وَأَثَلَجَ صَدْرَكَ بِالْيَقِينِ، وَأَعَزَّكَ بِالقِنَاعَةِ^(٨)، [وَوَحَّتَمَ لَكَ بِالسَّعَادَةِ، وَجَعَلَكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ]^(٩)،

(١) المعدن: أصل الشيء. (اللسان: عدن).

(٢) ورد هذا الفصل عند الدروري: ص ١٢٧.

(٣) أفلك: أظفرك. (اللسان: فلك).

(٤) قرن: اقترن به وصاحبه ووصل به. (اللسان: قرن).

(٥) منطقتك: كلامك. (اللسان: نطق).

(٦) ورد هذا الفصل في هارون: جزء منه في رسالة بعنوان: رسالة المعلمين: ٢٧ / ٣، والجزء الآخر في رسالة بعنوان: رسالة الأوطان والبلدان: ١٠٩ / ٤. والسندوبي: ص ٣١٢، ٣١٥ بعنوان: من رسائله الخاصة، والمبرد: ص ١٧ بعنوان: فصل من صدر كتابه في المعلمين، والمورد: ص ١٤٩ بعنوان: كتابه في المعلمين، والدروري: ص ١٢٧ - ١٢٨، وجريس: ص ٥٩ بعنوان: كتاب المعلمين.

(٧) في هارون «رسالة الأوطان والبلدان»: ١٠٩ / ٤، والسندوبي ص ٣١٥: التقوى.

(٨) جملة «وأثلج صدرك باليقين، وأعزك بالقناعة» ساقطة من السندوبي.

(٩) ما بين المعقوفين من هارون «رسالة الأوطان والبلدان»: ١٠٩ / ٤. انتهاء ما ورد في هارون: «رسالة الأوطان والبلدان». من بداية الفصل إلى هنا ساقطة من هارون: رسالة المعلمين، والمورد ص ١٤٩. ما بين المعقوفين ساقط من السندوبي.

و(١) أَعَانَكَ (٢) عَلَى (٣) سَوْرَةِ (٤) الْغَضَبِ، وَعَصَمَكَ مِنْ سَرَفِ الْهَوَى، وَصَرَفَ [عَنكَ] (٥) مَا أَعَانَكَ (٦) مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى حُبِّ الْإِنصَافِ، وَرَجَّحَ (٧) فِي قَلْبِكَ إِثَارَةَ الْأَنَاةِ، [فَقَدْ اسْتَعْمَلْتَ فِي الْمَعْلَمِينَ نَوَكَ (٨) الشُّفَهَاءِ، وَخَطَلَ الْجُهْلَاءِ، وَمُفَاحِشَةَ الْأَبْدِيَاءِ، وَجُنَابَةَ سُبُلِ الْحِكْمَاءِ، وَتَهَكُّمَ (٩) الْمُقْتَدِرِينَ، وَأَمَّنَ الْمُغْتَرِّينَ. وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْعَدَاوَةِ وَجَدَهَا حَاضِرَةً، وَلَا حَاجَةَ بِكَ إِلَى تَكَلُّفِ مَا كُفِّيتَ] (١٠).

[٦٢] فصل (١١)

أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنَ الْغَيْشِ (١٢) وَدِقَّةِ حَظَرِهِ، وَمِنَ الْبَغْيِ وَسُوءِ أَثَرِهِ، وَمِنَ الْحَسَدِ وَلُؤْمِ

- (١) ابتداء ما ورد في هارون ٣ / ٢٧: رسالة المعلمين، والمبرد ص ١٧، وجريس ص ٥٩.
- (٢) في هارون ٣ / ٢٧: رسالة المعلمين، والمبرد ص ١٧، والتندوبي ص ٣١٢: أعانك الله.
- (٣) في التندوبي ص ٣١٢: من.
- (٤) في التندوبي ص ٣١٢: سوءه، ولا وجه لها.
- السورة: الشدة والحدة. (اللسان: سور).
- (٥) ما بين المعقوفين من الدروري ص ١٢٧، ساقطة من هارون: «رسالة المعلمين» والتندوبي والمبرد والمورد وجريس.
- (٦) في هارون «رسالة المعلمين» ٣ / ٢٧، والتندوبي ص ٣١٢، والمبرد ص ١٧، والمورد ص ١٤٩، وجريس ص ٥٩: أعارك.
- (٧) في المورد ص ١٤٩، وجريس ص ٥٩: رجع.
- (٨) في المورد ص ١٤٩: نزع.
- (٩) تهكم: تكبر وتبختر. (اللسان: هكم).
- (١٠) ما بين المعقوفين من هارون «رسالة المعلمين»: ٣ / ٢٧، والمبرد ص ١٧، والمورد ص ١٤٩، وجريس ص ٥٩، وساقطة من التندوبي والدروري.
- (١١) ورد هذا الفصل عند الدروري ص ١٢٨.
- (١٢) ورد في عيد الله في كتاب بعنوان: فخر السودان على البيضان ١ / ١٢٣ «أعاذك الله من الغش؛ أنك قرأت كتابي في عجاظة الصرحاء للهجاء، ورد الهجاء، وجواب أحوال الهجاء، وأنا لم أذكر فيه شيئاً من مفاخر السودان، فاعلم حفظك الله أني إنما أحررت ذلك متعمداً».

طَبِعِهِ، وَمِنَ اللَّجَاجِ^(١) وَمَعَبَّةِ أَمْرِهِ، وَمِنَ كَثْرَةِ التَّلَوْنِ، وَسَخَافَةِ قَدْرِهِ، وَمِنَ غَلَبَةِ الطَّمَعِ وَقُبْحِ اسْمِهِ/.

[٦٣] فصل^(٢)

أَعَادَكَ اللهُ مِنْ سُكْرِ الثَّرْوَةِ، وَيَطْرِ الْغِنَى، وَأَوْزَعَكَ الشُّكْرَ^(٣)، وَوَهَبَ لَكَ الْقَنَاعَةَ، وَيَغْضُ إِلَيْكَ الْمُكَاتَّرَةَ^(٤)، وَكَفَاكَ مَا أَمَّتَكَ، وَجَعَلَكَ كَنَفًا لِلْأَدْبَاءِ، وَمَفْرَعًا لِلْحُكَمَاءِ، وَجَعَلَكَ مِمَّنْ يَنْفِي عَنْهُ، شُبَّةَ خَلْقِهِ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَلَا يَجْعَدُ كِتَابًا مِنْ عِنْدِهِ، وَلَا يُضِيفُ إِلَيْهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ [فَعَالَ لَا يُرِيدُ]^(٥).

[٦٤] فصل^(٦)

اللَّهُمَّ نَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّكَلُّفِ لِمَا لَا يَحْسُنُ، كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعُجْبِ بِمَا يَحْسُنُ^(٧)، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ السَّلَاطَةِ^(٨) وَالْهَذَرِ^(٩)، كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعِيِ^(١٠) وَالْحَصْرِ^(١١).

(١) اللجاج: الخصومة الشديدة التي لا تنتهي إلى شيء. (اللسان: لجج).

(٢) ورد هذا الفصل عند الذروري: ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٣) في الذروري ص ١٢٨: شكر النعمة.

(٤) المكاترة: كثرة الكلام. (اللسان: كثر).

(٥) ما بين المعقوفين من الذروري: ص ١٢٩.

(٦) هذا الفصل جديد لم ينشر من قبل.

(٧) انظر القول في الحيوان: ٤ / ١٠٧ اللهم جنبنا التكلف، وأعدنا من الخطل، واحمنا من العجب،

بما يكون منا، والثقة بما عندنا، واجعلنا من المحسنين.

(٨) السلاطة: طول اللسان وحدته. (اللسان: سلط).

(٩) الهذر: الكلام الكثير الرديء أو سقط الكلام. (اللسان: هذر).

(١٠) العي: العجز في النطق وعدم القدرة على بيان المراد. (اللسان: عي).

(١١) الحصر: العي في النطق وعدم القدرة على القراءة. (اللسان: حصر).

[٦٥] فصل (١)

اللَّهُمَّ إِنَّا بِكَ نَعُوذُ، وَبِكَ نَلُودُ^(١)، وَعَلَيْكَ نَتَوَكَّلُ، وَبِكَ نَعْتَصِمُ، فَتَوَلَّ عِصْمَتَنَا، وَقَوِّ صَحْفَنَا، وَوَقِّفْنَا لِمَا نُحِبُّ وَتَرْضَى.

[٦٦] فصل (٣)

اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا فَضُولَ الْقَوْلِ^(٤)، وَالثَّقَةَ بِمَا عِنْدَنَا، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ^(٥)، وَأَعِزَّنَا مِنْ كُلِّ سَبَبٍ جَانِبِ الطَّاعَةِ، وَدَعَا إِلَى الْمَعْصِيَةِ، وَارزُقْنَا التَّايِيدَ وَالْعِصْمَةَ / .

[٦٧] فصل (٦)

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ عَلَى جِهَادِ الْأَعْدَاءِ، وَالرِّدِّ عَلَى السُّفَهَاءِ، وَنَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْعَدْلِ فِي الْعَصَبِ وَالرِّضَا، وَأَنْ تَجْعَلَنَا لِلْخَيْرِ عِلْمًا^(٧)، وَعَلَى الْحَقِّ دَلِيلًا.

[٦٨] فصل (٨)

بِكَ اللَّهُمَّ اسْتَعْنَا، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا، فَتَوَلَّ عِصْمَتَنَا مِنَ الزَّلَلِ^(٩)، وَوَقِّفْنَا لِصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

(١) ورد هذا الفصل عند الدروري: ص ١٢٩.

(٢) تلوذ: نلجأ إليك ونعوذ به، وفي الدعاء «اللهم بك أعوذ، وبك ألوذ» أي لاذ به إذا التجأ إليه واستغاث. (اللسان: لوذ).

(٣) ورد هذا الفصل عند الدروري: ص ١٢٩.

(٤) فضول القول: الخيلاء والتكبر في القول. (اللسان: فضل).

(٥) جملة «اللهم جنِّبنا فضول القول، والثقة بما عندنا، ولا تجعلنا من المتكلفين» وردت في الحيوان: ٥/٦.

(٦) ورد هذا الفصل عند الدروري: ص ١٣٠.

(٧) علمًا: دليلًا. (اللسان: علم).

(٨) ورد هذا الفصل عند الدروري: ص ١٣٠.

(٩) الزلل: الخطأ والذنب. (اللسان: زلل).

[٦٩] فصل (١)

بِعَوْنِكَ اللَّهُمَّ نَقُولُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ نَسْتَهْدِي، فَاْمُنْ (١) عَلَيْنَا بِتَوْفِيقِكَ لِإِ
يُرْضِيكَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

[٧٠] فصل (٢)

نَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ فِتَنِ الْأَهْوَاءِ، وَبِدَعِ الْأَرَاءِ، وَشُبُهَةِ الْحَقَطَاءِ، وَتَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي
صَوَابِ الْقَوْلِ، وَسَدَادِ الْفِعْلِ، عِنْدَ جَوَابِ السَّائِلِينَ، وَقَوْلِ الْمُحْلَفِينَ (٢)، وَسُؤَالِ
الْمُحْتَدِّينَ، وَمُنَازَعَةِ الْحُصُومِ؛ فَقَدْ عَظَّمَ الْأَدْعَاءَ، وَتَأَصَّرَ الْهَوَاءَ (٣)، وَكَثَّرَتِ الرَّوَايَةَ،
وَقَلَّتِ الرَّعَايَةَ، وَأَعْجَبَ كُلُّ بَرَاءِيهِ، وَأَطَاعَ شَيْطَانَهُ، وَقَلَّدَ بُهْتَانَهُ (٤).

[٧١] فصل (٣)

اللَّهُمَّ قَدْ اشْتَدَّ الْبَلَاءُ، وَظَهَرَتِ النُّكْرَاءُ (٥)، وَكَلَّفْنَا الْحُصُومَ أَنْ نَحْتَجَّ، وَأَهْلَ
الْعِنَادِ (٦) أَنْ نُبَيِّنَ، فَتَسْدِيدُكَ اللَّهُمَّ تَسْدِيدُكَ /، وَتَوْفِيقُكَ اللَّهُمَّ تَوْفِيقُكَ، فَإِنَّ الْمَعْصُومَ
مَنْ عَصَمَتْ، وَالْمَخْذُولَ (٧) مَنْ خَذَلَتْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ.

(١) ورد هذا الفصل عند الدررسي: ص ١٣٠.

(٢) امتن: أنعم وفضل. (اللسان: متن).

(٣) ورد هذا الفصل عند الدررسي: ص ١٣٠-١٣١.

(٤) في الدررسي ص ١٣١: المختلفين.

(٥) في الدررسي ص ١٣١: وقصر الهوى.

(٦) البهتان: الباطل. (اللسان: بهت).

(٧) ورد هذا الفصل عند الدررسي: ص ١٣١.

(٨) النكراء: المنكر. (اللسان: نكر).

(٩) أهل العناد: أهل التجبر. (اللسان: عند).

(١٠) المخذول: المهزوم، والذي لا معين له. (اللسان: خذل).

[٧٢] فصل (١)

اللَّهُمَّ قَدْ عَظُمَتِ الْبَلْوَى، وَكَثُرَتِ الدَّعْوَى، وَقَلَّ الْأَنْصَارُ^(٢)، وَاسْتَسَلَمَ الْأَتْبَاعُ، وَقَلَدَ الرُّؤَسَاءُ، وَعَدَلَّ^(٣) كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ عَنِ الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ^(٤)، وَالطَّرِيقَةَ الْمُسْلَى، وَالسَّبِيلَ الَّتِي يَسْلُوكُهَا نَجَا أَوَائِلُهُمْ، وَيَلْزُمُهَا اهْتِدَى أَسْلَافُهُمْ، فَتَشَتَّتُوا لِذَلِكَ وَاخْتَلَفُوا، وَتَبَايَنُوا وَافْتَرَقُوا^(٥)، وَعَادَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ^(٦)، وَالْمُؤْمِنُ خَائِفًا صَامِتًا.

وَكُلُّ ذَلِكَ بِحَسَدِ أَعْدَائِكَ لِأَوْلِيَانِكَ، وَاسْتِضْعَافِهِمْ لِأَصْفِيَانِهِمْ، وَبَرَكِهِمْ التَّسْلِيمَ لِأَمْرِكَ، وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ، وَقَدْ عَرَفْنَا مِنْ ذَلِكَ اللَّهُمَّ مَا أَنْكَرُوا، وَأَقْرَرْنَا بِكُلِّ الَّذِي جَحَدُوا، وَرَضِينَا بِكُلِّ مَا لَهُ سَخَطُوا، فَاْمَدُّنَا رَبَّ بِمَعُونَتِكَ، وَتَبَّنَّا بِتَوْفِيقِكَ، وَآيَدْنَا بِعَمْرِكَ، وَحُطْنَا بِكَلَائِكَ^(٧)، ﴿أَفْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

(١) ورد هذا الفصل عند الدروري: ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢) في الدروري ص ١٣١: الإنصاف.

(٣) في الأصل (وعند) وهو تصحيف، وما أثبت من الدروري ص ١٣١.

(٤) المحجة البيضاء: الطريق المستقيم. (اللسان: حجج).

(٥) في الأصل (وافترقوا) وهو تصحيف. وما أثبت من حاشية الأصل.

(٦) إشارة إلى الحديث «أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغريباء».

(صحيح مسلم: ١/ ١٣٠، رقم ٢٣٢، وسنن ابن ماجه، تأليف د. محمد ناصر الدين الألباني،

ط ١، مكتب التربية العربية لدول الخليج، الرياض، ١٩٨٦م: ٢/ ٣٦٣، رقم ٣٢٢١، واللسان:

غرب).

(٧) في الدروري ص ١٣٢: بكلايتك.

[٧٣] فصل^(١)

الرَّاحُ^(٢) كَرِيمٌ^(٣) الجَوْهَرُ، وَشَرِيفٌ^(٤) النَّفْسُ، رَفِيعُ الْقَدْرِ، بَعِيدُ الْهَمِّ. وَلِذَلِكَ صَارَتْ صِنَاعَتُهُ الْمَعْرُوفَةَ^(٥)، وَبَهَجَتُهُ^(٦) الْمَوْصُوفَةَ، أَنْ^(٧) يَسَّرَ النَّفْسُ/، وَأَنْ^(٨) يُجَبَّبَ إِلَيْهَا الْجُودُ، [وَيُزَيَّنَ لَهَا الْإِحْسَانَ، وَيُرْعَبُّهَا فِي التَّوَسُّعِ، وَيُورِثُهَا الْغِنَى، وَيَنْفِي عَنْهَا الْفَقْرَ]^(٩)، وَيَمْلَأُهَا عِزًّا، وَيَعِدُّهَا خَيْرًا، وَيَخْلَعُ عَنِ الطَّرَبِ الْأَعِنَّةَ^(١٠)

(١) وردت بعض فقر هذا الفصل في هارون: ١١٩/٣، ١٢٠، ١٢٤-١٢٥ بعنوان: رسالة في مدح النيذ، والتندويي: ص ٢٨٨-٢٩٠ بعنوان: من رسالته في مدح النيذ، والمبرد: ص ١٠٧-١٠٩، ١١٢، ١١٤-١١٥ بعنوان: من رسالته في مدح النيذ، والمورد: ص ١٨٢-١٨٤ بعنوان: من صدر رسالته إلى الحسن بن وهب في مدح النيذ وصفة أصحابه. ولكن لم تكن هذه الفقر في الكتب السابقة مرتبة كالترتيب الوارد في الأصل، بل جاءت جملة هنا وجملة هناك، والدروبي: ص ١٣٢-١٣٧.

(٢) الراح: الخمر. (اللسان: روح).

(٣) في المبرد ص ١١٢، والمورد ص ١٨٢: أنه كريم.

(٤) في المبرد ص ١١٢: شريف.

(٥) في التندويي ص ٢٨٩، والمبرد ص ١١٢، والمورد ص ١٨٢: وكذلك طبعته المعروفة.

(٦) في التندويي ص ٢٨٩، والمبرد ص ١١٢، والمورد ص ١٨٢: وسجته.

(٧) في المبرد ص ١١٢، والمورد ص ١٨٢: وأنه.

(٨) ساقطة من التندويي والمبرد والمورد.

(٩) ما بين المعقوفين من التندويي ص ٢٨٩، والمبرد: ص ١١٢، والمورد: ص ١٨٣، وساقطة من

الدروبي.

(١٠) الأعنة: جمع عنان، وهو اللجام. (اللسان: عنن).

والأرسان^(١). تراه في الكأسِ كأنه الشمس، ومُلتَجِفٌ^(٢) إذا بَلَغَتْهُ العُروق، وَفَتَحَتْ أفواهاها كأفواه الفِراخ^(٣)^(٤).

وهو^(٥) الذي إذا مَشَى^(٦) في عِظَامِك، والتَمَسَ بأجزاءك، وَدَبَّ في^(٧) جَنَانِك، مَنَحَكَ صِدْقَ الحِسِّ، وَفَرَّغَ النَّفْسِ، وَجَعَلَكَ رَخِيًّا^(٨) البال، خَلَّى الدَّرْعَ^(٩)، قَلِيلَ الشُّغْلِ^(١٠)، قَرِيرَ العَيْنِ، وَاسِعَ الصَّدْرِ، فَسِيحَ الهَمِّ، حَسَنَ الظَّنِّ.

ثُمَّ سَدَّ عَلَيْكَ أَبْوَابَ الهَمِّ^(١١)، وَحَسَمَ عَنْكَ خَوَاطِرَ الفِكرِ^(١٢)، وَحَجَبَ عَنْكَ طَوَارِقَ الغَمِّ^(١٣)، وَكَفَاكَ مَوْوِنَةَ الحِرَاسَةِ، وَالْمَ الشَّفَقَةَ، وَخَوْفَ الحَدَثَانِ، وَذُلَّ الطَّمَعِ،

(١) الأرسان: جمع رسن، وهو الخيل الذي يربط به. (اللسان: رسن).

(٢) ملتجف: متسع، إذ وسعه من جوانبه. (اللسان: لجف).

(٣) في الدروري ص ١٣٢: الفروخ.

جملة «وفتحت أفواهاها كأفواه الفِراخ» وردت في المورد: ص ٢٠٠ بعنوان: من صدر كتابه في الشارب والمشروب.

(٤) من قوله «ويخلع عن الطرب... العروق» ساقطة من المبرّد والمورد من «رسالته إلى الحسن بن وهب في مدح النبيذ وصفة أصحابه».

(٥) في هارون ص ١٢٠، والمبرّد ص ١١٢، والمورد ص ١٨٢: والنبيذ.

(٦) في المبرّد ص ١١٢، والمورد ص ١٨٢: تمشى.

(٧) في المورد ص ١٨٢: إلى.

(٨) في المورد ص ١٨٢: رضي.

(٩) في المورد ص ١٨٢: الذراع.

الذرع: الطاقة والقوة. (اللسان: ذرع).

(١٠) في هارون ص ١٢٠، والمبرّد ص ١٠٧، والمورد ص ١٨٢: الشواغل.

(١١) في هارون ص ١٢٠، والمبرّد ص ١٠٧، والمورد ص ١٨٢: التهم.

(١٢) في هارون ص ١٢٠، والمبرّد ص ١٠٧، والمورد ص ١٨٢: وحسن دونك الظنّ وخواطر الفهم.

(١٣) جملة «وحجب عنك طوارق الغم» ساقطة من هارون والمبرّد والمورد.

وَكَدَّ الطَّلَبَ، وَكُلَّ مَا اعْتَرَضَ عَلَى الشُّرُورِ، وَأَفْسَدَ^(١) اللَّذَّةَ، وَقَاسَمَ الشَّهْوَةَ، وَأَحْلَى
النِّعْمَةَ^(٢).

وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ، وَهُوَ مُسْتَرَاخٌ قَلْبِكَ، وَجَمَالَ عَقْلِكَ، وَقَرِيعُ^(٣) عَيْنِكَ،
وَمَوْضِعُ أَنْسِكَ، وَمُسْتَبْطُ لَذَّتِكَ، وَيَنْبَغُ سُورِكَ، وَمِصْبَاحُكَ فِي الظَّلَامِ، وَشِفَاؤُكَ
مِنْ جَمِيعِ الْأَسْقَامِ^(٤).

وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ أَبْهَةَ الْجَلَالِ^(٥)، وَرَشَاقَةَ الْحَرَامِ^(٦)، وَوَقَارَ السَّمَاءِ^(٧)،
[وَشَرَفَ الْحَيْرِ]^(٨)، وَنَزَقَ^(٩) الْخَمْرَ^(١٠)، وَعَزَّ الْمُجَاهِرَةَ^(١١)، [وَلَذَّةَ الْاِخْتِلَاسِ،

(١) فِي الدَّرَوِيِّ ص ١٣٣: أَذْهَبَ.

(٢) فِي هَارُونَ ص ١٢٠، وَالْمَبْرَدُ ص ١٠٧، وَالْمُورِدُ ص ١٨٢: وَأَحْلَى بِالنِّعْمَةِ.

(٣) فِي السَّنَدِيِّ ص ٢٨٨، وَهَارُونَ ص ١١٩، وَالْمُورِدُ ص ١٨٢، وَالدَّرَوِيُّ ص ١٣٣: مَرْتِعٌ.
وَالْمَبْرَدُ ص ١٠٧: وَمَرِيعٌ.

(٤) فِي السَّنَدِيِّ ص ٢٨٨، وَهَارُونَ ص ١١٩: الْأَسْقَامِ.

وَالْمَبْرَدُ ص ١٠٧، وَالْمُورِدُ ص ١٨٢: وَشِعَارُكَ مِنْ جَمِيعِ الْأَسْقَامِ.

(٥) فِي السَّنَدِيِّ ص ٢٨٨: الْجَلَالِ. وَفِي هَارُونَ ص ١١٩: أَبْهَةُ الْجَلَالِ. وَالْمَبْرَدُ ص ١٠٧ وَالْمُورِدُ
ص ١٨٢: أَبْهَةُ الْجَلَالِ.

(٦) فِي السَّنَدِيِّ ص ٢٨٨، وَهَارُونَ ص ١١٩، وَالْمَبْرَدُ ص ١٠٨، وَالْمُورِدُ ص ١٨٢: الْخَلَالِ.

(٧) فِي السَّنَدِيِّ ص ٢٨٨، وَهَارُونَ ص ١١٩، وَالْمَبْرَدُ ص ١٠٨، وَالْمُورِدُ ص ١٨٢: الْبِهَاءِ.

(٨) مَا بَيْنَ الْمُعْرِفَيْنِ مِنَ السَّنَدِيِّ ص ٢٨٨، وَهَارُونَ: ٣ / ١٢٠، وَالْمَبْرَدُ: ص ١٠٨، وَالْمُورِدُ:
ص ١٨٢، وَسَاقِطَةٌ مِنَ الدَّرَوِيِّ.

(٩) فِي الدَّرَوِيِّ ص ١٣٤: شَرَفٌ.

(١٠) جَمَلَةٌ «نَزَقَ الْخَمْرَ» سَاقِطَةٌ مِنَ السَّنَدِيِّ وَهَارُونَ وَالْمَبْرَدُ وَالْمُورِدُ.

(١١) فِي السَّنَدِيِّ ص ٢٨٨، وَالْمَبْرَدُ ص ١٠٨: الْمَجَاهِدَةُ.

وَحَلَاوَةَ الدَّيِّبِ^(١) [٢]، وَحَلَاوَةَ الْمَسَارِقَةِ^(٣).

خَيْرُ الْأَشْرِبَةِ مَا جَمَعَ الْمَحْمُودَ مِنْ خِصَالِهِ وَخِصَالِ غَيْرِهِ^(٤)، وَشَرَابُكَ [هَذَا]^(٥) قَدْ أَخَذَ مِنَ الْحَمْرِ دَيْبِيهَا^(٦) فِي الْمَفَاصِلِ، وَتَمَشَّيْهَا فِي الْعِظَامِ، وَبَقَاءُهَا عَلَى الدَّهْرِ، وَنَشْرَهَا الطَّيْبِ^(٧)، وَكَوْنُهَا الْغَرِيبِ، وَأَخَذَ بَرْدَ الْمَاءِ، وَرِقَّةَ/ الْهَوَاءِ، وَحَرَكَةَ النَّارِ، وَمُحْرَةَ خَدِّكَ إِذَا خَجَلْتَ، وَصُفْرَةَ كَوْنِكَ إِذَا فَرَعْتَ، وَيَبَاضَ عَوَارِضِكَ^(٨) إِذَا ضَحِكْتَ^(٩).

قِيلَ لِبَعْضِ الْفِتْيَانِ صِفَ لَنَا خِصَائِصَ الْأَشْرِبَةِ، فَقَالَ: «أَمَّا الْمَاءُ، فَيَعْظُمُ خَطَرُهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ بِحَسَبِ تَعَدُّرِهِ. وَأَمَّا اللَّبْنُ فَسَبْعُ الْغَرْنَانِ^(١٠)، وَرِيُّ الظَّمَانِ. وَأَمَّا

(١) فِي الْمَبْرَدِ ص ١٠٨، وَالْمُورِدِ ص ١٨٢: الرَّيْبِ.

الدَّيْبِ: دَبُّ الشَّرَابِ فِي الْجِسْمِ يَدَبُ دَيْبِيًّا أَيْ سَرَى. (اللِّسَانُ: دَبُّ).

(٢) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ مِنَ السَّنْدُوبِيِّ ص ٢٨٨، وَهَارُونَ: ٣ / ١٢٠، وَالْمَبْرَدُ: ١٠٨، وَالْمُورِدُ: ص ١٨٢، وَسَاقِطَةٌ مِنَ الدَّرَوِيِّ.

(٣) سَاقِطَةٌ مِنَ السَّنْدُوبِيِّ وَهَارُونَ وَالْمَبْرَدُ وَالْمُورِدُ. وَفِي الدَّرَوِيِّ ص ١٣٤: الْمَرَاقَةُ.

(٤) فِي هَارُونَ ص ١٢٤، وَالسَّنْدُوبِيِّ ص ٢٩٠، وَالْمَبْرَدُ ص ١٠٨، وَالْمُورِدُ ص ١٨٤: مِنْ خِصَالِهَا وَخِصَالِ غَيْرِهَا.

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ مِنْ هَارُونَ: ٣ / ١٢٤، وَالسَّنْدُوبِيِّ: ص ٢٩٠، وَالْمَبْرَدُ: ص ١١٥، وَالْمُورِدُ: ١٨٤، وَالدَّرَوِيِّ ص ١٣٤.

(٦) فِي الْمَبْرَدِ ص ١١٥: زَيْتِهَا.

(٧) الْجَمَلَةُ «وَبَقَائِهَا عَلَى الدَّهْرِ وَنَشْرَهَا الطَّيْبِ» سَاقِطَةٌ مِنْ هَارُونَ وَالسَّنْدُوبِيِّ وَالْمَبْرَدِ وَالْمُورِدِ.

(٨) فِي هَارُونَ ص ١٢٥: عَارِضِيكَ.

وَالْمَبْرَدُ ص ١١٥: عَارِضِكَ.

وَالْعَارِضَانُ: جَانِبَا الْخَدِّ. (اللِّسَانُ: عَرْضُ).

(٩) انْتِهَاءُ مَا جَاءَ فِي هَارُونَ وَالسَّنْدُوبِيِّ وَالْمَبْرَدِ وَالْمُورِدِ.

(١٠) الْغَرْنَانُ: الْجَانِعُ. (اللِّسَانُ: غَرْتُ).

السويق^(١)، فزاد العجلان، وتعلت المريض^(٢). وأما الداذي^(٣)، فكالمروي في اللنان^(٤)، والترسي^(٥) في الشعان^(٦). وأما الزيب فتيل المنظر، سخيض المخبر. وأما الراخ فصفي النفس، وغذي الروح، ما ارتضع مزوجه وصرفه، غير مأمون على إتهاك^(٧) البدن، وسقم يؤذي إلى العطب.

قال حمزة مرة^(٨): تنازع الكلام قوم من أهل العلم والأدب في مدح الشراب وذمه، فقال القائل بئمه، والقدح في يده: «في الشراب مصدئة عن مسالك البر والثواب، وآفة مئالة على منهاج العفة^(٩) والعفاف، وترثت عن السعي في فنون الأدب، وتقصير^(١٠) عن مباشرة الأمور والأسباب، وتحقق لإنهاء الذكر والاسم، ونقص للذكاء والفهم، وحركة لسلطان الدم، وهيج للشعب والمراء، وارتعاش للبدن والجرم^(١١)».

(١) السويق: ما يتخذ من الحنطة والشعير. (اللسان: سوق).

(٢) تعلت المريض: ما يتعلل به. (اللسان: علل).

(٣) الداذي: نبت له عنقود مستطيل وجهه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار في وعاء فتعقب رائحته ويجود إسكاره.

(اللسان: دوذ).

(٤) في الأصل (الذثار) وما أثبت من الدروري ص ١٣٥.

الذنان: جمع دن وهو من الأوعية التي يحفظ فيها الخمر. (اللسان: دن).

(٥) الترسي: ضرب من التمر يكون أجوده. (اللسان: نرس).

(٦) الشعان: ما تاتر من ورق العشب بعد هيجه وبسه. (اللسان: شعن).

(٧) في الدروري ص ١٣٥: اتهاك.

(٨) غير مقروءة في الأصل، وما أثبت من الدروري ص ١٣٥.

(٩) في الدروري ص ١٣٥: الفقة.

(١٠) في الدروري ص ١٣٥: ونقص.

(١١) الجرم: الجسد. (اللسان: جرم).

وقال القائل بمدحه: «لَيْسَتْ هَذِهِ الْعُيُوبُ مِنْ خَاصِيَةِ الشَّرَابِ وَجَوْهَرِهِ»^(١)،
ولكنها من إسرافِ النَّاسِ فِي الإِصَابَةِ مِنْهُ، وَتَجَاوُزِهِمْ حَدَّ الْوَاجِبِ، وَمَقْدَارَ الْإِلَازِمِ
مِنْ شُرْبِهِ. فَأَمَّا الشَّرَابُ، فَإِذَا كَانَ أَرَجًا^(٢) صَافِيًا، عَتِيقًا نَاهِيًا^(٣)، وَأُصِيبَ مِنْهُ الْقَصْدُ،
فَإِنَّهُ يَنْفِي الْأَحْزَانَ، وَيَقْوِدُ لِحْصَةَ الْأَبْدَانِ، وَسُرُورِ الْإِنْسَانِ، وَحُمْرَةِ الْأَلْوَانِ، وَحُبَّةِ
الإِخْوَانِ، وَازْدِيَادِ الْفَهْمِ وَالذِّكَاةِ، وَاسْتِمْرَاءِ الْغِذَاءِ، وَتَصْفِيَةِ الدَّمِّ، وَتَنْقِيَةِ الْجِرْمِ،
وَتَحْسِينِ الْجِسْمِ، وَشَهْوَةِ الطَّعَامِ، وَطِيبِ الْمَنَامِ، وَاعْتِدَالِ الْحَرَارَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ
وَالْمِرَّةِ^(٤)، وَسُرْعَةِ النُّهُوضِ وَالإِتْيَاهِ، وَدِبَاغُهُ^(٥) صَبِغِ الْأَفْوَاهِ، وَاطَّرَاحِ الْعَدَاوَةِ،
وَامْتِيَاكِ الْمِرَّةِ، وَاقْتِضَاءِ الْمَحَبَّةِ، وَإِهْدَابِ^(٦) الْحَرَكَةِ، وَاسْتِيلَالِ الْغَمِّ، وَالزِّيَادَةِ فِي الْهِمَّةِ
وَالأَرِيحِيَّةِ^(٧)، وَالْفِرَاسَةِ وَالأَلْمَعِيَّةِ^(٨).

وعلى الرِّجَالِ أَنْ يَشْرَبُوا مِنْهُ الْقَصْدَ، وَعَلَى النِّسَاءِ أَنْ يُصِيبْنَ مِنْهُ دُونَ الْقَصْدِ؛
لِأَنَّهُ بَاعِثٌ مُحَرِّضٌ^(٩) عَلَى شَهَوَاتِ مُرَدِيَّةٍ، وَتَهْمَاتِ كَرِيمَةٍ مُورِّطَةٍ. فَجَمَاعٌ مَدَانِحِهِ إِذَا

(١) فِي الدَّرَوِيِّ ص ١٣٥: وَجَوْهَرَهَا.

(٢) الأَرَجُ: الطَّيْبُ. (اللِّسَانُ: أَرَجٌ).

(٣) النَّاهِي: الَّذِي يَرُوي. (اللِّسَانُ: نَهَى).

(٤) الْمِرَّةُ: نَوْعٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ. (اللِّسَانُ: مَرَر).

(٥) فِي الْأَصْلِ (دَعَاعِيَّةٌ) وَمَا أُثْبِتَ مِنْ حَاسِيَةِ الْأَصْلِ.

فِي الدَّرَوِيِّ ص ١٣٦: دَعَاعِيَّةٌ.

(٦) إِهْدَابٌ: قَطْعٌ. (اللِّسَانُ: هَدَب).

(٧) الأَرِيحِيَّةُ: الأَرْتِيَاكُ لِلْكَرْمِ وَالنَّشَاطُ. (اللِّسَانُ: رُوح).

(٨) الأَلْمَعِيَّةُ: الذِّكَاةُ الْمُتَوَقَّدُ الْحَدِيدُ اللِّسَانُ وَالْقَلْبُ. (اللِّسَانُ: لَمَعَ).

(٩) سَاقِطَةٌ مِنَ الدَّرَوِيِّ.

اقتصر منه^(١) على القصد، ولم يتجاوز بشره الحد، بضع وعشرون خلة. فقضى الملك للمادح على ما اشترطه فيه، وللقادح على تجريد القول ونفي الاشتراط عنه.

وصف رَجُلُ الماء، فقال: «هو مزاجُ الروح، وصفي النفس، وقوامُ الأبدان. ومن فضيلته أن كلَّ شراب، وإن خلا وَرَق، ووصفا وطاب وعذب، فليس بجَوْضٍ منه، ولا مُغْنٍ عنه، بل تطيبُ بمُأَرَجَتِهِ، وتُعذَّبُ بمُخَالَطَتِهِ، حتى يسري في العروق بلطافته، وينساب في المفاصل برقته مع خاصيته في ري الظمان، وإطفاء نار الحشا». ولقد جعلته العربُ مثلاً لما تمكَّن من القلبِ مقته، فقال القطامي^(٢):

وَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَّةِ الصَّادِي^(٣)

وقال الحارثُ بنُ خالدٍ المخزومي^(٤):

(١) ساقطة من النَّروبي.

(٢) القطامي: أبو سعيد، عمير بن شسيم بن عمرو بن عبَّاد التَّغْلبي، من بني جشم بن بكر، شاعر غزل فحل، كان من نصاري تغلب في العراق وأسلم، وجعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الإسلاميين، وهو أول من لقب بصريع الغواني، توفي سنة (١٣٠ هـ). (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص ٥٢٢، والمرزباني، معجم الشعراء: ٤٧، والأصفهاني، الأغاني: ٢٤ / ٢٠٠، والزركلي، الأعلام: ٨٨ / ٥).

(٣) انظر ديوانه ص ٨١، ينبذن: يطرحن المواد الجافة في الماء الغلَّة: الحرارة، أي أن حديثهن يشفي القلب المغرم كما يطفى الماء لوعة الغليل. ورد البيت في الحيوان: ٥ / ١٤١، ورسائل الجاحظ، (تحقيق عبد السلام هارون): ٢ / ١١٥، وفصول مختارة اختيار عبيد الله بن حسان ٢ / ٢٩، والكامل للمبرد (تحقيق عبد الحميد الهنداوي): ١ / ٤٤٤، وأساس البلاغة ص ٨٠٣ مادة نبذ، وأسرار البلاغة: ص ١٢٦، وبهجة المجالس: ٢ / ٧، وزهر الآداب: ١ / ١٨، وروضة المحيئين: ص ٣٤٢، ومجموعة المعاني ٢ / ٨٥٧، واللسان مادة صدي.

(٤) الحارث بن خالد المخزومي: الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة، كان شاعراً كثير الشعر، من أهل مكة، نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة، وكان يذهب مذهبه، وكان ذا خطر وقدر ومنظر في قريش، ولاء يزيد بن معاوية إمارة مكة، وتوفي بها سنة (٨٠ هـ). =

وَجَدِي بِالْأَجْبَةِ يَوْمَ بَانُوا كَوَجِدِ الظَّمَانَ بِالمَاءِ النُّفَاحِ

وقال أعرابي^(١):

أَمَانِي مِنْ سُعْدَى طِيَابُ كَأَنِّي سَقَتَكَ بِهَا سَلَمِي عَلَى ظَمَأِ بَرْدَا^(٢)

[٧٤] فصل^(٣)

ولولا أن الله عزَّ وجلَّ أرادَ أن يجعلَ الاختلافَ سبباً للإتلاف^(٤)، لما جعلَ
واحدًا [طويلاً]^(٥) وآخرَ قصيراً^(٦)، وآخرَ^(٧) حسناً وآخرَ قبيحاً، وآخرَ^(٨) غنياً وآخرَ

= (انظر: البغدادي، خزانة الأدب: ١ / ٤٠٩، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣ / ٢٧٢،
والأصفهاني، الأغاني: ٣ / ٢١٧، والزركلي، الأعلام: ٢ / ١٥٤).

(١) هو أبو بكر المرزومي: محمد بن عبد الله بن أبي سليمان الفزاربي، شاعر حضرمي، عاش في
الكوفة، أكثر شعره آداب وأمثال.

(انظر: بهجة المجالس: ١ / ١٢١، والزركلي، الأعلام: ٧ / ١٣٥).

(٢) ورد البيت في الحيوان: ٥ / ١٩٢، وعيون الأخبار: ٣ / ٢٦١، وزهر الآداب: ٢ / ٣٧٣، ومعجم

الأدباء: ١٦ / ٢٣٠، وحماسة أبي تمام: ٢ / ١٥٩، واللسان: طبيب، وبهجة المجالس: ١ / ١٢١:

أمانِي من سلمى عذاب كأنها سقتك بها سلمى على ظمأ بردا

(٣) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ٣ / ١٨٥-١٨٨ من كتابه في حجج النبوة، وهارون: ٣ / ٢٤٢-

٢٤٥ من كتابه في حجج النبوة، والسندوبي: ص ١٢٧-١٢٩ بعنوان من كتاب حجج النبوة.

(٤) في عبيد الله: ٣ / ١٨٥، وهارون: ٣ / ٢٤٢، والسندوبي: ص ١٢٧: للاتفاق والاتلاف.

(٥) ما بين المعقوفين من حاسية الأصل.

(٦) في هارون: ٣ / ٢٤٢، والسندوبي: ص ١٢٧: لما جعل واحدًا قصيراً والآخر طويلاً.

(٧) هكذا في الأصل، وحقها أن تكون «واحدًا» انسجاماً مع السياق.

(٨) هكذا في الأصل، وحقها أن تكون «واحدًا» انسجاماً مع السياق.

فقيراً، [وواجِدًا عاقِلًا وَآخَرَ مَجْنُونًا]^(١)، وواجِدًا ذَكِيًّا^(٢) وواجِدًا^(٣) غَيِّبًا.

ولكنه^(٤) خَالَفَ بَيْنَهُمْ لِيخْتَبِرَهُمْ، وبِالِاخْتِبَارِ يُطِيعُونَ، وبِالطَّاعَةِ يَسْعَدُونَ. فَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ لِيَجْمَعَهُمْ، [وَأَحَبُّ أَنْ يَجْمَعَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ لِيَجْمَعَهُمْ]^(٥) عَلَى الْمَثُوبَةِ. فَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مَا أَحْسَنَ مَا أَيْلَى وَأَوْلَى، وَأَحْكَمَ مَا صَنَعَ، وَأَتَقَنَ مَا دَبَّرَ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ^(٦) لَوْ رَغِبُوا عَنِ عَارِ [الْحَيَاكَةِ]^(٧) لَبَقِينَا عُرَاةً. [لَوْ رَغِبُوا]^(٨) بِأَجْمَعِهِمْ عَنِ كَدِّ الْبِنَاءِ لُرْمِينَا بِالْعُرَاءِ. وَلَوْ رَغِبُوا عَنِ الْفِلاخَةِ لَذَهَبَتِ الْأَقْوَاتُ، وَيَطَلَّتِ الْمَعَاشُ^(٩)، فَسَخَّرَهُمْ عَلَى غَيْرِ إِكْرَاهٍ، وَرَغَّبَهُمْ /^(١٠) عَلَى^(١١) غَيْرِ دُعَاءٍ.

ولولا اِخْتِلَافُ الطَّبَائِعِ مِنَ النَّاسِ^(١٢)، وَعِلَلِهِمْ لَمَا اخْتَارُوا مِنَ الْأَسْمَاءِ^(١٣) إِلَّا أَحْسَنَهَا، وَمِنَ الْبِلَادِ إِلَّا أَعَدَّهَا، وَمِنَ الْأَمْصَارِ إِلَّا أَوْسَطَهَا. وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ

(١) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص ٣ / ١٨٥، وهارون: ٣ / ٢٤٢، والتسنوبي: ص ١٢٧.

(٢) في التسنوبي ص ١٢٧: زكياً.

(٣) في هارون ٣ / ٢٤٢، والتسنوبي ص ١٢٧: وآخر.

(٤) في هارون ٣ / ٢٤٢، والتسنوبي ص ١٢٧: ولكن.

(٥) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص ٣ / ١٨٥، وهارون: ٣ / ٢٤٢، والتسنوبي: ص ١٢٧.

(٦) ساقطة من عبيد الله وهارون والتسنوبي.

(٧) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص ٣ / ١٨٥، وهارون: ٣ / ٢٤٣، والتسنوبي: ص ١٢٧.

(٨) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص ٣ / ١٨٥، وهارون ٣ / ٢٤٣، والتسنوبي: ص ١٢٧.

(٩) في عبيد الله ٣ / ١٨٥، وهارون ٣ / ٢٤٣، والتسنوبي: ص ١٢٧: ولبطل أصل المعاش.

(١٠) في عبيد الله ٣ / ١٨٥: ورغبه.

(١١) في عبيد الله ٣ / ١٨٥، وهارون ٣ / ٢٤٣: من.

(١٢) في عبيد الله ٣ / ١٨٥، وهارون ٣ / ٢٤٣، والتسنوبي ص ١٢٧: طبائع الناس.

(١٣) في عبيد الله ٣ / ١٨٥، وهارون ٣ / ٢٤٣، والتسنوبي ص ١٢٧: الأشياء.

لَتَنَاجِزُوا^(١) عَلَى طَلَبِ الْوَاسِطَةِ^(٢)، وَتَشَاحُوا^(٣) فِي بِلَادِ الْغِنَى^(٤)، وَلَمَّا وَسِعَهُمْ بَلَدٌ،
وَلَا تَمَرَ^(٥) بَيْنَهُمْ صُلْحٌ، فَقَدْ صَارَ بِهِمُ التَّسْخِيرُ^(٦) إِلَى غَايَةِ الْقَنَاعَةِ.

وَكَيْفَ لَا يَكُونُونَ كَذَلِكَ، وَأَنْتَ لَوْ حَوَّلْتَ سَاكِنِي الْأَجَامِ^(٧) إِلَى الْفِيَاثِيِّ^(٨)،
وَسَاكِنِي السَّهْلِ إِلَى الْجَبَلِ^(٩)، وَسَاكِنِي الْجِبَالِ إِلَى الْبَحَارِ، وَسَاكِنِي الْوَبَرِ^(١٠) إِلَى
الْمَدْرِ^(١١)، لَأَذَابَ قُلُوبِهِمُ الْهَمَّ، وَلَأَتَى^(١٢) عَلَيْهِمْ فَرْطُ التَّرَاعِ.

وَلَيْسَ عَلَى ظَهْرِهَا إِنْسَانٌ إِلَّا وَهُوَ مُعْجَبٌ لَصَوْتِهِ^(١٣)، لَا يَسْرُهُ أَنْ لَهُ بِجَمِيعِ
مَالِهِ جَمِيعُ^(١٤) مَا لِيْغَرِهِ. وَوَلَا ذَلِكَ لَمَاتُوا كَمَدًا، وَلَذَابُوا حَسَدًا، وَلَكِنْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ
وَإِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ حَاسِدٌ فِي شَيْءٍ، فَهُوَ يَرَى أَنَّهُ عَسُودٌ فِي شَيْءٍ آخَرَ^(١٥).

(١) في الأصل غير معجمة، وما أثبت من عبيد الله ٣/ ١٨٥، وهارون ٣/ ٢٤٣، والسندوبي ص ١٢٧.

(٢) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٣: الأوسط.

(٣) تشاحوا: تنازعوا. (اللسان: شح).

(٤) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٣، والسندوبي: ص ١٢٧: البلاد العليا.

(٥) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٣، والسندوبي: ص ١٢٧: تم.

(٦) في الأصل (السخير) وهو تصحيف.

(٧) الأجام: جمع أجم، وهو الحصن أو القصر. (اللسان: أجم).

(٨) الفيافي: الصحراء. (اللسان: فيف).

(٩) في هارون ٣/ ٢٤٣، والسندوبي ص ١٢٧: الجبال.

(١٠) الوبر: المقصود البدو. (اللسان: وير).

(١١) المدر: المقصود أهل الحاضرة. (اللسان: مدر).

(١٢) في الأصل (لائي) وهو تصحيف.

(١٣) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٤، والسندوبي ص ١٢٧: بعقله.

معجب لصوته: أي لذكوره. (اللسان: صوت).

(١٤) ساقطة من عبيد الله وهارون والسندوبي.

(١٥) ساقطة من عبيد الله وهارون والسندوبي.

ولولا اختلاف الأسباب لَتَنَازَعُوا بِلَدَّةِ وَاحِدَةٍ، وَاسْمًا وَاحِدًا، وَكُنْيَةً وَاحِدَةً. فقد صاروا كما ترى مع اختيار الأسماء^(١) المُخْتَلِفَةِ إلى الأسماء القبيحة، والألقاب السميحة^(٢). والأسماء مبدولة، والصناعات مباحة، والمتاجر مُطلقة، ووجوه الطرق مُخلّاة، ولكنها مُطلقة في الظاهر، مُقسمة في الباطن، وإن كانوا لا يشعرون بالذي دبر الحكيم من/ ذلك، ولا المصلحة^(٣) فيه.

فَسُبْحَانَ مَنْ حَبَّبَ إِلَى وَاحِدٍ أَنْ يُسَمِّيَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا، وَحَبَّبَ إِلَى آخَرَ أَنْ يُسَمِّيَ ابْنَهُ^(٤) شَيْطَانًا، وَحَبَّبَ إِلَى آخَرَ أَنْ يُسَمِّيَ ابْنَهُ سَعِيدًا^(٥)، [وَحَبَّبَ^(٦)] إِلَى آخَرَ أَنْ يُسَمِّيَهُ جِمَارًا^(٧)، وَسَمَّى وَاحِدٌ ابْنَهُ الْفَضْلَ وَالطَّيِّبَ وَطَاهِرًا وَيَسِيرًا وَيَزِيدَ، وَسَمَّى الْآخَرَ ابْنَهُ عِكْرِيشَةَ وَخَرِشَةَ وَحَنْظَلَةَ وَجَنْدَلَةَ وَبَغِيضًا وَغَضْبَانَ وَعَجَلَانَ وَحَجْرًا وَرُوثَةَ وَسَرِيطًا وَحُزَامًا وَكَلْبًا وَكَلْبِيًّا وَذُبَابًا؛ لِأَنَّ النَّاسَ لَوْ لَمْ يُخَالِفْ بَيْنَ عِلَلِهِمْ فِي اخْتِيَارِ الْأَسْمَاءِ وَالْكُنْيِ، لَجَارَ^(٨) أَنْ يُجَمَعُوا عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَإِنْ كَانَ^(٩) فِي ذَلِكَ بُطْلَانُ الْعَلَامَاتِ، وَفَسَادُ الدَّلَالَاتِ^(١٠).

(١) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٤، والسندويي ص ١٢٨: الأشياء.

(٢) السميحة: القبيحة. (اللسان: سمج).

(٣) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٤، والسندويي ص ١٢٨: بالمصلحة.

(٤) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٤، والسندويي ص ١٢٨: أن يسميه شيطانًا.

(٥) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٤، والسندويي ص ١٢٨: أن يسميه عبد الله.

(٦) ما بين المعرفين من عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٤، والسندويي: ص ١٢٨.

(٧) من قوله «وسمى ابنه الفضل...» إلى قوله «كلبياً وذباباً» ساقطة من عبيد الله وهارون والسندويي.

(٨) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٥، والسندويي ص ١٢٨: جاز.

(٩) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٥، والسندويي ص ١٢٨: وكان.

(١٠) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٥، والسندويي ص ١٢٨: المعاملات.

وأنت إذا رأيت ألوانهم وشمائلهم، واختلاف صورهم، وسمعت لغاتهم
ونغماتهم^(١)، علمت أن طبائعهم المحجوبة الباطنة، على حسب أمورهم الظاهرة.
وبعضهم^(٢)، وإن كان مسخرًا للحياكة، فليس يُسخر^(٣) للسفيق^(٤) والحياطة،
ولا على الأحكام^(٥) والصدق^(٦) والأمانة.

وقد يُسخرُ الله الملك لقومٍ بأسبابٍ قديمةٍ وأسبابٍ حديثة، فلا يزال ذلك الملكُ
مقصورًا عليهم، ما دامت تلك الأسباب قائمة، فليس^(٧) إذا كانوا للملك مسخرين،
وكان الناس لهم مسخرين، فلا بُدَّ من أن يكونوا في كلِّ حالٍ مسخرين^(٨) للجبرية^(٩)
والنخوة^(١٠)، والفظاظة والقسوة، وطول الحجاب والاسيتار^(١١)، وسوء اللقاء
والتصنع^(١٢).

(١) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٥، والسندويي ص ١٢٨: نغمهم.

(٢) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٥، والسندويي ص ١٢٨: وبعض الناس.

(٣) في هارون ٣ / ٢٤٥، والسندويي ص ١٢٨: بمسخر.

(٤) السفيق: يقال رجل سفيق الوجه؛ أي قليل الحياء ووقح. (اللسان: سفق).

(٥) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٥، والسندويي ص ١٢٨: للإحكام.

(٦) في الأصل (الصدق)، وهو تصحيف.

(٧) ساقطة من عيد الله وهارون.

(٨) جملة «فلا بدَّ من أن يكونوا في حال مسخرين» ساقطة من عيد الله وهارون والسندويي.

(٩) في الأصل (للخيرية)، وما أثبت من عيد الله ٣ / ١٨٧، والسندويي ص ١٢٨: بالجبرية.

(١٠) النخوة: العظمة والكبر.

(١١) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٥، والسندويي ص ١٢٨: ولطول الاحتجاب والاسيتار.

(١٢) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٥، والسندويي ص ١٢٨: التصنيع.

وقد يكون الإنسان مُسَخَّرًا في أمر^(١)، ومُخَيَّرًا في آخر. ولولا الأمر والنهي لجازَّ التسخير في دقيق الأمر^(٢) وجليله^(٣)، وخفيه وظاهره^(٤)؛ لأنَّ النَّاسَ^(٥) إنَّها سُخِّرُوا له إرادة العائدة عليهم، والنظر لهم^(٦)، وأن تتمَّ النعمة عليهم^(٧)، ولم يُسَخَّرُوا للعصمة^(٨)، كما لم يُسَخَّرُوا للمفسدة.

وقد تستوي الأسباب في مواقع^(٩)، وتتفاوت في مواضع؛ كُلُّ ذلك ليجمع الله تعالى لهم مصالح الدنيا، ومراتب^(١٠) الدين.

الآ ترى أن أمة من الأمم قد اجتمعت على أن عيسى بن مريم^(١١) هو الله، وأمم أجمعت^(١٢) على أنه ابنُ الله، وأمة أجمعت^(١٣) على أن الآلهة ثلاثة عيسى أخذها.

-
- (١) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٦، والتسنوبي ص ١٢٨: لأمر.
 - (٢) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٦، والتسنوبي ص ١٢٨: الأمور.
 - (٣) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٦، والتسنوبي ص ١٢٨: وجليلها.
 - (٤) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٦، والتسنوبي ص ١٢٨: وخفيها وظاهرها.
 - (٥) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٦، والتسنوبي ص ١٢٨: بني الإنسان.
 - (٦) جملة «والنظر لهم» ساقطة من عيد الله وهارون والتسنوبي.
 - (٧) جملة «وأن تتم النعمة عليهم» ساقطة من عيد الله وهارون والتسنوبي.
 - (٨) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٦، والتسنوبي ص ١٢٨: للمعصية.
 - (٩) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٦، والتسنوبي ص ١٢٨: مواضع.
 - (١٠) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٦، والتسنوبي ص ١٢٨: مرآشد.
 - (١١) ساقطة من عيد الله وهارون والتسنوبي.
 - (١٢) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٦، والتسنوبي ص ١٢٨: وأمة قد اجتمعت.
 - (١٣) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٦، والتسنوبي ص ١٢٨: اجتمعت.

ثُمَّ إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَزَنَّقَ^(١)، وَمِنْهُمْ مَنْ تَدَهَّرَ^(٢)، وَمِنْهُمْ مَنْ تَحَوَّلَ^(٣) نَسْطُورِيًّا^(٤) بَعْدَ أَنْ كَانَ يَعْقُوبِيًّا^(٥)، وَمِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ أَنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا.

وَلَسْتُ وَاجِدًا مِنْ^(٦) هَذِهِ الْأُمَمِ^(٧) عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهَا، وَكَثْرَةِ تَنَقُّلِهَا، أَنْتَ قَلْتَ^(٨) مَرَّةً وَاخْتَلَفْتَ مَرَّةً، مُتَعَمِّدَةً أَوْ نَاسِيَةً، فِي يَوْمِ الْأَحَدِ^(٩)، فَجَعَلْتَهُ يَوْمَ السَّبْتِ،

(١) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٦، والسندوبي ص ١٢٨: تبدد.

(٢) في عيد الله ٣ / ١٨٧، وهارون ٣ / ٢٤٦، والسندوبي ص ١٢٨: يتدهر.

(٣) في عيد الله ٣ / ١٨٨، وهارون ٣ / ٢٤٦، والسندوبي ص ١٢٨: يتحول.

(٤) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، ويقول أن كلمة الله اتحدت بجسد عيسى عليه السلام كإشراق الشمس في كوة على بلورة وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم. ويقول أتباعه: إذا اجتهد الرجل في العبادة وترك التغذي باللحم، ورفض الشهوات الحيوانية والنسانية، تصفى جوهرة حتى يبلغ ماهوت السماوات ويرى الله جهرة، وينكشف له ما في الغيب، فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

(انظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ١ / ١٠٢، ونشوان الحميري، الحور العين: ص ١٤٦، واللسان: نسط).

(٥) اليعقوبية: أصحاب يعقوب، ويقول أن الإله انقلب لحماً ودماً فصار هو المسيح، وقالوا: أن المسيح هو جوهر من جوهرين، هو إله وهو مولود، وأن كلمة الله تداخل جسم المسيح عليه السلام أحياناً، فنصدر عنه الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص، وتفارقه في بعض الأوقات فتد عليه الآلام والأوجاع.

(انظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ١ / ١٠٣، وفخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص ١٠٠، ونشوان الحميري، الحور العين: ص ١٤٥).

(٦) ساقطة من عيد الله وهارون والسندوبي.

(٧) في هارون ٣ / ٢٤٦، والسندوبي ص ١٢٨: الأمة.

(٨) في الأصل (اتلفت) وهو تصحيف.

(٩) في عيد الله ٣ / ١٨٨، وهارون ٣ / ٢٤٦، والسندوبي ص ١٢٩: واحد.

وَلَمْ يُخَطَّبَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ فَجَعَلْتَهُ يَوْمَ جُمُعَةٍ^(١)، وَلَا غَلَطْتَ فِي كَانُونِ الْأَوَّلِ فَجَعَلْتَهُ
 كَانُونَ الْأَخِيرِ^(٢)، وَلَا بَيْنَ الصَّوْمِ وَالْإِنْفَارِ؛ لِأَنَّ الْبَابَ الْأَوَّلَ دَاخِلٌ^(٣) فِي بَابِ
 الْإِمْكَانِ، وَتَعْدِيلِ الْأَسْبَابِ وَالْامْتِحَانِ، وَالْبَابَ الثَّانِي دَاخِلٌ فِي بَابِ الْإِنْتِفَاعِ/^(٤)
 وَتَسْخِيرِ النَّفْسِ وَطَرَحِ الْامْتِحَانِ.

[٧٥] فصول قصار^(٥)

الْجَزْعُ عَلَى مَا فَاتَ، صِغَرُ هَمَّةٍ، وَضَيْقُ حَيْلَةٍ، وَمَهَانَةُ نَفْسٍ، وَضَرَاعَةٌ^(٦) رَأْيٍ،
 وَوَضْعٌ لِلْقَدْرِ، وَانْحِيَاؤٌ إِلَى غَيْرِ مُجْبِرٍ. يَوْمُ الشَّرُورِ قَصِيرٌ، فَأَعِنَ عَلَيْهِ بِالْبُكُورِ^(٧)، هُوَ
 يَرْضَى بِالْحُمُولِ لِاسْتِدَامَةِ الْعَافِيَةِ.

* وَانْبِذْ بِرَمْلَةٍ تَبَدَّدَ الْجَوْرَبِ الْحَلِيقِي *^(٨)

مَا غَرَسَ الْكَلَامَ حَتَّى أُنْتَمَرَ الْجَوَابُ، يَرْكَبُ الْجَمَلَ الثَّقَالَ^(٩)، وَيَعْتَمِلُ الرُّمَحَ

(١) فِي عِيدِ اللَّهِ ٣/ ١٨٨، وَهَارُونَ ٣/ ٢٤٦، وَالسَّنْدُوبِيُّ ص ١٢٩: فَجَعَلْتَهُ؛ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، يَوْمُ
 السَّبْتِ، وَلَمْ يُخَطَّبَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ بِخَطْبَةِ يَوْمِ خَمِيسٍ.

(٢) فِي عِيدِ اللَّهِ ٣/ ١٨٨، وَهَارُونَ ٣/ ٢٤٦، وَالسَّنْدُوبِيُّ ص ١٢٩: الْآخِرِ.

(٣) سَاقِطَةٌ مِنْ عِيدِ اللَّهِ وَهَارُونَ وَالسَّنْدُوبِيُّ.

(٤) فِي عِيدِ اللَّهِ ٣/ ١٨٨، وَهَارُونَ ٣/ ٢٤٧، وَالسَّنْدُوبِيُّ ص ١٢٩: الْإِمْتِنَاعِ.

(٥) هَذَا الْفَصْلُ جَدِيدٌ لَمْ يَنْشُرْ مِنْ قَبْلِ.

(٦) الضَّرَاعَةُ: طَلَبُ الْحَاجَةِ. (اللِّسَانُ: ضَرَعٌ).

(٧) الْبُكُورُ: الْخُرُوجُ فِي وَقْتِ الْغَدْوَةِ. (اللِّسَانُ: بَكَرٌ).

(٨) هَذَا عَجَزَ الْبَيْتِ وَصَدْرُهُ:

انعم بعائش عيشاً غير ذي رنق

(ووجدته في الموسوعة الشعرية).

(٩) فِي الْأَصْلِ جُمْلَةٌ «يَرْكَبُ الْجَمَلَ الثَّقَالَ» غَيْرُ مَنْقُوطَةٍ. الثَّقَالُ: الْبَطِيءُ الثَّقِيلُ. (اللِّسَانُ: ثَقُلَ).

الشَّطُون^(١)، وَيَلْبَسُ الشَّمْلَةَ^(٢) الفَّلُوت^(٣). أعرابي في نَمْرَتِهِ^(٤)، أَسَدٌ في ناموره^(٥)، نَبْطِيٌّ في جِبَوْتِهِ^(٦).

أَخَذَ بِزِمَامِ الكَلَامِ فَقَادَهُ وَسَاقَهُ^(٧)، لَا يَجْتَرِي عَلَى رُكُوبِ الأَبْلَقِ^(٨) في الحَرْبِ الأَعْمَرِ^(٩)، أَوْ مُدِلٌ بِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّ الفَارِسَ يُشَهِّرُ بِرُكُوبِ الأَبْلَقِ.

كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَحْصِيلاً لِكَلَامِهِمْ، وَأَشَدَّهُمْ مُحَاسَبَةً لِنَفْسِهِ. جَمَعَ في عَيْهِ، وَعَضَّ عَلَى شَكِيمَتِهِ، وَلَجَّ في خِلَافِهِ في حَمَازَةِ القَيْظِ^(١٠)، وَوَقَدَةَ الهَجِيرِ^(١١)، وَمَطَّلَعَ الشُّعْرَى^(١٢) العَبُورِ^(١٣).

(١) الشطون: الطويل الأعوج. (اللسان: شطن).

(٢) الشملة: متر من صوف أو شعر يؤتز به. (اللسان: شمل).

(٣) الفلوت: القصيرة التي لا يتضم طرفاها. (اللسان: فلت).

جاء في البيان والتبيين: ٣ / ١٦ «وصف متمم بن نويرة أخاه مالكاً فقال: كان يخرج في الليلة

الصنبر، عليه الشملة الفلوت، على الجمل الثقال، معتقل الرمح المخطل».

(٤) نمرته: الماء الزاكي في الماشية عذبا كان أو غير عذب. (اللسان: نمر).

(٥) نامورة: مصيدة تربط فيها شاة. (اللسان: نمر).

(٦) جبوته: الاحتباء حيطان العرب؛ أي ليس في البراري حيطان، فإذا أرادوا يستروا احتبوا لأن

الاحتباء ويمنعهم من السقوط ويصير لهم كالجدار. (اللسان: حبا).

(٧) جاء في العقد الفريد ٤ / ٥: «أخذ بمجامع الكلام فقاده بزمامه».

(٨) الأبلق: البلق هو ارتفاع التحجيل إلى الفخذين. يقال في المثل «أعز من الأبلق العقوق».

(انظر: حمزة بن الحسن، الدرّة الفاخرة: ص ١٧٠، واللسان: بلق).

(٩) الحرب الأعمر: الحرب الشديدة. (اللسان: غمر).

(١٠) حمارة القَيْظِ: الصَّيف، وهو شدة الحرّ. (اللسان: قَيْظ).

(١١) الهجير: نصف النهار عند اشتداد الحرّ. (اللسان: هجر).

(١٢) الشعري: كوكب نير يقال له المرزم يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، والشعريان هما

العبور والغميصاء. (اللسان: شعر).

(١٣) العبور: مع الجوزاء وتكون نيره، وسميت عبوراً لأنها عبرت المجرة. (اللسان: عبر).

ثِيَابِهِمْ مِنْ أَصْوَابِ الْعَنَمِ، وَأَعَابِ الدَّوْدِ^(١)، وَنِعَالِهِمُ السَّبْتِيَّةَ^(٢) وَالسَّنْدِيَّةَ. حَتَّى تَخْرُجَ الْأُمُورُ مَوْزُونَةً مُعَدَّلَةً، وَمُتَسَاوِيَةً، وَمُخَلَّصَةً.

إِذَا رَأَيْتُ فُلَانًا ذَكَرْتُ الْجَنَّةَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ / فُلَانَةً ذَكَرْتُ النَّوَابِسَ^(٣) وَالخِرَابَاتِ^(٤)، وَمَعَاظِنَ الْإِبِلِ^(٥) وَمَزَابِلَ الْحَمَامَاتِ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَتَزَيَّدَ^(٦)، وَطَارَ الْعَضْبُ فِي دِمَاعِهِ، وَتَمَنَّعَ وَتَعَصَّرَ^(٧) وَتَغَضَّبَ وَتَأَبَّى.

رُبَّمَا نَاطَرَنِي فَاحْتَاَجَ وَاللهُ إِلَى أَنْ أَحْضِرَ فَهَمِي، وَأَجْمَعَ لِي، وَأَطْرَدَ الخَوَاطِرَ عَنِّي؛ مَخَافَةَ أَنْ يَشِدَّ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ مَعَانِي كَلَامِهِ لِلَّذِي أَرَى مِنْ بَعْدِ غَوْرِهِ، وَدِقَّةِ مَذْهَبِهِ. مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ فَرَطُ الْكِبَرَةِ، وَإِفْرَاطُ الْعِلَّةِ، وَضَعْفُ الْمُنَّةِ، وَانْجِلَالُ الْقُوَّةِ؛ حَتَّى يَعْرِفَ مَقَادِيرَ مَا اسْتَجَرَّ^(٨) اللهُ مِنْهَا مِنَ الْمَنَافِعِ، وَعَشَاها مِنَ الْبُرْهَانَاتِ، وَالزَّمَمَا^(٩) مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَيْهَا، وَأَنْطَقَهَا مِنَ الْحُجَّةِ لَهُ، وَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّكْلِيفِ^(١٠) وَالصَّلْفِ^(١١)، وَمِنْ أَهْلِ الْجَفَا وَالْعِلْظِ؛ عَابُوا الْعُشَاقَ.

(١) لعاب الدود: أي الحرير الذي تنتجه دودة القز.

(٢) السبتية: الجلود المدبوغة. (انظر: إبراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص ٢٠١، واللسان: سبت).

(٣) النواويس: مقابر النصارى، وقيل حجر منقور يجعل فيه جثة الميت. (اللسان: نوس).

(٤) الخرابات: الهدم. (اللسان: خرب).

(٥) معاظن الإبل: مواضع الإبل، وهي وطن الإبل وميركها حول الحوض. (اللسان: عطن).

(٦) تزيد: تزبد الإنسان إذا غضب وظهر على صمغيه زبدتان. (اللسان: زيد).

(٧) تعصر: تمنع. (اللسان: عصر).

(٨) استجر: ملأ. (اللسان: سجر).

(٩) الكلمة غير واضحة في الأصل، ولعل الصواب ما أثبت.

(١٠) التكليف: كثرة السؤال والبحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها. (اللسان: كلف).

(١١) الصلف: مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبراً. (اللسان: صلف).

هو على قالبِ فلانٍ وخرطه^(١)، وأفرغ كإفراغه، وعلى عمودِ صورته. وكان يَمُنُّ نَقَب^(٢) في البلاد، وقرأ الكُتُب. قد كَمَنَ حِقْدَه في القلب، وسَرَت عَقَارِيه. كَانَ مَاتَ بِجَارِفِ الطَّاعُونَ، كَأَنَّ الرُّعَافَ مِنْ مَنَايَا جَرَاهُمْ^(٣).

كَانَتْ حَدِيدَةَ الطَّرْفِ وَالذَّهْنَ، سَرِيعَةَ الْحَرَكَةِ مَعشوقَةً، وَرُبَّمَا جَمَعَهَا فِي نِقَابِ، وَالظَّفَرَ بَيْنَهُمَا سِجَالًا. وَالرَّافِضَةُ يَتَزَوَّجُونَ الْمُتَعَةَ^(٤)، وَلَا يُلْزِمُونَ النَّاسَ طَلَاقَ الْبِدْعَةِ/.

لَا تَدَعُ ظَاهِرَ اللَّفْظِ وَالْعَادَةَ الدَّالَّةَ فِي ظَاهِرِ الْكَلَامِ إِلَى الْمَجَازَاتِ، تُرْسُ الْمَنَارَةِ، وَعَمُودُ الْمَنَارَةِ، وَكُرْسِي الْمَنَارَةِ، وَمَنَارَةُ السَّرَاجِ^(٥). وَرُبَّمَا أَخَذَ بِيَدِهِ السَّيْفَ الْهَذَامِ^(٦)،

(١) خرطه: دقة جسمه. (اللسان: خرط).

(٢) نقب: ذهب. (اللسان: نقب).

(٣) جملة «كَانَ الرُّعَافَ مِنْ مَنَايَا جَرَاهُمْ» وردت في الحيوان: ٦ / ١٥١، وابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين: ص ٧٦.

جرهم: حي من العرب وهم أصحاب اسماعيل عليه السلام. (الفارابي، ديوان الأدب: ٢ / ٤٩).
(٤) تحيز الشيعة الإثنا عشرية زواج المتعة، ويستدلون بقوله تعالى ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤]، زواج المتعة: عقد الرجل على المرأة إلى أجل معين ولا يتوارث به الزوجان، ويعقد بلفظ «زوجتك وأنكحتك» ولا ينعقد بغيرها. ولا يجوز لمسلمة شيعية أن تعقد نكاح على غير مسلم.

(انظر: جمال بيبس، حقوق المرأة في الإسلام: ص ٣٥).

(٥) المنارة: التي يؤذن عليها.

عمود المنارة: الشمعة ذات السراج.

منارة السراج: التي يوضع عليها السراج. (اللسان: نور).

(٦) السيف الهذام: القاطع الحديد. (اللسان: هذم).

وَالرَّعِيبُ^(١) الْمَتْنُ^(٢)، الْحَتِيدَ الْغَرْبِ^(٣)، التَّامَّ الطُّولِ، الطُّوِيلَ السَّيْلَانَ^(٤).

مَعَهُ مِنْ خِصَالِ الشَّرَفِ وَالغِنَى فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فِي الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ، وَفِي الزَّيْنَةِ وَالْبَهَاءِ، وَفِي الْعُدَّةِ وَالْعِتَادِ مَا لَيْسَ عِنْدَ أَحَدٍ. لَسْتُ أَرَاهُ مُتَمَتِّعًا، وَلَا مُحَالًا فِي الْقُدْرَةِ، وَلَا مُتَمَتِّعًا فِي الطَّيِّبَةِ، وَأَرَى جَوَارِهُ مَوْهُومًا غَيْرَ مُسْتَحِيلٍ، إِلَّا أَنْ قَلْبِي لَيْسَ يَقْبَلُهُ، وَلَا فِي كَوْنِهِ ظِلًّا، وَلَا عَيْبًا، وَلَا خَطَأً، وَلَمْ نَجِدِ الْقُرْآنَ يُنَكِّرُهُ، وَلَا الْإِجْمَاعَ يَدْفَعُهُ، إِلَّا أَنِّي لَا أَجْعَلُ الشَّيْءَ الْجَائِزَ كَوْنُهُ كَالشَّيْءِ بَيِّنَتُهُ الْأَدِلَّةُ، وَنَجْرِجُهُ الْبُرْهَانَ مِنْ بَابِ الْإِنْكَارِ وَالْوَاجِبِ فِي هَذَا الْوَقْفِ.

لَهُ مَشِيٌّ لَا يَبْلُغُهُ نَفْرَانِ الظُّبِيِّ^(٥) إِذَا جَمَعَ جَرَامِيزَهُ^(٦)، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَشُدُّ عَلَى الْعَسْكَرِ حَتَّى يَمُرُّهُ فَرَقَ الشَّعْرِ، وَيَطْوِيهِ طَيِّ السَّجْلِ. لَمَّا دَخَلَ الْحَرْبَ أَقْشَعَ^(٧) عَنْهُ جُنْدُهُ، وَأَسْلَمَتَهُ صَنَائِعُهُ. فَأَمَّا الْمَغْمُوسُ فِيهَا وَمَنْ قَدْ غَمَرَتْهُ التَّرَهَاتُ^(٨) [لَمْ أَرِ]^(٩)؛ أَمَدًا قَامَةً، وَلَا أَتَمَّ الْوَاحِدَ، وَلَا أَبْرَعَ جَمَالًا مِنْهُ. كَانَ عَظِيمَ الْكِبَرِ^(١٠)، رَاجِحَ الْجِلْمِ. أَهْلُ

(١) الرعيب: القصير. (اللسان، رعب).

(٢) المتن: السيف الشديد الضرب. (اللسان: متن).

(٣) الغرب: الحدة. (اللسان: غرب).

(٤) السيلان: ما يدخل من السيف في التصاب، وهو سينخ قائم السيف. (اللسان: سيل).

(٥) نفران الظبي: شروده. (اللسان: نفر).

(٦) جراميزه: جمع قوائمه وجسده، وتقبض واستعدله وعزم على قصده. (انظر: ابن سعيد، نشوة

الطرب: ٢ / ٧٠٧، اللسان: جرزم).

(٧) اقشع: تفرق. (اللسان: قشع).

(٨) الترهات: الأباطيل من الأمور. (اللسان: تره).

(٩) ما بين المعرفين زيادة يقتضيها السياق.

(١٠) الكبر: الرقة في الشرف. (اللسان: كبر).

الكتّابين اليهود والنصارى، والإسماعيلية^(١) والإسحاقية^(٢)، بما في بدنه من الأعضاء الكريمة الشريفة.

قد بقي على الطباع الأول من صورته، فكان الملك لا يملأ عينيه، من رجل به برص^(٣) لسيد معمم، أو شريف مُقدّم، أو فارس رئيس، أو عالم رئيس، أو حميل^(٤) رائع، أو أديب جامع، أو ناسك معروف، أو كريم موصوف، أو ظريف مَلِيح، أو شاعر فصيح، أو موسر مرزوق، أو جواد غير مسبوق، أو داهية لا تُرام، أو خطيب لا يُجاري ولا يُضام، أو مُغنّ حاذق، أو مُطرب مطبوع.

فمن السادة النجباء، والقادة الكرماء. ومن برع في علم القرآن والرياسة، والخضوع للحق إذا نازله، وإيثار الدين على الدنيا، وقد عرّضت عليه.

(١) الاسماعيلية: أصحاب اسماعيل بن جعفر، ومن مبادئهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وكذلك من مات ولم يكن في عقبه بيعة إمام مات ميتة جاهلية، وقالوا في الباري عز وجل: إنا لا نقول هو موجود، ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ولا نقول هو شيء ولا هو لا شيء، لأن من قال إنه شيء فقد شبهه، ومن قال: إنه لا شيء فقد نفاه. (انظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ١ / ٨٢، وفخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين: ص ٤٠، ونشوان الحميري، الحور العين: ص ١٤٨).

(٢) الإسحاقية: من غلاة الشيعة، قالوا: ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل، وقالوا في جانب الخير: ظهور جبريل ببعض الأشخاص وبصورة أعرابي والتمثل بالبشر، وفي جانب الشر: ظهور الشيطان بصورة إنسان حتى يعمل الشر بصورته، وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه.

(انظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ١ / ٨٠، وفخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين: ص ٥٢).

(٣) برص: داء وهو بياض يقع في الجسد. (اللسان: برص).

(٤) الحميل: الكفيل. (اللسان: حمل).

تَكَسَّرَتْ وَاللَّهُ قَوَارِيرُكَ^(١)؛ يُقَالُ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ إِذَا قَبَّحَ عَلَيْهِ قَوْلٌ قَالَهُ لَعَلَّطِ أُنَى بِهِ.
 وَمِنَ الصَّنَائِدِ^(٢) الْأَنْجَادِ، وَأَهْلِ الْبَاسِ وَالْجَلْدِ، وَالْجَمَالِ الْبَارِعِ، وَالْحَلْقِيِّ الْفَارِعِ.
 كَانَ نَبِيلاً، شَرِيفَ الْفِعَالِ. وَقَدْ يَضْطَرِبُ عَوْدُ الضَّعِيفِ، وَيَمُوجُ قَلْبُهُ، وَتَمَسَّخُ مُتَّهُ^(٣)،
 وَتَقْصُ قَوَّتُهُ.

وَمِنَ عَجِيبِ نَظْمِهِ، وَغَرِيبِ تَأْلِيفِهِ، وَبَدِيعِ طَائِعِهِ، وَفَخَامَةِ مَحْرَجِهِ، وَقَرَطِ بَهَائِهِ،
 وَثَبَاتِ جُدَّتِهِ^(٤) عَلَى طَوْلِ الْأَيَّامِ، وَسَلَامَتِهِ مِمَّا يَعْرِي سَائِرَ الْكَلَامِ. ثَلَمَ الدِّينَ،
 وَاجْتَلَبَ الْعَارَ، وَأَشَمَّتْ / الْعَدْوُ، وَسَاءَ الصَّدِيقُ.

وَالْمَلِكُ الضَّخْمُ الشَّانِ لَا يَعْسُقُ إِلَّا فِي الرِّئَاسَةِ الْكُبْرَى، وَفِي جَوَازِ الْأَمْرِ، وَتَفَازِ
 النَّهْيِ، وَفِي مُلْكِ^(٥) رِقَابِ الْأَمَمِ مِنْ وُجُوهِ الدِّيَانَةِ. مِمَّا يُشْغِلُ شَطْرَ قَوَى الْعَقْلِ عَنِ
 التَّغْزُلِ فِي الْحُبِّ، وَالْاحْتِرَاقِ فِي الْعِشْقِ.

وَالْأَعْرَابِيُّ لَيْسَ لَهُ صِنَاعٌ يَشْغَلُهُ، وَلَا مُشْتَغَلَاتٌ تَقْسِمُ بِأَلِهِ؛ فَلذَلِكَ يَشْتَدُّ عِشْقُهُ
 الَّذِي مَعَهُ، مِنْ أَصَالَةِ الرَّأْيِ، وَتَمَامِ الْعَزْمِ، وَالسُّلْطَانِ عَلَى الشَّهْوَةِ. اسْرُبُ^(٦) فَإِنَّ
 الدُّجَى قَد رَقَّ عَارِضُهُ، فَتَحَرَّكَ تِلْكَ الدَّفَانِنُ، وَيُتَجَرُّ ذَلِكَ الْعَرْسُ.

وَلَا يَعْرِفُ الْيَمِينَ مِنَ الشَّمَالِ، وَلَا الْجَنُوبَ مِنَ الشَّمَالِ، وَلَا السَّمَاءَ مِنَ الْأَرْضِ،

(١) انظر الحديث «إِيَّاكَ وَالْفَوَارِيرَ، إِيَّاكَ وَالْقَوَارِيرَ». (انظر: كنز العمال: ١٥ / ٢١٤، الحديث رقم ٤٠٦٣٣).

(٢) الصناديد: جمع صنديد وهو السيد الشريف الشجاع. (اللسان: صند).

(٣) تمسخ: تضعف قوته ولم يظفر بحاجة. (اللسان: فسح).

(٤) جدته: ثباته على الرأي. (اللسان: جدد).

(٥) يجوز فيها مُلْكٌ، وَمَلِكٌ، وَمَلِكٌ.

(٦) اسرُب: امضي. (اللسان: سرب).

ولا الطَوْل من العَرَض، ولا يُفَرَّقُ بَيْنَ الأَعَالِي والأَسَافِلِ، وَبَيْنَ الأَقَاصِي والأَدَانِي.

قد خَرَجَ مِنَ الأوزَانِ، وَخَالَفَ جَمِيعَ التَّعْدِيلِ. وهذا البُرْهَانُ صَحِيحٌ مَا صَحَّ التَّنْظِمُ، وَقَامَ التَّعْدِيلُ، وَاسْتَوَتْ الأَسْبَابُ. اعْرِضْ كَلَامِي عَلَى جِهَابِذَةِ المَعَانِي، وَأَطْبَاءِ ذَوِي العُقُولِ.

قَالَ دُهْمَانُ^(١) لَأَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٢): «إِنْ كُنْتَ تُعْطِي مَنْ تَرَحَّمْ فَارْحَمْ مَنْ تَنْظِمُ»^(٣). مِنَ الرَّجْمِ المَأْسَةِ، وَالفَرَابَةِ اللَازِقَةِ، وَاللُّحْمَةِ المُلْتَحِمَةِ. يَتَوَارَثُهُ خَلْفٌ عَنِ سَلْفٍ، وَتَابِعٌ عَنِ سَابِقٍ، وَصَغِيرٌ عَنِ كَبِيرٍ، وَحَدِيثٌ عَنِ قَدِيمٍ/. فَلَمْ أَشْكُ أَتْمَا نَصِيحَةً حَازِمًا، أَوْ مَشَوْرَةً رَاقِمًا^(٤)، أَوْ رَأْيِي حَاضِرًا، أَوْ حِكْمَةً نَبَغَتْ^(٥)، أَوْ صَدْرٌ جَاشٌ فَلَمْ يَمْلِكْ، أَوْ عِلْمٌ فَاضٌّ فَلَمْ يُرِدْ، اسْتَعْمَلَهُ مَنْ اسْتَعْمَلَهُ، وَتَرَكَهُ مَنْ تَرَكَهُ. أَدْنَى حُقُوقِ الحَرَمَةِ أَطْرَاحُ الحِشْمَةِ^(٦).

(١) دهمان: لقب يطلق على رئيس أهل القرية المسؤول عنها والقوي على التصرف مع حدة، وأيضاً التاجر، وزعيم فلاحى العجم، ورئيس الإقليم. (اللسان: دهقن).

(٢) أسد بن عبد الله: القسري البجلي، أمير من الأجواد الشجعان، ولد ونشأ في دمشق، ولي خراسان سنة (١٠٨هـ) فأقام فيها زمناً، وجدد بناء بلخ وأنزل بها جيشه ثم اختارها لإقامته، توفي سنة (١٢٠هـ).

(انظر: ابن حجر، الإصابة: ٢٩٦/١، وابن الأثير، الكامل: ٧٩/٥، والذهبي، العبر: ١٠١/١).
(٣) جاء في العقد الفريد ١٣٤ / ٢: «قال دهمان لأسد بن عبد الله: أن كنت تعطي من يُرحم، فارحم من يُظلم، فإن السماوات تنفجر للدعوة المظلوم»، وانظر الحديث «مَنْ لَا يُرْحَمُ لَا يُرْحَمُ».

(انظر: كثر العمال: ١٦٣ / ٣، الحديث رقم ٥٩٧١، والهيتمي، مجمع الزوائد: ٣٤٠ / ٨، الحديث رقم ١٣٦٧٠).

(٤) الرَّمَقُ: الحسد. (اللسان: رمق).

(٥) حكمة نبغت: أي ظهرت. (اللسان: نبغ).

(٦) الحشمة: الحياء والانتباض. (اللسان: حشم).

وأعلّمتني ذلك علماً يقطع فيه الشك؛ فبُتت معه اليمين. وقد خبّرني من لا أرتاب به، ولا أزدُ خبّره. وخبّرني من أتق بعقله، وخبّرني من أسكن إلى خيره، وخبّرني كم يشت من الناس؛ منهم من يقشعُر من الكذبِ ويتعزّرُ منه. وخبّرني فلانٌ وكان هو والكذبُ لا يأخذان في طريق، ولم يكن عليه من الصّدقِ مؤونةٌ لإيثاره، كان له حتى يستوي عنده ما يضُرُّ وما لا يضُرُّ. وخبّرني فلانٌ ولو كان إسنادًا لذكرته، ولكن موضعَ اليَاضِ من الكتابِ خيرٌ مما حكّيته.

ما قرّق ما بين المكافأة والتحاسد، وبين المناقسة والتغالب، وبين الحجّة والشبهة، والغدر والحيلة، والذمّ والشكر، والحمد والاختيار، والإمكان والاضطرار، والإيجاب والواجب الممكن.

ليس المُجربُ كالعمر، ولا الأديبُ كالغفل^(١). فلو أن هناك سراً كريماً، وخبّراً عجيّباً، وفضلاً مبيّناً، وعرقاً نامياً، لكان كذا. فأما من / ساعدته الأقدار، وأجابته الدنيا إذا دعاها، وكان في اعتدالٍ من الأخلاط^(٢)، وصحّة من المزاج^(٣). وكانت لهم أجسامٌ طويلة، وأجوافٌ منكرة.

غمست يديّ في الأمر، وغمس القوم أيديهم فيه. ضرب القوم بعضهم ببعض ثمّ نام على قفاه، ويحبُّ أن يعرف موضعَ الفرصة، وكيف التقدّم في حال المهلة. متى ما أعد شيئاً فإني كعارم^(٤).

(١) الغفل: من لا يرجي خيره، ولا يحشئ شره. (اللسان: غفل).

(٢) الأخلاط: الأمزجة. (اللسان: خلط).

(٣) المزاج: هو ما لا يثبت على خلق، ويقال رجل مزاج: وهو المخلط الكذاب. (اللسان: مزج).

(٤) عارم: شديد القوة والقراسة. (اللسان: عرم).

وَفُلَانٌ لَا يَجِفُّ^(١) كِبْدُهُ، وَلَا يَسْتَرِيحُ قَلْبُهُ، وَلَا تَسْكُنُ حَرَكَتُهُ فِي طَلَبِ حَوَائِجِ الرِّجَالِ. عِنْدِي الْمَاءُ الْبَارِدُ، وَحَدِيثٌ لَا يُنَادِي وَوَلِيدُهُ^(٢)؛ يَقُولُهُ الرَّجُلُ الْبَخِيلُ.

قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ^(٣) فِي خُطْبَتِهِ «إِنَّمَا بَطْنِي شَبْرٌ فِي شَبْرٍ، وَمَا عَسَى أَنْ يَكْفِينِي».

أَنْعِمُ صَبَاحًا، وَأَنْعِمُ ظَلَامًا، وَأَنْعِمُ مَسَاءً، عِمَ ظَلَامًا^(٤)، فَيَجِيئُكَ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: «أَحَبِّتُ ذَلِكَ وَعِظَامُ»؛ أَي لَقَدْ كَانَ كَذَا وَكَذَا.

لَيْسَ فِي عَسْكَرِي الْخِلَافَةَ مِثْلُ فُلَانٍ، هُوَ يُشْبِهُ أَبَاهُ^(٥) فِي الْقَدِّ وَالْحَرْطِ^(٦). هَذَا قَوْلُ أَعْرَابِيٍّ عَلَى فِطْرَتِهِ.

كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَجْمَعُ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ فِي نِقَابٍ، هَذَا كَلَامٌ قَدْ أَخَذَ بَعْضُهُ بِرَقَبَةٍ بَعْضٌ.

(١) يجف: يبس. (اللسان: جفف).

(٢) يقال: «أمر لا يُنادى ووليدُهُ في الخير والشر»، أي اشتغلوا به حتى لو مد الوليد يده إلى أعز الأشياء لا يُنادى عليه زجرًا. (القاموس المحيط: ولد).

(٣) ابن الزبير: أبو بكر، عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، ولد سنة (١هـ) فارس قرين في زمنه، شهد فتح إفريقية زمن عثمان، توفي سنة (٧٣هـ).

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٣ / ٢٤١، ابن حجر، الإصابة: ٤ / ٧٨، والصفدي، فوات الوفيات: ٢ / ١٧١، والذهبي، العبر: ٥١).

(٤) انظر القول في الحيوان: ١ / ٣٢٨: «كانوا في الجاهلية يقولون: انعم صباحًا، وانعم ظلامًا، وانعم مساءً وانعم ظلامًا، ثم تركوه وصاروا يقولون: كيف أصبحتم؟ وكيف أمستم؟».

(٥) الكلمة غير واضحة في الأصل ولعل الصواب ما أثبت.

(٦) الحרט: دقة الجسم. (اللسان: خرط).

يا أُمَّ النَّاسِ وَأَوْصَعَهُمْ؛ تَقُولُ ذَلِكَ لِلتَّمِيمِ الرَّاضِعِ^(١). لِمَ تُرَاحِمُ الْبِحَارَ
بِالْجِدَاوِلِ، وَالْأَجْسَامَ/ بِالْأَعْرَاضِ، وَمَا لَا يَتَنَاهَى بِالْجُزْءِ الَّذِي لَا يَتَجَزَأُ. فَلَمَّا طَالَ
الدَّهْرُ نَسِيَ السَّبَبَ.

وَكَيْفَ أَطْلُبُ مِنْكَ مَا قَدْ انْقَطَعَ سَبَبُهُ، وَاجْتُنْتُ أَصْلَهُ. فَإِنْ كُنَّا قَدْ أَصَبْنَا فَذَاكَ
أَرَدْنَا، وَإِنْ كُنَّا قَدْ أَخْطَأْنَا فَمَا ذَاكَ عَنِ فَسَادِ الضَّمِيرِ. وَلَعَلَّ طَبِيعَةَ حَائِنَاتٍ، وَلَعَلَّ عَارِضًا
حَدَثَ، وَلَعَلَّ سَهْوًا اعْتَرَضَ، وَلَعَلَّ شُغْلًا مَنَعَ. فَخُذْ لَنَا هَذَا وَحَصِّلْهُ وَاحْمِلْهُ، وَفَصِّلْهُ
وَعَرِّفْنَا أَدْنَاهُ مِنْ أَقْصَاهُ، وَأَوْسَطَهُ مِنْ طَرَفَيْهِ. وَكَانُوا يَحْمَدُونَ الْكَيْسَ^(٢) الَّذِي لَا
يُلْقِي بِيَدِهِ.

وَقَدْ عَرَفْتُ هَذَا الرَّجُلَ وَعَجَمْتُهُ^(٣)، وَقَلْبْتُ فِيهِ الرَّأْيَ حَتَّى فَهَمْتُهُ. تَرَفَعُ بِالتَّكْلِيفِ
خَرَقًا لَا يَقْبَلُ الرَّقْعَ، وَتَرْتُقُ فَتَقَا يَنْبُو عَنْهُ، الرَّتْقُ لَا لَفْتَتَهُ، وَالسَّكْرَانُ أَشَدُّ مِنْهُ كَلَامًا،
وَلَيْسَ مَنْ يَمْلِكُ بِجَبَلٍ مِنْ جِبَالِ الْحَقِّ، كَمَنْ تَحَلَّى عَنْ جَمِيعِهِ، وَلَيْسَ مَنْ يَثْبُتُ نَسْبَهُ فِي
قَوْمٍ كَالْمَعْوِجِ الَّذِي لَا يُحْسِنُهُ أَحَدٌ، وَلَا يُضَافُ إِلَى نَسَبٍ؛ حَتَّى كَانَهُ وَتَدْبِقُ أَوْ قَعُ
بِقَرَقَرٍ^(٤).

وَمَا زَالَتْ الْأَخْلَافُ تَحْكِي عَنِ الْأَسْلَافِ، وَيَتَّبِعُ الْآخِرُ أَثَرَ الْأَوَّلِ. كَانَ
مُسْتَصْرَحًا لِلدِّينِ، وَمُسْتَهْضَمًا لِلذَّبِّ عَنِ حُرْمَةِ الْإِسْلَامِ. يَبْغِي مَعَالِمَ سُنَّتِهِ، وَيَنْدُبُ إِلَى
شَرَائِعِ مَفْرُضَةٍ، يُحْرِجُهُمْ بِالْفَاطِئِ شِدَادٍ، وَيَكْلِمُهُمْ بِأَنْبِيَاءِ حِدَادٍ، وَيَسْطُو عَلَيْهِمْ بِقُوَّةِ
أَيْدِيهِمْ. رَجُلٌ حَضْرِيٌّ وَآخِرُ مَدْرِيٍّ.

(١) الرّاضع: الذي رضع اللّؤم من ثدي أمه. (اللسان: رضع).

(٢) الكيس: الظريف والفقير. (اللسان: كيس).

(٣) عجمته: خبرته. (اللسان: عجم).

(٤) القرقور: القاع الأملس الذي لا شيء فيه. (اللسان: قر).

وإني قد ناديتك من كئب/، ودعوتك من قرب، وحشوت سمعك من إنذاري.
 بأعناقهم ربق^(١) دلتها مغرسه^(٢) رقابهم، وظلما يُجاذبهم إلى أودية ظلماء، وتدب عليهم
 تهاويل خوارجها، وتقصف عليهم نكباء^(٣)، ريحها حي^(٤) نكا الجرح، وغلب الصبر،
 وآلم أهل الحق طول عِضاض الحرب^(٥).

ومن زهو يعلوك، ونجوة تشمخ بها عرينك^(٦)، تُرهقك أبهة كبر، ويتسق بك
 سمو قدر. اقصد بدرعك^(٧)، واردد من نخوتك، واقصد من درعك. كل نظار^(٨)
 حكيم، وكل بحاث واع، وكل نقاب في البلاد ودزاسة للكئب^(٩). فادت^(١٠) عزمي،

(١) ربق: خيط أو جبل فيه عرى تشد بها اليهم. (اللسان ربق).

(٢) مغرسه: مثبته. (اللسان: غرس).

(٣) نكباء: الزيح الناكبة، التي تنكب القوم عند مهاب الرياح، وتملك المال وتحبس القطر، وهي
 الزيح التي تمب بين ريحين. (انظر: الثعالبي، فقه اللغة: ص ٢٩، والغزولي، مطالع السرور: ١/
 ٦١، واللسان: نكب).

(٤) حي: بين. (اللسان: حيا).

(٥) عِضاض الحرب: داهية الحرب وشدتها. (اللسان/ عِضاض).

(٦) عرينك: أنفك. (اللسان: عرن).

(٧) في الأصل (اقصر من درعك) وهو تصحيف.

الدرع: الطمع. يضرب مثلاً بمن يتوعد، أي اقصد الأمر بما تملكه أنت لا بما يملكه غيرك، أي
 توعد بما تسعه قدرتك، ولا تطلب فوق ذلك في تهديدي. (انظر: الميداني، مجمع الأمثال: ٢/
 ٩٢، واللسان: ذرع).

(٨) في الأصل (نظار) وهو تصحيف. نظار: الشهم الطامح، الذي يفكر بالأمر ويتدبر. (اللسان:
 نظر).

(٩) دزاسة للكئب: يقال دزست الكتاب أدرسه درساً أي ذلته بكثرة القراءة حتى خف علي حفظه.
 (اللسان: دوس).

(١٠) فاد: مات. (اللسان: فود).

وَنَعَيْتُ^(١) رَأْيِي عَلَى كَذَا وَكَذَا، وَكَبَحْتُ لِجَامِ هَوَايِ.

لَهُمْ زَرْعٌ وَضَرْعٌ وَحَدَائِقُ وَغَلَاتٌ. تَجِدُ سَيْلًا سَهْلًا، وَمُرْتَقَى عَدْلًا، فَاْمَشْ فِيهِ الْحَيْزُلَى^(٢) وَالْدَّفْقَى^(٣) وَالْحَقْحَقَةَ^(٤) وَالرَّشَا^(٥).

لَيْسَ الْإِمَامُ الْمُبْتَدِئُ كَمَا تَكْتَلِفُ الْمُحْتَدِي بِالْمَحَلِّ الرَّفِيعِ، وَالشَّرَفِ الْمَنْبَعِ، وَالْعُنْصُرِ الْجَلِيلِ، وَالْبَيْتِ النَّبِيلِ، وَالْقَوْلِ الَّذِي يَجْمَعُ خِصَالَ النِّعَمِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

* الْمَاءُ وَالنَّوْمُ وَأُمُّ عَمْرٍو *^(٦)

وَقَوْلُ الْآخِرِ^(٧):

سِتَانٌ هَذَا وَالْعِنَاقُ وَالنَّوْمُ وَالْمَشْرَبُ الْبَارِدُ وَالظَّلُّ الدَّوْمُ^(٨)

(١) الكلمة غير واضحة في الأصل، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) الحيزلى: السير الزويد والسوق اللين، وهي مشية فيها تجتر.

(انظر: الثعالبي، فقه اللغة: ص ١٧٣، والفارابي، ديوان الأدب: ٢ / ٨٠، واللسان: خيز).

(٣) الدفقى: المشي السريع. (اللسان: دفق).

(٤) الحقحقة: شدة السير، وهو المتعب للظهر. (اللسان: حقق).

(٥) الرشا: مشية أولاد الظبي. (اللسان: رشا).

(٦)

لَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ عَيْشُ النَّهْرِ

لَمَّا خَشِيتُ مِنْ مَضِيْقِ الْقَبْرِ

ورد البيت في البيان والتبيين: ٢ / ١٣٠، ٣ / ١٤٠.

(٧) هو لقيط بن زرارة.

(٨) الدوم: الدائم.

ورد البيت في: البيان والتبيين: ٣ / ١٤٠، وشرح أبيات المفصل: ١ / ٦٧٦، وشرح المفصل:

٣ / ٧٧، ٢٢، ٧٧، وجمهرة اللغة: ٢ / ٨٧، والمقتضب: ٤ / ٣٠٥، وشذور الذهب: ٢٩٦، ونيل =

وإن الله حَسَمَ عَن طِبَاعِهِ دَوَاعِي الدُّلِّ، وَقَطَعَ عَنْهَا أَسْبَابَ/ المَهَانَةِ، وَسَاقَ إِلَيْهَا دَوَاعِي النُّبْلِ، وَأَسْبَابَ الكَرَمِ. وهؤلاءِ قَوْمٌ لَا يَكَادُ يَجِدُ فِيهِمْ إِلَّا قَائِدٌ ابْنُ قَائِدٍ، وَفَارِسٌ ابْنُ فَارِسٍ، وَمَقْتُولٌ ابْنُ مَقْتُولٍ، كُلُّهُمْ قُتِلَ عَلَى ظَهْرِ قَرَسِهِ وَسَيْفِهِ بِيَدِهِ.

كَانَ فَارِسًا، خَطِيئًا، شَاعِرًا، شَدِيدَ الأَنْفِ، بَعِيدَ الغُورِ، شَدِيدَ الأَسْرِ، لِسَانُ رُمَحِ فُلَانٍ أَشْهَرُ فِي العَرَبِ مِنْ فُلَانٍ، وَيَنْقُضُ كُلَّ مَا أْبْرَمَهُ، وَيُحِلُّ كُلَّ مَا عَقَدَهُ. اخْتَرَ أَيُّهَا شِثَتْ فَمَا فِيهَا حَظٌّ لِيُخْتَارَ.

كَانَ مِنْ أعْظَمِ النَّاسِ قَدْرًا، وَأَجْمَلِهِمْ جَمَالًا، وَأَشَجَّهِمْ شَجَاعَةً، وَأَسْخَاهُمْ سَخَاءً، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ كَرِيمًا، أَيْبًا، أَنْفًا، ذَالِسَانٍ وَعَارِضَةً، وَقَدْ ولى الوِلَايَاتِ.

مِنْهُمُ الأَوْفِيَاءُ المَذْكُورُونَ بِالطَّرَائِلِ، وَالمُقْنِعُ عِنْدَ الاخْتِلَافِ، وَمَوَاضِعِ الأَمَانَاتِ، وَلِئِنْ تَعَرَّضْتَ لِسُبَابِي وَشِبَابِي^(١) أَنْبَابِي، وَسُرْعَةَ جَوَابِي، لَتَكْرَهَنَّ جَنَابِي.

وَكَانَ أَحْطَبَ النَّاسِ قَائِمًا وَجَالِسًا وَمُفْرَدًا، وَمُنَاقِشًا وَمُجِيئًا وَمُبْتَدِئًا. وَكَانَ مُفَوِّهًا لِسَانًا، وَجَزَلَ الأَلْفَاظِ، شَرِيفَ المَعَانِي، بَلِيغَ العِلْمِ. مَا رَأَيْنَا أَبْكَرَ^(٢) مِنْهُ، وَلَا أَسْوَسَ مِنْهُ، وَلَا أَجَزَلَ وَلَا أَنْبَلَ، وَلَا أَشَدَّ إِشْرَاقًا عَلَى عَمَلِهِ، وَلَا أَضْبَطَ لِرَعِيَّتِهِ، وَلَا أَحْيَا لِحَرَجٍ، وَلَا أَقْتَلَ لِحَارِجِيٍّ مِنْ فُلَانٍ.

الشُّكْرُ نَسِيمُ النُّعْمَةِ/، وَحَاجِبُ الرَّجُلِ عَامِلُهُ عَلَى عِرْضِهِ. المُرُوءَةُ وَالإِنصَافُ، وَعَقْدُ الأَطْرَافِ، وَالجُودُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ.

= الأرب في الجمع بين قطر الندى وشنور الذهب: ٢٤٩، ومطلع الفوائد: ص ٤٦٩، والأصفهاني، التنبيه على حدوث التصحيف: ص ٥٩، واللسان: دوم.

(١) شبا: الشبا هو حد كل شيء. (اللسان: شبا).

(٢) الكلمة غير واضحة في الأصل ولعل الصواب ما أثبت.

أبكر: تقدم. (اللسان: بكر).

لرَدَقُ بوجهه الحِجَارَةَ لَرَضَمَهَا^(١)؛ يُقَالُ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ صُلْبَ الحَدَقَةِ^(٢).
وقد يَنْبُو السَّيْفُ وهو حُسام، وَيَكْبُو^(٣) الطَّرْفُ^(٤) وهو جَواد، وَيَنْسَى الذَّكُورَ^(٥)،
وَيَغْفُلُ الفَعْلانَ. وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ العَمَى والحَيْرَةِ بَعْدَ لُزُومِ الجَادَةِ.
الصَّجْرُ أَكْثَرُ مِنَ الوَجَلِ، والرَّمْلُ أَكْثَرُ مِنَ التُّرابِ، والمِلْحُ أَكْثَرُ مِنَ العَدْبِ،
[والبَرُّ أَوْسَعُ مِنَ البَحْرِ]^(٦)، والسَّودانُ أَكْثَرُ مِنَ البِيضانِ.
الخارجي قد يَنْبُلُ بِنَفْسِهِ، والنَّابِيتِي قد يَخْرُجُ بِطَبْعِهِ، وَلِكُلِّ عَرِقٍ أَوَّلٌ، وَأَوَّلُ كُلِّ
قَدِيمٍ حَادِثٌ. لَهُ لِسَانٌ أَرْقَمٌ^(٧)، وَجَبًا مُجَلَّدَةٌ^(٨).

الأخلاقُ التي لا يُمكنُ مَعَهَا السَّوْدُودُ، ومِثْلُ الكِبَرِ، ومِثْلُ الكَذِبِ، ومِثْلُ
السُّخْفِ، ومِثْلُ الجَهْلِ بِالسِّيَاسَةِ. لا يَزَالُ يَخَافُ كَيْدَ عَدُوِّ، وَعَيْنَ حاسِدٍ، فَكَمَ مِنْ يَدِ
بِيضَاءٍ، وَصَنِيعَةِ غَرَاءٍ فَصَلَّتْ، فَلَمَّ يَقُمُ بِهَا نائِداً، وَخَفِيَتْ فَلَمَّ يَطْرِها^(٩) شاكِرًا.

(١) رَضَمَهَا: دَقَّها. (اللِّسان: رَضَمَ).

(٢) الحَدَقَةُ: السَّوادُ المُستَدِيرُ وَسَطَ العَيْنِ، وهو في الظَّاهِرِ سوادُ العَيْنِ وفي الباطِنِ خِرْزَمِها. (اللِّسان: حدق).

(٣) يَكْبُو: الكَبْوَةُ مِثْلُ الوَقْفَةِ تَكُونُ عِنْدَ الشَّيْءِ الَّذِي يَكْرَهُ الإنسانُ. (اللِّسان: كَبَا).

(٤) الطَّرْفُ: الجَوادُ الكَرِيمُ. (اللِّسان: طَرَف).

وَجاءَ في تَسْهِيلِ النَّظَرِ ص ٢٦٨: «أَيُّ عَالمٍ لا يَهْفُو، وَصارِمٍ لا يَنْبُو، وَجَوادٍ لا يَكْبُو».

(٥) الذَّكُورُ: الذَّلْكَرُ. (اللِّسان: ذَكَر).

(٦) ما بَيْنَ المَعْقُوفينَ مِنْ حاشِيَةِ الأَصْلِ.

(٧) لِسَانٌ أَرْقَمٌ: لِسَانٌ الحِمِيَّةِ. (اللِّسان: رَقَم).

(٨) مُجَلَّدَةٌ: مِحاظَةٌ بِالجُلْدِ. (اللِّسان: جَلَد).

(٩) يَطْرِها: يَمْدَحُها أو يثني عليها. (اللِّسان: طَرِي).

قد أعانَ المهجينَ^(١) حاله، ولحقَّ الخليلُ^(٢) بأصله، وحنَّ الدعي^(٣) إلى أهله،
وسلمَ الصريحُ^(٤) غمَّهُ^(٥). يزدادُ في كُلِّ قلبه قوَّة، ولسانه شلَّة، ورأيه بصيرة، عند
التلاقي يكونُ التناهي، يشتدُّ التزوع، ويقلُّ^(٦) الخضوع/.

دع^(٧) الحجةَ تبيتُ في قلبك، وتختمرُ في صدرك، ولا يكبده بالفكر. لا تكن
كمن سعى الاستسلامَ توكلاً، وقصرَ الهمةَ قناعةً. هو أعمى لا يبصرُ عييه، ومستهامٌ
لا يفهم ما عليه وله.

في لسانه غلظة، وفي لهجته عجمة، أندى الناس راحةً، وأصدعهم بالحقِّ. سببُ
المجادلةِ والمحاسنةِ، [والمناقسةِ والمنازعةِ]^(٨) [٩]، ثلاثة أشياء: قُربُ الجوار، والمشاكلةُ
في الصنعة، والتقاربُ في النسب.

كانَ حازماً حذراً، ويقظانٌ متحفظاً، وعارفاً بالدهور، وبثقلِ الأمور. فكانَ من
أهل الجلدِ والصراية، ومن يُنابذُ العامة، ويدعو إلى المألة، من تحريكِ النفس، وتمييزِ
الهمة، وبعثِ الخواطر، وفتحِ السُرور، في فصلِي الزمانِ وصميمه. وفي الفروسية وثابٌ
على الأسد.

(١) الهجين: الولد العربي لغير العربية. (اللسان: هجن).

(٢) الخليل: هم الأوباش. (اللسان: خلط).

(٣) الدعي: المتبني الذي تبناه رجل ودعاه ابنه. (اللسان: دعي).

(٤) الصريح: الرجل الخالص النسب. (اللسان: صرح).

(٥) في الأصل (عمه) ولعل الصواب ما أثبت.

(٦) في الأصل (نقل) وهو تصحيف.

(٧) جاء في حاشية الأصل «ألفاظ له وقعت في رسالته».

(٨) المنازعة: المجادبة في الأعيان والمعاني. (اللسان: نزع).

(٩) ما بين المعرفين من حاشية الأصل.

الحقْمُ تُشْبِهُ حَدَكَ إِذَا حَجِلْتَ، وَلَوْنَكَ إِذَا ذُعِرْتَ، وَعَوَارِضُكَ إِذَا ضَحِكْتَ. مَنْ يَنْتَحِلِ الْخَاصَّةَ وَيُنْسِبُ إِلَى الْعِلِيَّةِ، وَيَطْلُبُ الرِّيَاسَةَ، وَيَحْتَضِبُ السِّيَادَةَ، وَيَتَحَلَّى بِالْأَدَبِ، وَيَدَّعِي النَّجَابَةَ وَالذَّمَامَةَ وَالْعِلْمَ وَالْفَخَامَةَ.

لَا شَيْءَ أَصْعَبُ مِنْ مُكَابَدَةِ الطَّبَائِعِ، وَمُغَالَبَةِ الْأَهْوَاءِ. فَإِنَّ الدَّوْلَةَ لَمْ تَزَلْ لِلْهَوَى عَلَى الرَّأْيِ طُولَ الدَّهْرِ. وَمَنْ حَفِظَ اللَّهَ وَضَبَطَ اللِّسَانَ، وَوَزَنَ الْقَوْلَ، كَانَ أَحْمَى لِأَنفِهِ، وَأَمْنَعُ لِحُجُورَتِهِ، وَأَدْفَعُ عَمَّا / وَرَاءَ ظَهْرِهِ، مِنْ أَنْ تُحَوَّرَ^(١) عَلَيْهِ مَا يَقُولُ.

كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً، وَأَكْثَرَهُمْ ضَغِينَةً^(٢)، وَأَكْثَرَهُمْ أَمْوَالاً، وَأَعَدَّهُمْ رِجَالاً. فَإِذَا كَانَ هَذَا مَذْهَبَهُ فِي السَّلْفِ الطَّيِّبِ، وَفِي الْخِيَارِ الْأَبْرَارِ، وَفِي الْجِلَّةِ الْكِيَارِ، فَمَا ظَنُّكَ لَا جَزَمَ لَقَدْ كَانَ خُشُوعُهُ بِالْعَشِيِّ أَقْلَ، وَإِنَّمَا نَمْرَةٌ عَقَلِ الْغَزَالِ نَتِيجَةٌ مُنَاجَاةِ حَائِكَ، وَمُقَاوَلَةٌ امْرَأَةٍ.

عَرَفَ النَّاسُ الْجَمْعِيْنَ وَالْكَيْدِيْنَ^(٣) وَأَيْنَ الصَّبْرِ، وَالرَّأْيِ وَالْحَزَمِ وَالْعَزَمِ. كَانُوا يَسْمَوْنَهُ الْكَامِلَ؛ لِمُرُودِهِ وَسَجَاعَتِهِ وَثَبَلِهِ وَعِلْمِهِ. وَكَانَ حَمِي الْأَنْفِ مُعَاوِدًا لِلْحَرْبِ، عَالِمًا بِالْكَلَامِ، فَارِسًا مَانِعًا لِمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، بَصِيرًا بِمَكَائِدِ الْأَقْرَانِ، لِعَقْلِهِ وَفَهْمِهِ وَمُدَارَاتِهِ وَعِفَّتِهِ وَتَنَزُّهِهِ.

أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُسْتَكْمِلًا لِاسْمِ الْوِلَايَةِ حَتَّى يَسْمَعَ الْكَلِمَةَ الْعَوْرَاءَ فَيَجْعَلَهَا مِنْ وَرَاءِ أُذُنَيْهِ، وَحَتَّى يُحِبَّ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ^(٤)، وَحَتَّى يَرْفَعَ جَمِيعَ أَسْبَابِ

(١) نحور: نرد. (اللسان: حور).

(٢) في الأصل (صعينة) وهو تصحيف.

(٣) الكيديين: الكيد: الخيث والمكر. (اللسان: كيد).

(٤) تضمين للحديث الشريف «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

انظر تخریج الحديث: مالك بن أنس، المسند لموطأ الإمام مالك بن أنس: ١/ ١٨٠، الحديث

الطَّمَعَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَلِيقَةِ. وَلَوْ جُمِعَتِ الْمِحْنُ كُلُّهَا فِي نِظَامٍ، وَرُكِّبَتْ فِي نِصَابٍ؛ لَكَانَتْ الْوَاحِدَةُ مِنْ مِجَنِّ فُلَانٍ أَغْلَطَ وَأَمَرَ.

وَكَانَ قَدْ صَرَفَ الْأَمَالَ كُلُّهَا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَوَاحِدَةً كَافِيَةً، وَحُجَّةً وَاضِحَةً بِظَاهِرِهِ، وَهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ حَتَّى يُجِيبِي لَيْلَهُ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَفِي تَرْجِيحِ / آيَةٍ وَاحِدَةٍ، وَخُرَاسَانُ مَوْضِعُ الدَّعْوَةِ^(١)، وَمَهَبُ رِيحِ الدَّوَلَةِ.

وَجَلَسْتُ إِلَى فُلَانٍ ذَهْرًا [لَا أَحْفَظُ]^(٢) طَرَفِيهِ مِنْ طَوِيلِهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَزَمْتَ^(٣) مِنْهُ، لَا وَاللَّهِ إِنْ مَسَّ حِصَاةَ بِيَدِهِ قَطًّا، وَكَانَ أَسْكَنَ النَّاسِ طَرَفًا وَإِطْرَاقًا^(٤)، وَأَقْلَهُمُ حَرَكََةً وَقَلْفًا. وَمِنَ الرَّقَبَاءِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ فَوْقَ يَدِ الْمَفْسِدِ، وَيَمْنَعُونَ الْمُسْتَبِدَّ، وَأَوْجَبْتُمْ عَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ بِأَخْبَارِكُمْ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ، بَلْ كَانَتْهَا مِنْ أَحَادِيثِ الْحُلْمِ.

الدُّنْيَا مِيرَاثُ الدُّوَلِ، وَبَقِيَّةُ القُرُونِ، وَفُضُولُ الدَّهْرِ، وَأَوْعِيَةُ الفَجَائِعِ، وَمُفَرَّقَةُ الْأَلْفِ. الْهِمَّةُ جَنَاحُ الْحِطَّةِ، وَرَائِدُ الْجِدَّةِ، وَلِقَاحُ الْجَدِّ الْعَقِيمِ مِنَ الْوَقَارِ وَالنُّبْلِ وَالْإِطْرَاقِ وَالسُّكُونِ. وَرُبَّ عَيْشٍ لَنَا بِمَوْضِعٍ كَذَا رَطِبَ.

مَا رَأَيْتُ قَطًّا أَبْلَّ رِيْقًا مِنْهُ، وَلَا أَتَمَّ نَفْسًا، وَلَا أَرِيْطَ جَائِشًا^(٥). كَانَ أَمَدُهُمْ ظِلًّا، وَأَوْطَاهُمْ رِجْلًا، وَأَوْفَاهُمْ عَهْدًا، وَأَحْلَصَهُمْ وُدًّا. وَكَانَ ظَهْرًا فَانْكَسَرَ، وَصَارَ أَجْرًا يَنْتَظِرُ.

(١) قصد الدعوة العباسية.

(٢) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٣) أزمت: الرزمت هو الحليم الساكن القليل الكلام. (اللسان: زمت).

(٤) الطروق: إطراق الرجل إذا سكت ولم يتكلم وأرخى عينيه ينظر إلى الأرض.

الإطراق: أن يقبل بصره إلى صدره ويسكت ساكنًا. (اللسان: طروق).

(٥) الجأش: القلب، وأيضاً ثبات النفس عند الفزع. (اللسان: جأش).

فَرغَانَةُ الْقُصُوي، والسُّوس الأَقْصَى، لَوَقَدَ عَلَي قَلْبِي نَارَ الْغَيْظِ، فَقَدَ صَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَلَا وَاللهِ إِنْ بَرَدَ عَلَيَّي بَعْدَ. هُم مِّنْ لَا يُقَادُ بِقَتْلَاهُم، وَلَا يُقْتَصُّ مِنْ جِرْحَاهُم.

لَوْ صَدَيْتَ عَيْنَ الشَّمْسِ مَا كَانَ يَفْعَلُ كَذَا الْمَامُونُ/ أَبَدًا^(١)، يُحِبُّ الْأَمَرَ وَالْوَكِيلَ. إِنْ حَضَرَ مَجْلِسًا لَمْ يَجْعَلُوهُ أَسْوَةَ الْجُلَسَاءِ، وَلَمْ يُكْنُوهُ، وَلَمْ يَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ. وَلَا يَزِيدُونَهُ عَلَى اسْمِ الْوَكِيلِ: جَاءَ الْوَكِيلِ، وَذَهَبَ الْوَكِيلِ.

وَبَعْضُ التَّعْرِيزِ أَبْلَغُ مِنَ الْإِفْصَاحِ، وَبَعْضُ الْإِشَارَةِ أَبْلَغُ مِنَ الْكَلَامِ. ثُمَّ تَأْتِي النَّفْسُ وَلَكَ مِنْ حَاجَتِهَا إِلَى النَّسِيمِ الَّذِي يُجِيئُهَا، وَالغِذَاءِ الَّذِي يُبْقِيهَا، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَاجْتَلَطَ الْبَيَانُ بِالْعَمِيِّ، وَالْكِنَايَةُ بِالْإِفْصَاحِ، وَالْإِيْجَازُ بِالْحَقْلِ. نَظَرَهُ وَجَادَلَهُ وَجَافَاهُ. فَاعْمَلْ أَكْرَمَكَ اللهُ عَمَلًا يَكُونُ لَنَا حُجَّةً، وَلِسَانًا عِنْدَ الشُّبُهَةِ، وَمُعَبَّرًا عَنَّا إِذَا سَكَنَّا، وَمُعِينًا إِذَا اعْتَرَضَ عَلَيْنَا. إِذَا عَظَّمَ شَأْنَهُ، وَجَلَّ سُلْطَانَهُ، انْقَلَبَتْ تَدَابِيرُهُ، وَاسْتَحَالَتْ^(٢) أُمُورُهُ، فَعَادَ وَلِيهِ عَدُوًّا، وَعَدُوَّهُ وَلِيًّا، وَشَقِي بِهِ مَنْ كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَسْعُدَ بِهِ.

وَفِي اسْتِصْلَاحِ هَؤُلَاءِ رَاحَةٌ لِلْقَلْبِ، وَسَلَامَةٌ لِلْعُرْضِ، وَغَسْلٌ لِلْعَارِ، وَحَسْمٌ لِلدَّاءِ، وَهُمْ بَعْدُ خَدَمٌ لَكَ، وَكِلَابٌ يَنْبَحُونَ بَيْنَ يَدَيْكَ. ضَاقَ بِذَلِكَ الْأَمْرِ مَسْكًا.

لَمْ كَانَ الْإِخْبَارُ عَلَيَّ أَخْفَ مِنَ الْكِتَابِ، وَلَمْ كَانَ الصَّمْتُ أَثْقَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكَلَامِ، كَالشُّكِّ الَّذِي يَسْتَوِيهِ الرَّاغِبَانِ، وَيَتَكَافَأُ فِيهِ الْحَادِثَانِ. وَهَذَا عَكْسُ الْأُمُورِ/ وَقَلْبُ الْعَادَةِ.

طَابَتِ الْمَعِيشَةُ وَتَمَّتِ النُّعْمَةُ. فَكَيْفَ وَقَدَ تَرَى الرَّجُلَ طَاهِرَ الْأَثْرَابِ، خَاشِعَ الْأَطْرَافِ، كَمِصِّصِ الْبَطْنِ^(٣)، كَثِيرِ الْعِلْمِ، قَدِ رَغِبَ عَنِ نَسَبِهِ، وَادَّعَى غَيْرَ رَهْطِهِ.

(١) جاء في الحاشية «كذا» وكأنه يشك فيها.

(٢) في الأصل (استحالت) وهو تصحيف.

(٣) مخص البطن: الضامر من الجوع. (اللسان: مخص).

الجاهل والعالم والناسك والفايتك^(١) في تطاول الأعضاء، وكثرة الأنصار، ولا يقول هذا من يعرف تركيب الدنيا، ومجاري الأمور. ولو أتيت بياض نجد^(٢)، ومخالف اليمن^(٣)، فسألتهم عن كذا، حتى تعرف مواضع التخير من مواضع التسخير، بعد تمكنه بالعراق، وصرَب جرائه^(٤) بالعور، فخلّاهم الله من يده، وأفقدهم عصمته.

ولو كان حين مرَّص قلبه اختلّف إلى الأطباء، وطلب الدواء، وحمى نفسه عن كل ما زاد في الداء، لم يثبت أن يوفق ويرشد. فأما اليوم فقد ركّدت ریحهم، وكبّر ذنبهم،^(٥) والكلب الكلب^(٦)، والنمر الحرب^(٧)، والشم القشيب^(٨)، والفحل القطم^(٩)، والسيل العرم^(١٠).

(١) الفاتك: الجريء. (اللسان: فتك).

(٢) بياض نجد: أرض بنجد لبني عامر. (اللسان: بياض).

(٣) مخالف اليمن: الكورة يقدّم عليها الإنسان، والمخالف لأهل اليمن كالأجناد لأهل الشام.

(انظر: الثعالبي، فقه اللغة: ص ٣٦، واللسان: خلف).

(٤) جرائه: عنقه. (اللسان: جرن).

(٥) من هنا إلى موضع آخر سيشار إليه لاحقاً ورد في هارون، بعنوان: رسالة الحاسد والمحسود:

٣/ ١٨ - ١٩، والمبرد: ص ١٢ - ١٤ بعنوان: رسالة الحاسد والمحسود، والمورد: ص ١٤٦ -

١٤٧ بعنوان: من صلد كتابه في الحاسد والمحسود.

(٦) الكلب الكلب: الذي يكلب في أكل لحوم الناس فيأخذه شبه جنون، فإذا عقر إنساناً كلب المعفور وأصابه داء الكلب يعوي عواء الكلب ويمزق ثياب نفسه. (اللسان: كلب).

(٧) في الأصل (الثمر الحرب).

في هارون ٣/ ١٨، والمبرد ص ١٢: الثمر النمر.

الحرب: الذي اشتد غضبه. (اللسان: حرب).

(٨) القشيب: المخلوط. (اللسان: قشيب).

(٩) القطم: الشديد الشهوة إلى الضراب. (اللسان: قطم).

(١٠) العرم: السيل الذي لا يطاق، والسيل الذي يعترض الوادي، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ

الْعَرَمِ﴾ [سبأ: ١٦].

[إِنْ مَلَكَ قَتْلٌ وَسَيِّئٌ، وَإِنْ مَلَكَ عَصِيٌّ وَبَغْيٌ، حَيَاتِكَ مَوْتُهُ^(١)، وَمَوْتِكَ عِرْسُهُ
وَسُرُورُهُ. يُصَدِّقُ عَلَيْكَ كُلُّ شَاهِدٍ زورٍ، وَيُكَذِّبُ فِيكَ^(٢) كُلُّ عَدْلٍ مَرَضِيٍّ. لَا يُجِبُ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ يُبَغِّضُكَ، وَلَا يُبَغِّضُ إِلَّا مَنْ يُحِبُّكَ. عَدْوُكَ بِطَانَةٌ^(٣)، وَصَدِيقُكَ
عَلَانِيَةٌ.]

وقلت: إِنَّكَ رَبِّيَا غَلِطْتَ فِي أَمْرِهِ لَمَا يُظْهِرُ لَكَ مِنْ بَرِّهِ. وَلَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ الْجَلِيلَ
مِنَ الرَّأْيِ، وَالذَّقِيقَ مِنَ الْمَعْنَى، وَكُنْتَ فِي مَذَاهِبِكَ فَطِنًا نَقَابًا^(٤)، وَلَمْ تَكُ فِي عَيْبٍ مَن
ظَهَرَ لَكَ عِيَهُ مُرْتَابًا^(٥)؛ لاسْتغْنَيْتَ بِالرَّمْزِ عَنِ الْإِشَارَةِ، وَبِالْإِشَارَةِ عَنِ الْكَلَامِ،
وَبِالسَّرِّ عَنِ الْجَهْرِ، وَبِالْحَقِيقِيِّ^(٦) عَنِ الرَّفْعِ، وَبِالْإِخْتِصَارِ^(٧) عَنِ التَّطْوِيلِ، وَبِالْجَمَلِ
عَنِ التَّفْصِيلِ، وَأَرْحَتْنَا عَن كَدِّ الطَّلَبِ^(٨)، [وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنَّ قَلْبَكَ لِصَدِيقِكَ
غَيْرِ مُسْتَعِيمٍ، وَأَنَّ ضَمِيرَ قَلْبِكَ لَهُ^(٩) غَيْرُ سَلِيمٍ، وَإِنْ رَفَعْتَ الْقَدْيَ عَنِ لِحْيَتِهِ، وَسَوَّيْتَ

= (انظر: الثعالبي، نهار القلوب: ص ٥٦٨، واللسان: عرم).

(١) في المورد ص ١٤٦: حياتك موته وثبوره.

(٢) ساقطة من المبرّد.

(٣) بطانة: خلاف الظّهارة. (اللسان: بطن).

(٤) في المبرّد ص ١٣: نهايا.

النقاب: الفطن الشديد الدخول في الأشياء المبحث عنها. (اللسان: نقب).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، والتتمة من هارون: ١٨ / ٣، والمبرّد: ص ١٢ - ١٣،

والمورد: ص ١٤٦.

(٦) في المبرّد ص ١٣، والمورد ص ١٤٦: وبالجهر.

(٧) في المورد ص ١٤٦: والاختصار.

(٨) في هارون ١٨ / ٣، والمبرّد ص ١٣، والمورد ص ١٤٦: طلب التحصيل.

(٩) ساقطة من المبرّد.

عليه^(١) ثوبه فوق مركبه، وقبّلت صبيته بحضرتيه^(٢) [٣] ولبست له ثوب الاستكانة حتى أتصلت بحيله [واغتفرت له الزّلة بعد زلّته، واستحسنّت كل ما يقبح من شيمته وصدّفته على كذبه، وأعتته على فجرته. فما هذا الغباء، وما هذا الدّاء العياء، كأنك لم تقرأ المعوذة ولم تسمع مخاطبة الله تعالى نيّبه عليه السّلام في التّقدمة إليه بالاستعاذة من شرّ حاسد إذا حسد]^(٤).

أَتَطْلُبُ وَيَحْكُ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ^(٥)، وَعِطْرًا^(٦) بَعْدَ عُرُوسٍ^(٧)، وَعِنْبًا^(٨) [مَنْ بَعْدَ]^(٩)

(١) في المبرّد ص ١٣: عليك.

(٢) جملة «قبّلت صبيته بحضرتيه» ساقطة من المورد.

(٣) ما بين المعقوفين من هارون: ٣ / ١٩، والمورد: ص ١٤٦.

(٤) ما بين المعقوفين من المورد ص ١٤٦.

في هارون ٣ / ١٩، والمبرّد: ص ١٤: «ولبست له ثوب الاستكانة عند رؤيته، واغتفرت له الزّلة، واستحسنّت كل ما يقبح من جهته، وصدّفته على كذبه، وأعتته على فجرته. فما هذا العناء! كأنك لم تقرأ المعوذة، ولم تسمع مخاطبته نيّبه ﷺ، في التّقدمة إليه بالاستعاذة من شرّ حاسد إذا حسد». وفي المورد ص ١٤٦.

(٥) جاء في العقد الفريد ١ / ١٠٧ «قال علي بن أبي طالب: انتهزوا هذه القرص، فإنّها تمرّ مرّ السّحاب، ولا تطلبوا أثراً بعد عين». أنظر ابن سعيد، نشوة الطّرب: ٧ / ٧٤٠.

(٦) في هارون ٣ / ١٩، والمبرّد ص ١٤، والمورد ص ١٤٦: أو عطراً.

(٧) يقال في المثل «لا عطر بعد عروس».

(٨) انظر: الميداني، مجمع الأمثال: ٣ / ١٧٧، والأبشيهي، المستطرف: ١ / ١٠٥.

ويقال «لا نجبا لعطر بعد عروس» (انظر: ابن سعيد، نشوة الطّرب: ٧ / ٧٤٨).

(٩) في هارون ٣ / ١٩، والمبرّد ص ١٤، والمورد ص ١٤٧: أو تريد أن تجني عنبا.

(٩) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

شوك، وَحَلْبًا^(١) مِنْ حَائِلٍ^(٢). [إِنَّكَ إِذَا أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ^(٣)، وَأَحْمَقُ مِنَ الصَّبْعِ^(٤)، وَأَغْفَلُ مِنْ هَرَمٍ^(٥)، إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ بَعْدَمَا أَعْلَمْنَاكَ، وَتَعَوَّجُ بَعْدَمَا قَوْمْنَاكَ، وَتَبَلَّدُ بَعْدَمَا تَقَفْنَاكَ^(٦)، وَتَقْضِلُ إِذَا هَدَيْنَاكَ، وَتَنْسَى إِذَا ذَكَّرْنَاكَ، وَتَغْبِي عَمَّا فَهَمْنَاكَ^(٧)][^(٨) فَانْتَ كَمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ قَبَطَلْتَ عِنْدَهُ هَذِهِ^(٩) الْمَوَاعِظُ^(١٠). وَأَنَا شُعْبَةُ/ مِنْ شُعْبِهِ، وَفِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِهِ، وَعَوْنٌ مِنْ أَعْوَانِهِ، وَحَدَثٌ مِنْ أَحْدَائِهِ، لَا يُعْتَمَرُ رَأْيُهُ.

لَيْلٌ رَقِيقُ الطَّرِينِ^(١١)، فَعَلَيْكَ مِنْ كُلِّ فَنٍّ بِأَحْسَنِهِ؛ لِأَنَّ الْعُمَرَ قَصِيرٌ، يَمُرُّ مَرًّا السَّحَابِ، وَيَحْتَفِئُ حَظَفَ الْبَرْقِ. وَلَيْسَ إِلَى جَمِيعِ الْعِلْمِ عَن آخِرِهِ سَبِيلٌ زَادَ رَيْعُهُ، وَتَضَاعَفَ مَقَادِيرُهُ.

(١) في هارون ٣ / ١٩، والمبرد ص ١٤، والمورد ص ١٤٧: أو تلتمس حلب لبين.

(٢) في المبرد ص ١٤: جمل.

الحائل: الناقة التي انقطع حملها سنة أو سنوات حتى تحمل. (اللسان: حيل).

(٣) انظر المثل في الحيوان: ١ / ٣٩، والمستقصى: ١ / ٢٥٦، والذرة الفاخرة: ص ١٧٨، ونشوة الطرب: ٢ / ٧٧١.

(٤) انظر المثل في مجمع الأمثال: ١ / ٣٩٨، والمستقصى: ١ / ٧٥، والذرة الفاخرة: ص ٨٠.

(٥) انظر المثل في مجمع الأمثال: ١ / ٣٩٨.

(٦) تقفناك: سوتيناك، التقاف هو ما نسوي به الزماح. (اللسان: تقف).

(٧) عبارة «وتغبي عما فهمناك» ساقطة من المبرد.

(٨) ما بين المعرفين من هارون: ٣ / ١٩، والمبرد: ص ١٤، والمورد: ص ١٤٧.

(٩) ساقطة من المبرد والمورد.

(١٠) إلى هنا انتهاء ما جاء في رسالة الحاسد والمحسود في هارون، والمبرد والمورد.

(١١) الطرينين: الحركة. (اللسان: طرب).

وَأَنَا أَحْمَىٰ أَنفَا، وَأَعَزُّ سُلْطَانًا مِن أَنْ أُطْرِفَ عَلَىٰ عَدِي^(١)، وَأَعْلَىٰ ظَلَمًا وَظُلْمَةً. عَاتِقٌ عَنِ كُلِّ خَيْرٍ، وَمَانِعٌ مِنْ كُلِّ رِفْدٍ وَفِيدٍ، وَغُلٌّ^(٢) عَنْ كُلِّ مَحْبُوبٍ. لِيَأْسُهُمُ الذَّلَّةَ، وَيُسْعَاؤُهُمُ الْمَلَقَ، وَهَجِيرُهُمْ^(٣) الْخِدَاعَ، وَقُلُوبُهُمْ تُمَزَّقُهُمْ، لَهُ خَوْلٌ^(٤) مَمْلُوءَةٌ قَدْ سَكَنَتْهَا الرَّعْبُ، وَالْفَهْمَا الذَّلُّ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي تَكْدِيرٍ وَتَنْغِيصٍ؛ خَوْفًا مِنْ سَطْوَةِ الرَّئِيسِ، وَنِكَالِ الْأَمِيرِ، وَتَغْيِيرِ الدَّوْلَةِ، وَتَضَعُّضِ الرُّتْبَةِ.

فَمَا مِنْ هَذَا نَمْرَةً اخْتِيَارِهِ، وَبَيِّنَ مَنْ نَالَ الرُّفْعَةَ بِالذَّعَةِ^(٥)، وَسَلَّمَ بِالْبَوَائِقِ^(٦)، مَعَ كَثْرَةِ الْإِثْرَاءِ، وَقَضَاءِ اللَّهِ آتٍ مِنْ غَيْرِ مَنْةٍ لِأَحَدٍ، وَلَا نِعْمَةٍ لِيَتَّيَّرَ سِوَى مَنْ هُوَ [مِنْ] ^(٧) نِعَمَ الْمُتَفَضِّلِينَ خُلِّيَ، وَمَنْ قَدْ اسْتَرْقَهَ الْمَعْرُوفَ، وَاسْتَعْبَدَهُ الطَّمَعُ، وَلَزِمَهُ ثِقَلُ الصَّنِيعَةِ، وَطَوَّقَ عُنُقَهُ الْاِمْتِنَانَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُعَرِّفْنِي فِي عَاقِبَةِ حَادِثَتِهِ مَوْحِشَةً، وَأَمْرٍ فَطِيعٍ؛ إِلَّا صُنْعًا جَبِيلًا، وَلَا كَشْفَ لِي مَسْتَوْرٍ أَمْرٍ أَلَمْ إِلَّا عَنِ عُقْمِي حَمِيدَةً. وَخَلَطْتَنِي فَمَنْ خَصَّصْتُ وَرَأَيْتُهُ مَوْضِعًا لِإِخَائِكَ؛ فَظَلَّتْ بِي كَالْكَ / وَأَمَلِي أَكْثَرَ مِنْهُ.

وَالْأَيَّامُ دَوْلٌ، وَفِي الدَّهْرِ مَهْلٌ، حَتَّىٰ إِذَا غَضَّتِ الْخُلُوقُ بِالرِّيقِ، وَبَلَّغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ؛ هَبَّتْ لَنَا رِيحُ النَّصْرِ. فَتَنَحْنُ كَالشُّوكِ فِي أَعْيُنِهِمْ، وَكَالْقَرَحِ^(٨) فِي أَكْبَادِهِمْ.

(١) أطرف على عددي: لا أثبت على أمر. (اللسان: طرف).

(٢) غل: حاد بصره عن الصواب. (اللسان: غل).

(٣) هجيرهم: الهجير: الدأب والعمادة. (اللسان: هجر).

(٤) خول: الرعاة الحفاظ للمال. (اللسان: خول).

(٥) الذعة: الحفض والسعة في العيش. (اللسان: ودع).

(٦) البوائق: البائقة هي الذاهية الشديدة. (اللسان: بوق).

(٧) زيادة يتطلبها السياق.

(٨) القرح: ألم الجراح. (اللسان: قرح).

وَلَا ذَنْبَ لَنَا إِلَّا مَا تَرَوْنَ مِنْ أَثَرِ النُّعْمَةِ عَلَيْنَا، فَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتِي تَأَخَّرَتْ فَقَدْ تَقَدَّمَتْ مَوَدَّتِي، وَإِنْ أَبْطَأْتُ بِكُتُبِي فَقَدْ طَالَ لِسَانِي بِذِكْرِكَ. فَأُوَدِّي حَقَّكَ، وَأَقْضِي حَاجَةَ الطَّرْفِ مِنْ رُؤْيِكَ.

سَهْلَ الْحَلِيقَةِ، رَجَبَ الْبَلَدَةِ، مُنْقَادَ الطَّاعَةِ، وَيُرَى مِنْ كَنَفِهِ لِينًا، وَمِنْ كَفِّهِ جُودًا [قَدْ هَتَكَ سِرْبَالَ الْمُحَاسِنَةِ، وَخَلَعَ جَلْبَابَ الْمُجَامَلَةِ] (١). وَفُلَانٌ شَاكِرٌ نِعْمَتِكَ، وَالْمَعْرُوفُ رَهْنٌ بِأَجْرِهِ، وَقَامَ بَيْنَ الْحَوَادِثِ وَحِي.

مَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ ظِلَّ عَافِيَتِهِ، وَرَأَيْتَ مُسْتَرَاحَ الْقُلُوبِ، وَمَوْضِعَ الْأُنْسِ وَالثَّقَةِ. بَدَأَ لَهُ الْحُرْمَةُ وَالنَّصِيحَةُ وَالخِدْمَةُ. وَكُلُّ حَسَنِ رَأْيَةٍ فَهُوَ يُشْبِهُكَ وَتُشْبِهُهُ، مُنْذُ تَقَيَّا عَلَيَّ ظِلُّكَ. زُلْفَةً (٢) تُدْنِيهِ، وَخَاصَّةً تُقَدِّمُهُ، وَدَالَّةً تَبْسُطُهُ، وَمَوَدَّةً تَصِلُ سَبَبَهُ. وَعَادَتُكَ الْإِفْضَالِ، وَعَادَتُنَا الْمَعَاوَدَةَ.

وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ الْكَلَامَ مَقْصُورٌ عَلَى أَهْلِ الْبَصَرَةِ، وَأَنْ لَيْسَ لِسَانِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا صَارَ إِلَيْهِمْ مِنْ فُضَالَاتِهِمْ وَمِمَّا نَقَلْتَهُ عَنْهُمْ. قَالَ عُمَرُ: «صَلَّاحُ الْمُعَانِدِ بَيْنَ السَّيْفِ وَالسُّوْطِ، وَصَلَّاحُ الْجَاهِلِ بَيْنَ التَّعْلِيمِ وَالتَّقْوِيمِ/، أَرَى فِيهِ مَخَائِلَ (٣) التَّهَامِ، وَتَبَاشِيرَ الْكَلَامِ مَعَ عِزِّ الرُّجَالِ، وَقُوَّةِ الطَّمَعِ، وَطَيْبِ نَفْسِ الْأَمَلِ».

فَلَا زِلْتَ فِي عِدَادِ مَنْ يَسْأَلُ وَيَبْحَثُ، وَلَا زِلْنَا فِي مَحَلٍّ مَنْ يَشْرَحُ وَيُوضِّحُ، مِنَ الْأُوْيَاشِ (٤) وَالْهَمَجِ (٥)، وَالرَّعَاعِ (٦)، مَنْ إِذَا عَدَا عَدَا هَامَةً، وَإِذَا رَاحَ رَاحَ نِعَامَةً.

(١) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٢) زلفة: الدرجة والمنزلة. (اللسان: زلف).

(٣) مخائل: التمهد والحفظ للشيء. (اللسان: خول).

(٤) الأوياش: الأخلاط، وهم الضروب المتفرقون. (اللسان: ويش).

(٥) الهمج: رذال الناس، وهم الأخلاط الذين لا خير فيهم. (اللسان: همج).

(٦) الرعاع: رعاع الناس سقاطهم وسفلتهم. (اللسان: رعع).

ليس عنده من المعرفة أكثر من أسجال القول بالجماعة، قد مزج له الصحيح بالمحال^(١)، فهو يدين بتقليد الرجال. فأما السراة^(٢) وأهل القدرة، ومن يوصف باللُب، ورصانة العقل، وصيانة المروءة، فمن جهل ذلك ولم يعرفه فليسَمع كلام اللّهفان والشكلان، والغضبان والغيران من قصة الصبيان، والمتعيط إذا دنا، والحلقي^(٣) إذا حمي. وإياك أن تفعل كذا حتى تقف وقفة، وتطرق ساعة، ثم تستخير الله وتستشير، وأعد حتمه^(٤)، واعرف وزنه، واشهد بطيئته، وأرح ساعته، وأشهر في الناس يومه. وإن كان ذلك عزيزاً، وكان وجود ذلك ممتعاً، ومن العادة خارجاً، ورأينا عمود الدنيا والدين إنما يعتدل في نصابه، ويقوم على أساسه، والكتاب والحساب الذين ما سبب اكتسابهما. من نزع الشفاء، وخطل السخفاء، ومفاحشة الأبدياء، ومجانبة سبل الحكماء، وتهكم المقتدرين، وأمن المغرین، من الشباب الغص والجبال الرائع، والمال الكثير، والحسب الشريف، والملح والظرف.

بلغ من فطنته وذكائه، وصحة لُبّه، وصدق حسّه، وانكشاف العواقب له، وإن لم يكن جرب الأمور، ولا فاتح الرجال، ولا قارع الخصوم، من تربية الحاضن، وتلقين الملثّن، ورياضة السائس؛ لئلا يكون لَغواً ساقطاً، ونسياً منسياً، أهل يثرب أصحاب النخيل^(٥) والإطام^(٦)، والأدب والإقدام، والصبر والمواساة، والإيثار والمحاماة من

(١) المحال: المكر والحيلة. (اللسان: حيل).

(٢) السراة: سادة القوم. (اللسان: سرر).

(٣) الحلقي: المتشائم أو المشؤوم. (اللسان: حلق).

(٤) واعد حتمه: أي يُرجى قضاؤه. (اللسان: حتم).

(٥) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٦) الأطام: القصور، وقيل الحصون المرتفعة. (اللسان: أطم).

شِدَّةَ قَلْبِهِ، وَصِرَامَةَ رَأْيِهِ، وَقُوَّةَ عَزْمِهِ، وَقَلَّةَ وَحْشِيَّتِهِ، وَيُمْنِ بَرَكِيَّتِهِ وَشِدَّةَ شَكِيمَتِهِ، وَصِدْقَ نِيَّتِهِ.

وَحَدَّثَهُ أَطْوَى لِسِرِّهِ، وَأَمَلَكْتَ لِعَنَانِ حَدِيثِهِ. دَلَّ عَلَيْهِ شَرَفُ هَذِهِ الصُّحْبَةِ، وَمَوْقِعُ هَذِهِ الْخَاصَّةِ، وَتُبِّلُ هَذِهِ الْمُرَافَقَةَ، وَسَنَا هَذِهِ الثَّقَةَ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا تَكْفَأَتْ^(١) بِأَهْلِهَا فِي عَهْدِهِ، وَمَا جَتَ^(٢) بِسَاكِنِيهَا، وَقَدَاعَتْ مِنْ أَقْطَارِهَا. جِئْتَنِي بِجِهَارٍ وَحْشِي وَأَزْدَتَ أَنْ يُهْمَلِجَ^(٣) تَحْتِ رَاكِبِهِ.

إِذْ أَوْجَعَ لَهُ الضَّرْبَةَ الرَّاحِدَةَ مَلَأَ صَدْرَهُ خَوْفَ التَّضَاعِيفِ، رَأَيْتَهُ جَيِّدَ قَالِبِ الرَّأْسِ، صَاحِبِ النَّظَرِ، سَاكِنِ الطَّرْفِ. وَالرَّأْسُ أَمِيرُ الْجَسَدِ، وَجُتَمَعُ آلَةِ الْبَدَنِ، وَفِيهِ الْحَوَاسُ الْخَمْسُ.

قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ دَاوُدَ^(٤) أَكْثَرَ النَّاسِ دَمَعَةً عَلَى خَطِيئَتِهِ^(٥)؛ فَلَمْ يَذْهَبْ / بَصْرُهُ كَذَهَابِ بَصْرِ يَعْقُوبَ^(٦)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالتَّدْبِيرِ فِي ذَلِكَ.

(١) تكفأت: اكفأ الشيء أماله. (اللسان: كفا).

(٢) ماجت: اضطربت. (اللسان: موج).

(٣) يهملج: الهملجة السير في سرعة وتبخر. (اللسان: هملج).

(٤) هو سيدنا داوود عليه السلام، وصفه الله تعالى في القرآن ﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

(انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ١ / ٥١).

(٥) جاء في البستان الجامع: ص ٧٢ «بكى داود على خطيئته أربعين يوماً».

(٦) سُئِلَ يَعْقُوبُ: مَا الَّذِي أَذْهَبَ بِبَصْرِكَ؟ فَقَالَ: الْبُكَاءُ عَلَى يَوْسُفَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: «أَمَا تَسْتَحْيِي، تَشْكُونِي إِلَى عَبْدِي»، فَقَالَ: «يَا رَبِّ ارْحَمِ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ، أَذْهَبَتْ بَصْرِي وَقَوَسَتْ ظَهْرِي، ارْجِعْ عَلَيَّ رِيحَانَتِي يَوْسُفَ، أَسْمَهُ ثُمَّ افْعَلْ بِي مَا شِئْتَ».

(انظر: التتوخي، الفرج بعد الشدة: ص ٣٢٧).

تَمَرُّبِهِ الْأَيَّامُ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا فَتَبْلِي بِهِ الْأَيَّامُ وَهُوَ جَدِيدٌ^(١)

الأَرْضُ وَإِنْ كَانَتْ حُرَّةً^(٢)، وَالْفَرَسُ وَإِنْ كَانَ كَرِيماً، وَالزَّمَانُ^(٣) وَإِنْ كَانَ مُعْتَدِلاً، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَعَهُدٍ. لَا يُتَفَعُّ بِالْمَاءِ السَّاكِنِ فِي الْأَرْضِ، وَلَا بِالذَّهَبِ مَا لَمْ يُسْتَخْرَجْ، وَلَا بِالْعِلْمِ مَا دَامَ مَكْتُوباً. وَلَسْنَا بِمَنْ يَمِيلُ فِي شِقِّ عَنِ شِقِّ، وَيَتَعَصَّبُ لِبَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ، وَالْمُبْتَدِئُ فِي كَذَا أَحَقُّ بِتَرْوَعِ الْجِدْتَانِ، وَحَوَادِثِ الْأَزْمَانِ.

فَمَنْ قَدْ جَرَّبَ عَادَةَ الدَّهْرِ عَلَيْهِ، وَسِيرَةَ الْأَيَّامِ. كَلَامٌ رَكِيكٌ، وَسَخِيفٌ ضَعِيفٌ. وَفِيهِ مَا يَضَارِعُ الْعُجْمَةَ، وَيُنَاسِبُ الضَّعْفَ. اسْتَخْرَجَ مَكْتُونٌ مِحْتَهُ بِلَيْنِ اللِّسَانِ فَإِنَّهُ يَدُلُّ لَكَ.

حِينَ مَرِضَ شَكَى شَوْقاً، إِلَيْهِ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فِي مَعْدِنِ الصِّحَّةِ، وَفِي جَوْهَرِ الصِّدْقِ، وَنِصَابِ السَّلَامَةِ وَالْبِرَاءَةِ. وَلَوْ تَرَكُوا وَضَعْفِ الْحَيْلَةِ، وَقِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ، وَعَلْيَةِ الشَّهْوَةِ، وَتَسْلِيطِ الطَّبِيعَةِ مَعَ الْجَهْلِ بِالْعَاقِبَةِ، لَأْتَتْ عَلَيْهِمُ الْبَلَايَا وَأَضْنَاهُمْ الْخَطَأَ، وَلَا جَهَزَ عَلَيْهِمُ الْخَبْطَ، وَلَتَوَكَّدَتِ الْأَدْوَاءُ، وَتَرَادَفَتِ الْأَسْقَامُ، حَتَّى تَصِيرَ مَنَایَا قَاتِلَةً، وَخُتُوفاً مُتَلِفَةً.

نَحْتَاجُ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْأَعْلَامِ، وَالْأَعَاجِيبِ وَالذَّلَائِلِ، إِلَى الْقَاهِرِ لِلْعُقُولِ/، وَالْوَاضِحِ الَّذِي يُشَهِّرُ مِثْلَهُ فِي الْأَفَاقِ، وَيَسْتَفِيضُ فِي الْأَطْرَافِ، حَتَّى يُصِدِّعَ عَقْلَ الْغَيْبِيِّ، وَيُفَيِّقَ طَبَعَ الْغَافِلِ، وَيَنْقُضَ عَزَمَ الْمُعَانِدِ بُنْيَةَ مِنْ طَوْلِ الرَّقْدَةِ. وَتَخْضَعُ الرَّقَابُ،

(١) البيت لأبي يعقوب الأعرور، وورد البيت في البيان والتبيين: ١ / ١٥٥، ٣ / ٢٠٢.

(٢) الأرض الحرة: الطيبة. (اللسان: حرر).

(٣) في الأصل (الزمان) وهو تحريف.

وَتَضَرَّعُ الْخُدُودَ، حَتَّى تَوَاضَعَ لَهُ كُلُّ شَرِيفٍ، وَيَنْجَعُ^(١) لَهُ كُلُّ آيَفٍ، لِمَا كَانَ فِيهِ دَفْعُ الْعَادَةِ، وَتَقْضُ التَّرْكِيبَ.

عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لَانْكَشَفَ قِنَاعُهُ، وَبَدَا خَبْرُهُ، بِدَلَالَةِ تَهَرُّ السَّمْعِ، وَتَبَهَّرُ الْعُقُولَ، الْمُرْجِيُّ^(٢) مَعَ نَصْبِهِ، وَالْعِثْمَانِيُّ^(٣) مَعَ عِدَاوَتِهِ، وَالْحِشْوِيُّ^(٤) مَعَ غَثَائِهِ^(٥)، وَالْغَالِي^(٦) مَعَ إِفْرَاطِهِ، وَالْمُعْتَرِيُّ مَعَ إِنْكَارِهِ، وَالنَّابِئِيُّ مَعَ تَقْصِيرِهِ، وَالْخَارِجِيُّ مَعَ تَكْفِيرِهِ.

الْغَضْبَانُ السَّفِيهُ الصَّبِيُّ الصَّدْرُ، إِنَّ ذَهَبَتْ لِي إِدْخَالِ الْغَيْظِ تَصَوَّرَ فِي كُلِّ صُورَةٍ، وَأَضْحَكَ التُّكْلَانَ الْغَضْبَانَ. هُوَ مَرْفُوعٌ بِأَوْضَاحٍ تُقَالُ ذَلِكَ لِلْأَرْضِ. وَلَيْسَ

(١) يَنْجَعُ: يَنْفَعُ. (اللِّسَانُ: نَجَعُ).

(٢) الْمَرْجِيَّةُ: سَمِيَتْ بِهَذَا الْاسْمِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُؤَخِّرُونَ الْعَمَلَ عَنِ النِّيَّةِ وَالْعَقْدِ، وَيَقُولُونَ الْإِيمَانَ قَوْلَ بِلَا عَمَلٍ، كَأَنَّهُمْ قَدَّمُوا الْقَوْلَ وَأَرْجَأُوا الْعَمَلَ، وَكَانُوا يَقُولُونَ لَا تَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ مَعْصِيَةٌ، وَلَا تَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ، وَقَالُوا بِتَأْخِيرِ حُكْمِ صَاحِبِ الْكِبَرِيَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَفَلَا يَقْضِي عَلَيْهِ بِحُكْمِ مَا فِي الدُّنْيَا؛ مِنْ كَوْنِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ أَصْنَافٌ: مَرْجِيَّةُ الْخَوَارِجِ، وَمَرْجِيَّةُ الْقُدْرِيَّةِ، وَمَرْجِيَّةُ الْجَبْرِيَّةِ، وَالْمَرْجِيَّةُ الْخَالِصَةُ.

(انظُر: الشَّهْرِسْتَانِي، الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ: ١ / ٦٠).

(٣) الْعِثْمَانِيُّ: نِسْبَةٌ إِلَى الْعِثْمَانِيَّةِ.

(٤) الْحِشْوِيُّ: نِسْبَةٌ إِلَى الْحِشْوِيَّةِ وَهِيَ أَرَاذِلُ النَّاسِ. (اللِّسَانُ: حِشْوِي).

(٥) غَثَائِهِ: رِوَايَةٌ وَسُوءُ خَلْقِهِ وَحَالِهِ. (اللِّسَانُ: غَثَّ).

(٦) الْغَالِيَةُ: هُوَ الْغَالِيُّ الَّذِي غَلَا فِي حَقِّ أَقْنَمَتِهِمْ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنْ حُدُودِ الْخَلِيقَةِ، وَحَكَمُوا فِيهِمْ بِأَحْكَامِ الْإِلَهِيَّةِ، فَرَبَّمَا شَبَّهُوا وَاحِدًا نَتِ الْأُمَّةِ بِالْإِلَهِ، وَرَبَّمَا شَبَّهُوا الْإِلَهِ بِالْخَلْقِ، وَمِنْ مَبَادِئِهِمُ: التَّشْبِيهِ وَالرَّجْعَةَ وَالتَّنَاسُخَ، وَهِيَ أَحَدُ عَشْرٍ صِنْفًا: السَّبَائِيَّةُ، الْكَامِلِيَّةُ، الْعَلْبَائِيَّةُ، الْمُغْبِرِيَّةُ، الْمَنْصُورِيَّةُ، الْخَطَّابِيَّةُ، الْكِيَالِيَّةُ، الْمَهْشَامِيَّةُ، التَّنْمَانِيَّةُ، الْيُونِسِيَّةُ، وَالنَّصِيرِيَّةُ.

(انظُر: الشَّهْرِسْتَانِي، الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ: ١ / ٧٤ - ٨٠).

في الأرضِ بَلَدٌ تَنَالَهُ الْأَخْفَافُ^(١) وَالْحَوَافِرُ^(٢)؛ إِلَّا وَهُوَ مَأخُودٌ عَنَوَةٌ، أَوْ صُلْحًا عَلَى إِعْطَاءِ الْحَرْبَةِ. لَمْ يَبْقَ السَّاعَةَ إِلَّا مَنْ اعْتَصَمَ بِرُؤُوسِ الْجِبَالِ، وَجَجَّ فِي الْبِحَارِ، وَدَخَلَ فِي الْوَعُولِ^(٣) وَالْأُدْغَالِ^(٤) مِنَ الزُّهَادِ وَالنُّسَاكِ، ثُمَّ مِنَ الْمُفَوِّهِينَ الْبُلْغَاءِ، مِنْ شِدَّةِ مَسِّهِ، وَقُوَّةِ غَضَبِهِ، وَتَوْتِيرِ نَسَاهِ^(٥).

كُنْتُ الْقَارِحَ فِي الصُّغَرِ وَالسَّائِلِ؛ فَلَمَّا عَقَلْتُ احْتَجْتُ لِي أَنْ تَسْتَوِيَ فَمَا أَجَابْتَنِي / طَبِيعَتِي، وَلَا أَطَاعَتِي تِلْكَ الْجَوَارِحُ إِلَّا بِشَلَّةِ اسْتِكْرَاهِ.

وَكَانَ رَئِيسَ أَصْحَابِ الْمِضْمَارِ وَالْكَلَامِ وَمُحَاسِبَةَ النُّفُوسِ، وَابْتِغَاءَ الْبَلِغِ بِالسَّرِّ، وَتَقْدِيمِ الْفُضُولِ، وَنَفْيِ الْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَالرِّيَاءِ وَالْحَيْلَاءِ، يَتَّصِفُ بِالزُّهْدِ، وَيَلْبَسُ الصُّوفَ، وَيَتَكَلَّمُ فِي الْمِضْمَارِ، وَفِي الْوَسْوَاسِ، وَالْإِخْلَاصِ، وَفِي تَصْفِيَةِ الْأَعْمَالِ.

كَانَ لَهُ فِي كُلِّ نِيَمٍ حَرْبٌ، أَسِيرٌ يَأْخُذُهُ مِنْ صَفِّ عَدُوِّهِ عَنَوَةٌ، فَأَمَّا إِذَا تَرَكَ الطَّبِيعَةَ وَسَوْفَهَا وَسَجِيَّتَهَا، فَإِنَّمَا يَدْفَعُ النَّفْسَ فِي بَحَارِ الْخَوْفِ، وَيَجْلِبُ رُوحَ النَّسِيمِ، سَاعَةً مِنَ الْمِنْخَرِ الْأَيْمَنِ وَسَاعَةً مِنَ الْمِنْخَرِ الْأَيْسَرِ.

أَصَابُهُمْ رَيْبُ الزَّمَانِ الْأَعْوَجِ، وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ أَشْمَرٌ^(٦) أَعْسَرَ بَيْرِ، وَلَا أَشْمَرَ أَيْمَنِ، وَلَيْسَتْ هُنَاكَ مُعَانَاةٌ، لِأَنَّ الْكِفَايَةَ هُنَاكَ تَامَّةٌ، كَائِنَتْ عَلَى الْمَوَاقِفَةِ، وَعَلَى تَمَامِ

(١) الأخفاف: الإبل.

(٢) الحوافر: الخيول.

(٣) الوعول: الملاجم. (اللسان: وعل).

(٤) الأدغال: بطون الأرض والوطاء منها. (اللسان: دغل).

(٥) توتير: اشتد. (اللسان: وتر).

نساه: عروقه. (اللسان: نسي).

(٦) أشمر: المختال في مشبه. (اللسان: شمر).

النِّعْمَةُ. عَبْدُهُمْ، وَصَبِي جَشِيعٌ، وَأُمَّةٌ لِكَمَاءِ^(١)، وَزَوْجَةٌ خَرْقَاءُ.

ولا يجوز أن يستوي في نفس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، وخطير المركوب، والتاعم من كل فن، واللباب من كل شكل، التابع والمتبوع. كما لا تستوي مواضعهم في المجالس، ومواقع أسمائهم في العنوانات، وما يلاقون في التحيات. ظنّه خير من ظنّه. وهذا كله مجتمّع في مسك البخيل، ومصوب على هامة الشحيح / .

ولقد سرى إليك عرق، ولقد دخل أعرافك خور، ولقد عمّل فيها قارج، ولقد غالما غول. وكعب بن مامة وقد جاد بحويائه^(٢) عند المصافنة^(٣). خطيب ثابت الجنان، رطب اللسان، مجتمّع القلب وقاح^(٤).

المنيا آفات الآمال. من قامت أخلاطه على اعتدال، وتكافأت خواطره في الوزن؛ لم يعرف من الأعمال إلا الاقتصار. اعلم أنه في مسك مسكين، وإن كان في

(١) لكماء: حقاء. (اللسان: لکم).

(٢) الكلمة غير واضحة في الأصل، ولعل الصواب ما أثبت.

الحويائه: النفس. (اللسان: حوب).

(٣) المصافنة: طرح حصاة في القعب ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة (اللسان: صفن). يعد كعب بن مامة أجود من حاتم الطائي، لأن كعباً بذل النفس حتى أعطبه الكرم، فخرج مع ركب فيهم رجلاً من النمر بن قاسط في يوم شديد الحر، فسلوا وعطشوا، فتصافنوا ماءهم، فالضفت كعب إلى النمري فأثره بيائه، وقال للسامي: استي أخاك النمري، فشرّب نصيب كعب في ذلك اليوم، ثم نزلوا منزلاً آخر فتصافنوا بقية ماءهم، فنظر النمري إلى كعب، فقال له كقول أمس، وارنحل القوم وقالوا ارنحل يا كعب، فلم يكن به قوة للنهوض، وكانوا قد قربوا من الماء، فقبل رد يا كعب، فعجز عن الجواب، ثم مات.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ١٠٧ / ٢، والثعالبي، نهار القلوب: ص ١٢٦).

(٤) وقاح: صبور. (اللسان: وقع).

ثِيَابِ جَبَّارٍ، وَرَوْحُهُ بَذْلٌ، وَإِنْ كَانَ فِي جُرْمِ مَلِكٍ. يَتَجَرَّعُ مَرَارَ الْعَيْشِ، وَيَشْرَبُ بِكَأْسِ
الذَّلِّ. شُكْرُ الْغَنِيِّ مُنِيَّةُ الْمُسْتَأْكِلِينَ، وَهَزْرَةُ الْحَدَّاعِينَ، لَا يَرْضَى بِحَطِّ النَّائِمِ، وَبِعَيْشِ
الْبَهَائِمِ.

فَمِنْ أَيْنَ أَنِي؟ أَمِنْ عَمِّي لِسَانَ، أَمْ مِنْ قِلَّةِ مَعْرِفَةٍ، وَضَعِيفِ يُجْبِرُهُ، أَمْ مِنْ جُبْنِ
قَلْبٍ، وَشِدَّةِ هَيْبَةٍ، أَمْ مِنْ خَوَرٍ فِي الْعِرْقِ، أَمْ مِنْ فَسَادٍ فِي الطَّيْنَةِ، أَمْ مِنْ خُبثٍ فِي الْمُنْشَأِ
وَالْعَادَةِ، أَمْ مِنْ قِلَّةِ مُمَارَسَةِ الْحَرْبِ، وَمُقَارَعَةِ لِلْأَبْطَالِ، وَمُعَاوَدَةِ الْقِتَالِ؟

وَهَلْ رُبِّي إِلَّا فِيهَا؟ وَهَلْ تَبَّتْ لِحْمُهُ إِلَّا عَلَيْهَا؟ فِي تَعْرِفِ الشَّرِيعَةِ مِنَ السَّنَةِ،
وَالْحَظْرِ مِنَ الْإِبَاحَةِ، وَالْفَرْضِ مِنَ النَّافِلَةِ، وَالاجْتِنَاعِ مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالشُّدُوذِ مِنَ
الِاسْتِفَاضَةِ^(١)، وَالرَّدِّ مِنَ الْمَعَارَضَةِ. مَنْ لَمْ يَلْزَمْ الْجَادَّةَ خَبَطَ^(٢)، وَمَنْ تَنَاوَلَ الْفِرْعَ قَبْلَ
إِحْكَامِ الْأَصْلِ سَقَطَ. أَيْسَ مِنْ طَرِيقٍ / هَتَكَ السِّتْرَ وَكَشَفَ الْعَوْرَةَ.

لَوْ قَرَأْتَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ سُورَةَ وَاحِدَةً؛ لَتَيَّنَّ لَهُ فِي نَظْمِهَا، وَفِي تَحْرَجِهَا،
وَفِي لَفْظِهَا وَطَابِعِهَا، وَوَضْعِهَا الْعَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا، أَقْطَعَ الْقَيْلَ وَالْقَالَ، وَأَجْدَرَ أَنْ تُمَيَّتَ
الْخِلَافَ، وَتَحْسِمَ الطَّيْبَةَ.

لَمْ يَجِدْ مِنَ السُّرُورِ إِلَّا مَا بَاشَرَ بِهِ حَوَاسَّهُ، وَمَسَّهُ جَارُهُ. عَلَى أَلْبَسَةِ الْعَوَامِّ
وَالدَّهْمَاءِ، وَمِنْ قُلُوبِ الْحُكَمَاءِ وَالغَوْغَاءِ^(٣). عَوَاقِبُ الْأُمُورِ وَمَا تُجِيءُ بِهِ الدُّهُورُ.

وَفَضْلُ لَذَّةِ الْقَلْبِ عَلَى لَذَّةِ الْبَدَنِ؛ عَلَى أَنَا^(٤) لَمْ تَرَ سَيِّفًا مَشْهُورًا، وَلَا صَرَبَ

(١) الاستفاضة: السير بسرعة، ولا يكون إلا عن تفرق وجمع. (اللسان: فيض).

(٢) خبط: سار فيه على غير هدى. (اللسان: خبط).

(٣) الغوغاء: الجراد يخف للطيَّران، واستعبر للسفلة من الناس والمتسرعين إلى الشر. (اللسان: غوغ).

(٤) في الأصل (أته)، ووضعنا (أنا) لتناسب ما بعدها.

صَرِيًّا كَثِيرًا. وَمَا صَرَبَ إِلَّا ثَلَاثِينَ سَوَطًا مَقْطُوعَةَ الثَّمَارِ^(١)، مُشَعَّةٌ^(٢) الْأَطْرَافِ،
فَأَفْصَحَ بِالْإِقْرَارِ. لَا يُفْضُ خِتَامَ سِرِّي. وَالتَّكَلُّمُونَ الْمُحْصَلُونَ، وَالتُّصَفِّحُونَ وَالمُمَيِّزُونَ،
وَالتَّنْظَارُونَ الَّذِينَ لَا يُقَلِّدُونَ.

فَمَنْ نَظَرَ وَبَاخَتْ وَقَابَلَ وَوَازَنَ وَنَاطَرَ وَجَانَى أَحَقُّ بِالْحِجَّةِ. وَهَذِهِ سَمَرُ:

* نَشَاتُ فِي حِجْرِ أُمِّ الزَّمَانِ * (٣)

ظَلَامُ الشُّكِّ لَا يَجْلُوهُ إِلَّا مِصْبَاحُ الْيَقِينِ. هُمُ أَصْحُ بُنْيَةٍ، وَأَطْيَبُ طَعْمًا^(٤)،
وَأَصْدَقُ رِزْعًا، وَأَقْلُّ رِيَاءً، وَأَدْرَمُ طَرِيقَةً، وَأَبْذَلُ مُهْجَةً، وَأَقْلُّ جَمْعًا وَمَنْعًا، وَأَظْهَرُ
جَهْدًا وَزُهْدًا.

أَنْصَحُ النَّاسَ جِيًّا^(٥)، وَأُبَيِّئُهُمْ رَأْيًا، وَأَشُدُّهُمْ احْتِرَاسًا، وَأَبْعُدُهُمْ غَوْرًا، وَأَقْوَاهِمُ
عَزْمًا. رَجَعَ عَنْهُ، عَلَى رُؤُوسِ الْإِشْهَادِ، وَبِخَضْرَى الْأَشْكَالِ^(٦) وَالْأَصْدَادِ/.

فَمَا نَادَاهُ النَّاسُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَّا شَرْفًا، وَإِلَّا فَخَامَةً وَتُبْلًا، حَتَّى جَعَلُوهُ قُدْوَةً
وَمَثَلًا. صَارَ إِمَامًا مُتَّبِعًا. وَمَنْ أَعْجَزُ رَأْيًا مِمَّنْ رَعِمَ أَنْ أَبَا بَكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ سَمَرِهِ^(٧)، وَأَنْ

(١) الثمار: أطراف السوط. (اللسان: ثمر).

(٢) مشعثة: مفرقة. (اللسان، شعث).

(٣) عجز البيت لأبي نواس، وصدوره:

فَقَرَّبْتُ بِصَرْفِ عِقَارِ

(انظر: ديوان أبي نواس: ص ٣٢٦).

(٤) في الأصل (طعم)، خطأ نحوي.

(٥) جيا: الجيب: القلب والصدر. (اللسان: جيب).

(٦) الأشكال: الشكل: المثل والشبه. (اللسان: شكل).

(٧) سمرة: ابن جندب بن هلال الفزاري، من علماء الصحابة، نزل البصرة وله أحاديث صالحة، كان
عظيم الأمانة، صدوقاً، كان شديداً على الخوارج، وقتل منهم جماعة، كان زياد بن أبيه يستخلفه =

سَحْبَانَ أَحْطَبُ مِنْ بَاقِلٍ، وَأَنْ زِيَادًا أَدَهُ مِنْ هَبْتَقَةٍ^(١)، وَأَنَّ جَالِينُوسَ^(٢) أَطَبُّ مِنْ دَانِيَالٍ^(٣)(٤).

وَالْبِدْعُ وَإِنْ كَانَتْ مَقَاتِلُهَا بَادِيَةً، وَمَسَاوِئُهَا ظَاهِرَةً، فَلَيْسَ يُبَصِّرُهَا كُلُّ مَنْ

= عل البصرة إذا سار إلى الكوفة، ويستخلفه على الكوفة إذا سار إلى البصرة، مات سنة (٥٨هـ).

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢ / ٥٥٤، ابن حجر، الإصابة: ٣ / ١٥٠، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٥٧، والذهبي، وابن سعد، كتاب الطبقات: ٦ / ٢٠٥، سير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٣١، والذهبي، المعبر: ٤٧).

(١) في الأصل (هسهه) دون [عجم].

هبتقة: هو يزيد بن ثروان القيسي، كان أحمق بني قيس بن ثعلبة، وكان يضرب به المثل في الحمق، لقب بندي الودعات، ومن حمقه أنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخرز، وهو ذو حلية طويلة، فسئل عن ذلك فقال: لأعرف بها نفسي ولئلا أضل، قبات ذات ليلة وأخذ أخوه قلادته فتفلدها، فلما أصبح ورأى القلادة في عنق أخيه فقال: يا أخي، أنت أنا، فمن أنا؟ (انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١ / ٣٤٩، والثعالبي، ثمار القلوب: ص ١٤٣، وحمزة الأصفهاني، الدرر الفاخرة: ص ٧٢، وابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين: ص ٥١).

(٢) جالينوس: إمام الأطباء في عصره، ورئيس الطبيعيين في وقته، وهو من أهل مدينة فرغاموس من أرض اليونان، برع في الطب والفلسفة وهو ابن سبع عشرة سنة، لم يسبقه أحد إلى علم التشريح، ألف فيه سبع عشرة مقالة.

(انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: ص ٩٥، وابن نباتة، سرح العيون: ص ٢١٨ - ٢١٩، والقفطي، تاريخ الحكماء: ٨٥).

(٣) في الأصل (دييار) وهو نصيف، ولعلّه دانيال المتطبّب، متوسط العلم، له إنسة بالمعالجة، وكانت فيه غفلة.

(انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: ص ٢٩٥).

(٤) هكذا جاءت الفقرة في الأصل، ولعلّها عكس المقصود.

طَلَبَهَا، وَلِكُلِّ حَرْبٍ رِجَالٌ^(١)، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ^(٢)، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

تَرَى هُنَاكَ خُشُوعًا وَانْحِنَاءً، وَانكِسَارًا وَصَمْتًا، وَاصْفِرَارَ لَوْنٍ، وَهُزَالَ بَدَنٍ، قَدْ دُقَّتْ عُنُقُهُ، وَتَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، وَأَكَلَتْ الْأَرْضُ جَبْهَتَهُ، وَاشْتَدَّ خُشُوعُهُ، وَطَالَ صَمْتُهُ، وَقَلَّتْ فُضُولُهُ.

كَانَ يَتَكَلَّمُ فِي الْمِضْمَارِ، وَفِي الْعُجْبِ وَالْحَيْلَاءِ، وَفِي الزِّيَاءِ وَالْوَسْوَاسِ، وَالتَّحْفُظِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمَكَائِدِهِ. أَنْتُمْ الْمُتَكَلِّمُونَ وَالْمُمَيِّزُونَ، وَنَحْنُ عِنْدَكُمْ بَيْنَ رَافِضِي صَاحِبِ الْهَلَامِ، وَتَقْلِيدِ الْإِمَامِ، وَبَيْنَ حَشَوِي أُعْثَرٍ، وَحَدِيثِي^(٣) أَبْلَهَ، وَقَدْ أَكْفَرَ يَمُوتَانَا^(٤)، وَإِكْفَارُ أَهْلِ الصَّلَاةِ قَسْوَةٌ وَبِدْعَةٌ، وَوَضَعْتُمُ الْمِحْنَةَ، وَالْمِحْنَةُ خَارِجِيَةٌ وَفِتْنَةٌ، وَقَدْ تُهَيِّنَا عَنِ التَّجَسُّسِ، وَأَمْرِنَا بِسِتْرِ الْعَوْرَةِ.

(١) يقال في المثل «لكل دهر رجال».

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ١ / ٢٠١، والميداني، مجمع الأمثال: ٣ / ١٣٣، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣ / ٧٨).

(٢) أي أن لكل أمر أو فعل أو كلام موضعاً لا يوضع في غيره.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ١ / ٢٠١، والميداني، مجمع الأمثال: ٣ / ١٣٠، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣ / ٧٨، والأبشيهي، المستطرف: ١ / ١٠٥، والغزوي، الدمشقي، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن: ٢ / ٤٤٨).

(٣) الحديثية: أصحاب الفضل الحديثي، كان من أصحاب النظم، ومن مبادئها: أولاً: إثبات حكم من أحكام الإلهية في المسيح موافقة للنصارى في اعتقادهم أنه هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة، وثانياً: القول بالتناسخ وزعم أن الله تعالى أبدع خلقه أصحاء سالمين عقلاء بالغين في دار سوى هذه الدار التي هم فيها اليوم، وخلق فيها معرفته وأسبغ عليهم نعمته، وثالثاً: رؤية الباري.

(انظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ١ / ٢٧).

(٤) يموتان: هو يموت بن المزرع، ابن أخت الجاحظ.

ولا يَسْمَعُ لِأَحَدٍ كَصِيرِهِ، ولا كَجَلَمِهِ، ولا كَوَفَائِهِ، ولا كَزُهْدِهِ، ولا كَجُودِهِ،
ولا كَنَجْدَتِهِ، ولا كَصِدْقِ لَهْجَتِهِ،/ وَكَرَمِ عِشْرَتِهِ، ولا كَتَوَاضُعِهِ، ولا كَعِلْمِهِ، ولا
كحِفْظِهِ، ولا كَصَمْتِهِ إِذَا صَمَتَ، ولا كَقَوْلِهِ إِذَا قَالَ، ولا كِقَلْبِهِ تَلَوْنَهُ، ولا كَدَوَامِ
طَرِيقَتِهِ، ولا كَعَفْوِهِ، وَقَلْبِهِ امْتِنَاعِهِ، ولا حَاصِ (١) مِنْ عَدُوِّ، ولا هَابِ حَرْبًا.

كَامِلُ النَّجْدَةِ، تَأْمُّ الْحِلْمِ، لَمْ يَتْرِكْ عَيْنًا (٢)، ولا دِرْهَمًا ولا دِينَارًا، ولا بَنِي دَارًا،
ولا شَيْدَ قَصْرًا، ولا غَرَسَ نَخْلًا، ولا شَقَّ تَهْرًا، ولا اسْتَبَطَّ عَيْنًا. يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ،
وَيُجَالِسُ الْمَسَاكِينَ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ، وَيَتَوَسَّدُ بِنَهْ، ولا يَأْكُلُ مُتَكِنًا، ولا يَبْرِي
صَاحِبًا مِلا فِيهِ.

أَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَوْثَقُهُمْ عُقْدَةً، أَطْوَعُ لِي مِنْ كَفِي، وَأَذَلُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلِي. لا
يَعْرِفُ إِلَّا الصَّوْمَ وَالصَّلَاةَ وَالْمُصْحَفَ، وَالرِّبَاطَ وَالْكَلامَ فِي الزُّهْدِ، وَالذَّرَجَاتِ مِنَ
الدَّلِيلِ، عَلَى أَنَّ الْعُقُولَ تُحْتَاجُ إِلَى الْمَادَّةِ، وَالطَّبَائِعَ إِلَى الْقَمْعِ، وَالشَّهَوَاتِ إِلَى الْمُدَارَاةِ،
وَالنُّفُوسَ إِلَى التَّعْدِيلِ كَذَا وَكَذَا.

إِنَّمَا يَعْرِفُ الْكَلَامَ فِي الْأَدْيَانِ، مَنْ قَدْ صَلَّى بِهِ، وَبِحِمَمِهِ (٣)، وَسَدَّكَ فِي مَضَائِقِهِ،
وَكَادَحَ الْأَضْدَادِ، وَنَازَعَ الْأَكْفَاءِ. وَإِذَا بَانَ مِنْكَ أَحْوَكُ فَقَدْ بَانَ مِنْكَ شَطْرُكَ، وَإِذَا اعْتَلَّ
خَلِيلُكَ فَقَدْ اعْتَلَّ بَعْضُكَ.

فَتَسْأَلُكَ عَنِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَالنَّقِيرِ (٤) وَالْقَطْمِيرِ (٥). نَظَرَ إِلَى الْعَوَاقِبِ قَبْلَ
وَقُوعِهَا،/ وَإِلَى الْحَوَادِثِ قَبْلَ شُرُوعِهَا، فَعَلِمَ أَنَّ الْمَالَ فَإِنْ فَبَدَّلَهُ، وَإِنَّ الشَّاءَ بَاقِي فَاتَّرَهُ.

(١) حاص: هرب وانهمز. (اللسان: حوص).

(٢) عينًا: العين: النقد. (اللسان: عين).

(٣) في الأصل (بحممه)، وهو تصحيف.

(٤) النقير: النكتة في ظهر النواة منها تبت النخلة. (اللسان: نقر).

(٥) القطمير: القشرة الرقيقة بين النواة والتمر، أو شق النواة، أو القشرة التي فيها. (اللسان: قطمر).

وَكُنْتُ أَنَا وَالصَّبْحُ فَرَسِي رِهَان. سَنَّهُ جَرَدَت^(١)، وَأَيْدٍ جَمَدَتْ، وَحَالٍ جَهَدَتْ. وَالْمُعْلَمُونَ أَشَقَىٰ بِالصَّبِيَانِ مِنْ رُعَاةِ الضَّأْنِ، وَرَوَاضِ الْمِهَارَةِ^(٢). وَمَتَىٰ لَمْ يَرْعَهُمُ السَّوْطُ، وَيَنْهَهُمُ السَّيْفُ، فَالْأَمْرُ هَرَج^(٣)، وَالْفَسَادُ شَامِلٌ، وَالْحَرْبُ رَاكِدَةٌ، وَالْفِتْنُ شَائِعَةٌ، وَالْأَمْرُ مُضَاعٌ، وَالْحَقُّ مَقْمُوعٌ، وَمَنْ عَزَّ بَزًّا^(٤)، وَمَنْ قَلَّ أَكَلٌ، وَمَنْ ظَهَرَ قَتْلٌ. وَالرَّيْسُ مَا لَمْ يَذُدَّ عَنِ حَوْضِهِ، وَيُهَامَ عَنِ قَوْمِهِ، فَمَسْلُوبٌ مَقْلُوبٌ^(٥)، وَشَلُوبٌ^(٦) مَاكُولٌ.

وما ذاك إلا كَمَن التَّمَسَّ الزِّيَادَةَ فِي الْغَايَةِ، وَأَمَدَّ الْبَحْرَ بِالْقَطْرَةِ. سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عَوْنٍ^(٧) عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: عَلَى الْحَبِيرِ سَقَطَتْ، سَأَلْتُ عَنْهَا فَلَانًا، فَقَالَ: لَا أَدْرِي.

وَأَنْصَحُ النَّاسَ جَيِّبًا، وَأَيِّنُهُمْ رَأِيًا، وَأَشَدَّهُمْ احْتِرَاسًا، وَأَبْعَدَهُمْ غَوْرًا، وَأَقْوَاهُمْ عَزْمًا، حِينَ رَأَى اخْتِلَافَ الْقُلُوبِ، وَانْتِشَارَ الْأُمُورِ، وَتُقْصَانِ الْبَصَائِرِ، وَالرُّكُونَ إِلَى الرَّاحَةِ. فَطَمَعٌ أَنْ تَكُونَ عِظْتَهُ وَتَقْرِيعَهُ، وَتَعْيِيرَهُ وَتَعْرِيفَهُ وَتَحْوِيفَهُ.

(١) جردت: أجملت. (اللسان: جرد).

(٢) المهارة: جمع مهر، وهو ولد الفرس. (اللسان: مهر).

(٣) هرج: مختلط. (اللسان، هرج).

(٤) عزَّ: غلب. (اللسان: عزز).

بزَّ: سلب. (اللسان: بز).

انظر المثل في مجمع الأمثال: ٣/٣٠٣، وإتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن: ٢/٦٠٣.

(٥) مفلول: مهزوم. (اللسان: فلول).

(٦) شلوب: القطعة من اللحم لأنها بقية منه. (اللسان: شلا).

(٧) ابن عون: عبد الله بن عون، شيخ أهل البصرة وعالمهم، كان ثقة كثير الحديث، ولد سنة

(٦٦٦هـ) وتوفي سنة (١٥هـ).

(انظر: ابن سعد، كتاب الطبقات: ٩/٢٦١، والذهبي، العبر: ١/١٦٥، وابن قتيبة، المعارف:

ص ٤٨٧، والصفدي، الوافي بالوفيات: ١٧/٢١١-٢١٢).

ما يَنْجَعُ فِيهِمْ، وَسِرِّي فِي طَبَائِعِهِمْ، وَيُنَبِّهُ مِنْ رَقَدَتِهِمْ، وَيُجَرِّكُ مَوَاضِعَ الْإِنْفَعَةِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، بَعْدَ أَنْ كَتَمَ الدَّاءَ وَبَيَّنَّ الدَّوَاءَ، وَعَالَجَ بِأَرْقِي الْعِلَاجِ. فَمَا أَحْضَلَ الدَّاءَ، وَاسْتَمَحَلَ الْبَلَاءَ، وَظَهَرَ/ الْعَيْبَ، وَانْتَشَرَ الْفَسَادَ، وَخَطَبَ بِالْمَوْعِظَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَقَرَعَ بِالتَّائِبِ فِي الْمَحَافِلِ، وَأَعَذَرَ وَأَنْذَرَ عِنْدَ الْمُقْبِلِ وَالْمُدْبِرِ.

ولك عندما صاروا إليه مِنَ التَّعَايِيرِ وَالتَّذَاكُرِ عِنْدَ قَضَاءِ الْوَطْرِ^(١) مِنَ الزُّوجَاتِ وَالْأَوْطَانِ بَعْدَ الْمَلَالِ^(٢) مِنْ طَوْلِ الْإِقَامَةِ. وَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الْقُوَّةِ، وَإِخْبَارًا عَنِ الثِّقَّةِ، وَبِشَارَةً لِلْمُسْتَرَشِدِ، وَاسْتِثَامَةِ^(٣) لِلنَّافِرِ، وَنَقْصًا لِقَوَى الْمُخَالِفِ، وَزِيَادَةً فِي بَصِيرَةِ الْمَوَافِقِ.

وَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ مُحَلِّيًّا فِي مَعْدِنِهِ، مُبْقِيًّا فِي مَغْرَسِهِ، وَلَمْ يُنْقَلْ مِنْ نِصَابِهِ، وَلَمْ يُزَلْ مِنْ مَرَكِزِهِ، وَلَمْ يُخْرَجْ مِنْ بَيْتِهِ، وَالْمَوْضِعِ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ حَسْمُ الْخَارِجِيَّةِ، وَأَسْبَابُ الْفِتَنِ، وَجَمِيعُ الْأَجْنَاسِ، وَكَانَ الْحَدِيدُ مَقْلُوبًا، وَالطَّمَعُ عَدِيًّا، وَالْيَأْسُ وَاقِعًا، وَالخَاطِرُ مُرْتَفِعًا، وَحُكْمُ الْعَادَةِ شَامِلًا. وَبِذَلِكَ الْجَدْمُ انْقَطَعَ سَبَبُ الطَّلَبِ، وَفِي بَطْلَانِ الطَّلَبِ إِجَابَةُ الرَّعِيَّةِ بِطَاعَةِ الْمَحَبَّةِ، وَطَاعَةُ الدَّيْنُونِيَّةِ، وَارْتَفَعَتْ عَنْهُمْ طَاعَةُ الْحُرُوفِ وَالرَّغْبَةِ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ طَابَ الْعَيْشُ، وَخَفَّتِ الْمِحْنَةُ، وَظَهَرَ الْحَقُّ، وَبَيَّتَتِ النُّعْمَةُ. الَّذِينَ كَانُوا مَصَابِيحَ الظَّلَامِ، وَقَادَةَ هَذَا الْأَنَامِ، وَمَلَحَ الْأَرْضَ، وَحَلَى الدُّنْيَا، وَالنُّجُومَ الَّتِي لَا يَضِلُّ مَعَهَا السَّارِي، وَالْمَنَارَ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا الْبَاغِي، وَالْحَزْبَ الَّذِي كَثَّرَ اللَّهُ بِهِ الْقَلِيلَ،

(١) الوطر: كل حاجة يكون لك فيها همة. (اللسان: وطر).

(٢) الملل: التعب من المرض والغم. (اللسان: ملل).

(٣) استئامة النافر: الاستئناس به والإطمئنان إليه. (اللسان: نوم).

وأعزَّ به/ الدليل، وزاد الكثير في عدده، والعزير^(١) في ارتفاع قدره، وجلوا بكلامهم الأبصار العليَّة، وشحدوا بمنطقيهم الأذهان الكليَّة؛ فنبهوا القلوب من رقدتها، ونقلوها عن سوء عاداتها، وشفوا من داء الغفلة، وداؤوا من العي الفاضح، وأبهجوا الطريق الواضح من الديباجة الكريمة، والروني العجيب، والسبك والبحت الذي لا يستطيع أرفع الناس في البيان أن يقول مثلها.

كان أظهر للكلمة، وأوضح للحجة، وأوجَل للقدر، وأخضع للرقاب، وأبعد من الغموض، وأعظم للمنزلة، وأدل على الغاية. وأساس هذه الأمور في ثلاثة: فأوَّهنَّ العقل الصحيح الفاضل على السنة العالم لأسباب الخير، ثم غلبه الهوى وسماح النفس وإيثار الحق، ثم التجارب؛ فإنها مادة العقل وسقيه ونمائه.

فإذا كانت هذه الأصول قائمة في رجل، فكلُّ شيء لها تبع؛ لأن العاقل لا يكون إلا في إحدى حالتين: إما أن يصدع بالرأي فيعمل به، وإما أن يستشير أهل الرأي والمعروفين بكثرة الصواب إذا خفي موضعه عليه، ولم يفتح باه، ولم يعلم مآناه حتى إذا جاءت آية تدلُّ على كذا وضعت لها ضروب التأويل، واستكرهتم فيه المعاني، وحملم اللغة على مضائقها، وطلبتم لها المخارج، وتركتم سر اللفظ، والمعروف/ في محرجه، وأخرجتموه من عادة دلالات القرآن. منعهما حقها، واعتل عليها، وجلج^(٢) في أمرها، وعابت التهصيم^(٣)، وأياست من النزوع، ووجدت مس الضعيف، وقلة الناصر.

الجمال عند العرب طولُ القامة، وضخمُ الهامة، ورحابةُ الشدق، وعُزور العينين، ويُعدُّ الصوت.

(١) في الأصل غير معجمة.

(٢) جلج: ركب رأسه في أمرها. (اللسان: جلج).

(٣) التهصيم: الغلظ والشدة. (اللسان: هصم).

ما خَلَفَ عَلَيْكَ رَوْحُكَ، قالت: العِدَّةُ^(١). قِيلَ لِيَعِضِي الْبُرْصَانُ، وهو بِلَعَاءِ بَنِ قَيْسٍ: «ما هذا الَّذِي نَرَاهُ بِكَ؟ فَقَالَ: سَيْفُ اللَّهِ صَقَلَهُ، وَيُقَالُ: سَيْفُ اللَّهِ حَلَاةٌ، مِنْ الْحَلِيَّةِ^(٢)»^(٣).

هِيَ الدُّنْيَا تَوَلَّتْ يَوْمَ صَدَّتْ. هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ: أَنْتَ الزَّمَانُ فَإِنْ صَلَّحْتَ^(٤) صَلَّحَ الزَّمَانُ.

قَدْ كَسَّ^(٥) الْحَرُّ بِمِثَالِهِ يَوْمٌ أَعْرُ حَجَّجَلُ الْأَطْرَافِ^(٦). فَإِذَا بَنَى اللَّهُ هَذِهِ الْبُنْيَةَ، وَمَزَّجَهَا هَذَا الْمِزْجَ، وَرَكَّبَ طَبَائِعَ الْمُكَلَّفِينَ عَلَى هَذَا التَّرْكِيبِ، وَجَعَلَ الشَّرِيعَةَ هَذَا الْمِقْدَارَ، وَالرَّسُولَ فِي هَذَا الْمُرَكَّبِ، لَمْ يَكُنْ اللَّهُ تَرَكَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعُونَةِ، وَلَا أَبْقَى شَيْئًا مِنَ الْإِخْتِيَارِ. وَقِيلَ لِرَجُلٍ كَانَ يُبَاكِرُ الْغَدَاةَ: لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ قَالَ: آخُذْ قَبْلَ الْخُرُوجِ.

قِيلَ لِنُصَيْبٍ^(٧): هَرِمَ شَعْرُكَ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ وَلَكِنْ هَرِمَ الْجُودُ.

(١) قِيلَ لِأَعْرَابِي تَزُوجُ: «هَلْ نَحَلْتَ إِمْرَأَتَكَ بِشَيْءٍ؟» قَالَ: قَدْ نَحَلْتُهَا بِتَطْلِيقَةٍ.

(انظر: ابن أبي عون، الأجوبة المسكنة: ص ٩٨).

(٢) انظر القول في البرصان والعرجان: ص ٣٢.

(٣) انظر القول في الحيوان: ٥ / ١٦٧، وتحسين القبيح وتقييح الحسن ص ٣٦: «لَمَّا شَاعَ فِي جِلْدِهِ الْبُرْصُ قَالَ لَهُ قَاتِلُ: مَا هَذَا يَا بِلَعَاءُ؟ فَقَالَ: هَذَا سَيْفُ اللَّهِ جَلَّاهُ، وَكَتَابَةُ قَوْلِ: سَيْفُ اللَّهِ حَلَاةٌ».

(٤) وَتَجُوزُ صَلَّحْتَ.

(٥) كَسَّ: دَقَّ دَقًّا شَدِيدًا. (اللسان: كس).

(٦) مَحْجَلُ الْأَطْرَافِ: الَّذِي يَرْتَفِعُ الْبِيَاضُ فِي قَوَائِمِهِ فِي مَوْضِعِ الْقَيْدِ وَيَجَاوِزُ الْأَرْسَاقَ.

(اللسان: حجل).

(٧) نَصَيْبٌ: أَبُو تَحْجَنَ الْأَسُودِ، ابْنُ رِيَّاحٍ، الشَّاعِرُ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، مَدَحَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ

مُرْوَانَ، وَشَعْرَهُ فِي الذَّرْوَةِ، تَرَكَ التَّغَزُّلَ وَتَسَّكَ، تَوَفَّى سَنَةَ (١٠٨ هـ).

(انظر: الذهبي سير أعلام النبلاء: ٦ / ٨٧، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٦ / ٨٩، والأصفهاني،

الأغاني: ١٩ / ٥).

(١) ما رأيتُ أَكْثَرَ رِوَايَةٍ، وَلَا أَجْوَدَ حِفْظًا، وَأَوْسَعَ عِلْمًا، وَأَتَمَّ عَزْمًا، وَالطَّفَّ نَظْرًا، وَأَصْدَقَ حِسًّا، وَأَعْرَضَ / عَلَى الْبَعِيدِ الْغَامِضِ، وَأَفْهَرَ لِلْعَوِيصِ الْمُسْتَنِعِ، وَأَصَحَّ فَرِيحَةً، وَأَقْلَّ سَامَةً^(٢)، وَأَحْسَنَ عَادَةً مِنْهُ، مَعَ إِفْرَاطِ الشَّهْوَةِ، وَفَرَاغِ الْبَالِ، وَبُعْدِ الْأَمَلِ، وَقُوَّةِ الطَّمَعِ، ثُمَّ مَدَّ لَهُ فِي الْعُمُرِ، وَأَمَكَّتَهُ الْقُدْرَةُ، خَيْرُهُمْ صِرْفًا، وَسَرَّهُمْ تَمْزُوجًا.

أَخَذَ مِنَ الْحُجَّةِ حَاجَتَهُ. أَكَادُ أَجِيلٌ نَفْسِي عَلَى الْأَسَاةِ بِكَ^(٣). قِيلَ لِشَيْخٍ: مَا بَقِيَ مِنْكَ؟ قَالَ: يَسْبِقُنِي مِنْ أَمَامِي، وَيُدْرِكُنِي مِنْ خَلْفِي، وَأَنْسَى الْحَدِيثَ، وَأَذْكَرُ الْقَدِيمَ، وَأَنْعَسُ فِي الْمَلَاءِ^(٤)، وَأَسَهَرُ فِي الْحَلَاءِ، وَإِذَا قُمْتُ قَرَيْتُ الْأَرْضَ مِنِّي، وَإِذَا قَعَدْتُ تَبَاعَدَتْ عَنِّي.

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْعُقُولَ تَحْتَاجُ إِلَى الْمَادَّةِ، وَالطَّبَائِعَ إِلَى الْقَمْعِ، وَالشَّهَوَاتِ إِلَى الْمُدَارَاةِ، وَالتَّفُوسِ إِلَى التَّعْدِيلِ، صَنِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَوْلُفَةِ قُلُوبَهُمْ، حِينَ أَعْطَاهُمْ وَمَنَعَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ. يُجْبِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ ذَرَّ شَارِقٍ^(٥)، فَلَمَّا اسْتَجْمَعَتْ قَوَاهِمُ، وَاسْتَحْكِمَتْ بَصَائِرُهُمْ، وَاحْتَمَلَتْ عَزَائِمُهُمْ، وَمَتَّتْ أَسْبَابَهُمْ؛ كَلَّفَهُمْ مُحَارَبَةَ آبَائِهِمْ [وَأَبْنَائِهِمْ]^(٦)، فَلَمَّا بَلَغُوا الْغَايَةَ، وَأَقَامُوا عَلَى النَّهْيَةِ، قَالَ لَهُمْ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

لِنَّمَا يَسْتَرِيحُ الْبَدَنُ مِنْ كَدِّ الْعَمَلِ إِلَى خَفْضِ الْجِيَامِ، كَمَا يَسْتَرِيحُ الْقَلْبُ مِنْ كَدِّ

(١) عنوان هذه الفقرة في الأصل «مجموعة ألفاظ من رسائله القصار».

(٢) سامة: ملاً وضجراً. (اللسان: سام).

(٣) الأساة بك: الاقتداء. (اللسان: أسي).

(٤) الملاء: ثقل يأخذ في الرأس من امتلاء المعدة. (اللسان: ملا).

(٥) يوم ذر شارقة وشارق: أي يوم مشرق. (اللسان: شرق).

(٦) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

الرَّوِيَّةُ^(١) إِلَى بَرْدِ الْيَقِينِ. وَلَوْلَا تَأْمِيلُ الرَّاحَةِ/ فِي وَقْتِ النَّصَبِ، لَتَضَاعَفَ ثِقَلُهُ، وَلَقَطَعَ الْجَهْدُ سَبَبَ صَاحِبِهِ مِنْ مُعَاوَدَتِهِ. وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ تَدْبِيرًا لَمَا جَعَلَ اللَّهُ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالنَّهَارَ مَسْرَحًا؛ لِأَنَّ الْأَغْلَبَ عَلَى طَبَائِعِ الْبَشَرِ حُبُّ الْكِفَايَةِ، وَاسْتِيقَالُ الرَّوِيَّةِ، وَسُرْعَةُ الْمَسْأَلَةِ.

أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْحَوْفَ يَطْرُدُ الشُّكْرَ، وَيُمِيتُ الشَّهْوَةَ، وَيُطْفِئُ الْغَضَبَ، وَيُحْطِئُ مِنَ الْكِبَرِ، وَيُذَكِّرُ بِالْعَاقِبَةِ، وَيُسَاعِدُ الْعَقْلَ، وَيُعَاوِنُ الرَّأْيَ، وَيُسَبِّبُ الْجَبَلَةَ، وَيَبْعَثُ عَلَى الرَّوِيَّةِ، حَتَّى يَعْتَدِلَ بِهِ تَرْكِيبُ مَنْ كَانَ مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ، تَمْنُوعًا مِنْ رَأْيِهِ بِسُكْرِ الشَّبَابِ، وَسُكْرِ الْغِنَى، وَإِهْمَالِ الْأَمْرِ، وَثِقَةِ الْعِزِّ، وَنَارِ الْقُدْرَةِ.

وَإِذَا اسْتَوَتْ قُوَى الْعَقْلِ بِأَسْبَابِهِ، وَقُوَى خُصُومِهِ بِأَسْبَابِهَا، مِنْ عِلَّةِ الطَّبَائِعِ، وَتَوَازَعِ الشَّهَوَاتِ؛ نَاهَضَ إِلَى مُحَارَبَتِهَا وَمُسَاجَلَتِهَا وَمُدَافَعَتِهَا حَتَّى لَا يَكُونَ عَقْلُهُ.

قَالَ رَجُلٌ لِأَخِي^(٢): قَرَّرْتُ مِثِّي فِرَازَ الْعَبِيدِ حِينَ نِمْتُ عَنْ حِفْظِي نَوْمَ الْأُمَّةِ. فِي تَمَامِ خَلْقِهِ، وَطَهَارَةِ خُلُقِهِ، وَلِينِ سِرِّهِ، وَحُسْنِ صَوْرَتِهِ فِي سَابِقَتِهِ، فِي شِدَّةِ وَرَعِهِ، وَأَسَاسِ مَعْرِفَتِهِ، وَصِحَّةِ غَرِيزَتِهِ، وَثَبَاتِ حُجَّتِهِ مِنْ وَاسِطَةِ مُلْكِهِ، إِلَى أَقْطَارِ سُلْطَانِهِ.

ذَكَرَ عَنْ بَعْضِ النَّاسِ أَنَّهُ شَتَمَ بَعْضَ الْأَشْرَافِ، فَقَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ إِذَا قِيلَ لَهُمْ مَنْ أَبُوكُمْ؟ قَالُوا: أَمْنَا قَرِيشَ»^(٣).

(١) الرَّوِيَّةُ: التَّكْرُ فِي الْأَمْرِ. (اللِّسَانُ).

(٢) فِي الْأَصْلِ (الرَّحْلُ لِأَخِي) وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٣) جَاءَ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ «وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَبْغِضُ الْقَرَشِيَّ أَنْ يَكُونَ فِطْلًا، وَيَا عَجَبًا لِقَوْمٍ يُقَالُ لَهُمْ: مَنْ أَبُوكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَمْنَا مِنْ قَرِيشَ».

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ١ / ٢٦١).

قال معاوية: «كُلُّ خِصَالِ الشَّبَابِ كَانَ فِي، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكُنْ نُكْحَةً، وَلَا طَلْقَةً، وَلَا ضَّرْعَةً^(١)، وَلَا ضَحْكَةً^(٢)».

أخ لي كأيام الحياة إخواؤه. لكُلُّ مَقَامٍ مَقَال، وَلِكُلِّ زَمَانٍ رِجَال^(٣)، وَلِكُلِّ سَاقِطَةٍ لَاقِطَةٍ^(٤)، وَلِكُلِّ جِيْفَةٍ^(٥) كَلْبٌ بَخْرَةٌ^(٦)، وَلِكُلِّ قَدْرِ طَالِبٍ، وَفِي كُلِّ نَحْوٍ رَاغِبٍ، وَلِكُلِّ وَشَجٍ^(٧) حَامِلٍ، وَلِكُلِّ سُمِّ جَارِعٍ، وَلِكُلِّ طَعَامٍ آكِلٍ، وَلِكُلِّ صِنَاعَةٍ شَكَلٍ. لَا بُدَّ لِلْمَصْدُورِ يَوْمًا مِنَ النَّفْسِ وَلَا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرًا^(٨)

(١) ضرعة: المشابه والمساوي. (اللسان: ضرع).

(٢) في اللسان «لستُ بِنُكْحَةٍ طَلْقَةٍ، وَلَا ضَّرْعَةٍ بِسَبِيَّةٍ» أي لست برجل يتزوج ويطلق، ولا بشتام للرجال المشابه لهم والمساوي. (اللسان: ضرع).

(٣) جاء في إتقان ما يحسن في الأخبار الدائرة على الألسن ٢ / ٤٤٥، والمستطرف: ١ / ١٠٥: «لكل زمان رجال، وأيضاً لكل زمان دجال».

(٤) يضرب مثلاً في التحفظ عند النطق، أي بكل كلمة يخطئ فيها الإنسان من يتحفظها فيحملها عنه. (انظر: الجاحظ، الحيوان: ١ / ٢٠١، والميداني، مجمع الأمثال: ٣ / ١١٥، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣ / ٧٩، والأبشيهي، المستطرف: ١ / ١٠٥، والغزالي، الدمقي، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن: ٢ / ٤٤٥).

(٥) جيفة: جثة الميت. (اللسان: جيف).

(٦) بخرة: البخر: الرائحة التنتة. (اللسان: بخر).

(٧) وشج: تداخل وتشابك والتف. (اللسان: وشج).

(٨) البيت للملك بن حذيفة النخعي. ولا صلة بين صدر البيت وعجزه. انظر تعليق عبد السلام هارون في الحيوان: ١ / ٢٠٢، والبيان والتبيين: ٣ / ١٤٠:

لَتَمْرُكٍ مَا الشُّكْوَى بِأَمْرِ حَزَاةٍ وَلَا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرًا
وحماسة البحري: ص ١٥٨:

وما كثرة الشكوى بحد حزامه وَلَا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرًا

مَنْ عَزَّ بَرًّا، وَمَنْ قَدِرَ قَهْرًا، وَمَنْ وَجَدَ اسْتَلْبًا، وَمَنْ اشْتَدَّ غَلْبًا، وَمَنْ جَادَ سَادًا،
وَمَنْ بَرَّ قَادًا، وَمَنْ أَفْضَلَ فَضْلًا.

ما كَانَ أَحْكَمَهُ وَأَحْضَرَ حُجَّتَهُ، وَأَنْصَحَ حِسَّهُ، وَأَدْوَمَ طَرِيقَتَهُ فِي مَرْتَبَةِ الْخِلَافَةِ،
وَفِي الشَّطْرِ مِنْ قُرَيْشٍ، فِي نُبْلِ الْهِمَّةِ، وَأَصَالَةِ الرَّأْيِ، وَجَوْدَةِ اللِّسَانِ، وَكَمَالِ الْجِسْمِ،
وَفِي تَمَامِ النَّفْسِ. بِجَهْوَلِ الدُّرَاغِمِ مَعْرُوفِ النَّسَبِ، وَلَا مَذْكَورِ يَوْمِ صَالِحٍ.

قال سهل بن هارون: «لَيْسَ لِعُضْبَانِ رَأْيٍ، وَلَا لِحَاقِنِ»^(١)، وَلَا لِعَيْرَانِ، وَلَا لِحِائِجِ،
وَلَا لِعَطْشَانِ، وَلَا لِعَيْظِ، وَلَا لِنِصْبِ عِينِ».

الْعِبَادَةُ الَّتِي أَوْحَشَتْ مِنْهُ، وَالرَّتَابَةُ^(٢) هِيَ الَّتِي حَرَمَتْهُ. مِنَ الْمَعَانِي السُّدَادِ،
وَالْأَلْفَاطِ الْجِسَانِ، وَجَوْدَةِ الْإِخْتِصَارِ، وَتَقْرِيْبِ / الْمَعَانِي، وَسُهُولَةِ الْمَخْرَجِ، وَإِصَابَةِ
الْمَوْضِعِ.

فَبَيَّنَ لِي مَا الشَّيْءُ الَّذِي جَبَلَ عُقُولَهُمْ، وَأَفْسَدَ أَذْهَانَهُمْ، وَأَعَشَى تِلْكَ الْأَبْصَارَ،
وَنَقَضَ ذَلِكَ الْإِعْتِدَالَ؟ خَلَعَ عِذَارَهُ فِي الْبُخْلِ، وَأَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلذَّمِّ. وَعَرَّفَنِي الْهَنَاتِ
الَّتِي تَمَّتْ عَلَى الْمُتَكَلِّفِينَ، وَهَتَكَ أَسْتَارَ الْأَدْعِيَاءِ، وَقَرَّتْ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالرِّيَاءِ.

الْفِتْنَتَانِ: فِتْنَةُ النِّسَاءِ وَفِتْنَةُ الشَّيْءِ. تُسْقَى بِكَاسِ الْغَيْظِ، كُلُّهُمْ شَيْءٌ فِي طَعِجِ الْبِلَادِ،
وَفِي جَوْهَرِ الْمَاءِ، فَلِذَلِكَ عَمَرَ جَمِيعَ حَيَوَاتِهِمْ. قَدْ بَلَغَ مُنْفَطِعَ التُّرَابِ فِي الْبَرِّ، وَأَقْصَى
مَبْلَغِ السُّفْنِ فِي الْبَحْرِ.

(١) حاقن: الذي له بول شديد. ويقال: لا رأي لحاقن. (انظر: القالي، الأمالي: ١٠١/٢، واللسان:
حقن).

(٢) الرتابة: غلظ العيش وشدته. (اللسان: رتب).

قد صادفت دهرًا كثيرَ الأعاجيب، وحَلَبَتِ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ^(١)، ودَخَلَتِ مِنْ كُلِّ باب، وَجَرِيَتْ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، وَعَرَفَتْ السَّرَّاءَ وَالضَّرَّاءَ، وَمَيَّلَتْ إِلَى التَّجَارِبِ عَوَاقِبِ الأمور.

صَعَالِيكَ الْجَبَلِ، وَزَوَاقِلِ الشَّامِ^(٢)، وَرُطُّ الْأَجَامِ، وَعُرُوشُ الْأَكْرَادِ، وَمَرَدَّةُ^(٣) الأعراب، وَقِتَاكُ^(٤) نَهْرِ بَطٍّ^(٥)، وَلُصُوصُ الْقُفْصِ^(٦). وَلَا تَطْلُبِ فِي الدُّنْيَا مَا لَيْسَ فِيهَا، وَتَأَمَّلِ نَفْسَكَ بَعِينَ الْإِنصَافِ.

يُبَغِّضُنِي بُغْضَ الْمُعْتَرِئَةِ لِلشَّيْعةِ، وَأَهْلِ الكَوْفَةِ لِأَهْلِ البَصْرَةِ، وَالبُغْضَ الَّذِي بَيْنَ أَسَدٍ وَكِنْدَةٍ. وَكُلُّ ذَلِكَ إِذَا مَلَأَ العَيْنَ مَلَأَ الصَّدْرَ. وَبَعْضُ المُفَسِّرِينَ يَزْعُمُ أَنَّ أَدَمَ إِنَّمَا سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ/ كَانَ قَدْ حُنِذِي^(٧) مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ. وَبَعْضُهُمْ قَالَ: كَانَ لَوْنُهُ فِي أَدَمَةٍ لَوْنِ الأَرْضِ^(٨)، وَأَنَّ نُوحًا كَانَ يَنْوُحُ عَلَى قَوْمِهِ، وَأَنَّ المَسِيحَ إِنَّمَا سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ

(١) حلب الدهر أشطره: أي خبر ضروبه، يعني أنه مر به خيره وشره وشدته ورخاؤه. (اللسان: شطر).

(٢) زواقيل الشام: اللصوص. (اللسان: زقل).

(٣) مرده: المارد: العاتي. (الصحاح: مرد).

(٤) فتاك: الفاتك: الجريء، والفتك: أن يأتي الرجل صاحبه وهو غافل فيقتله. (الصحاح: فتك).

(٥) نهر بط: نهر بالأهواز، يقال: كان عنده مراح للبط فقالوا نهر بط.

(انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٥ / ٣١٩).

(٦) القفص: جبال القفص، كان عضد التولة قد غزا أهل القفص وأفنى أكثرهم، وهي قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قرب بغداد، وكانت من مواطن اللهب ومعاهد الفرح، تُنسب إليها الخمور الجيدة، والحانات الكثيرة. (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٤ / ٣٨٢).

(٧) حُنِذِي: قَطِعُ. (اللسان: حذا).

(٨) جاء في اللسان: أدمة الأرض لونها وبها سمي سيدنا آدم، وقال آخرون سمي آدم لأدمه جعلها الله تعالى فيه. (اللسان: آدم).

في البَلَدِ الوَاحِدِ، وَكَانَ كَأَنَّهُ يَمَسُّحُ الأَرْضَ^(١).

قِيلَ لَعَبِيدِ الأَعْلَى القَاضِي^(٢): لِمَ سُمِّيَ العُصْفُورُ عُصْفُورًا؟ قَالَ: لِأَنَّهُ عَصَى وَقَرَّ. قَالَ: فَلِمَ سُمِّيَ الطَّفِيشِلُ^(٣) طَفِيشِلًا؟ قَالَ: لِأَنَّهُ طَفَأَ وَشَالَ^(٤).

قَالَ حَجَّاجًا^(٥): الفَسْوَةُ وَهِيَ الفِضْرَةُ بِلا صَوْتٍ، وَإِنَّمَا يَخْرُجَانِ جَمِيعًا مِنَ قَارِوَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَصَارَتْ وَاحِدَةً مُتَنَتَّةً وَأُخْرَى طَيِّبَةً؛ لِأَنَّ الصَّوْتِ يَدْبِقُهَا.

يَدِّي هَذِهِ صَنَاعٌ فِي الكَسْبِ، وَلِكِنَّهَا فِي الإِنْفَاقِ خَرَقَاءُ. أَشَدُّ النَّاسِ نَفْسًا،

(١) جاء في اللسان: سمي المسيح بهذا الاسم لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها، وأيضًا لأنه كان يمسح يده على العليل والأكمة والأبرص فيبرأ، وأيضًا لأنه وُلِدَ مَسْرُوحًا بِالذَّهْنِ، وَلِأَنَّهُ مُسَّحٌ بِالْبَرَكَةِ. (اللسان: مسح).

(٢) عبد الأعلى القاضي: أبو مسهر، عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى، الغساني الدمشقي، وُلِدَ سنة (١٤٠هـ)، من حفاظ الحديث، وأحاديثه في الكتب الستة، كان شيخ الشام وعالمها بالمغازي وأيام الناس وأنساب الشاميين، ولي قضاء دمشق كرهاً سنة (١٩٥هـ) ثم تنحى عنه، عارض مقولة خلق القرآن، ومُحْمَلٌ عَلَى الفتنه، امتحنه المأمون وهو في الرقة، وأكرهه على أن يقول بخلق القرآن، مات سنة (٢١٨هـ).

(انظر: الذهبي، العبر: ١/ ٢٩٤-٢٩٥، والمزي، تهذيب الكمال: ١٦/ ٣٦٩، وابن فرحون، الديباج المذهب: ٢/ ٤٩، والزركلي، الأعلام: ٣/ ٢٦٩).

(٣) في الأصل (الطفشيل) وهو تصحيف.

الطفشيل: كل طعام يعمل من اللحوم والخضار ويطهى في التتور، وقيل نوع من المرق.

(انظر: البغدادي، كتاب الطبخ: ص ٥٤، والفيروز آبادي، القاموس المحيط: طفشل).

(٤) ورد في التتبيه على حدوث التصحيف ص ١١٥: «سُمِّيَ العُصْفُورُ عُصْفُورًا؛ لِأَنَّهُ عَصَى وَقَرَّ، وَسُمِّيَ الذَّيْنَارُ دِينَارًا؛ لِأَنَّهُ دِينَ وَنَارٌ، سُمِّيَ الذَّرْهَمُ ذَرْهَمًا؛ لِأَنَّهُ ذَرٌّ وَهَمٌّ، وَسُمِّيَ الطَّفِيشِلُ طَفِيشِلًا؛ لِأَنَّهُ طَفَأَ وَشَالَ».

(٥) حجا: حجا الشيء: حرفاه. (اللسان: حجا).

وأحماهم أنفًا. يُطالِبُ قفا هذا البائس بدحل^(١). قال رَجُلٌ لأعرابي: كُلِّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ، قال: أَوْ مِنْهَا شَيْءٌ جَمِيٌّ.

لَمْ تَزَلْ^(٢) حَيْسًا عَلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ، وَمَوْقُوفًا عَلَى هَذِهِ الْمَكْسَبَةِ، لِتَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْعَيْشِ وَالنَّعْمَةِ فِي يَوْمِ عَيْدٍ، أَوْ اسْتِمطار، أَوْ حَشْرِ سُلطان.

كَانَ فُلَانٌ أَطْمَعَ الْخَلْقَ، لَوْ قَالَ لَهُ إِنْسَانٌ أَيْعُكَ الْمُشْتَرِي وَرُحْلٌ، فَعَجَّلَ لَهُ الدَّرْهَمَ، حَتَّى أَسْلَمَهَا غَدًا لَفَعَلَ. لَيْسَ لَهُ فَرَاةٌ بِالْكَلَامِ.

قال الأصمعي^(٣) لِسائل: لَسْتُ أَرْضِي لَكَ مَا يَحْضُرُنِي، قَالَ: فَأَنَا أَرْضَاهُ، قَالَ: هُوَ لَكَ، بوركَ فَيْكُ / . هُوَ يَرْفَعُ لَوَائِمَ الْخُفْرِيِّ بِاسْتِعْمَالِ الْمَعَادِيرِ. الْخَطَأُ زَادَ الْعَجُولِ. فَأَمَكَنْتَ الْعَدُوَّ مِنْ عُنُقِكَ.

^(٤) مَا أخلَقَ التَّائِي عَهْدًا، وَلَا نَقَصَ البُعْدُ عَقْدًا، وَلَا حَلَّ تَرَاخِي الأَيامِ وُدًّا. أَفْضَلُ سُورِنَا ذَكَرُ أَيْامِنَا مَعَكَ، وَكَيْفَ أَنْسَاكَ؛ وَإِنْ رَأَيْتُ حَسَنًا ذَكَرْتُكَ بِهِ مُشَبَّهًا، أَوْ قَيْحًا ذَكَرْتُكَ بِهِ مُنْزَهًا؛ فَشَوْقِي إِلَيْكَ شَوْقُ الإِبْلِ إِلَى أوطانِها، وَنَازِعٌ^(٥) نَجِدُ إِلَى نَجْدِ. القَلْبُ سِرَاجٌ؛ ظُلْمَةٌ ما بَطَنَ وَمَلالٌ قوَّةٌ ما عَلَنَ. نَوَابُهُ الفَرَحُ، وَعَدَابُنَا الحُزْنُ. قامَ

(١) الذحل: الثار. (اللسان: ذحل).

(٢) في الأصل (يزل) والسياق يقتضي أن تكون (تزل).

(٣) الأصمعي: أبو سعيد، عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، البصري، ولد سنة (١٢٠هـ)، وكان بحرًا في اللغة، وذا حفظ وذكاء ولفظ عبارة، له تصانيف كثيرة، مات سنة (٢١٥هـ).
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٨ / ٤٦٩، والذهبي، ميزان الاعتدال: ٢ / ٦٦٢، والذهبي، العبر: ١ / ٢٩١).

(٤) عنوان هذه الفقرة في الأصل «مجموعة ألفاظ من رسائله ورواياته».

(٥) نازع: اشتاق. (اللسان: نزع).

بقلبي وقعد. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) يُسْبِغُ النُّعْمَةَ، وَيُنْسِي الشُّكْرَ.

الشَّيْبُ عِلَّةٌ لَا يُعَادُ مِنْهَا، وَمُصِيبَةٌ لَا يُعْرَى عَلَيْهَا. الدِّينُ يُصْلِحُهُ الْوَرَعَ، وَيُفْسِدُهُ الطَّمَعُ. كَثْرَةُ الْمُخَالَفَةِ حَرْبٌ، وَكَثْرَةُ الْمَوَاقِفَةِ غَشٌّ.

السَّيِّدُ مَنْ أَوْرَى نَارَهُ، وَحَمَى دِيَارَهُ، وَمَنَعَ جَارَهُ، وَأَدْرَكَ نَارَهُ. لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَدْعِي رَغْبَةً، وَيَتَّقِي حَسَدًا.

الْحِمَارُ أَنْ أُطْلِقْتَهُ وَتَى، وَإِنْ أَوْفَقْتَهُ أَتَى^(٢)، كَثِيرُ الرُّوثِ، قَلِيلُ الْعَوْتِ، سَرِيعٌ إِلَى الْغِرَارَةِ^(٣)، بَطِيءٌ إِلَى الْغَازَةِ، لَا يُجْلَبُ فِي إِنْاءٍ، وَلَا تُرْقَأُ بِهِ الدَّمَاءُ^(٤)، وَلَا تُمَهَّرُ بِهِ النِّسَاءُ.

حُبُّ الْكِفَايَةِ مِفْتَاحُ الْعَجْزَةِ. ارْبِحْ نَفْسَكَ إِذَا خَسِرْتَ/ دِينَكَ. أَخَذَ بِرِمَامِ الْكَلَامِ فِقَادَهُ أَحْسَنَ مَقَادٍ، وَسَاقَهُ أَحْسَنَ مَسَاقٍ، حَتَّى اسْتَرْجَعَ بِهِ الْقُلُوبَ النَّاقِرَةَ، وَاسْتَصْرَفَ بِهِ الْأَبْصَارَ الطَّامِعَةَ.

تُسْتَدَامُ النُّعْمَةُ بِالشُّكْرِ، وَالْقُدْرَةُ بِالْعَفْوِ، وَالطَّاعَةُ بِالتَّالِيفِ، وَالنُّصْرُ بِالتَّوَاضُعِ. الْبَخِيلُ فَقِيرٌ غَيْرٌ مَاجُورٌ.

• قَدْ يَضْحَكُ الْمُتَوَرُّ وَهُوَ حَزِينٌ •^(٥)

مَذْكُورٌ بِالْعَقْلِ وَالْحِلْمِ، وَالدَّهَاءِ وَالْفَضْلِ، وَالكَرَمِ وَالْحَزَمِ، وَالتَّوَدُّدِ وَالْعَزَمِ،

(١) فِي سُورَةِ الْقَلَمِ الْآيَةُ ٤٤ ﴿قَدْ فِيهِ وَمَنْ يَكْذِبُ يَهْدِنَا لِلْيَدِيَّتِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وَفِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ الْآيَةُ ١٨٢ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(٢) أَهْلِي: أَخْرَجَ جَرْدَانَهُ لِيَبُولَ. (اللِّسَانُ: حَلِي).

(٣) الْغِرَارَةُ: كَيْسُ التَّنِينِ. (اللِّسَانُ: غَرَر).

(٤) لَا تُرْقَأُ بِهِ الدَّمَاءُ: أَي لَا يُعْطَى فِي الدِّيَاتِ. (اللِّسَانُ: رَقَأ).

(٥) الْمُتَوَرُّ: الَّذِي قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ وَلَمْ يَدْرِكْ بَدْمَهُ. (اللِّسَانُ: تَر). وَنِصْفُ الْبَيْتِ لَمْ أَجِدْ لَهُ نَحْرِيًّا.

وَالْبَيَانِ الْعَجِيبِ وَالرَّأْيِ. إِنَّكَ يَمِّنُ تَبَقَى نِعْمَتَهُ، وَيَدُومُ شُكْرُهُ، وَيُفَخِّمُ النِّعْمَةَ، وَيُرْبُّهَا وَيَذُبُّ عَنْهَا وَيَسْتَدِيمُهَا.

لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا يُعِدُّهُ اللهُ لِإِعْبَادِهِ مِنْ أَصْنَافِ نِعَمِهِ، وَضُرُوبِ قَوَائِدِهِ، أَيْبَى ذِكْرًا، وَلَا أَجَلَّ خَطَرًا، مِنْ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ ابْنٌ يَكُونُ وَلِيَّ بَنَاتِهِ، وَسَائِرَ عَوْرَةِ حُرْمَتِهِ، وَقَاضِي دِينِهِ، وَمُحِبِّي ذِكْرِهِ. فَإِنَّ أَلْقَيْتَ ذَلِكَ بَيْنَ الْمُتَنَاطِرِينَ فِي الْإِمَامَةِ، انْتَقَضَتْ طِبَاعُهُمَا، وَتَرَابَلَتْ أَخْلَاطُهُمَا، وَانْتَكَلَتْ قَوَاهِمُهُمَا، وَجَاوَزَا حَدَّ الْعَضْبَانِ فِي الْحَبِطِ وَالتَّعَسُّفِ، وَحَدَّ الْغَيْرَانِ فِي الْفَلَقِ وَالرَّعْدَةِ، وَالشُّكْرَانِ فِي الْإِعْتِزَامِ وَالصُّوْلَةِ. فَانْتَمِ تَدُورُونَ مَعَ الْإِخْتِلَافِ حَيْثُ دَارَ، وَتُدِيرُونَ السَّلْمَ كَيْفَ شِئْتُمْ.

عَمَّا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الطَّعَنِ الْخَائِفِ، وَالضَّرْبِ الْبَارِئِ لِلْعَظْمِ /، وَحَرِّ الْحَدِيدِ، وَقَدْ أَصَابَهُمُ الْعَطَشُ مِنْ حَرِّ السَّلَاحِ. وَكَيْفَ يُتَوَهَّمُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْحِقْدُ وَالضُّغْنُ وَالْإِفْسَادُ وَالْإِرْصَادُ وَالطَّلَبُ بِطَوَائِلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْمِيلُ إِلَى غَايَةِ الْعَصْبِيَّةِ. وَهَذَا قَصْدُهُ فِي رِجَالِ الْكِرْمِ، وَأَهْلِ الطَّهَارَةِ، وَأَصْحَابِ التَّقْوَى وَالتَّزَاهَةِ، إِنَّمَا يَقُولُ هَذَا مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِطَبَائِعِ الْأَشْرَافِ، وَلَا بِالْعِلَلِ، وَلَا بِأَسْبَابِ طَبَقَاتِ الْأَشْيَاءِ.

وَالنَّاسُ بَيْنَ مُعَانِدٍ يَحْتَاجُ إِلَى التَّقْرِيعِ، وَمُرْتَدٍّ يَحْتَاجُ إِلَى الْإِرْشَادِ، وَوَلِيٍّ يَحْتَاجُ إِلَى الْمَادَّةِ. فَمَا احْتَجَّ بِهِ فِي مَوْقِفٍ، وَلَا ذَكَرَهُ فِي مَجْلِسٍ، وَلَا قَامَ خَطِيئًا، وَلَا هَمَسَ بِهِ إِلَى مُوَافِقٍ، وَلَا احْتَجَّ بِهِ عَلَى مُخَالَفٍ، مَعَ مَا كَانَ يَشِيْعُ مِنَ الْحُجَّةِ فِي الْأَفَاقِ، وَيَسْتَمِيقُ فِي الْأَطْرَافِ، وَتَحْمِلُهُ الرُّكْبَانُ، وَيُتَهَادَى فِي الْمَجَالِسِ، وَقَدْ أَسْقَطَ عَنْهُ، مَوْوَنَةَ الرُّوِيَّةِ، وَأَوْرَثَهُ إِلْفَ السُّكُونَةِ، وَكَفَاهُ خَلَاجَ الشُّكِّ^(١)، وَاضْطِرَابَ النَّفْسِ، وَجَوْلَانَ الْقَلْبِ. شِدَّةُ فِرَاقِ الْإِلْفِ، وَمُكَابَدَةُ الْعَادَةِ، وَنِزَاعُ الطَّبِيعَةِ. خَلِيَ الْعِذَارِ مِنَ الشُّرْبِ، رَخِي الْبَالِ.

(١) خلاج الشك: الشغل به. (اللسان: خلع).

أَعَدُّ الأُمُورِ وَأَقْسَطُهَا؛ طَرَحُ الطَّرْفَيْنِ وَالْأَخْذُ بِأَوْسَطِ الأُمُورِ. وَبَعْدَ طَوِيلِ
 الدَّهْرِ وَمَوْتِ الأَحْقَادِ، لَا يَأْلُوهُمْ خَبَالًا^(١)، ﴿عَصُوا عَلَيْكُمْ^(٢) أَأَنْتَ بِلِ مِنَ الْفَيْتِلِ﴾ [آل
 عمران: ١١٩].

إِنَّمَا يَعْرِفُ الكَلَامَ فِي الأَدْيَانِ مَنْ قَدْ صَلَّى بِهِ وَعَجَمَهُ، وَسَلَكَ فِي مَضَائِقِهِ،
 وَكَادَحَ الأَضْدَادَ، وَنَازَعَ الأَكْفَاءَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي طِبَاعِ النَّجْدَةِ وَالشَّهَامَةِ. وَمِنْ أَكْرَمِ
 عُنُصُرٍ، وَأَطْيَبِ مَغْرَسٍ. وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ تَمَّتْ إِدَاتُهُ، وَلَمْ تُسْتَجْمَعْ لَهُ قَوَاهِ؛ لِأَنَّ العَقْلَ
 وَإِنْ اشْتَدَّ مَغْرُزُهُ، فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُ بِنَفْسِهِ دَرَكَ الغَايَةِ، دُونَ كَثْرَةِ السَّيَاحِ وَالتَّجْرِيبَةِ. مَزَايَا
 الأُمُورِ المُشْكِلَاتِ تَجَارِيهُ. بِسَنَةِ الصِّنَاعَةِ الحَقِيبَةِ إِنْ قَصَرَ حُصِيمٌ، وَإِنْ أَغْرَقَ أَيْمٌ / .
 تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وَحَدِّهِ وَصَلَوَاتِهِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم



(١) الخبال: المنع والفساد. (اللسان: خبل).

(٢) في الأصل (بعضون) وهو تحريف.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأمثال

فهرس القوافي

فهرس أنصاف الأبيات

فهرس الأرجاز

فهرس الأعلام

فهرس القرآن الكرم

الصفحة	رقم الآية	الآية
		﴿سورة آل عمران﴾
٣٨٩	١١٩	﴿عَصُوا عَلَيْكُمُ الْأُنَابِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾
١٢١	١٣٣	﴿وَجَنَّتْ عَرَشَهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾
		﴿سورة النساء﴾
٣٤٣	٢٤	﴿فَمَا اسْتَعْتَقْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾
		﴿سورة المائدة﴾
٣٨٠	٣	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾
١٣٩	٥١	﴿وَمَنْ يَتُوكُمْ فِي اللَّهِ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْكُمْ﴾
		﴿سورة الأعراف﴾
٣٢٥	٨٩	﴿انْفِثْحْ يَٰسِينَآ وَبَيْنَ يَدَيْنَا رُوحُ الْبَاقِيَاتِ وَالرُّوحِ الْبَاقِيَاتِ وَآتَاكَ خَيْرَ الْبَاقِيَاتِ﴾
		﴿سورة التوبة﴾
٢٤٥	١١٤	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَدُّ عَلَيْنَا﴾
		﴿سورة هود﴾
٢٤٥	٧٥	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿تِلْكَ لَآئِنَ الْحَلِيمِ الرَّزِيقِ﴾	٨٧	٢٤٥
﴿سورة الأنبياء﴾		
﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾	١٠	١٩١
﴿سورة الحج﴾		
﴿بِأَنْبِئِكُمْ مِنْ كُلِّ نَجْعٍ عَمِيقٍ﴾	٢٧	٣١١
﴿سورة المؤمنون﴾		
﴿فَتَوَصَّوْا بِأُولَىٰ حَقِّ حَيْبِئِنَّ﴾	٢٥	١٣٣
﴿سورة سبأ﴾		
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرْمِ﴾	١٦	٣٥٩
﴿سورة الصافات﴾		
﴿فَبَشِّرْهُ بِبُحَيْرٍ حَلِيمٍ﴾	١٠١	٢٤٥
﴿سورة السجدة﴾		
﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلْفِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	٢١	١٢٣
﴿سورة ص﴾		
﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	١٧	٣٦٦
﴿سورة الزخرف﴾		
﴿وَأَنذَرْتُكَ لَوْلَقَوْلِكَ﴾	٢٤	١٩١

﴿سورة ق﴾

٢٨٤ ٣٧ ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَفُوَّسَهُمْ﴾

﴿سورة الملك﴾

١١٧ ٣ ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾

﴿سورة البلد﴾

١٦٧ ١٦-١٣ ﴿فَكَرِهِي * أَوْ لِمَعْنَى فِي يَوْمِ ذِي مَسْجِدٍ * يَسَاءَ ذَا مَقَرَبَةٍ * أَوْ مَسْجِدًا ذَا مَقَرَبَةٍ﴾

﴿سورة الشرح﴾

١٩١ ٤ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

﴿سورة التين﴾

١٣٥ ٤ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

﴿سورة الفلق﴾

٢٦١ ٤ ﴿وَمِن سَكْرَاتِنَا فَتَنَّا فِي الْمَقَدِّ﴾

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث
٣٠٦	«إبل من نفسك عذراً، فإن غلبك الأمر فقل حسبي الله»
١٠٢	«اطلبوا الخواج عند حسان الوجوه»
٣٠٢	«أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب»
٣٢٥	«أن الإسلام بدا غريباً وسيعود غريباً كما بدا فطويئ للغرباء»
٣٤٦	«إِيَّاكَ وَالْقَوَارِيرَ»
١٠٨	«الثَلثُ، وَالثَلثُ كَثِيرٌ»
٢٠٤	«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»
٣٠٣	«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب»
٢٢٠	«من أودع عرفاً فليشكره، فإن لم يمكنه فليشره، فإذا نشره فقد شكره، وإذا كتمه فقد كفره»
٢١٩	«من لم يشكر الناس لم يشكر الله»
١٨٣	«المؤمن مرآة أخيه»

فهرس الأمثال العربية

الصفحة	المثل
١٤٧	أبهى من الغيث
٢٥٩	أتى أبداً على لبد
٣٦١	أثراً بعد عين
١٤٧	أحسن من القمر
١٤٨	أحسن من يوم الحلية
٧٧	أحفظ من أعمى
٣٦٢	أحق من الصبح
١٧٢	أخف من الهواء
١٧٢	أدق مسلماً من النار
١٧٢	أرق من التميم
٧٧	أسمع من قرص
٢٥٩	أسن من ألد
١٤٧	أضواً من الشمس
١٤٧	أضواً من الصبح
١٤٧	أضواً من النهار
١٧٢	أعذب من الزلال
٣٦٢	أعيا من باقل

الصفحة

المثل

٢٣٤	أغدر من قيس بن عاصم
٣٦٢	أغفل من هرم
٧٧	أفصح من أعرابي
١٣٤	أفصح من سحبان
٢٥١	أفصد بذرعك
٢٥٩	أكبر من لبد
٢٣٤	أكذب من قيس بن عاصم
١٤٨	أمضى من السبيل تحت الليل
١٧٨	أمضى من التصل
١٩٥	أمضى منه سنأنا
٢٥٥	أنسب من دغفل
٢٥٥	أنسب من لسان الحمرة
١٩٥	أنفذ منه لسانا
١٤٨	أهدى من النجم
٢٧٨	جاء برأس خاقان
٣٦٢	حلبًا من حائل
٢٠٠	رمى فما سوى
٣٦١	عنبًا بعد شوك
٣٦١	عطرًا بعد عروس
٣٦١	لا عطر بعد عروس
٣٦١	لا نجبًا لعطر بعد عروس
٩٧	لا يضر السحاب نباح الكلاب

الصفحة

المثل

٣٨٢

لكل جيفة كلب بخرة

٣٧٤

لكل حرب رجال

٣٧٤

لكل دهر رجال

٣٨٢

لكل ساقطة لاقطة

٣٧٤

لكل مقام مقال

١٢٧

لو كنت أنفخ في قحم

١٧٦

ما هو إلا غراب نوح

١٢٧

الموري زنداً

٣٧٦

من عزّ بز

* * *

فهرس القوافي

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
٦٧	أبو تمام	البيط	اللعب
٦٦	مازنيار	=	السلب
١٩٨	مطيع بن إياس	الخفيف	نحيب
١٩٨	مطيع بن إياس	=	الأريب
٣٣٣	الحارث بن خالد المخزومي	الوافر	التقاح
٣٣٣	أبو بكر العرزمي	الطويل	بردا
٢٢٧	الفرزدق	المقارب	يؤاد
٢٥٩	التأبغة	بسيط	ليد
٣٦٧	أبو يعقوب الأحمور	الطويل	جديد
٢٥٨	جرير	الوافر	عازا
١٤٩	أبو نواس	مجزوء الوافر	نظرا
٦٧	أبو تمام	الكامل	الأخبار
٣٠٥	إبراهيم بن هرمة	البيط	إكتار
٦٧	أبو تمام	الكامل	بالغار
٦٧	أبو تمام	=	مازنيار
٣٨٢	مالك بن حذيفة التخمي	الطويل	صبر
١٩٩	أبو ذؤيب الهللي	الطويل	جبور

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
١٣٧	محمد المكي	الكامل	تدور
١٣٠	عدي بن زيد	الخفيف	الموفور
١٣٧	محمد المكي	الكامل	كبير
٢٨٨	بلعاء بن قيس	الطويل	مقادره
٢٣٦	مالك بن نويرة	=	فجورها
٢٠٢	ربيع بن زياد العبسي	الكامل	للنظار
٢٠٦	زياد الأعجم	الوافر	أص
٢٠٦	زياد الأعجم	=	شمس
١٣٢		الطويل	ودعا
١٩١	أوس بن حجر	المنرح	سمعا
١٣١	إسحاق بن حسان الخريمي	الطويل	لموجع
١٢٩	الخريمي	=	أوسع
٢٣٧	قيس بن عاصم	=	طامع
٢٠٦		مخلع البسيط	الضلوع
٢٠٦		=	الزبيع
٢٠٦		=	يشيع
٢٣٦	أوس بن حجر	البسيط	سلف
٢٠٠	يزيد بن حذاق العبدي	البسيط	مخرق
٢٠٠	يزيد بن حذاق العبدي	=	أخلاق
٢٣٥	قيس بن عاصم	البسيط	أجمال
١٢١	عبد الله بن الحجاج	الطويل	حابل
٢٦٣	منازل المقرئ	الوافر	النبال

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
٩٦	الفرزدق	الكامل	يتحلحل
١٢٩		الطويل	المحل
١٩٧		=	قاتله
١٣١		=	شاغله
١٣٣		=	ترخلوا
١٠٤	إبراهيم بن هرمة	الكامل	الأرحام
١٠٣	إبراهيم بن هرمة	=	الختام
١١٥	أبو دؤاد الأيادي	الخفيف	سنام
١١٥	أبو دؤاد الإيادي	الخفيف	المدام
٢٣٥	زيد الخيل	الطويل	عاصم
٢٠٣		=	رواعم
٢٨٠	قيس بن الملوح	=	المصمم
١٩٦		البيط	يهجران
٢٦٣	الفرزدق	الكامل	البحران
٢٠٤	مالك بن الزيب	الطويل	قيادي
٣٣٢	القطامي	البيط	الصادي

فهرس أنصاف الأبيات

الصفحة	نصف البيت
١٩٣	تلکم قريني والأنصار أنصاري
١٧٤	دع ذا وعد القول في هرم
٣٨٧	قد يضحك الموتور وهو حزين
٣٧٢	تَسَأَت في حَجَرِ أم الزَّمانِ
٣٤٠	وانبذ برملة نبذ الجورب الخلق
١٩٩	ولن يرجع الموتى حنين المآتم
١٩٤	ومن علا المنبر لي والمنبر



فهرس الأرجاز

الصفحة	الشاعر	الشعر
٣٥٢		لولا ثلاث هنّ عيش الدّهر
٣٥٢		الماء والنوم وأم عمر
٣٥٢		لما خشيت من مضيق القبر
٣٥٢	لقيط بن زرارة	شتان هذا والعناق والنوم
٣٥٢	=	والمشرب البارد والظل والدوم
٢٥٠	الأحنف بن قيس	أن على كلّ رئيسٍ حقًا
٢٥٠	=	أن يخبّص الصّعدة أو تندقًا

* * *

فهرس الأعلام

- | | الألف |
|---|--|
| اسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام): ٢٣٢، ٢٩٢. | آدم (عليه السلام): ٢٥٩، ٢٧٥، ٣٨٤. |
| إسماعيل بن جعفر: ٣٤٥. | إبراهيم (عليه السلام): ٢٥٩. |
| أرسطاطاليس: ٢٦٠. | إبراهيم بن السندي: ٧٤. |
| الاسكندر: ٢٦٠، ٢٧٠. | إبراهيم بن سيار: ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢. |
| ابن الأشعث: ١١، ٢٣٠، ٢٩٤. | إبراهيم بن عبد الله بن الحسن: ٢٤٤. |
| الأصمعي = عبد الملك بن قريب: ٣٠٥، ٣٨٦. | إبراهيم الموصلي: ٢٩٥. |
| الأفشين = حيدر بن كاوس: ٢٦٧. | إبراهيم بن هرمة: ٣٠٥. |
| أفلاطون: ٢٦٠. | أحمد بن أبي ذؤاد: ٧٢، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٨، ٢١٤، ٢١٧. |
| الأقرع بن حابس: ٢٥١. | أحمد بن حنبل: ٧٢. |
| امرؤ القيس: ٢٩٣. | أحمد بن يحيى: ٢٩٤. |
| الأمين: ٦٨، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٨٨. | الأحنف بن قيس: ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤. |
| ابن الأنباري: ١٩. | ٢٥٢، ٢٥٠، ٢٤٦. |
| أنس بن مالك: ٨٥. | الأخطل: ٢٦٢، ٢٦٣. |
| أوس بن حجر: ٢٣٦، ١٩٠، ١٩١. | أسد بن عبد الله: ٣٤٧. |
| إياس بن الجون: ٢٤٠. | |
| ابن إياس بن قتادة: ٢٤٤. | |

الباء

- بابك: ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ١٦٣، ٢٦٢، ٢٦٧.
- باطس: ٦٧.
- باقل: ١٣٤، ٣٦٢، ٣٧٣.
- البخاري: ٨٤.
- بشار بن برد: ٢٦٣.
- أبو بكر: ٢٣٨.
- أبو بكر الأصم: ١٠٤.
- أبو بكر العرزمي: ٣٣٣.
- أبو بكر بن مردويه: ٢٠.
- بلعاء بن قيس: ٢٨٨، ٣٧٩.

التاء

- أبو تمام: ٢٤، ٦٥، ٦٧، ١٠٣، ١٣٠، ١٣٣.
- توفيل بن ميخائيل بن جرجس: ٦٧.

الثاء

- ثمامة بن أشرس: ١٠٤.
- ثعلب = أحمد بن يحيى: ٢٩٤.

الجيم

- الجاحظ: ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٦، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠.
- الجارود: ٢٣٣.
- جارية بن الحجاج: ١١٥.
- جارية بن قدامة: ٢٤٤.
- جالينوس: ٣٧٣.
- جذيمة الأبرش: ٢٧١، ٢٧٢.
- الجراح بن عبد الله: ٢٧٨.
- جرير: ١٣١، ١٩٣، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٤، ٣٠٥.
- جعفر بن أبي طالب: ٣١٣، ٣١٤.
- جعفر بن القاسم: ٢٠٤.
- جعفر بن يحيى بن برمك: ٧١.
- جعفر الكردي: ٦٨.
- جمعة السلمي: ١٥٥.
- الجمعي = حسان بن قيس: ٢٩٥.
- حاتم الريش: ٢٦٨.
- حاتم الطائي: ١٣٤، ٣٧٠.
- حاجب بن زرارة: ٢٤٥، ٢٤٦.
- الحارث بن كلدة: ٢٧٣.
- الحارث بن خالد المخزومي: ٣٣٢.
- الحنات: ٢٤٢، ٢٤٩.
- الحجاج بن يوسف: ١١، ٢٦، ٦٨، ٨٣، ٨٥.
- ٢٣٠، ٢٤١، ٢٧٣، ٣١١.
- حذيفة بن بدر: ٢٣١، ٢٦٤.
- الحريش بن هلال: ٢٣٠.
- الحسن بن أبي الحسن: ٢٦، ٨٦.

الذال

أبو ذؤيب الهليلي: ١٩٩.

الراء

الزاعي = عبيد الله بن الحصين النميري: ٢٦٢.

ربيع بن زياد العبيسي: ٢٠١.

الرشيد: ٧١، ١٠٤، ١٢٤، ١٣٠، ١٣٧، ٢٦٤، ٣٠٥.

ركاض اللبيري: ٢٤٨.

رؤية بن العجاج: ٧٥، ٧٨، ٣٣٦.

الزاي

زاذان بن فروخ الأهور: ٧٨.

الزبأ: ٢٧١، ٢٧٢.

زبراء: ٢٤٣.

زيرب: ٢٧٨.

زيدة بنت جعفر بن المنصور: ٢٦١.

ابن الزبير = عبد الله بن الزبير: ٢٩٤، ٣٤٩.

الزبير بن العوام: ٢٣٩، ٣١٥، ٣٤٩.

زرارة بن عدس: ٢٣١، ٢٤٥.

الزهرى = محمد بن مسلم: ٢٩٦.

زهير بن أبي سلمى: ١٢٥، ١٧٤، ١٩٠.

زياد الأعجم: ٢٠٥.

زياد بن أبيه: ٢٧٣، ٣٧٢.

حصن بن حنيفة: ٢٤٥، ٢٧١.

أبو الحسن المدائني: ١٤١.

حماد عجرد: ٢٦٢.

حمزة بن الحسن الأصفهاني: ١٠، ١٣، ١٥، ١٦.

١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٣٣.

٣٤، ٣٥، ٣٧، ٤٢.

حمزة بن عبد المطلب: ٣١٣.

حنظلة بن الشرقي: ١١٥.

أبو حنيفة = النعمان بن ثابت: ٢٩٣.

حيدر بن كاوس: ٢٦٧.

الحاء

حازم بن خزيمة: ٢٧١.

خالد بن برمك: ٢٦، ٧١.

خالد بن الوليد: ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٦٠.

الحليل بن أحمد: ٨٠، ٨١.

الدال

دارا بن دارا: ٢٧٠.

دانيال: ٣٧٣.

داوود (عليه السلام): ٣٦٦.

ابن دريد: ١٨.

دغفل العلامة: ٢٥٥.

أبو دؤاد الإيادي: ١١٥.

سهل بن هارون: ٨٠، ١٢٤، ٣٨٣.

سيويه: ٢٩٥.

ابن سيرين: ٨٥.

الشين

شَدَاد الحارثي: ٨٠، ١٢٤.

الشَّعبي: ٧٥.

شعيب (عليه السلام): ٢٤٥.

أبو شعيب: ٨٨.

الشَّخَّاح = معقل بن ضرار: ٢٦٨.

الشَّمردل بن شريك: ١٣١.

الصاد

صالح بن حنين: ٢٦٨.

صالح بن الرشيد: ٢٦٨.

صخر صاحب سليمان: ٣٠، ٢٦٠.

صدقيا اليهودي: ١٧.

صعصعة بن ناجية: ٢٣٧.

الصَّوْلِي: ١٩.

الطاء

طاهر بن الحسين: ٢٦٤.

الطَّبري: ١٨.

الطَّرْمَاح: ١٢٠.

طلحة: ٢٤٠.

زياد بن معاوية: ٢٩٣.

زيد بن ثابت: ٨٦.

زيد بن جبلة: ٢٤٢.

زيد الخليل: ٢٣٥.

السين

سجاح اليربوعية: ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٤.

سحبان وائل: ١٣٣، ١٣٤، ٣٧٣.

ابن سريج = عبد الله بن سريج: ٢٩٥.

سعد بن أبي وقاص: ٢٥٣.

سعد بن زيد: ٢٣٦.

سعيد بن عمرو الحرشي: ٢٧٨.

سعيد بن قيس الهمداني: ٢٤١.

السَّفَّاح = أبو العباس السَّفَّاح: ٧١، ٢٦١.

سفيان بن الأبرد: ٢٤١، ٢٧٠، ٢٧١.

سفيان بن عيينة: ٧٥.

سفيان الثوري: ٧٥.

سليمان الفارسي: ٢٦٨.

أبو سلمة الخلال: ٧١.

سليمان بن عبد الملك: ١٣٧، ١٣٨، ٢٩٦.

سمرة بن جندب: ٣٧٢.

ابن سمية = زياد بن أبيه: ٢٧٣.

السندي بن شاهك: ٧٤.

سهل بن الحكم: ١٩.

عبد الملك بن مروان: ٦٤، ٨٣، ٨٥، ١٢٠،

١٣٧، ٢٣٦، ٣١١، ٣٧٩.

عبد مناف: ١٣٤.

عبدان بن أحمد الجواليقي: ١٩.

عبيد الله بن الحصين النميري: ٢٦٢.

أبو عبيدة = معمر بن النخعي: ٧٩، ١٣٥.

العتيبي: ١٠٨، ١٠٩.

عثمان بن عفان: ٢٦، ٩٩.

عدنان: ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٩٢.

عدي بن زيد: ١٣٠.

عطاء بن نافع: ٧٥.

أبو عقيل بن درست: ١٢٣.

علي بن أبي طالب: ٥٩، ٢٠٤، ٢٤١، ٣١٣،

٣١٤، ٣٦١.

علي بن سليمان الأخفش: ١٩.

عمر بن أبي ربيعة: ١٥٢، ٣٣٢.

عمر بن الخطاب: ٨٦، ١٣٢، ١٥٥، ١٦٩،

١٨٣، ١٩٠، ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٧٢، ٢٨٨.

عمر بن عبد العزيز: ٨٥، ١٨٣، ٣٧٩.

أبو عمرو بن العلاء: ١٣٥.

عمرو بن جرموز: ٢٣٩، ٢٥١.

عمرو بن سعيد: ١٢٠.

عمرو بن الفضل الشيرازي: ٦٩.

طلحة المرتاب: ٢٦٠.

طلق بن حبيب: ٢٠١.

العين

عائشة: ١٣٢، ٢٤٠.

ابن العاص = عمرو بن العاص: ٢٧٢.

عامر بن الطفيل: ٢٩٣.

عباد بن الحصين: ٢٩٤.

عباد بن مرثد بن عمرو بن مرثد: ٢٣٤.

أبو العباس السفاح: ٧١، ٢٦١.

العباس بن عبد المطلب: ٢٤٧، ٢٤٨، ٣١٤.

أم عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر: ٨٧.

عبد الأعلى بن مسهر: ٣٨٥.

عبد الرحمن بن صخر: ٣٠٣.

عبد الله بن الحر: ٢٩٤.

عبد الله بن الزبير: ٣٤٩.

عبيد الله بن سريح: ٢٩٥.

عبد الله بن عامر: ٢٤٢، ٢٩٤.

عبد الله بن العباس: ٣١٤.

عبد الله بن الحجاج: ١٢٠.

عبد الله بن عون: ٣٧٦.

عبد الله بن قحطبة: ١٩.

عبد المطلب بن هاشم: ٣١٤.

عبد الملك بن قريب: ٣٨٦.

عمرو بن العاص: ٢٧٢.

عمرو بن عددي: ٢٧١، ٢٧٢.

عمرو بن عبيد: ٢٩٢.

عمرو بن معدني كرب: ٢٩٣.

عمرو بن هند: ١٩٠، ٢٠٠.

عمير بن شميم: ٣٣٢.

عيسى بن مريم (عليه السلام): ٣٣٨، ٣٣٩.

عينة بن حصن الفزاري: ٩٩.

الغين

الغريض: ٢٩٥.

غيلان بن خرشة: ٢٤٣.

الفاء

فاطمة الزهراء: ٣١٣.

الفاكه بن ثعلبة: ٣١٥.

الفرزدق: ٨٧، ٩٦، ١٣١، ١٩٩، ٢٣٧، ٢٤٦.

٢٦٢.

الفضل بن يحيى بن برمك: ٧١.

الفيض بن يزيد: ١٢٣.

القاف

القافلاي: ٢٩٥.

قادة بن دعامة السدوسي: ٢٩٥.

قحطان: ٢٣٤، ٢٩٢.

قراطيس: ٦٩.

قصر: ٢٧١، ٢٧٢.

القطامي = عمير بن شميم: ٣٣٢.

قطري بن الفجاءة: ٢٤١.

قيس بن زهير: ٢٦٤، ٢٧١.

قيس بن عاصم: ١١، ٢٦، ٢٩، ٢٣٤، ٢٣٥.

٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٥.

قيس عيلان: ٢٣٣.

الكاف

الكسائي: ٢٩٥.

أبو كعب: ٨٥.

كعب بن مامة: ١٣٤، ٣٧٠.

اللام

ليد: ٢٦٨.

ابن لسان الحمرة = عبد الله بن حصن أو ورقاء

ابن الأشعر: ٢٥٥.

لقمان الحكيم: ٢٤٥.

لقمان بن عاد: ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٧١.

لقيط بن زرارة: ٣٥٢.

لقيم بن لقمان: ٢٤٥، ٢٧١.

الميم

مالك بن أنس: ٢٩٣.

مالك بن حذيفة التميمي: ٣٨٢.

- مالك بن الربيب: ٢٠٤.
 المؤمنون: ١٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٨، ١٠٤، ١٢٤،
 المستعين: ٢٦٢.
 مسعر بن فدكي: ٢٤١.
 مسعود: ٢٤٤.
 المبرد = محمد بن يزيد: ٢٩٤.
 مازيار: ٢٦، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨.
 مطرف الغنوي: ٧٥.
 معاذ بن سعد: ١٢٣.
 معاوية بن أبي سفيان: ١٣٧، ٢٤٥، ٢٧٢.
 المعتز: ٢٦٢.
 المعتصم: ١٣، ٢٦، ٦٠، ٦٤، ١٦٢، ١٩٤،
 معمر بن المنقري: ١٣٥، ٧٩.
 معمر السلمي: ١٢٧.
 معن بن زائدة: ٢٠٦.
 المغيرة بن شعبة: ١٦٩.
 أبو موسى الأشعري: ٢٤٣.
 منازل بن أمعز المقرئ: ٢٦٣.
 المنصور: ٦٤، ١٤١، ٢٠٦، ٢٦١.
 منكر ونكير: ٢٧٩.
 المهدي: ٦٠، ٦٤، ٦٩، ١٣٤.
- محمد بن بشير الخارجي: ١٣٠.
 محمد بن حرب: ٢٨٨.
 محمد بن صالح بن فراع: ١٩.
 محمد بن طلحة السجّاد: ٢٠١.
 محمد بن عبد الملك: ٢٦، ٣٠، ٧٣.
 محمد بن مسلم الزهري: ٢٩٦.
 محمد بن نصير: ١٩.
 محمد بن الهذيل: ٢٩٢.
 محمد بن يزيد: ٢٩٤.
 محمد المكي: ١٣٧.
 محمود بن محمد الواسطي: ١٩.
 مروان بن محمد: ٢٦١.
 المروزي: ١٠٨، ١٠٩.

المهلب بن أبي صفرة: ٢٦، ٨٨، ٨٩.

مهلهل بن يعقوب بن المزرع: ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠،

٢٢، ٢٣، ٢٣٥.

النون

النابغة الجعدي: ٢٩٥.

النابغة الذبياني = زياد بن معاوية: ٢٩٣.

نافع بن الأزرق: ٥٩، ٢٤٠.

نسطور الحكيم: ٣٣٩.

نصر بن الحجاج: ١٥٥.

النعمان بن ثابت: ٢٩٣.

النمر بن قاسط: ٣٧٠.

النوار: ٨٧.

أبو نواس: ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٤، ١٤٩.

نوح (عليه السلام): ٣٧٢.

الهاء

هاروت وماروت: ٢٨٠.

هارون الرشيد: ٦٤، ٦٩، ١٢٤، ١٣٧، ٢٦١،

٢٦٢.

هاشم: ٣٢، ١٣٤، ٢٣١، ٣١١، ٣١٢، ٣١٥.

هبة: ٣٧٣.

الهذلي = محمد بن الهذيل العلاف: ٢٩٢.

هرثمة بن أعين: ٢٦٤، ٢٧١.

أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر: ٣٠٣.

هشام بن عبد الملك: ٨٧، ٢٧٨، ٢٩٥.

هشام بن الكلبي: ١٤١.

ابن هند = معاوية بن أبي سفيان: ٢٧٢.

الهيثم بن عدي: ٨٤، ١٤٢.

الواو

الواثق بالله: ١٣، ٦٩، ١٣٥.

واصل بن عطاء: ٢٩٢.

الياء

يأجوج وماجوج: ١١٩، ٢٧٩.

يحيى بن خالد بن برمك: ٢٦، ٧١.

يزيد بن خنق: ٢٠٠.

يزيد بن معاوية: ١٣٧، ٢٥٢، ٣٣٢.

يزيد بن المهلب: ٨٨.

يعقوب (عليه السلام): ٣٦٦.

يوسف (عليه السلام): ٣٦٦.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

* القرآن الكريم

الألف

- ١- الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت ٣٧٠هـ)، المؤلف والمختلف، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة مصر، ١٩٦١م.
- ٢- الأبيهي، أبو الفتح بهاء الدين محمد بن أحمد بن منصور (٨٥٤هـ)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق إبراهيم صالح، ط١، دار صادر، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.
- ٣- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق محمد باسل العيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٨م.
- ٤- ابن أبي عون، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٢هـ)، الأجرية المسكنة، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، مطابع الناشر العربي، القاهرة مصر، ١٩٨٣م.
- ٥- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت لبنان، ١٩٧٩م.
- ٦- ابن الأثير، محب الدين بن محمد (ت ٦٠٦هـ)، المرصع في الآباء والأقارب والبنين والبنات والأدواء والنّوات، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مطبعة الإرشاد، بغداد العراق ١٩٧١م.
- ٧- الأحمد النكري، عبد النبي بن عبد الرسول، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ط١، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد باكستان، (١٣٢٩هـ).

- ٨- الإربلي، عبد الرحمن سُبُط قنيتو الإربلي (٧١٧هـ)، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تحقيق مكّي السّيد جاسم، ط ٢، مكتبة المثني، بغداد العراق.
- ٩- أسامة بن منقذ، لباب الآداب، تحقيق أحمد عمّد شاكر، ط ١، دار الجليل، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.
- ١٠- الأصبهاني، أبو بكر محمّد بن داود، الزّهرة، ت.د. إبراهيم السّامرائي، ط ٢، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، ١٩٨٥م.
- ١١- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٦٠هـ)، الإمامة والرد على الرّافضة، تحقيق د. علي بن محمّد بن ناصر الفقيهي، ط ٣، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة السعودية، ٢٠٠١م.
- ١٢- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٦٠هـ)، تاريخ أصبهان، تحقيق سفيان ديدريخ، ليدن بريل، ١٩٣١م.
- ١٣- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق دار إحياء التّراث العربي، ط ١، دار إحياء التّراث العربي، بيروت لبنان، ١٩٩٤م.
- ١٤- الأصفهاني، أبو حامد عماد الدّين بن محمّد (ت ٥٩٧هـ)، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزّمان، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، ط ١، المكتبة العصرية، صيدا لبنان، ٢٠٠٢م.
- ١٥- الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ط ٣، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ١٩٦١م.
- ١٦- التّيه على حدوث التّصحيف، تحقيق محمّد أسعد طلس، ط ٢، دار صادر، بيروت لبنان، ١٩٩٢م.
- ١٧- الدّرة الفاخرة في الأمثال السّائرة، تحقيق قصي الحسين، ط ١، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.
- ١٨- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ)، الأصمعيّات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط ٥، دار المعارف، القاهرة مصر، ١٩٥٥م.

- ١٩- ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد بن أعثم (ت ٣١٤ هـ)، كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، ط١، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٩١ م.
- ٢٠- الأمين، السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، ط١، مطبعة الإنصاف، بيروت لبنان، ١٩٦١ م.
- ٢١- ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين (ت)، نُزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق ابراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد العراق، ١٩٧٠ م.
- ٢٢- أوس بن حجر، أبو شريح (ت ٢ ق. هـ)، ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم، ط٢، دار صادر ودار بيروت، بيروت لبنان، ١٩٦٠ م.
- ٢٣- الأونبي، أبو عبيد البكري، سمط اللاكبي، تحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦ م.

الباء

- ٢٤- ابن بابويه القمي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١ هـ)، معاني الأخبار، تحقيق محمد مهدي السيد حسن الخراسان، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف العراق، ١٩٧١ م.
- ٢٥- البحري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤ هـ)، الحماسة، تحقيق محمود رضوان ديوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٩ م.
- ٢٦- البستي، أبو حاتم محمد بن حبان (ت ٣٥٤ هـ)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط٤، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ١٩٩٩ م.
- ٢٧- البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت ٥٢١ هـ)، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق د. مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر، ١٩٨٣ م.
- ٢٨- البغدادي، اسماعيل باشا، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف الجلية، استنبول تركيا، ١٩٥٥ م.

- ٢٩- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزائن الأدب ولُبُّ لُبابِ لسان العرب، ت د. عبد السلام هارون، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر، ١٩٧٩م.
- ٣٠- البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي، كتاب الطَّبِيخ، تحقيق فخري البارودي، ط١، دار الكتاب الجديد، دمشق سوريا، ١٩٦٤م.
- ٣١- البلاذري، أبو الحسن (ت ٢٧٩ هـ)، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة مصر.
- ٣٢- البيهقي، إبراهيم بن محمد، المحاسن والمساوي، دار صادر ودار بيروت، بيروت لبنان، ١٩٦٠م.

الثاء

- ٣٣- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤ هـ)، الفرج بعد السدة، تحقيق محمد حسن عبد الله، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة مصر، ٢٠٠٠م.
- ٣٤- نشوار المحاضرة، تحقيق عبود الشابي، نشر المؤلف، ١٩٧١م.
- ٣٥- التهانوي، محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحنفي (ت ١١٥٨ هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق أحمد حسن بسج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٨م.
- ٣٦- التوحيدي، أبو حيان، البصائر والذخائر، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء، دمشق سوريا، ١٩٦٤م.

الثاء

- ٣٧- التعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٣٠ هـ)، الإعجاز والإيجاز، ط٢، المكتب العامي للطباعة، بيروت لبنان، ١٩٩٢م.
- ٣٨- تحسين القبيح وتقييح الحسن، تحقيق شاعر العاشور، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد العراق، ١٩٨١م.

- ٣٩- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة مصر، ١٩٨٠م.
- ٤٠- خاص الخاص، تحقيق حسن الأمين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، د.ت.
- ٤١- فقه اللّغة، تحقيق د. عمر الطّباع، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.
- ٤٢- لطائف المعارف، ١٩٦٠م.

الجيم

- ٤٣- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، البخلاء، تحقيق أحمد العوامري وعلي الجارم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.
- ٤٤- البرصان والعرجان العميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي، ط٢، مؤسسة الرّسالة، بيروت لبنان، ١٩٨١م.
- ٤٥- البيان والتّبين، تحقيق موفق شهاب الدّين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.
- ٤٦- التّربيع والتّدوير، تحقيق شارل بلا، المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة، دمشق سوريا، ١٩٥٥م.
- ٤٧- الحيوان، تحقيق د. عبد السلام هارون، ط٢، دار الجليل، بيروت لبنان، ١٩٩٦م.
- ٤٨- رسائل الجاحظ، جمع وتحقيق حسن السنوبي، ط١، المطبعة الرّحمانية، القاهرة مصر، ١٩٣٣م.
- ٤٩- رسائل الجاحظ، جمع وتحقيق د. عبد السلام هارون، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ١٩٧٩م.
- ٥٠- رسائل الجاحظ الرّسائل الكلاميّة، تحقيق د. علي أبو ملحّم، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ١٩٨٧م.
- ٥١- الفصول المختارة من كتب الجاحظ، جمعها عبيد الله بن حسان، تحقيق محمد باسل العيون السود، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ٢٠٠٠م.

- ٥٢- فصول مختارة، تحقيق د. محمد الدروبي، ط١، دار البشير، عمان الأردن، ٢٠٠٢م.
- ٥٣- كتاب المعلمين وكتاب الرّد على المشبهة، تحقيق إبراهيم خليل جريس، مطبعة ومكتبة السروجي، عكا فلسطين، ١٩٨٠م.
- ٥٤- مجموع رسائل الجاحظ، جمع وتحقيق محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ١٩٨٢م.
- ٥٥- المحاسن والأضداد، تحقيق د. يوسف فرحات، ط١، دار الجليل، بيروت لبنان، ١٩٩٧م.
- ٥٦- الجرجاني، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٤٨٢هـ)، كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، تحقيق محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة مصر، ١٩٠٨م.
- ٥٧- الجرجاني، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٤٨٢هـ)، الإشارات والتّبيهات في علم البلاغة، تحقيق د. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ١٩٩٧م.
- ٥٨- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق ه. ريتز، ط٢، مطبعة وزارة المعارف، استانبول تركيا، ١٩٧٩م.
- ٥٩- جرير، أبو حرزة جرير بن عطية (ت ١١٠هـ)، ديوان جرير، تحقيق د. يوسف عيد، دار الجليل، بيروت لبنان، ٢٠٠٥م.
- ٦٠- الجزري، عز الدين ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٤م.
- ٦١- ابن جني، أبو الفتح، الخصائص، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠١م.
- ٦٢- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد (٥٤٠هـ)، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة الأفتست، طهران إيران، ١٩٦٦م.
- ٦٣- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، أخبار الحمقى والمغفلين، تحقيق عزيزة الفوّال، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ١٩٩٤م.

٦٤- الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق د.إميل يعقوب ود.محمد الطّريفي، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.

٦٥- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلمي، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة مصر، ١٩٣٨م.

الحاء

٦٦- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصّحابة، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٥م.

٦٧- تهذيب التّهذيب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٤م.

٦٨- لسان الميزان، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٦م.

٦٩- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة مصر، ١٩٦٢م.

٧٠- الحصري، أبو اسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ)، جمع الجواهر في الملح والتّوارد، تحقيق عبد العزيز البشري، ط١، المطبعة الرّحمانية، ١٣٥٣هـ.

٧١- زهر الآداب وثمر الأكلاب، شرح د.زكي مبارك ود.محمد محي الدّين عبد الحميد، ط٤، دار الجليل، بيروت لبنان، ١٩٧٢م.

٧٢- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد (ت ٥٦٢هـ)، التّدكرة الحمدونيّة، تحقيق د. إحسان عباس، ط١، معهد الإنهاء العربي، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.

٧٣- الحميري، محمد بن عبد المنعم، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د.إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، ١٩٨٤م.

الخاء

- ٧٤- الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢هـ)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ج ١، مطبعة حجازي، القاهرة.
- ٧٥- الخطيب التبريزي، شرح اختيارات المفضل، تحقيق فخر الدين قباوة، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٨٧م.
- ٧٦- ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، ١٩٧٠م.
- ٧٧- الخوارزمي، فخر الدين، شرح آيات الفصل، تحقيق محمد نور رمضان يوسف، ط ١، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا، ١٩٩٩م.
- ٧٨- الخوارزمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، ط ٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة مصر، ١٩٨١م.

الدال

- ٧٩- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر، المؤلف والمختلف، تحقيق د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط ١، دار العرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٨٦م.
- ٨٠- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (٣٢١هـ)، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢، منشورات مكتبة المثنى، بغداد العراق، ١٩٧٩م.
- ٨١- جهرة اللغة، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد مصر.
- ٨٢- الدّميري، كمال الدين بن محمد بن موسى بن عيسى، (ت ٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.
- ٨٣- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق د. عصام محمد الحاج علي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠١م.

الدّال

- ٨٤- الدّهبي، شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق أبو سعيد عمر العمروي، ط١، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٩٩٦م.
- ٨٥- العبر في خبر من غير، تحقيق محمّد السّعيد بن نسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٨٥م.
- ٨٦- ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، تحقيق علي محمّد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٥م.

الرّاء

- ٨٧- الرّازي، فخر الدّين، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق محمّد زينهم محمّد عزب، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة مصر، ١٩٩٣م.
- ٨٨- الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد بن الفضل، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق د. عمر الطّباع، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.
- ٨٩- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر بن رسته (٢٩٠هـ)، الأعلام النّفيّة، طبع في مطبع بريل، ليدن، ١٨٩١م.
- ٩٠- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (ت ٤٦٠هـ)، العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي، ط١، المكتبة العصريّة، صيدا لبنان، ٢٠٠١م.

الزّاي

- ٩١- الزّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت، الكويت الكويت، ١٩٧٠م.

- ٩٢- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة محمد سامي أمين الخانجي، القاهرة مصر، ١٩٥٤م.
- ٩٣- ابن الزحيف، محمد بن علي بن يونس المعروف بابن فند (ت ٩١٦هـ)، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمى اللواحق الندية بالحدائق الوردية، تحقيق عبد السلام الوجيه وخالد المتوكل، ط١، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان الأردن، ٢٠٠٢م.
- ٩٤- الزبير بن بكار، أبو عبد الله الزبير بن بكار القرشي (ت ٢٥٦هـ)، الأخبار الموقفات، تحقيق سامي مكّي العاني، ط٢، مكتبة عالم الكتب، بيروت لبنان، ١٩٩٦م.
- ٩٥- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق د. مزيد نعيم وشوقي المعري، ط١، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، ١٩٩٨م.
- ٩٦- المستقفي في الأمثال، تحقيق محمد عبد الزمخن خان ومحمد عبد المعين خان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد باكستان، ١٩٦٢م.
- ٩٧- الزمخشري، أبو البقاء بعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت ٦٤٣هـ)، شرح المفصل، تحقيق د. إميل يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠١م.
- ٩٨- زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرح علي فاعور، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.
- ٩٩- الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، دار الجليل، بيروت لبنان.

السّين

- ١٠٠- السجستاني، أبو حاتم (ت ٢٥٠ هـ)، المعمرون والوصايا، تحقيق عبد المنعم عامر، ١٩٦١م.
- ١٠١- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ٢٠٠١م.

- ١٠٢- ابن سعيد، الأندلسي (٦٨٥هـ)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبد الرحمن، ط ١، مكتبة الأقصى، عمان الأردن، ١٩٨٢م.
- ١٠٣- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق (ت ٢٤٤هـ)، إصلاح المنطق، تحقيق د. أحمد محمد شاكر ود. عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة مصر، ١٩٤٩م.
- ١٠٤- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط ٢، نشر محمد أمين دمج، بيروت لبنان، ١٩٨٠م.
- ١٠٥- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (٥٨١هـ)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مجدي بن منصور بن سيد الشوري، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٧م.

الشين

- ١٠٦- الشمشاطي، أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي، الأنوار ومحاسن الأشعار، تحقيق د. السيد محمد يوسف، سلسلة التراث العربي تصدرها وزارة الإعلام الكويتية، الكويت الكويت، ١٩٧٧م.
- ١٠٧- الشهرستاني، أبو الفتح (٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، ط ١، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت لبنان، ١٩٨١م.

الصّاد

- ١٠٨- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، الغيث المسجم في شرح لامية العجم، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٧٥م.
- ١٠٩- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتزكي مصطفى، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ٢٠٠١م.

الطاء

- ١١٠- الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ط٣، مؤسسة عزّ الدين للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٩٢م.
- ١١١- الطّروطشي، أبو بكر محمّد بن الوليد الفهري، (٥٢٠هـ)، سراج الملوك، تحقيق محمّد فتحي أبو بكر، ط١، الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة مصر، ١٩٩٤م.
- ١١٢- ابن الطقطقي، محمّد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ)، الفخري في الأداب السلطانيّة والدّول الإسلاميّة، تحقيق عدوح حسن عمّد، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، بورسعيد مصر، ١٩٩٩م.

الطاء

- ١١٣- ابن ظافر، أبو الحسن علي بن منصور بن ظافر الأزدي (٦١٣هـ)، أخبار الدّولة المنقطعة، تحقيق عصام هزايمة ومحمّد محافظة ومحمّد طقاني وعلي عباينة، ط١، إربد الأردن، ١٩٩٩م.

العين

- ١١٤- العبّاسي، عبد الرّحيم بن أحمد (٩٦٣هـ)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمّد عي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، القاهرة مصر، ١٩٤٨م.
- ١١٥- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، بهجة المجلّس وأنس المجلّس وشحد الذّاهن والهاجس، تحقيق محمّد مرسي الخولي، ط٢، بيروت لبنان، ١٩٨٢م.
- ١١٦- ابن عبد ربّه، أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي (٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق بركات يوسف هبّود، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.
- ١١٧- ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس بن إهرون الملطّي (٦٨٥هـ / ١٤٨٦م)، تاريخ

مختصر الدّول، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرّائد اللّبناني، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.

١١٨- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشّافعي (ت ٥٧١هـ)، تهذيب ابن عساكر، هذّبه ورّبه عبد القادر بدران، ط٢، دار المسيرة، بيروت لبنان، ١٩٧٩م.

١١٩- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (٣٩٥هـ)، جمهرة الأمثال، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط٢، دار الجليل، بيروت لبنان.

١٢٠- الفروق في اللّغة، تحقيق جمال الدّين مدغمش، مؤسّسة الرّسالة.

١٢١- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد الحنبلي، شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق سوريا، ١٩٩١م.

الغين

١٢٢- الغزولي، علاء الدّين علي بن عبد الله البهائي (٨١٥هـ)، مطالع البدور في منازل السّرور، ط١، مكتبة الثقافة الحديثة، القاهرة مصر، ٢٠٠١م.

١٢٣- الغزّي الدّمشقي، نجم الدّين محمّد بن محمّد الغزّي الدّمشقي (ت ١٠٦١هـ)، إتقان ما يحسن من الأخبار الدّائرة على الألسن، تحقيق خليل بن عمّاد العربي، ط١، نشر الفاروق الحديثة للطّباعة والنّشر، القاهرة مصر، ١٩٩٥م.

الفاء

١٢٤- الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠هـ)، كتاب ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة مصر، ١٩٧٥م.

١٢٥- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق د. عبد السلام هارون، ط١، دار الجليل، بيروت لبنان، ١٩٩١م.

- ١٢٦- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد (ت ٧٩٩هـ)، الذبيح المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق علي عمر، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد مصر، ٢٠٠٣م.
- ١٢٧- الفرزدق، أبو فراس شمام بن غالب (١١٠هـ)، ديوان الفرزدق، دار صادر ودار بيروت، بيروت لبنان، ١٩٦٦م.
- ١٢٨- ابن فضل الله العمري، أبو العباس شهاب الديت أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق د. محمد خريسات ود. يوسف بني ياسين، ط ١، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبوظبي الإمارات، ٢٠٠١م.
- ١٢٩- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق يوسف الشيخ ومحمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٩٥م.

القاف

- ١٣٠- القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادى (ت ٣٥٦هـ)، الأمل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٢م.
- ١٣١- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، الأشربة، تحقيق محمد كرد علي، مطبعة الترقى، دمشق سوريا، ١٠٤٧م.
- ١٣٢- الشعر والشعراء، تحقيق د. عمر الطباع، ط ١، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ١٩٩٧م.
- ١٣٣- عيون الأخبار، تحقيق د. مفيد محمد قميحة ود. يوسف علي الطويل، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٨٦م.
- ١٣٤- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، القاهرة مصر، ١٩٦٠م.
- ١٣٥- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت أوائل القرن الرابع الهجري)، جهرة أشعار

- العرب في الجاهلية والإسلام، ت. د. محمد علي الهاشمي، ط١، دار العلم، دمشق سوريا، ١٩٨٦م.
- ١٣٦- القطامي، عمير بن شبيب، ديوان القطامي، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، ط١، دار الثقافة، بيروت لبنان، ١٩٦٠م.
- ١٣٧- القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)، إنباه الزواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٠.
- ١٣٨- تاريخ الحكماء، صححه محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة مصر، ١٩٤٨م.
- ١٣٩- القلعي، أبو عبدالله محمد بن علي (ت ٦٣٠هـ)، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحقيق إبراهيم يوسف عجو، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، ١٩٨٥م.
- ١٤٠- قيس بن الملوح،
- ١٤١- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.

الكاف

- ١٤٢- ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق محمد يومي وعبد الله المنشاوي ومحمد رضوان مهنا، مكتبة الإيهان، المنصورة مصر.
- ١٤٣- الكندي، أبو عمر محمد يوسف بن يعقوب (ت ٣٥٣هـ)، الولاة والقضاة، تحقيق محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.

الميم

- ١٤٤- ابن ماجه، صحيح سنن ابن ماجه، تأليف د. محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتب التربية العربية لدول الخليج، الرياض السعودية، ١٩٨٦م.

- ١٤٥- مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق لطفي الصغير وطه علي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٩٧م.
- ١٤٦- الموطأ، ٣، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ودار ابن حزم، بيروت لبنان، ١٩٩٦م.
- ١٤٧- المسند لموطأ الإمام مالك بن أنس، (ت ١٧٩هـ)، ترتيب وتحقيق حسين نجمة وعبد الحلیم بن محمد الهادي، ط١، دار ابن كثير، دمشق سوريا، ٢٠٠٠م.
- ١٤٨- ابن عماتي، أسعد بن عماتي (٦٠٦هـ)، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز عطية، مطبعة مصر، القاهرة مصر، ١٩٤٣م.
- ١٤٩- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، تحقيق محمد أبو الخير السيد ومحمد الشرفاوي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ٢٠٠٤م.
- ١٥٠- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تحقيق رضوان السيد، ط١، دار العلوم العربية والمركز الإسلامي للبحوث، بيروت لبنان، ١٩٨٧م.
- ١٥١- البرد، أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي، (ت ٢٨٦هـ)، التعازي والمراثي، تحقيق محمد الديباجي، دمشق سوريا، ١٩٧٦م.
- ١٥٢- الفاضل في اللغة والأدب، تحقيق عبد العزيز الزاجكوتي، ١٩٥٥م.
- ١٥٣- الكامل في اللغة والأدب، تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.
- ١٥٤- الكامل في اللغة والأدب (وبحاشيته) الفصول المختارة للجاحظ، ط١، مطبعة التقدّم العلمية ومكتبة محمد عبد الواحد الطوي، القاهرة مصر، ١٩٠٥م.
- ١٥٥- المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ولجنة إحياء التراث، القاهرة مصر، ١٣٨٨هـ.
- ١٥٦- نسب عدنان وقحطان، تحقيق عبد العزيز الميمني الزاجكوتي، نشر على نفقة محمد بن فالح آل ثاني، الدوحة قطر، ١٩٨٤م.

- ١٥٧- المتقي الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي (٩٧٥هـ)، كنز العمال في سنين الأفعال والأفعال، تحقيق بكري حياتي وصفوت السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ١٩٨٩م.
- ١٥٨- المرزباني، عبيد الله بن عمران بن موسى (٣٨٣هـ)، معجم الشعراء، تحقيق أحمد فراج، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة مصر، ١٩٦٠م.
- ١٥٩- المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. بشار عواد معروف، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ١٩٨٥م.
- ١٦٠- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥هـ)، التنبية والإشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، المكتبة التاريخية، القاهرة مصر، ١٩٨٣م.
- ١٦١- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٣، مطبعة السعادة، بيروت لبنان، ١٩٥٨م.
- ١٦٢- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة مصر، ١٩٥٥م.
- ١٦٣- معاطي بن زكريا، أبو الفرج معاطي بن زكريا النهرواني (ت ٣٩٠هـ)، المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق محمد مرسي الخولي، ط ١، نشر عالم الكتب ومحمد أمين دمج، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.
- ١٦٤- المقرئ، أبو عبد الله أحمد بن محمد التلمساني، زهرة الأخبار، ط ١، طبع على نفقة مولاي الحسن البوعشي، المطبعة الجديدة، فاس المغرب، ١٣٤٩هـ.
- ١٦٥- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، ط ٣، دار صادر، بيروت لبنان، ٢٠٠٤م.
- ١٦٦- المنتخب والمختار في النوادر والأشعار، تحقيق د. عبد الرزاق حسين، ط ١، دار عمارة، عمان الأردن، ١٩٩٤م.

- ١٦٧- المقرئ، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ)، وقعة صقّين، تحقيق د. عبد السلام هارون، ط ١، القاهرة مصر، ١٣٦٥.
- ١٦٨- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار الجيل بيروت لبنان، ١٩٨٧م.

النون

- ١٦٩- ابن نباته، جمال الدين بن نباتة المصري (٧٦٨هـ)، شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ١٩٦٤م.
- ١٧٠- مطلع الفوائد ومجمع الفرائد، تحقيق د. عمر موسى باشا، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق سوريا، ١٩٧٢م.
- ١٧١- التديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوزّاق، الفهرست، تحقيق رضا مجدّد، د.ت.
- ١٧٢- نشوان الحميري، أبو سعيد (ت ٥٧٣هـ)، الحور العين، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ومكتبة المثني، بغداد العراق، ١٩٤٨م.
- ١٧٣- أبو نواس، الحسن بن هانئ، الديوان، تحقيق وشرح اسكندر آصاف، دار العرب للبستاني، ١٩٩٢م.
- ١٧٤- التويحي، أبو محمد الحسن بن موسى، فرق الشيعة، مطبعة الدولة لجمعية المستشرقين الألمانية، استانبول تركيا، ١٩٣١م.
- ١٧٥- التوي، أبو زكريا يحيى الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، ط ١، دار التفائس، بيروت لبنان، ٢٠٠٥م.
- ١٧٦- التويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب، القاهرة مصر.

الهاء

١٧٧- ابن هذيل، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن (توفي في القرن الثامن الهجري)، عين الأدب والسياسة، تحقيق أحمد سعد علي، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة مصر، ١٩٣٨م.

١٧٨- ابن هشام، أبو عبد الله جمال الدين الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، شذور الذهب، تحقيق د. محمد السعدني فرهود ود. محمد عبد المنعم خفاجي ود. عبد العزيز شرف، دار الكتاب المصري، القاهرة مصر، ودار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.

١٧٩- نيل الأرب في الجمع بين قطر الندى وشذور الذهب، تحقيق علي سليمان شباره، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ٢٠٠٥م.

١٨٠- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق عبد الله محمد درويش، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٩٤م.

الواو

١٨١- وزام، أبو الحسين وزام بن أبي فراس المالكي الأشتري (ت ٦٠٥هـ)، تنبيه الخواطر ونزهة الناظر، تحقيق محمد صادق، ط ٣، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف العراق، ١٩٦٩م.

١٨٢- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٦م.

الياء

١٨٣- اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق عبد الله الجبوري، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ١٩٨٤م.

- ١٨٤- ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرّومي البغدادي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٩٣م.
- ١٨٥- معجم البلدان، دار صادر، بيروت لبنان، ١٩٧٩م.
- ١٨٦- اليزيدي، أبو عبد الله محمد بن العباس (ت ٣١٠هـ)، كتاب الأمالي، تحقيق عبد الله بن أحمد العلوي الحسيني، عالم الكتب، بيروت لبنان، ومكتبة القاهرة، القاهرة مصر، ١٣٦٩هـ.
- ١٨٧- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر ودار بيروت، بيروت لبنان، ١٩٦٠م.
- ١٨٨- يعقوب بن المزرع، مهلهل بن يعقوب بن المزرع، سرقات أبي نواس، تحقيق مصطفى هداية، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ١٩٥٧م.
- ١٨٩- اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد نور الدين اليوسي (ت ١١٠٢هـ)، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق د. قصي الحسين، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.



ثانياً: المراجع

الألف

١٩٠- أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة مصر، ١٩٣٦م.

الباء

١٩١- بخيت: د. محمد حسن، الفرق القديمة والحديثة في التاريخ الإسلامي، ط٢، طبع على نفقة المؤلف، غزة فلسطين، ٢٠٠٣م.

١٩٢- البستاني: فؤاد أفرام، دائرة المعارف الإسلامية، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.

١٩٣- بهيم، جمال، حقوق المرأة في الإسلام، ط١، نشر المؤلف، عمان، ١٩٩١م.

الحاء

١٩٤- الحنفي: د. عبد المنعم، معجم المصطلحات الصوفية، ط١، دار المسيرة، بيروت لبنان، ١٩٨٠م.

الخاء

١٩٥- خليفة: حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٨٢م.

الزاي

١٩٦- الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ١٠، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ١٩٩٢م.

السين

١٩٧- السامرائي، إبراهيم، من معجم الجاحظ، دار الرشد للنشر، بغداد العراق، ١٩٨٢م.

الشين

١٩٨- شيخو، لويس، المجازي الحديثة عن مجازي لويس شيخو، جدها فؤاد أفرام البستاني، ط ٤، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٣م.

العين

١٩٩- أبو عوض: عاطف شكري، الزندقة والزنادقة، دار الفكر، عمان الأردن، ١٩٨٠م.

الكاف

٢٠٠- كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المكتبة الهاشمية، دمشق سوريا، ١٩٤٩م.

٢٠١- معجم المؤلفين، المكتبة العربية، دمشق سوريا،

٢٠٢- الكرملي، الأب أنستاس، رسائل في التقود العربية والإسلامية وعلم التميّات، ط ٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر، ١٩٨٧م.

التون

٢٠٣- أبي النصر: عمر، آثار الجاحظ، ط ١، مطبعة التحوي، بيروت لبنان، ١٩٦٩م.

الهاء

- ٢٠٤- هارون، عبد السلام، مجموعة المعاني، ط ١، دار الجيل، بيروت لبنان، ١٩٩٢م.
 ٢٠٥- الهاشمي: د. أحمد، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ط ٢٧، المكتبة التجارية،
 القاهرة مصر، ١٩٦٩م.

الياء

- ٢٠٦- يعقوب: إميل، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت
 لبنان، ١٠٠٦م.



ثالثاً: الكتب المترجمة

٢٠٧- بروكليمان: كارل، تاريخ الأدب العربي، تحقيق د. عبد الحلیم التّجار، ط ٥، دار المعارف، القاهرة مصر، د.ت.

٢٠٨- زهايم، رودولف، الأمثال العربيّة القديمة، ترجمة د. رمضان عبد التّواب، ط ١، دار الأمانة ومؤسسة الرّسالة، بيروت لبنان، ١٩٧١م.



رابعاً: الدّوريات

٢٠٩- حين علي محفوظ، (١٩٦٣م)، حمزة بن الحسن، مجلّة سومر، (ع ١٩)، بغداد،

١٩٦٣م.

٢١٠- مجلّة المورد، (١٩٨٧م)، عدد خاص عن الجاحظ، (ع ٤)، المجلد السابع، بغداد،

١٩٨٧م.

* * *

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	الإهداء
٧	كلمة
٩	مقدمة التحقيق
١٣	شكر وتقدير
١٥	الترجمة والمؤلف
٢٦	الدّراسة
٤٠	منهج التحقيق
٤٣	صور من المخطوطة
٤٧	النصّ المحقق
٣٩١	الفهارس
٣٩٣	فهرس الآيات القرآنية
٣٩٥	فهرس الأحاديث النبوية
٣٩٦	فهرس الأمثال
٣٩٩	فهرس القوافي
٤٠٢	فهرس أنصاف الآيات
٤٠٣	فهرس الأرجاز
٤٠٥	فهرس الأعلام
٤١٣	فهرس المصادر والمراجع
٤٣٩	فهرس المحتويات

